

سلسلة الرسائل الجامعية - ٢٣

١٩٥

التطور التاريخي للأسرة في الحجاز

في القرنين الأول والثاني الهجريين



د. هدى بنت فهد بن محمد الزويد

التطور التاريخي للأسرة في الحجاز

في القرنين الأول والثاني الهجريين

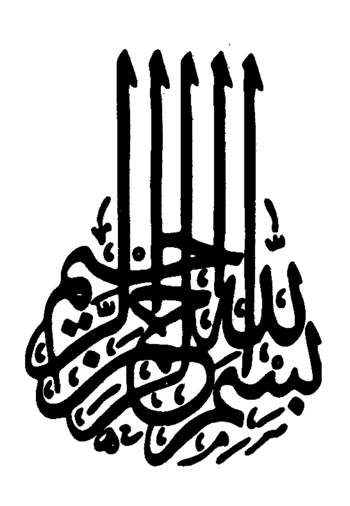
هدى بنت فهد بن محمد الزويد



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الزويد ، هدى بنت فهد
التطور التاريخي للأسرة في الحجاز .../ هدى بنت فهد الزويد .- الرياض، ١٤٢٦هـ
٦٣٤ ص : ١٧ × ٢٤ سم
ردمك ١-٩٣-٨٨٠-٩٩٦٠
١ - الحجاز - تاريخ إسلامي ٢ - الأسرة العربية
٣ - الحجاز - الأحوال الاجتماعية أ. العنوان
ديوي ٩٥٣ ١٤٢٦/٥٧١٦
رقم الإيداع : ١٤٢٦/٥٧١٦
ردمك ١-٩٣-٨٨٠-٩٩٦٠

صورة الغلاف: أطفال من أسرة آل شيبة.
المصدر: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، تأليف: سنوك هور خرونيه، ترجمة: علي عودة الشيوخ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

التطور التاريخي للأسرة
في الحجاز
في القرنين الأول والثاني الهجريين



تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين وأشرف النبيين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الله - سبحانه وتعالى - قد شرف المملكة العربية السعودية باحتضان الحرمين الشريفين: المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة، وهما بقعتان من الأرض اختصهما الله بمزايا عدة، ورفع مقامهما على ما سواهما بمناقب جمة، وميزهما بأن جعل قلوب المؤمنين تهفو وتتطلع إليهما في كل مكان، وهذا ما جعل المملكة العربية السعودية تجعل العناية بهما ورعايتهما من أولى أولوياتها، وأكبر اهتماماتها، وهو ما ظهر للعيان، وشهد به لسان الزمان.

ويأتي اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية في عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م تجسيدًا لتلك الرعاية، وتتميماً لذلك الاهتمام، إلى جانب ما تحظى به هذه المدينة المشرفة من خواص وميزات تجعلها أهلاً لذلك؛ فهي منبع الثقافة الإسلامية، وفيها نزل دستور الأمة وقبس نورها القرآن الكريم، الذي افتتحت آياته بعنوان الثقافة واسمها الواسع ومعناها الشامل، وهو قوله تعالى: ﴿اقْرأْ﴾، وفيها تكون الدين الإسلامي، وولدت الثقافة الإيمانية بما شرعه الرسول الكريم ﷺ من شرائع وسنن يقتدي بها المسلمون إلى الآن، ويتمسكون بعراها الوثيقة ويرتبطون بها ارتباط الجسد بروحه. ومن هنا لم يكن غريبًا أن تختار مكة المكرمة لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية لهذا العام.

وقد نظرت دارة الملك عبدالعزيز إلى هذا الاحتفاء بعين الرعاية والاهتمام، وسعت من أجل أن تقدم جهدها خدمة للمكانة العالية التي تحظى بها العاصمة المقدسة ومهبط الوحي ومنطلق الإسلام؛ فقدمت قبل هذا الاحتفاء عددًا من العطاءات الفكرية والثقافية التي تتعلق بمكة المكرمة، وها هي الآن تواصل بإصدارات خاصة الحرص على امتداد ذلك العطاء وضمان استمراره على مر الزمان.

ويأتي من ضمن هذه الإصدارات الخاصة بالاحتفاء بمكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية هذا الإصدار الذي يحمل عنوان: التطور التاريخي للأسرة في الحجاز خلال القرنين الأول والثاني الهجريين. وقد حرص هذا الكتاب على تقصي جوانب من الحياة الأسرية، وحاول مقارنتها بما كان سائدًا في العصر الجاهلي، وأبرز ما صاحبها من تطور خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، نتيجة للتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي نشأت بعد قيام الدولة الإسلامية وتوسعها، وانصهار عدد من الأجناس البشرية المختلفة فيها.

وتأتي أهمية هذا الإصدار من كونه أحد المؤلفات التي درست النقلة الاجتماعية التي شهدها الحجاز فيما يتعلق بالأسرة خصوصاً في القرنين الأول والثاني الهجريين، ومن هذا المنطلق رأت دارة الملك عبدالعزيز طباعة هذا الكتاب بمناسبة الاحتفاء بمكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، راجين أن يكون فيه النفع والفائدة لكل باحث وقارئ.

دارة الملك عبدالعزيز

المقدمـة

المقدمة (*)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا، ولا تجعل علمنا حجة علينا. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا. وبعد:

اتجهت الدراسات التاريخية مؤخرًا للعناية بدراسة الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية في الأزمنة التاريخية المختلفة، على الرغم مما يلاقيه الدارسون من شح في المعلومات أو عدم توازن في عددها. إلا أنه من الملحوظ أن الأسرة وهي نواة المجتمع لم تحظ باهتمام خاص من قبل الدارسين، وكانت أية معالجة لتاريخ الأسرة تأتي ضمن دراسة المجتمع كله. ومن هنا اتجه اهتمامي لدراسة "التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين" لأنه مهد الرسالة التي كانت إيذانًا ببداية عهد جديد في النظام الاجتماعي.

ويرى أحد الباحثين[1] - وأتفق معه في ذلك - أن النطاق الجغرافي للدراسة "الحجاز" معروف بصورة عامة إلا أن حدوده غير واضحة فهناك اختلاف بين الجغرافيين المسلمين في تحديده، ويرجع سبب ذلك إلى أن الجغرافيين تأثروا

(*) أصل هذا الكتاب رسالة علمية قدمت استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه في قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(١) صالح أحمد العلي، الحجاز في صدر الإسلام - دراسات في أحواله العمرانية والإدارية - (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص٧٣. وانظر أيضًا: عبدالله الوهيبي، الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، مجلة كلية الآداب، المجلد الأول ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، الرياض، ص ٥٥ ؛ عبدالله محمد السيف، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي (د. ط، د. ن، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص٣١ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦.

باختلاف التقسيمات الإدارية لجزيرة العرب التي كانت تتغير بتغير الظروف التاريخية. أما الإطار الزمني للدراسة فقد حرصت على إطالته ليشمل القرنين الأول والثاني الهجريين، لأن الأوضاع الاجتماعية عادة تتطلب مساحة زمنية واسعة حتى يتمكن الباحث من رصد الاستمرارية والتغير فيها.

حَرِصت في هذه الدراسة على تقصي كل جوانب الحياة الأسرية، ومحاولة مقارنتها بما كان سائدًا في العصر الجاهلي واكتشاف ما صاحبها من تطور خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، فلا شك أن التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي صاحبت قيام الدولة الإسلامية وتوسعها كالفتوحات، وتدفق الغنائم، والامتزاج بين العرب وغيرهم. كان لها أثرها الكبير في الحجاز خلال تلك المدة، ومن ثم في وضع الأسرة الاقتصادي والاجتماعي سلبًا أو إيجابًا. ومن الجدير بالذكر هنا أنني درست هذا الموضوع بنظرة المؤرخ، ولم أتطرق إلى النواحي الفقهية الخاصة بالأسرة إلا بشكل محدود جدًا. كما حاولت إبراز التطور ما أمكن ذلك من خلال طرح أمثلة تصور مراحل زمنية مختلفة.

وتكمن صعوبة هذا الموضوع في تناثر مادته، فهو مثل أي دراسة اجتماعية لا يمكن أن نصل إليها من خلال اطلاعنا على شكل واحد من مصادر التراث، بل تتطلب دراسته البحث في مصادر متنوعة وكثيرة استغرقت كثيرًا من الجهد والوقت حتى يتوصل إلى مادة تخدم هذه الدراسة. ومن الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة أيضًا تناقص المعلومات تدريجيًا فهي غزيرة في زمن الرسول ﷺ والخلافة الراشدة ثم تبدأ بالتناقص تدريجيًا حتى تندر في القرن الثاني الهجري. ولا شك أن ذلك عائد إلى خروج الخلافة من الحجاز ومن ثم ضعف

دوره السياسي وانتقال الاهتمام إلى مراكز الخلافة الجديدة في الشام والعراق. وبالإضافة إلى ما سبق فإن الدراسة لم تشمل كل مناطق الإطار الجغرافي لها، وليس هذا تقصيرًا مني إلا أنه نتيجة تركز المعلومات على مناطق محددة مثل المدينة، ومكة، والطائف، وبعض البوادي، أما المناطق الأخرى فإما نَدَرت الإشارة إليها أو أُهملت، إلا أنه يمكن تغطية هذا النقص بالقول: إن ما يمكن أن نجده في إحدى تلك المناطق قد ينطبق على غيرها مما لم تشر إليه المصادر لكونهم ينتمون إلى إقليم جغرافي واحد يتأثر بمؤثرات واحدة.

ولقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة البحث في مصادر كثيرة ومتنوعة منها: كتب التفسير، وكتب الحديث وشرحه، وكتب السير والمغازي، وكتب الأخبار والتاريخ، والأنساب، والطبقات والتراجم، والأدب، واللغة، والجغرافيا، وغير ذلك. ولا شك أن الاستفادة من هذه المصادر متفاوتة، ومن أبرزها: القرآن الكريم فقد حرصت عند الإشارة إلى أي تغيير شرعي في أوضاع الأسرة في زمن الرسول ﷺ عما كان في العصر الجاهلي، إلى توثيق ذلك بآية قرآنية تدل عليه. ويرتبط به كتب التفسير التي استفدت منها في تفسير بعض الآيات القرآنية التي أوردتها ومعرفة سبب نزولها، واعتمدت في ذلك على تفسير الفخر الرازي (ت ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) المشتهر بـ"التفسير الكبير ومفاتيح الغيب"، و"تفسير ابن كثير" (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) وقد كانا بلا شك أكبر سندين لي في تحقيق هذا الهدف، فقد استفادا ممن سبقهما في هذا المجال وأضافا علم عصريهما.

أما كتب الحديث فقد كان لها أثر كبير في إثراء هذه الدراسة لما تضمنته من معلومات شاملة عن أوضاع الأسرة في الحجاز خلال عصر الرسول ﷺ ،

بل قد تمتد الاستفادة منها حتى تصل إلى القرن الثاني الهجري، ومن أهمها: "صحيح البخاري" (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م). و "صحيح مسلم" (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م) وقد حرصت على الاعتماد عليهما ما أمكن في معظم الأحاديث الواردة في هذه الدراسة لما عرف عن هذين الإمامين من دقة في جمع الأحاديث. كما اعتمدت الدراسة على مصنفات أخرى كثيرة منها: "موطأ الإمام مالك "(ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م) ولا شك أن لإمام دار الهجرة أهمية خاصة عن غيره فهو لا يعطينا تصورًا عن أوضاع الأسرة في عصر الرسول ﷺ أو في عصره فقط، بل يمتد ليشمل معظم مدة الدراسة، فكثيرًا ما يورد آراء الصحابة والتابعين والفقهاء ممن سبقوه أو عاصروه ثم يردفه برأيه الخاص. ومن المصنفات الأخرى التي اعتمدت عليها الدراسة "مسند الشافعي" (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) و"المصنف" للصنعاني (ت ٢١١هـ/٨٢٦م) و"مسند ومصنف ابن أبي شيبة" (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م) و"سنن ابن ماجه" (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م) و"المعجم الكبير" للطبراني (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) وغير ذلك. وقد استفادت الدراسة من هذه المصنفات خاصة في بعض المعلومات التي لم ترد في غيرها من كتب الحديث.

ويرتبط بالحديث المصنفات التي عُنِيت بشرحه أو شرح غريبه، ويأتي في مقدمتها كتاب "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" لابن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) فهو يعد من أهم تلك المصنفات التي ساعدت في إثراء هذه الدراسة. هذا بالإضافة إلى كتاب "تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك" للسيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). أما الكتب التي عنيت بشرح غريب الحديث فقد كان من أهمها كتاب "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير

الجزري (ت ٦٠٦هـ /١٢٠٩م)، والذي كان له الفضل في شرح بعض الألفاظ التي غمض عليَّ معناها وخاصة في فصل المسكن.

وتأتي كتب السيرة والمغازي من ضمن المصادر التي هيأت للدراسة فرصة التعرف على بعض الأوضاع الأسرية في العصر الجاهلي وعصر الرسول ﷺ وهي كما هو معروف تغطي مدة قصيرة من موضوع الكتاب، إلا أنه على الرغم من قصرها فهي تعد الركيزة الأولى للتطور الذي صاحب نشأة الأسرة في العصر الإسلامي، ومن أهم تلك السير التي اعتمدت عليها، "سيرة النبي ﷺ" لابن هشام (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م). والسيرة التي خصص لها ابن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) الجزأين الأول والثاني من كتابه الطبقات، بالإضافة إلى "السيرة النبوية من كتاب تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م).

أما كتب الأخبار والتاريخ فيأتي في مقدمتها كتابا ابن حبيب (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) "المحبر" و"المنمق في أخبار قريش"، وقد شمل هذان المؤلفان معلومات قيمة عن كثير من الأوضاع الأسرية. ومن المؤلفات المهمة أيضًا كتاب "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" للأزرقي (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) وكتاب "أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه" للفاكهي (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، وعلى الرغم من أن الثاني اعتمد على الأول في كثير مما جاء في كتابه، إلا أنه أضاف معلومات أخرى، وهذا أعطى لكتابه أهمية خاصة حيث انفرد بذكر بعض المعلومات الطريفة التي لم نجدها في غيره من المصادر. هذا بالإضافة إلى المصادر الأخرى التي اهتمت بتاريخ المدينة أو الطائف، مثل كتاب "تاريخ المدينة المنورة" لابن شبة (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) الذي غطى عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين عدا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد استفدت منه في معظم فصول الدراسة. أما كتابا

"الدرة الثمينة في تاريخ المدينة" لابن النجار (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) و"وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى" للسمهودي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) فقد أفادا الدراسة بشكل خاص في فصل المسكن. أما المصادر التي تحدثت عن الطائف فكانت الفائدة منها نادرة حيث ركزت بشكل كبير على عبدالله بن عباس، ومحمد بن الحنفية وبعض آثار الطائف مثل كتاب: "نشر اللطائف في قطر الطائف" للكناني (ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م). أما كتب التاريخ العام التي اعتمدت على النظام الحولي مثل كتاب "تاريخ خليفة بن خياط" (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) و"تاريخ الرسل والملوك" للطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) و "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) فكانت استفادتي منها في موضوع الأسرة محدودة لطابعها السياسي، وإنما أحلت عليها كثيرًا في ثنايا الدراسة عند الرغبة في الترجمة لأحد الخلفاء أو التوسع في موضوع سياسي.

ومن المصادر التي كان لها أثر في إثراء هذه الدراسة كتب الأنساب التي استفدت منها في جوانب عدة، فمنها ما اعتمدت عليه في إجراء دراسة إحصائية لمصاهرات بني هاشم قبل الإسلام وبعده ومعدل الإنجاب فيهم ويمثلها كتاب "نسب قريش" للزبيري (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)، ومنها ما كان مساعدًا لي في التعريف بالقبائل التي ورد لها ذكر في المتن ومنها: "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) وكتابا "قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان" و"نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب" للقلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م). ومنها ما زودني بمعلومات في شتى مجالات الدراسة مثل: كتاب "نسب قريش" السابق ذكره بالإضافة إلى كتاب "جمهرة نسب قريش وأخبارها" للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) الذي اعتمدت فيه

على جزأين أحدهما مطبوع والآخر مخطوط. ولا شك أن هذين الكتابين لهما أهمية كبيرة لقرب مدتهما من الإطار الزمني للدراسة ولتميزهما بوفرة المعلومات الخاصة بمعظم موضوعات البحث. ويضاف إليهما كتاب "أنساب الأشراف" للبلاذري (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) الذي كان له فضل كبير في خدمة موضوع الدراسة، وقد اعتمدت في البداية على ما طبع منه كما اطلعت على جزء آخر مخطوط، وبعد الانتهاء من هذا الكتاب نشر الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي جميع أجزاء هذا الكتاب المطبوع منه والمخطوط في ثلاثة عشر جزءًا، ولضيق الوقت اضطررت إلى مقارنة الأجزاء التي نشرها الأستاذان الفاضلان بما طبع سابقًا وبالجزء المخطوط وتمكنت من تحديد مادتهما، وقصرت جهدي في الاطلاع فقط على الأجزاء التي لم يسبق لي الوصول إليها.

أما كتب الطبقات والتراجم فقد خدمت هذه الدراسة من ناحيتين فهي من ناحية تزخر بكثير من المعلومات عن الأسرة، ومن ناحية أخرى كانت خير معين لي في الترجمة لكثير من الشخصيات الواردة في الكتاب، ومن أهم هذه الكتب كتاب "الطبقات الكبرى" لابن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) وقد كان سلسلة متصلة منذ العصر الجاهلي حتى أواخر مدة الدراسة، وهذا جعله وسيلة لمحاولة إبراز الاستمرار والتغير في أوضاع الأسرة. ومنها أيضًا "طبقات خليفة بن خياط" (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) وإن كانت استفادتي منه محدودة مقارنة بالكتاب السابق. ومن كتب التراجم كتاب "الاستيعاب في أسماء الأصحاب" لابن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) و"أُسد الغابة في معرفة الصحابة" لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) و"الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) وقد أفادتني هذه المصادر خاصة في عصر ظهور الإسلام وإن كان تميز ابن حجر بسعة معلوماته، فبعض التراجم لم نجدها إلا في كتابه، كما تميز بتنوع

مصادره مع الاهتمام بنقدها وترجيح الأصوب في نظره. وهناك بعض المصادر ترجمت لفئة معينة ولكن لمدة أطول ومنها كتاب "العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" للفاسي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) فقد قصر تراجمه على المكيين فقط منذ ظهور الإسلام حتى عصر المؤلف، وقد اعتمد على كثير من كتب الطبقات والتراجم السابقة الذكر وغيرها.

ويلحظ على معظم كتب التراجم والطبقات السابقة إفرادها لجزء خاص بتراجم النساء وقد كان خير عون لنا في هذه الدراسة. يضاف إليها قسم "تراجم النساء من كتاب تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) الذي يعد بلا شك من أهم تلك التراجم لوفرة ما فيه من معلومات عن الأسرة شملت معظم مدة الدراسة.

ومن المصادر المهمة التي أغنت هذا الكتاب كتب الأدب نثرًا وشعرًا فقد اطلعت على الكثير من المصادر الأدبية وفي مقدمتها كتاب "الأغاني" للأصفهاني (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) الذي ساعدني من خلال تراجمه للشعراء والمغنين في التعرف على الحياة المعيشية للأسرة بجميع جوانبها تقريبًا. ومن كتب الأدب الأخرى كتب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) دون تحديد فقد اطلعت على معظم ما نشر وكان له علاقة بموضوع الدراسة، واستفدت منها في حديثه عن التطور الذي صاحب بعض المظاهر الأسرية من خلال نقده لبعض التحولات الاجتماعية. ومن بين المصادر الأدبية كان لكتب الأمثال دور مهم في معرفة أوضاع أسرية مختلفة، فهي تعطي تصورًا عن استمرار بعضها منذ العصر الجاهلي إلى عصر المؤلف، ومن أشهرها كتاب "أمثال العرب" للمفضل الضبي (ت ١٦٨هـ/ ٧٨٤م) و"الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة" لحمزة

الأصفهاني (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) و"جمهرة الأمثال" للعسكري (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) و"مجمع الأمثال" للميداني (ت ٥١٨هـ/ ١١٤٢م). أما دواوين شعراء الحجاز وغيرهم ممن عاصر مدة الدراسة فقد كانت مرآة للحياة الاجتماعية بصورة عامة والأسرية خاصة، ومن أبرز هؤلاء الشعراء أمية بن أبي الصلت (ت ٥هـ/ ٦٢٦م) والخنساء (ت ٢٤هـ/ ٦٤٤م) وحسان بن ثابت (ت ٤٠هـ/ ٦٦٠م) وابن قيس الرقيات (ت ٨٥هـ/ ٧٠٤م) وعمر بن أبي ربيعة (ت ٩٢هـ/ ٧١٠م)، وكثير عزة (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٣م) والعرجي (ت ١٢٠هـ/٧٣٧م) بالإضافة إلى مجموعات وشروحات شعرية مثل: "المفضليات" للمفضل الضبي (ت ١٦٨هـ/ ٧٨٤م) و"جمهرة أشعار العرب" لأبي زيد القرشي (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) و"الأصمعيات" للأصمعي (ت ٢١٧هـ/٨٣٢م) و"شرح أشعار الهذليين " لأبي سعيد السكري (ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م).

أما كتب اللغة فقد كان لها فضل كبير في جميع مناحي الدراسة، وقد اضطررت لقراءة بعضها بجميع أجزائه لجمع المادة العلمية منها، ولم أكتف بالعودة لها فقط عند الحاجة إلى شرح معنى لفظ، وخاصة كتاب "جمهرة اللغة" لابن دريد (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م) لصعوبة تبويبه وتعقيد منهجه بخلاف غيره من اللغويين. ومن كتب اللغة أيضًا "لسان العرب" لابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) الذي يعد بحق من أفضل قواميس اللغة لاعتماده على معظم المصادر المتقدمة، ويقف كتاب "تاج العروس من جواهر القاموس" للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) في أهميته مع كتاب لسان العرب للسبب نفسه السابق ذكره.

ومن الجدير بالذكر أن هناك عددًا كبيرًا من المصادر التي استفادت منها الدراسة تتعلق بالمرأة أو الأبناء أو الأسرة كلها، ولا شك أن لها أثرًا كبيرًا في إثراء هذه الدراسة، إلا أن الاستفادة من معظمها تتركز في جزئية من البحث

دون غيـرهـا، ومـن تلك المصـادر "المردفات مـن قـريش" للمدائني (ت ٢٢٥هـ/ ٨٣٩م)، و"عـشـرة النسـاء" للنسـائي (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م). أمـا مـا يخص الأبناء فـمنهـا: "العـقـقـة والبـررة" لأبي عـبيـدة (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)، و"تدبيـر الحبـالى والأطفـال والصبيـان وحفظ صحتهم ومداواة الأمـراض العـارضة لهم" للبلدي (ت بعد ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م). ومـن المصـادر التي تهتم بالأسـرة كتـاب "العـيـال" لابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ/ ٨٩٤م).

أما المصـادر الجغرافيـة فقد اعتمدت عليها في تحديد الأماكن الجغرافية الـواردة في الـدراسـة، ومـن أبـرزهـا "مـعـجـم البـلـدان" ليـاقـوت الحـمـوي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

وبالإضـافة إلى المصـادر السـابقـة حـاولتُ الاسـتفـادة مـن بعض الدراسـات الحديثة التي تطرقت إلى بعض موضوعات هذه الدراسة، إلا أنها في معظمها بحثت في هـذا الموضوع من منظور فقهي وهو ما حـاولت تجنبه حيث أميل إلى دراسـة هـذا الموضـوع من منظـور تاريخـي اجتمـاعي إلا أنـنـي مع ذلـك حـاولـت الاستـارة ببعض الآراء والنتـائج والتعليق عليها مـا أمكن. ومن أشهـر الدراسات التي بـحـثـت فـي هـذا الموضـوع: كـتـاب "تطـور بنـي الأسـرة العـربيـة والجـذور التـاريخية والاجتمـاعيـة لقضـاياهـا المعـاصـرة" لزهير حطب، وهـي تمثل إحـدى وجهـات نظـر علمـاء الاجتمـاع في قـضايا الأسـرة العـربيـة المعـاصـرة ومحـاولة إيجـاد الحلول لهـا عـن طـريق العودة إلى الجـذور التـاريخيـة والاجتمـاعيـة لكل قضيـة مطروحـة، وهـي دراسـة جـديدة أفدت من بعض أفكارهـا . ومـن الدراسـات أيضًـا : كـتـاب "المرأة في الشـعـر الجـاهلي" لأحـمـد الحـوفي، وهـي دراسـة أدبيـة مـستـقـاة مـن الشـعـر الجـاهلي وتـلامس مـدة قـصيـرة مـن البـحـث يركـز فـيـهـا

الباحث على المرأة أي على عنصر واحد من عناصر أفراد الأسرة ولكن بأشكال قرابية مختلفة، ولا شك أن الباحث توصل إلى آراء جيدة أفدت منها في هذه الدراسة. كما أفردت نورة آل الشيخ في كتابها "الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام" فصلاً عن المرأة ودورها في المجتمع تحدثت فيه بإيجاز عن الزواج والأعمال التي تزاولها المرأة في بيتها، وقد خلا هذا الجزء من آراء يمكن التعليق عليها. أما بقية الدراسات الحديثة فهي في معظمها رسائل جامعية ومنها: رسالة الدكتوراه المقدمة عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م من الباحث عطية أبو سرحان بعنوان: "تاريخ الحجاز في العصر الأموي" فقد أفرد في الفصل الثاني من رسالته جزءًا عن المرأة في مجتمع الحجاز. وهي دراسة جيدة تطرق فيها إلى وضع المرأة في الحاضرة والبادية. ومن الرسائل الجامعية أيضًا رسالة الدكتوراه المقدمة عام ١٤٠٧هـ من الباحث عبدالله الخلف بعنوان: "مجتمع الحجاز في العصر الأموي" حيث أفرد الفصل الرابع للحديث عن المرأة في المجتمع الحجازي إلا أن ما ركّز عليه الباحث ليس له علاقة مباشرة بوضع المرأة الأسري بل يرتبط بنظرة المجتمع إلى تبرج المرأة وسفورها وخروجها من بيتها واختلاطها بالرجال معتمدًا في ذلك على الآثار الأدبية والمصادر التاريخية. ومن الرسائل الجامعية التي تطرقت إلى الأسرة أو إلى جزء منها رسالتا الماجستير والدكتوراه المقدمتان من الباحثة رجاء عودة فرسالة الماجستير قدمت عام ١٤٠٦هـ بعنوان: "شعر الأسرة في العصر الأموي"، ورسالة الدكتوراه قدمت عام ١٤١٥هـ بعنوان: "أدب البنوة في نثر العصرين الأموي والعباسي الأول"، وفي كلتا الدراستين اهتمت الباحثة بجمع معظم النصوص الأدبية التي تخدم الدراسة وعمدت إلى تصنيفها وإجراء نقد أدبي لها وتبيان الجوانب الإيجابية أو السلبية فيها، فهي دراسة

أدبية بحتة وبعيدة عن موضوع هذه الدراسة من حيث المنهجية البحثية، وإنما قد تكون الفائدة الوحيدة لها هي إرشادي إلى بعض المصادر التي تفيد البحث. ويدخل في هذا المجال أيضًا رسالة الدكتوراه المقدمة عام ١٤١٠هـ من الباحث عبدالرحمن الدباسي بعنوان: "الشعر في مكة في الجاهلية وصدر الإسلام" إلا أن الباحث قدم تمهيدًا عن مجتمع مكة تحدث فيه بشكل مختصر جدًا عن العلاقات الأسرية والمرأة في البيئة المكية والعادات والتقاليد الاجتماعية. وإن ركز فيها على زمن ما قبل الإسلام. ومن الرسائل الجامعية أيضًا رسالة الدكتوراه المقدمة عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م من الباحث عبدالوهاب شيرة بعنوان: "مجتمع المدينة في عهد الخلفاء الراشدين"، وقد اهتمت هذه الدراسة باتباع الأسلوب الإحصائي معتمدة في ذلك على كتب الطبقات بالدرجة الأولى، والملحوظ أنها ركزت على النشاط الاقتصادي للمهاجرين والأنصار وأغفلت دورهما الاجتماعي وهو ما كان يمكن أن يستفاد منه، ومع هذا فقد كان لدراسته الإحصائية عن النشاط الاقتصادي للمهاجرين والأنصار إسهام في إلقاء الضوء على الموارد المالية للأسرة في العصر الراشدي. أما رسالة الدكتوراه المقدمة عام ١٤١٧هـ بعنوان "النشاط الاقتصادي في منطقة المدينة المنورة في العهد النبوي" للباحث عبدالله الخراشي فقد تناولت نطاقًا جغرافيًا وزمنيًا محددًا يغطي تقريبًا عشر سنوات، وقد استنارت الدراسة ببعض الآراء التي وردت وخاصة في النقاط التي تتعلق بنواحٍ اقتصادية تتعلق بالأسرة. ولا شك أن رسالة الدكتوراه المقدمة عام ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م بعنوان: "الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي" للباحثة إلهام البابطين تعد بحق أفضل من كتب عن موضوع الأسرة فقد أفردت الفصل الثالث للحديث عن الأسرة في مكة بدءًا بالزواج ثم الإنجاب، كما

تطرقت إلى مسكن الأسرة، هذا بالإضافة إلى نقاط أخرى في ثنايا فصول الدراسة إلا أن طبيعة هذه الدراسة لا تُمكِّنها من الإلمام بجميع جوانب الحياة الأسرية، كما أنها محددة بإطار جغرافي وزمني.

وبالإضافة إلى الدراسات العربية هناك بعض الدراسات الأجنبية التي حاولت التعرض لما ورد فيها من آراء، والجدير بالذكر هنا أنني اطلعت على (Index islamicus) وهي ببليوغرافيا للكتب والمقالات الأجنبية التي كتبت عن العالم الإسلامي، وصدرت ما بين الأعوام ١٩٠٦ - ١٩٩٣م، إلا أنها في معظمها تتعلق بالتاريخ السياسي للمسلمين أو بالأحكام الشرعية لبعض مناحي الأسرة مثل الزواج والطلاق. وهي موضوعات لا تهم الدراسة، وإن رغبت في الاطلاع عليها فمصادرنا العربية غنية بها، وعليها اعتمدت تلك الدراسات. وإنما حاولت في اعتمادي على تلك الدراسات الأجنبية أن أصل إلى دراسات تتعلق بالأسرة مباشرة وتبحث فيها من منظور تاريخي اجتماعي وليس من منظور فقهي كما هي منهجية الدراسة مع الدراسات العربية. وعلى الرغم من كثرة ما كتب عن الأسرة في الإسلام إلا أن معظم ما اطلعت عليه كان يتعلق بذلك الجانب الفقهي أو يتعرض إلى وضع الأسرة المسلمة في العصر الحاضر.

ومن خلال ما سبق ذكره لحظت الباحثة أن موضوع الدراسة في الإطار الجغرافي والزمني المحددين لم يسبق طرحه في جميع جوانبه.

فصول الكتاب :

اقتضت طبيعة هذا الكتاب تقسيمها إلى خمسة فصول يسبقها تمهيد يتعلق بتوضيح أمرين، الأول: مدلول الأسرة في مدة الدراسة. والأمر الثاني:

يرتبط بتوضيح أثر ظهور الإسلام في الأسرة. وتأثير الهجرة في الترابط الأسري، وفي خلق أسر إسلامية جديدة.

أما الفصل الأول فيبحث في الزواج لأن الأسرة لا تتشكل إلا من زوج وزوجة، ومن ثمَّ يُعَدُّ بحث موضوع الزواج في الفصل الأول البداية الصحيحة لدراسة الأسرة، وينقسم هذا الفصل قسمين، الأول: يتعلق بمقدمات عقد الزواج وحصرتُها في نقطتين هما: الاختيار، والخطبة. وحاولت فيهما التعرف إلى الوسائل المشروعة التي كانت متبعة في مدة الدراسة لاختيار الزوجة ووسائل خطبتها. أما القسم الثاني: فتطرقت فيه إلى شروط إتمام الزواج من عقد ومهر ودخول.

وفي الفصل الثاني تطرقت إلى نتاج هذا الزواج وهم الصبيان، وقد آثرت تسميتهم بهذا الاسم لأنه شائع في مدة الدراسة، كما أن المصادر اللغوية ترى أن هذا المصطلح يقصد به البنين والبنات. وقد قسمته ستة أقسام، درست فيها الإنجاب، ثم الاسترضاع والحضانة، واللباس والزينة، وأغاني ترقيص الصبيان، وألعاب الصبيان. ثم تطرقت إلى بعض العادات الأسرية الخاصة بالصبيان التي أمكن رصدها خلال البحث في المصادر.

أما الفصل الثالث فيختص بدراسة الحياة المعيشية للأسرة، ويتميز هذا الفصل بكبر حجمه النسبي عن بقية الفصول. فقد تطرقت فيه إلى حياتهم اليومية، وعاداتهم في استقبال الضيوف، ثم علاقاتهم الأسرية، وعلاقاتهم بالأخوال والأعمام، وطرق احتفالهم بالمناسبات، وشكل استعدادهم للمواسم، ثم الموارد المالية للأسرة.

وبحثت في الفصل الرابع المشكلات الأسرية وصنفتها صنفين: مشكلات اجتماعية ناتجة عن تعدد الزوجات، والتَّسَرِّي بملك اليمين، وزواج المتعة، والفرقة بين الزوجين، واليتم. ومشكلات اقتصادية: تتمثل في الفقر، والديون.

أما الفصل الأخير فقد أفردته للحديث عن المكان الذي تتشكل فيه الحياة الأسرية وهو المسكن. وقد تطرقت فيه إلى أسمائه وأشكاله وتقسيماته سواء كان في الحاضرة أم البادية.

ثم أنهيت هذه الدراسة بخاتمة شملت أهم النتائج التي توصلت إليها.

أما الملحقات فهي عبارة عن جداول إحصائية لمصاهرات بني هاشم وأعداد أولادهم قبل الإسلام وخلال مدة الدراسة.

وفي الختام أود أن أشير إلى أن مناهج ترتيب المصادر والمراجع متعددة، ولا يمكن أن نجزم أن تلك المنهجية أصح من غيرها، لذلك فقد اعتمدت في هذه الدراسة على منهج واحد اجتهدت في أن أطبقه في جميع إحالات هذا الكتاب. ففي المصادر المتعارف عليه أن المؤلف يشتهر بلقبه أو اسم شهرته وليس باسمه الأول في أغلب الأحيان، لذلك فقد اعتمدت على ذكره أولاً ثم ذكر اسمه الأول والثاني إن وجد ثم اسم الكتاب والمحقق والجزء، ثم رقم الطبعة ودار النشر ومكانها ثم التاريخ وبعدها رقم الصفحة. وعند استخدامه في المرة الثانية يكتفى بذكر لقبه والجزء والصفحة فقط دون اسم المصدر، وإذا كان للمؤلف أكثر من كتاب فعند استخدامه للمرة الثانية يذكر اسم المؤلف وكلمة من عنوان الكتاب المستخدم تدل عليه، مثل: الطبري، تاريخ/ الطبري، تهذيب. أما إن استخدم مصدر واحد بعدة أجزاء وبتحقيقات مختلفة فيذكر

كاملاً في المرة الأولى ويكتفى في المرة الثانية بذكر لقب المؤلف والجزء إن كان فيه دلالة على الكتاب، وإن كانت بعض الأجزاء المحققة لم تدخل في تسلسل الأجزاء للمصدر المعتمد عليه فيكتب ما يميزه مثل: ابن سعد، (القسم المتمم) أو: ابن سعد، (الطبقة الخامسة). أما المراجع أو الدراسات الحديثة فالمتعارف عليه أن المؤلف يشتهر باسمه كاملاً وليس بلقبه لذلك اعتمدت على ذكر اسم المؤلف ثلاثيًا إن أمكن في المرة الأولى، ثم يذكر اسمه الأول ولقبه عند الاستخدام في المرة الثانية. أما باقي المعلومات فترتب حسبما ورد في المصدر، أما الدوريات فاعتمدت فيها على ذكر اسم مؤلف المقالة ثلاثيًا إن أمكن ثم عنوان المقالة واسم الدورية والعدد والتاريخ، ومكان إصدارها، وعند ذكرها مرة ثانية يتبع معها المنهجية نفسها المستخدمة مع المراجع.

ومن الجدير بالذكر أن الدراسة حوت بعض الرموز للدلالة على بعض الأمور المنهجية مثل:

د. ط: بدون طبعة.

د. ن: بدون دار نشر.

د. م: بدون مكان نشر.

د. ت: بدون تاريخ نشر.

أما المصادر فقد رتبت هجائيًا وفقًا لألقاب المؤلفين عدا من اشتهر باسمه الأول وهم قِلّة. أما المراجع والدوريات فقد رتبت هجائيًا حسب الاسم الأول للمؤلف.

كما شمل هذا الكتاب ترجمة مختصرة في الهامش لكل شخصية ورد لها ذكر في المتن مهما بلغت شهرتها حرصًا على اتباع منهجية واحدة في جميع

فصول الكتاب. كما حرصت على التعريف بالأماكن الجغرافية والأحداث التاريخية عند ذكرها لأول مرة، وشرح ما ورد في ثنايا الكتاب من ألفاظ غريبة ما أمكن، ومقارنة كل التواريخ الهجرية بما يقابلها في التاريخ الميلادي معتمدة في ذلك على جدول السنين الهجرية وما يوافقها من السنين الميلادية لأنطوان بشارة قيقانو.

وفي الختام أقدم جزيل شكري وامتناني إلى الله سبحانه وتعالى، ثم إلى كل من ساندني في عملي هذا من أساتذتي وأفراد أسرتي راجية أن أكون بعملي هذا قد قدمت ما يخدم المكتبة التاريخية العربية.

وبالله التوفيق .

د. هدى بنت فهد الزويد

التمهيـــد

أولاً : مدلول الأســرة

ثانياً : أثر ظهور الإسلام في الأسرة



أولاً - مدلول (الأسرة[1]) :

لا يجد كثير من الناس صعوبة في معرفة معنى كلمة (أسرة) في الوقت الحاضر، فهي في نظر بعض علماء الاجتماع "رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفالهما -أو بدون أطفال - أو من زوج بمفرده مع أطفاله، أو زوجة بمفردها مع أطفالها". وقد يمتد ليشمل أعضاء آخرين مثل الجدود والأحفاد وبعض الأقارب، بشرط أن يكونوا مشتركين مع الأفراد السابقين في معيشة واحدة[2]. إلا أن الصعوبة تكمن في إيجاد صياغة متكاملة، تعطي تعريفًا كاملاً لما تعنيه هذه الكلمة في مدة الدراسة. ويزيد من صعوبة هذا أن اللغويين لم يتفقوا على تحديد معنى واحد للكلمة، ولعل السبب في ذلك ناتج عن اختلاف النسابين في تحديد أصغر وحدة قرابية في القبيلة. فالزمخشري[3] يرى أن

---

(١) (الأسرة) لغويًا مأخوذة من الجذر أَسَر، و(الأُسْرَةُ) هي الدرع الحصينة. ابن منظور، محمد ابن مكرم، لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط، ج١ (د. ط، دار لسان العرب، بيروت د. ت) ص٦٠.

(2) Ogburn, William and Meyer Nimkoff, A Hand Book of Sociology (6 th, ed, Routledge and Kegan Paullted, london 1968) p. 488.

زيدان عبدالباقي، الأسرة والطفولة، (د. ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص٨ - ٩. انظر تعريفات أخرى للأسرة: سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، (د. ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٣م) ص٥٠- ٥٥. عصام نمر وعزيز سمارة، الطفل والأسرة والمجتمع، (د. ط، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمَّان ١٩٨٩م) ص١١- ١٢.

(٣) الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود (د.ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٦.

كلمة (أسرة) مرادف لكلمة رهط. أما ابن منظور[1] فيرى أن أسرة الرجل تعني عشيرته ورهطه الأدنين، أو عشيرته وأهل بيته. ويرى الفيروزآبادي[2] أن الأسرة تعني الرهط الأدنين. في حين أن الزبيدي[3] يرى أن الأسرة تعني الرهط الأدنين والعشيرة. وإذا ألقينا نظرة مجملة على تلك المعاني وجدناها تحوي ثلاث كلمات مرادفات لكلمة أسرة: رهط أدنون، عشيرة، أهل بيت.

أما النسَّابون وغيرهم ممن تطرق إلى موضوع النسب، فقد اختلفوا في تحديد أصغر وحدة قرابية في القبيلة، فمنهم من جعل الرهط هي أصغر وحدة قرابية[4]، وأعطى مثالاً عليها قرابة بني عبدالمطلب[5] من الرسول ﷺ[6]. وآخرون جعلوا من الفصيلة آخر وحدة قرابية، ومثَّلوا عليها ببني أبي طالب[7]

---

(١) ابن منظور، ١/٦٠.

(٢) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص ٤٣٨.

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق إبراهيم الترزي، ج١٠ (د. ط، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) ص٥١.

(٤) الخراز، محمد بن محمد، نهاية الاختصار في أنساب الطالبيين، (مخطوطة مصورة برقم ٥٦٢/ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ٣٢٧.

(٥) بنو عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب ، الزبيري، المصعب بن عبدالله، نسب قريش، تحقيق إ. ليفي بروفنسال (ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٥١م)، ص١٤.

(٦) النويري، أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢ (د. ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة د. ت) ص٣٠٠- ٣٠١.

(٧) أبو طالب اسمه: عبدمناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب، الزبيري، ص١٧.

وبني العباس[1]. وهناك من جعل العشيرة آخر وحدة قرابية، ومنهم من أضاف بعدها الأسرة والعترة، وبعضهم قدَّم الرهط على الأسرة، وآخرون قدموا الأسرة على الرهط أو العترة[2]، وهناك من جعل أهل البيت جزءًا من الرهط[3]. وعلى ذلك نرى اختلافًا واضحًا بين المصادر في تحديد أصغر وحدة قرابية، ويبرهن جواد علي[4] على أن اختلافهم هذا "دليل يشعرنا أن التقسيم المذكور لم يكن تقسيمًا ثابتًا عند كل القبائل، وأنه لم يكن تقسيمًا جاهليًا، بل كان تقسيمًا محليًا اختلف بين قبيلة وأخرى، وأن أسماء أجزاء القبيلة لم تكن أسماء عامة متبعة عند الجميع أي أسماء مقررة عند كل قبيلة، بل هي أسماء أخذها العلماء من هنا وهناك، ولهذا وقع بينها هذا الاختلاف، ولو كان عند الجاهليين تقسيم واحد لأجزاء القبيلة لما كان من المعقول أن يقع

---

(١) ابن عبدربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين، ج٣ (د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت د. ت) ص٣٣٥. الماوردي، علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ص٢٠٤- ٢٠٥. القلقشندي، أحمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص١٥- ١٦. وبنو العباس ينتسبون إلى العباس ابن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. الزبيري، ص ٥٢.

(٢) الثعالبي، عبدالملك بن محمد، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) ص٢٠٦. محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، ج٣ (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت) ص١٨٨- ١٩١. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤ (ط٢، د. ن، د. م ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ص٣١٨- ٣١٩.

(٣) ابن الكلبي، هشام بن محمد، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، ج٢ (ط١، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص٥٦٣.

(٤) جواد علي، ٤/٣٢٠.

علماء النسب واللغة فيما رأينا من تباين واختلاف ولوجب اتفاقهم في الترتيب وفي العدد. فالتقاسيم المذكورة إذن هي من وضع علماء النسب واللغة في الإسلام وترتيبهم وجمعهم". ويخلص جواد علي(١) إلى أن الأسرة في رأيه هي أصغر وحدة من وحدات القبيلة، ويرى أنها نواة القبيلة وبذرتها ونواة المجتمع في كل مجتمع إنساني(٢). وهذا يتفق مع رأي روبرت لوي (Robert Lowie) الذي أثبتت بحوثه أن الأسرة عند العرب هي أصغر وحدة اجتماعية، وأن الجماعات الكبيرة كالعشيرة والقبيلة قد نشأت من نمو الأسرة. وبهذا عارض رأي كلٍّ من روبرتسن سميث(٣) (Robertson Smith) وماك لينان (Mac Lan-nan) اللذين يريان أن العشيرة هي أصغر وحدة قرابية(٤).

ومن المرجح أن مصطلح (أسرة) كان غير متداول بكثرة في مجتمع مدة الدراسة حاضرته وباديته، ويؤكد ذلك خلو القرآن الكريم منه(٥). أما الحديث

---

(١) جواد علي، ٤/٣٢٠.

(٢) وانظر أيضًا: برهان الدين دلّو، جزيرة العرب قبل الإسلام، التاريخ الاقتصادي الاجتماعي الثقافي السياسي، ج١ (ط١، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٩م) ص١٧٥. زهير حطب، تطور بني الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة، (ط٣، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٣م) ص٣٨. كريم زكي حسام الدين، القرابة (ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص٢٤٠- ٢٤١. نجمان ياسين، تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين (د. ط، بيت الموصل للنشر والتوزيع، الموصل ١٩٨٨م) ص٥٩.

(3) Smith, Robertson, Kinship and Marriage in Early Arabia (3 th, ed, AMS Edition Published, America 1979) p. 3-4

(٤) محمد جمعة، النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية، (د. ط، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٤٩م) ص١٠. محمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، (ط٣، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص٧٤- ٧٥.

(٥) محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت د. ت) ص ٣٣.

الشريف فلم يرد فيه هذا المصطلح سوى مرة واحدة[١]، فقد جاء فيه: "ثم زنى رجل في أسرة من الناس"[٢]. أما بقية ما اطلعنا عليه من مصادر فلم نجد فيها سوى إشارات متناثرة دلت على ندرة استخدامهم له منها ما جاء على لسان زيد بن حارثة[٣]:

فإنّي بحمد اللهِ في خيرِ أُسْرةٍ   كِرامِ مَعَدٍّ كابرًا بعد كابرِ[٤]

وجاء في شعر لحسان بن ثابت[٥] بعض الأبيات التي ورد فيها هذا المصطلح منها ما قاله في هجاء الحارث بن هشام[٦]:

---

(١) اعتمادًا على الكتب الستة ومسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل. انظر: أ.ي. فنسنك، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين، ج١ (د.ط، مكتبة بريل، ليدن ١٩٣٦م) ص٦٢.

(٢) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ج٤ (د.ط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول د.ت) ص١٥٦.

(٣) زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبدالعزى، من كلب من قضاعة. سُبيَ وهو غلام، وبيع في سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد التي وهبته للرسول ﷺ، فتبناه حتى جاء الإسلام وحرم التبني. استشهد في غزوة مؤتة سنة ٨هـ/٦٢٩م. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، ج٣ (د.ط، دار صادر، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص٤٠- ٤٣، ٤٧.

(٤) ابن سعد، ٤١/٣. ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة لابن حجر، ج١ (د.ط، دار الفكر، د.م، د.ت) ص٥٤٦.

(٥) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي. شاعر رسول الله ﷺ وروى عنه، اختلف في سنة وفاته فقيل ٤٠هـ/ ٦٦٠م أو ٥٠هـ/ ٦٧٠م. ابن حجر، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١ (د.ط، دار الفكر، د.م، د.ت) ص ٣٢٦.

(٦) الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي. أسلم يوم فتح مكة، وتوفي سنة ١٧هـ/٦٣٨م. ابن الأثير، علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرين، ج١ (د.ط، مطبعة الشعب، القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ص٤٢٠-٤٢١. ابن حجر، الإصابة، ٢٩٣/١- ٢٩٤.

يا حَــارِ إن كنتَ امـرأً ذَا أُسْـرةٍ وَفواضِلٍ يُعْطى بغَيْـرِ حِسَــابِ[1]

وقال يمدح نفسه:

وأُنمى إلى أفنـاءِ عَمْـرو وعَامِـرٍ سَـمَتْ لِمعَـاليهـا وعَـزَّتْ كُهُـولَهَا

إلى أُسْـرة طابَتْ وعُولِي فَرْعُها فليس لِفَرْعٍ غَيْرُهَـا أن يَطُولَهــا[2]

أما في البادية فقد ورد ذكر مصطلح (أسرة) لدى بعض الشعراء منهم المُعَطَّل الهذلي[3] الذي قال:

إخَالُكُـمُ مِـنْ أسْـرةٍ قَمَعِيَّــةٍ[4] إذَا نَسَكوا لا يَشْهَـدُونَ المُعَرَّفا[5]

كما قال خُفاف بن نَدْبة[6]:

---

(١) حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسنين (د. ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م) ص١٧٥.

(٢) حسان بن ثابت ، ص٣٢٩.

(٣) المعطل الهذلي: من بني رُهم بن سعد بن هُذيل. أبو سعيد السكري، الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ج٢ (د. ط، مكتبة دار العروبة، القاهرة د. ت) ص٦٣٢.

(٤) قمعية: من القمع وهو الفرار والهرب والاستخفاء. ابن منظور، ١٦٣/٣.

(٥) أبو سعيد السكري، ٦٣٨/٢. والمعرف يراد به الموقف بعرفات. ابن منظور، ٧٤٨/٢.

(٦) خفاف بن ندبة هو: خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد عمرو بن رياح، من بني سُليم. كان شاعرًا، شهد فتح مكة مع رسول الله ﷺ. أبو عبيدة، معمر بن المثنى، الديباج، تحقيق عبدالله الجربوع وعبدالرحمن العثيمين (ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص ٤٠ - ٤١. ابن سعد، ٢٧٥/٤. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون، ج١ (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص١١٦.

فَعَثْرَةِ مَوْلىً قد نَعَشْتُ وأسْرَةٍ   كِرامٍ وأبطالٍ لَدَى كُلِّ مَأزِقِ[1]

وبناءً على ما تقدم يحق لنا أن نسأل ما المصطلح الشائع في مدة الدراسة؟ من الواضح أن مصطلح (أهل البيت) هو المتداول في ذلك الوقت، وقد وردت إشارات كثيرة دلت على سعة انتشاره، ومن أمثلة ذلك ما قاله ﷺ لأحد الصحابة: "إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءَه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف"[2]. وقوله ﷺ : "أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام"[3]. كما جاء في حديث للطفيل بن عمرو[4]: "قدمت على رسول الله ﷺ بثمانين أو تسعين أهل بيت من دوس[5]

(١) خفاف بن ندبة السُّلمي، ديوان خفاف بن ندبة، تحقيق نوري حمودي القيسي (د. ط، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨م) ص٣٠. الأصمعي، عبدالملك بن قريب، الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون (ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م) ص ٢٣.

(٢) مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (د. ط، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ٢٠٢٥/٤.

(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي، ج١٩ (د. ط، الدار العربية للطباعة، بغداد د. ت) ص١٩٧.

(٤) الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الدوسي. أسلم والرسول ﷺ في مكة، ثم هاجر بمن أسلم من قومه، فلم يزل هناك حتى قتل شهيدًا يوم اليمامة سنة ١١هـ/ ٦٣٢م. ابن عبدالبر، ٢٣٠/٢.

(٥) دوس قبيلة تنسب إلى عُدثان بن عبدالله بن زهران بن كعب. ابن حزم، علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص٣٧٩. ودوس اليوم في زهران. عاتق غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، (ط١، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص١١٣.

إلى المدينة"[١]. وعن أبي رمـثـة[٢] أنه قـال للـرسـول ﷺ: "ألا أداويك منهـا[٣]؟ فإنا أهل بيت نتطبب"[٤]. كما قال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٥] في عـام الرمـادة[٦]: "لـو لم أجـد للناس من المـال مـا يسعهم لأدخلـت علـى كل أهـل بيت عـدتهم ..."[٧]. وقـال أحـدهم : "ولمـا كـان عـام الرمـادة قـدم عليّ من قـومي مئـة أهـل بيت"[٨]. وجـاء في الطبقـات[٩] عـن مقتـل الخليفـة عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه: "أيُّ أهـل بيتٍ لم يجـدوا فَقْدَ عـمـر فَهُمْ أهـل بيت

(١) ابن عبدالبر، ٢/٢٣٤. وانظر أيضًا: ابن الأثير، أسد، ٣/٨٠.

(٢) أبو رمثة اختلف في اسمه، فقيل: رفاعة بن يثربي، وقيل: يثربي بن عوف، وقيل: يثربي بن رفاعة، وقيل: اسمه حيان، وقيل: حبيب بن حبان، وقيل: حسحاس، من تيم الرباب وقيل تميمي. روى عن الرسول ﷺ. ابن حجر، الإصابة، ٤/٧٠.

(٣) المراد بذلك خاتم النبوة. ابن سعد، ١/٤٢٥- ٤٢٧.

(٤) ابن سعد، ١/٤٢٦. وانظر أيضًا: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، ج١ (د. ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م) ص٢٧٩.

(٥) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح، من بني عدي بن كعب من قريش. تولى الخلافة ما بين (١٣- ٢٣هـ/ ٦٣٤- ٦٤٣م) الزبيري، ص٣٤٦- ٣٤٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٤ (ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م) ص١٩٣- ١٩٤.

(٦) عام الرمادة حدث سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م حيث أصاب الناس فيها مجاعة شديدة وجدب وقحط. الطبري، تاريخ، ٤/٩٦- ١٠١.

(٧) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما، تحقيق إحسان العمد (ط١، مؤسسة الشراع العربي، الكويت ١٩٨٩م) ص٣١٢.

(٨) البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٣١٤.

(٩) ابن سعد، ٣/٣٧٢.

سوء". وجاء في أنساب الأشراف[1] ": كان بنو تيم[2] في حياة ابن جدعان[3] كأهل بيت واحد يَقُوتُهم ابن جدعان". وجاء فيه أيضًا: "رأيت أبا بكر بن عبدالرحمن[4] وقد ذهب بصره يُفرَش له وسط الدار، وهي دار فيها من أهل بيته خلق ..."[5].

وبهذا نصل إلى أن مصطلح (أسرة) لم يكن متداولاً بكثرة في الحجاز خلال مدة الدراسة، وإنما شاع بينهم لفظ (أهل بيت) ولعله مرادف لمصطلح (أسرة) لكونها أصغر وحدة قرابية.

ثانيًا - أثر ظهور الإسلام في الأسرة:

قبل الحديث عن التطور التاريخي للأسرة في الحجاز خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، لا بد من التعرض أولاً لعامل كان له أثر مباشر في الأسرة، وأسهم في حدوث ذلك التطور، ونعني بذلك الإسلام.

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، جُمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، ج١٠ (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) ص١٥٧.

(٢) بنو تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، من بطون قبيلة قريش. القلقشندي، نهاية، ص١٩٠. عاتق البلادي، قبائل، ص٥٩.

(٣) هو عبدالله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، أحد رؤساء قريش، ومن أجواد العرب المشهورين في الجاهلية، أدرك الرسول ﷺ قبل النبوة. مؤرج بن عمرو السدوسي، حذف من نسب قريش، تحقيق صلاح الدين المنجد (ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) ص٧٦- ٧٧. ابن حزم، ص١٣٦. خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٤ (ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م) ص٧٦.

(٤) أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. كان مقربًا من الخليفة عبدالملك بن مروان. البلاذري، أنساب، ١٠/١٧٧.

(٥) البلاذري، أنساب، ١٠/١٧٨.

فقد أحدث الدين الإسلامي منذ ظهوره تغيرًا في حياة معتنقيه، فأصبحت حياتهم الاجتماعية عامة والأسرية خاصة مرتبطة في جميع جوانبها ارتباطًا وثيقًا بأحكام الشريعة الإسلامية، وشملت كُتب الحديث والفقه أبوابًا مفصلة لكل جانب من حياة أفراد المجتمع، فلم تعد الأعراف هي وحدها التي تتحكم في ممارساتهم الحياتية، بل صارت منضبطة بضوابط الدين الإسلامي، مع لحظ أن هذا التغيير ارتبط بمنهج الإسلام في التدرج والواقعية في نقل الأسرة من عادات مألوفة إلى أحكام شرعية.

إن تغيير السلوكيات التي اعتاد الإنسان على ممارستها وتأصلت في نفسه ليس بالأمر السهل، ويحتاج التخلي عنها إلى قوة إيمانية، وهذا ما اتصف به الفرد المسلم في تلك المدة، فكان ينقاد لتلك التغييرات دون اعتراض منه، معتمدًا في ذلك على ما ولَّده الإسلام في نفسه من إيمان عميق. وقد تطرقتُ خلال هذا الكتاب إلى الكثير من تلك التغييرات التي أحدثت تطورًا في وضع الأسرة والتي برزت من خلال المقارنة بين وضع الأسرة في الجاهلية ووضعها في الإسلام.

أولى الإسلام الأسرة اهتمامًا واضحًا تجلى في غزارة الأحكام المتعلقة بها ليكفل لها بذلك الاستقرار وتحقيق الغاية المرجوة من وجودها. ولم يقتصر الاهتمام على الأسر التي تشكلت في الإسلام فقط بل شمل الأسر التي تشكلت في العصر الجاهلي واستمرت حتى ظهور الإسلام. فكان لا بد من تصحيح بعض الأوضاع الخاطئة التي قامت عليها بعض الأسر، على الرغم من أن ذلك التصحيح أدى إلى انهيار الكثير من العلاقات، إلا أنه كان إجراء لا بد منه لتشكيل مجتمع إسلامي نواته (أسرة) تقف على أسس إسلامية متينة. ومن ذلك:

- **تقييد عدد الزوجات** : فبعد أن كان مُطْلَقًا في الجاهلية حددته الشريعة الإسلامية بأربع نساء. قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا** ﴾[١]. ولا شك أن ذلك أدى إلى طلاق الكثيرات، وممن طبق عليه هذا الحكم الشرعي غيلان بن سلمة[٢] الذي أسلم وعنده عشر نسوة[٣]، والحارث بن قيس[٤] الذي أسلم وعنده تسع نسوة[٥].

- **تحريم الجمع بين أختين** : وقد كان معروفًا في الجاهلية، قال تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ... وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾[٦]. وممن كان قد جمع بين أختين سعيد بن العاص[٧] وثقيف بن منبه[٨] وهِنَّام بن سلمة[٩].

---

(١) سورة النساء، آية (٣).

(٢) غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك، من ثقيف. كان شاعرًا. ابن سعد، ٥/٥٠٥- ٥٠٦.

(٣) أبو عبيد، القاسم بن سلام، النسب، تحقيق ودراسة مريم محمد خير الدرع (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. م ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص٢٦٦. ابن سعد، ٥/٥٠٦، ٦/٣٧٧.

(٤) الحارث بن قيس بن عميرة الأسدي. ابن الأثير، أسد، ١/٤١٢.

(٥) ابن سعد، ٦/٣٧٧. وقيل: ثمان نسوة. ابن الأثير، أسد، ١/٤١٢.

(٦) سورة النساء، آية (٢٣).

(٧) ابن حبيب، محمد، المحبر، تحقيق إيلزه ليمتن شتير (د. ط، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور د. ت) ص٣٢٧. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، الوسائل إلى معرفة الأوائل، تحقيق إبراهيم العدوي وعلي محمد عمر (د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص٦٥. وهو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، يعرف بأبي أحيحة. الزبيري، ص ١٧٣.

(٨) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٧. وثقيف بن منبه هو : قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور، وإليه تنسب ثقيف. ابن حزم، ص٢٦٦.

(٩) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٧. وهو هِنَّام بن سلمة العائشي، من بني تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة. ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٧.

- **إلغاء نكاح المقت**[١]: وقد عُرف في الجاهلية بهذا الاسم أيضًا. قال الفخر الرازي[٢] في تفسيره للآية (٢٢) من سورة النساء: "أعلم الله تعالى أن هذا الذي حرَّمه عليهم كان لم يزل منكرًا في قلوبهم ممقوتًا عندهم، وكانت العرب تقول لولد الرجل من امرأة أبيه: مقتيّ، وذلك لأن زوجة الأب تشبه الأم، وكان نكاح الأمهات من أقبح الأشياء عند العرب، فلما كان هذا النكاح يشبه ذلك، لا جرم كان مستقبحًا عندهم، فبين الله تعالى أن هذا النكاح أبدًا كان ممقوتًا وقبيحًا". وقد وضحه ابن حبيب بقوله[٣]: "كان الرجل إذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها، فإن لم يكن له حاجة فيها تزوجها بعض إخوته بمهر جديد". ويُطلَق على من يقوم بهذا العمل: الضيزن[٤]. وقد فرّق الإسلام بين كثير من الرجال ونساء آبائهم تطبيقًا

---

(١) المقت هو: "بغض عن أمر قبيح رَكِبه فهو مقيت". ابن منظور، ٥١١/٣.

(٢) الفخر الرازي، محمد بن عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج١٠ (ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص ٢٥.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٥.

(٤) ابن حبيب، محمد، المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق (ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص٣٧. الزمخشري، أساس، ص٢٦٩. الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم، الملل والنحل، ج٢ (د. ط، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ص٢٣١. ابن منظور، ٥٣٤/٢، ٥١٠/٣. محمود شكري الألوسي، ٥٢/٢- ٥٣. ويرى علي عبدالواحد وافي أن كلمة الضيزن في الجاهلية تدل على نوع من أنواع الزواج يطلق عليه علماء الاجتماع (Polyandrie) أي وحدة الزوجة مع تعدد الأزواج. انظر كتابيه: الأسرة والمجتمع، (ط ٨، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٧م) ص ٦٦- ٦٧. قصة الزواج والعزوبة في العالم، (د. ط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) ص٤٣. إلا أن ما اعتمد عليه الباحث في إثبات وجود هذا النوع من الزواج عند العرب في الجاهلية كان شرح الفيروزآبادي لكلمة (ضيزن) حيث ذكر من معانيها "من يزاحم أباه في امرأته". القاموس، ص ١٥٦٣- ١٥٦٤. إلا أن هذا المعنى لا يعطي دلالة على وجود زواج. كما أن الفيروزآبادي في قاموسه يعمد دائمًا إلى الإيجاز، فبالرجوع إلى ابن منظور نجده يورد ما أورده الفيروزآبادي ولكن بتوسع يقول: "الضيزن الذي يزاحم أباه في امرأته قال أوس بن حجر:

الفارسية فيهم غير منكرة ... فكلهم لأبيه ضيزن سلف =

للآية القرآنية الكريمة: ﴿ وَلا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾[١]. ومنهم منظور بن زبان[٢]، ومحصن بن أبي قيس[٣].

- **التفريق بين الزوجين إن أسلم أحدهما:** إنفاذًا لحكم الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ... وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٤]. وممن طبق عليه هذا الحكم عياض بن غَنْم[٥] الذي طلّق أم الحكم بنت أبي سفيان[٦].

= يقول: هم مثل المجوس يتزوج الرجل منهم امرأة أبيه". ٥٣٤/٢. وقد قال أحدهم هذا البيت، يعير فيه ثلاثة إخوة تزوجوا امرأة أبيهم واحدًا بعد الآخر. ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٥. محمود شكري الألوسي، ٥٢/٢. ثم يتبع ابن منظور قوله السابق بشرح ابن الأعرابي لهذه الكلمة إذ يقول: "الضيزن الذي يتزوج امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عنها". ٥٣٥/٢. أما الزمخشري فيُعرِّف الضيزن بقوله: "فلان ضيزن أبيه، إذا خادن امرأته أو خلفه عليها، وهو المقتي المنهي عنه في القرآن ... وقد تضيزن أهل الجاهلية وزعموا أنهم يرثون نكاح الأب كما يرثون ماله". أساس، ص٢٦٩. إذن هو لا يرى أن معاشرة الابن لزوجة أبيه في حياته زواج بل مخادنة.

(١) سورة النساء، آية (٢٢).

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٦. وهو منظور بن زبان بن سيار بن عمرو بن جابر بن عقيل، من بني فزارة. جد الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لأمه. ابن الأثير، أسد، ٢٧٢/٥.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٦. وهو محصن بن أبي قيس بن الأسلت الأنصاري. ابن حجر، الإصابة، ٣٦٩/٣.

(٤) سورة الممتحنة، آية (١٠).

(٥) عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة الفهري. أسلم قبل الحديبية وشهدها مع رسول الله ﷺ، عين واليًا على حمص في خلافة عمر بن الخطاب، واستمر واليًا عليها حتى توفي سنة ٢٠هـ/٦٤٠م. ابن سعد، ٣٩٨/٧.

(٦) أبو عبيد، النسب، ص٢٢٠. ابن سعد، ١٣/٨. البلاذري، أنساب، ٤٤١/١. وهي أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية. وأمها هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، خلف عليها بعده عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن ربيعة الثقفي. الزبيري، ص, ١٢٥

وعمر بن الخطاب الذي طلق زوجتيه مليكة بنت أبي أمية[١]، وأم كلثوم بنت جرول[٢]، كما فرّق بين زينب بنت رسول الله ﷺ[٣]، وأبي العاص بن الربيع[٤]. ومن الأنصار فرَّت أميمة بنت بشر[٥] من زوجها ثابت بن الدحداح[٦] وهو كافر فزوجها الرسول ﷺ سهل بن حنيف[٧]. ويبدو أن هذا الحكم كان ضرورةً خوفًا من أن يفتن الكافرُ المسلمَ في دينه وعقابًا لمن لم يسلم. ولتقييد هذا الأمر، وحتى لا تتخذ النساء منه سبيلاً لترك أزواجهن

---

(١) مليكة بنت أبي أمية وقيل اسمها قريبة وهي ابنة أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. أخت أم سلمة أم المؤمنين. ابن حجر، الإصابة ، ٤/٣٩٠، ٤٠٩.

(٢) ابن سعد، ٨/١٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج٣ (د. ط، المكتبة الإسلامية، إستانبول ١٩٧٩م) ص١٨٣. الطبراني، الكبير، ٢٠/١٤، وهي أم كلثوم بنت جرول وقيل بنت عمرو بن جرول بن مالك بن المسيب، من خزاعة. والدة عبيدالله بن عمر بن الخطاب، تزوجها بعد عمر أبو جهم بن حذافة. الزبيري، ص٣٤٩. ابن حجر، الإصابة، ٤/٤٩١. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، حقق بإشراف عبدالعزيز بن باز، ج٩ (رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض د. ت) ص٤١٨.

(٣) زينب بنت سيد المرسلين محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمية القرشية. أكبر بنات رسول الله ﷺ وأول من تزوج منهن، ولدت قبل البعثة بحوالي عشر سنين، وتوفيت سنة ٨هـ/ ٦٢٩م. ابن حجر، الإصابة، ٤/٣١٢.

(٤) الدولابي، محمد بن أحمد، الذرية الطاهرة النبوية، تحقيق سعد المبارك الحسن (ط١، الدار السلفية، الكويت ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م) ص٤٩. الطبراني، الكبير، ٢٢/٤٢٧. وهو أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبدمناف القرشي. شهد بدرًا كافرًا وأُسر، أسلم قبيل فتح مكة، وتوفي سنة ١٢هـ/٦٣٣م. ابن الأثير، أسد، ٦/١٨٥- ١٨٦.

(٥) أميمة بنت بشر، من بني عمرو بن عوف. ابن الأثير، أسد، ٧/٢٥.

(٦) ثابت بن الدحداح بن نعيم بن غنم بن إياس. كان من بَلِيٍّ حلفاء بني عمرو بن عوف، شهد أحدًا مع رسول الله ﷺ، وتوفي بعد رجوع الرسول ﷺ من الحديبية، أي حوالي سنة ٦هـ/ ٦٢٧م. ابن عبدالبر، ١/١٩٥-١٩٦. ابن حجر، الإصابة، ١/١٩١.

(٧) ابن قدامة، عبدالله بن أحمد، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق علي نويهض (د. ط، دار الفكر، بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م) ص ٢٨٢- ٢٨٣. وهو سهل بن حنيف بن واهب ابن العكيم بن ثعلبة، من بني عمرو بن عوف من الأوس. شهد بدرًا والمشاهد كلها، مات سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م. ابن حجر، الإصابة، ٢/٨٧.

حرص الدين الإسلامي على امتحانهن، فكان الرسول ﷺ إذا أتته المرأة لتسلم حلفها بالله أنها ما خرجت لبغض زوج، وذلك تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[1]. ومن ذلك أن امرأة أسلمت وتزوجت من أحدهم، فجاء زوجها الأول إلى الرسول ﷺ فقال له: "إني أسلمت معها وعلمت بإسلامي معها". فنزعها النبي ﷺ من زوجها الآخر وردها إلى زوجها الأول[2].

- **إلغاء التبني** : وهو أمر اشتهر في الجاهلية، ويعتمد على استلحاق بعضهم أشخاصًا بنسبهم، واتخاذهم أبناءً لهم[3]، يتساوى في ذلك من كان عقيمًا أو غير عقيم[4]. وعلل العدوي شارح ديوان حسان بن ثابت فعلهم ذلك بقوله: "كان لا يزال الرجل بعد الرجل من العرب قد تبنى الغلام أو الصبي فنسب إليه يلتمسون بذلك كثرة العدد"[5]. وقد يكون المُتَبَنَّون إما عبيدًا لهم كما فعل أمية بن عبدشمس[6] عندما تبنى عبده ذكوان واستلحقه بنسبه وكناه بأبي عمرو"[7]. وكما تبنى الرسول ﷺ زيد بن

(١) سورة الممتحنة، جزء من آية (١٠).

(٢) الطبراني، الكبير، ٢٧٦/١١.

(٣) ابن منظور، ٢٧١/١.

(٤) ابن سعد، ٦٨٣/٣. البلاذري، أنساب، ١٥٩/١٠.

(٥) حسان بن ثابت، ص١١٩.

(٦) أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي. الزبيري، ص ٩٧- ٩٨.

(٧) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة (ط٢، دار المعارف، مصر ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م) ص٣١٨. البلاذري، أنساب، ٣٣٩/٩. الأصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني، تحقيق عبد أ. علي مهنا وسمير جابر، ج١ (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. م ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) ص١٥، ١٧.

حارثة[1]. أو قد يكونون موالي لهم مثل سالم بن معقل[2] الذي تبناه أبو حذيفة[3] فكان ينسب له[4]. كما أن الحليف قد يُتبنى كما فعل الأسود ابن عبديغوث[5] مع حليفه المقداد بن عمرو[6]. والخطاب بن نفيل[7] مع حليفه عامر بن ربيعة[8]. أو قد يكون ابن زوجته كما فعل سامة بن لؤي[9]

(١) أبو عبيد، النسب، ص٢٨٢. ابن سعد ، ٤٢/٣. البلاذري، أنساب، ٤٦٧/١. الطبراني، الكبير، ٢٩١/٢٤.

(٢) سالم بن معقل أو سالم بن عبيد بن ربيعة. مولى أبي حذيفة، هاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ، قتل يوم اليمامة شهيدًا سنة ١١هـ/٦٣٢م. ابن الأثير، أسد، ٣٠٧/٢- ٣٠٨.

(٣) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف القرشي. كان من السابقين إلى الإسلام، استشهد يوم اليمامة ١١هـ/ ٦٣٢م. ابن حجر، الإصابة، ٤٢/٤- ٤٣.

(٤) أبو عبيد، النسب، ص٢٨٢. البلاذري، أنساب، ٣٧٢/٩. الطبراني، الكبير، ٦٠/٧- ٦١. ابن عبدالبر، ٧٠/٢-٧١.

(٥) الأسود بن عبديغوث بن وهب بن عبدمناف بن زهرة. ابن خال الرسول ﷺ. الزبيري، ص٢٦٢.

(٦) ابن سعد، ٤٦/٨. ابن شبة، عمر، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم شلتوت، ج١، (ط٢ دار الأصفهاني للطباعة، جدة ١٤٠٢هـ) ص٢٤٠. وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة ابن عامر بن مطرود البهراني وقيل الحضرمي. ضرب رجلاً بالسيف في حضرموت وهرب إلى مكة، مات سنة ٣٣هـ/ ٦٥٣م. ابن حجر، الإصابة، ٤٥٤/٣- ٤٥٥.

(٧) الخطاب بن نفيل العدوي. والد الخليفة عمر بن الخطاب. ابن حجر، الإصابة، ٢٤٩/٢.

(٨) ابن سعد، ٣٨٦/٣. الفاسي، محمد بن أحمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد حامد الفقي، ج٥ (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص٨٣. وهو عامر ابن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر... العنزي. أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة ثم المدينة، مات سنة ٣٢هـ/٦٥٢م. ابن سعد، ٣٨٦/٣. الفاسي، العقد، ٨٣/٥. ابن حجر، الإصابة، ٢٤٩/٢.

(٩) سامة بن لؤي بن غالب بن فهر. البلاذري، أنساب، ٤٦/١.

مع ابن زوجته ناجية بنت جرم[1]. أو قد يكون طفلاً منبوذاً[2] كما فعلت أم برثن[3].

وضح مما سبق أن التبني لا يقتصر على سن معينة، فقد يستلحق الرجل بنسبه من هو صغير السن أو كبيره حسبما تقتضيه الظروف المحيطة بهذا الوضع، بل يبدو من الشواهد أن المفضل لديهم هو استلحاق من كان كبير السن لمعرفتهم به وبمزاياه.

يترتب على التبني بعض النتائج السلبية على الأسرة، فالمُتبنَّى يعامل معاملة الابن الحقيقي مما يؤدي إلى اختلاط الأنساب ويصبح من حقه مشاركة أبناء الرجل الذي تبناه في الميراث، قال ابن الأثير[4]: "كان من تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث ميراثه". كما يصبح من ضمن حقوقه إن كان الابن الأكبر، أو لم يكن لدى الرجل أبناء غيره، أن يخلف على امرأة من تبناه بعد موته، كما فعل ذكوان عبد أمية بن عبدشمس[5].

---

(١) البلاذري، أنساب،١/٤٦. وهي ناجية بنت جرم بن ربان - وهو علاف - بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة. البلاذري، أنساب، ١/٤٦.

(٢) المنبوذ هو ولد الزنا لأنه ينبذ على الطريق. ابن منظور، ٣/٥٦٦.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق إحسان عباس، ق٤، ج١ (د.ط، فرنتس شتاينر بفيسبادن، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م) ص٢٩٦. وأم برثن هي إحدى نساء بني ضبيعة كانت تبيع الطيب. البلاذري، أنساب، ق٤، ١/٢٩٦. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق ماكس شلسنجر، ج٤، ق٢ (ط١، الجامعة العبرية، القدس ١٩٣٨م) ص ٩.

(٤) ابن الأثير، أسد، ٧/٢٩٥.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص٣١٨.

استمر هذا العرف الجاهلي يمارس حتى ظهور الإسلام، ولم يُنْهَ عنه إلا إثر زواج الرسول ﷺ من أم المؤمنين زينب بنت جحش[1] فقد تكلم المنافقون قائلين: "محمد يُحرِّم نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه زيد"[2] . فنزلت الآية الكريمة: ﴿ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[3]. فحرم بذلك التبني في الإسلام لآثاره السلبية في الأسرة. وأكد ذلك الرسول ﷺ حين قال: "من ادَّعى أبًا في الإسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام"[4].

بالإضافة إلى ما سبق ذكره، فقد كان لهجرة المسلمين بدينهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة، أثر كبير في تغيير وضع الأسرة في المجتمع الحجازي، حيث ترتب على هجرة بعضهم فقدهم لأسرهم، ومن ثم نتج عن ذلك تفكك كثير من الروابط الأسرية، ويقال: في هؤلاء نزلت الآية

(١) زينب بنت جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة، من بني غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة. أم المؤمنين، تزوجها الرسول ﷺ بعد زيد بن حارثة في سنة ٣هـ/ ٦٢٤م، وقيل ٥هـ/٦٢٦م. أمها عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبدالمطلب. ابن إسحاق، محمد، السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ص٢٦٢. الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ج٢ (ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص٢١١. عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج٢ (د. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت د.ت) ص ٥٩.

(٢) ابن سعد، ٣/٤٢- ٤٣.

(٣) سورة الأحزاب، آية (٥).

(٤) مسلم، ١/٨٠. وانظر أيضًا: الطبراني، الكبير، ٥/٢١٦، ١٧/٣٥.

الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. ووضح الفخر الرازي[2] وَضْع هؤلاء في تفسيره للآية السابقة بقوله: "كان الرجل إذا أراد الهجرة تعلق به بنوه وزوجته. فقالوا: أتذهب وتذرنا ضائعين؟! فمنهم من يطيع أهله ويقيم[3] فحذرهم الله طاعة نسائهم وأولادهم، ومنهم من لا يطيع ويقول: أما والله لو لم نهاجر ويجمع الله بيننا وبينكم في دار الهجرة لا ننفعكم شيئًا أبدًا". ولعل في الشعر الذي قاله ضرار بن الأزور[4] بعد هجرته ما يلقي الضوء على مثل ذلك الوضع، قال:

خَلَعْتُ القِدَاحَ وعَزْفَ القِيا ... نِ وَالخَمْرَ أشربها والثِّمالا

....

وقالت جميلة: شَتَّتْنَا ... وطَرَّحْتَ أَهْلَكَ شَتَّى شِمالا

فيا ربِّ، لا أُغْبَنَنْ صَفْقَتي ... فقد بعتُ أهلي ومالي بِدَالا[5]

(١) سورة التغابن، آية (١٤).

(٢) الفخر الرازي، ٢٧/٣٠.

(٣) انظر في هذا الموضوع مقالة خالد عبدالكريم البكر: المكرهون على التخلف عن الهجرة إلى المدينة، مجلة الدارة، العدد الثالث، رجب ١٤١٧هـ، الرياض، ص١٦٩- ١٧٠.

(٤) ضرار بن الأزور واسم الأزور مالك بن أوس بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة، من أسد بن خزيمة. أحد الأبطال في الجاهلية والإسلام، قتل شهيدًا سنة ١١هـ/ ٦٣٢م. ابن عبدالبر، ٢١١/٢، ابن حزم، ص١٩٣. خير الدين الزركلي، ٢١٥/٢.

(٥) ابن عبدالبر، ٢١١/٢. ابن الأثير، أسد، ٥٢/٣. ابن حجر، الإصابة، ٢٠٨/٢.

وقد وضح ذلك في البادية أيضًا قال حارثة العذري[١] عندما أسلم ابنه جناب[٢] وهاجر إلى المدينة:

إذا هتفَ الحمامُ على غُصون   جَرَتْ عبراتُ دمعي بانسكابِ

يُذكِّرني الحمامُ صفيَّ عَيْشي   جنابًا مَنْ عذيري من جنابِ

أردتَ ثوابَ ربِّك في فراقي   وقربي كان أقربَ للثوابِ[٣]

كما أن زوج العباس بن مرداس السلمي[٤] عندما سمعت برغبة زوجها في الهجرة إلى المدينة هدمت بيتها ورحلت إلى قومها رافضة أن تسلم معه[٥].

حَمَّل المشركون بجهلهم الرسول ﷺ مسؤولية هذا الأمر، قال ابن الأثير: "مر بها[٦] عتبة بن ربيعة[٧]، والعباس بن عبدالمطلب[٨]، وأبو جهل

---

(١) حارثة العذري هو: حارثة بن صخر بن مالك بن عبدمناة العذري. من المعمرين أدرك الإسلام ولم يسلم. أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد، المعمرين من العرب، تحقيق محمد إبراهيم سليم (د. ط، دار الطلائع، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ص ٨٠- ٨١.

(٢) جناب بن حارثة بن صخر بن مالك بن عبدمناة العذري. ابن حجر، الإصابة، ٢٤٥/١.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ٢٤٥/١.

(٤) العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبدقيس السلمي. أمه الخنساء الشاعرة، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، أسلم قبل فتح مكة، وحضر الفتح مع رسول الله ﷺ ومعه من سُلَيم أكثر من تسع مئة، كان يسكن البادية، توفي حوالي سنة ١٨هـ/٦٣٩م. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، تحقيق مفيد قميحة (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص ٣٨٤- ٣٨٥. الأصفهاني، الأغاني، ٢٩٤/١٤. خير الدين الزركلي، ٢٦٧/٣.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٢٩٦/١٤، ٢٩٨.

(٦) أي دُوَر بني جحش بن أسد بن خزيمة. ابن الأثير، أسد، ٧/٦.

(٧) عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف. قتل يوم بدر كافرًا. الزبيري، ص١٥٢.

(٨) العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. عم رسول الله ﷺ، حضر بيعة العقبة قبل أن يسلم وشهد بدرًا مع المشركين مُكرهًا، ويقال: إنه أسلم بعدها وكتم إسلامه، فكان يكتب لرسول الله ﷺ بالأخبار، هاجر قبل الفتح بقليل، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ/٦٥٢م. ابن سعد، ٥/٤. ابن حجر، الإصابة، ٢٧١/٢. ابن فهد، محمد بن عبدالعزيز، تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف، تحقيق محمد سعيد كمال ومحمد منصور الشقحاء (د. ط، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطائف د. ت) ص٨١ ، ١٠٢.

ابن هشام[(١)] فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها ليس فيها ساكن ... فقال أبو جهل: ذلك عمل ابن أخي هذا[(٢)]، فرَّق جماعتنا، وشتت أمرنا، وقطع بيننا"[(٣)]. كما قال رجال من قريش للطفيل بن عمرو عندما قدم إلى مكة: "يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل بين أظهرنا، ... يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبينه وبين زوجه..."[(٤)].

من البديهي أن أسر المهاجرين التي بقيت في مكة كانت تعاني متاعب جمة نتيجة لإسلام ذويهم، ولعل في قصة حاطب بن أبي بلتعة[(٥)] ما يدل على ذلك، فقد أرسل كتابًا لأهل مكة يخبرهم فيه بتجهز الرسول ﷺ لغزوهم، وعندما اكتُشف أمره وسُئل عن سبب فعله قال: "يا رسول الله... إني كنت امرأً ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان مَنْ معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي..."[(٦)].

---

(١) أبو جهل بن هشام هو: عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. قتل يوم بدر كافرًا. الزبيري، ص ٣٠٢.

(٢) أي ابن أخي العباس بن عبدالمطلب، ويقصد رسول الله ﷺ.

(٣) ابن هشام، عبدالملك، سيرة النبي ﷺ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ج٢ (د. ط، د. ن، د. م ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) ٧٩- ٨٠. ابن الأثير، أسد، ٧/٦.

(٤) ابن الأثير، أسد، ٣/٧٨- ٧٩.

(٥) حاطب بن أبي بلتعة هو حاطب بن عمرو بن عمير بن سلمة، من بني خالفة من لخم. حليف بني أسد بن عبدالعزى، شهد بدرًا، وتوفي سنة ٣٠هـ/ ٦٥٠م. ابن الأثير، أسد، ١/٤٣١- ٤٣٣. ابن حجر، الإصابة، ١/٣٠٠.

(٦) البخاري صحيح، ١٩/٤. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ٩/٤٣٦- ٤٣٧. أبو الشيخ الأصبهاني، عبدالله بن محمد، أخلاق النبي ﷺ، وآدابه، تحقيق أحمد موسى (ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص ٤٨. الفاسي، محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء، ج٢ (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت) ص١٢٩. ابن حجر، الإصابة، ١/٣٠٠.

كان لموقف المشركين من هجرة المسلمين أيضًا دور في تفكك كثير من الأسر، ومن ذلك موقفهم من أبي سلمة المخزومي(١) عندما أراد الهجرة إلى المدينة، فقد منع بنو المغيرة(٢) وبنو عبدالأسد(٣) زوجه(٤) وابنه(٥) من الهجرة معه(٦).

في المقابل نجد أن الهجرة أسهمت في خلق أسر إسلامية جديدة نتيجة للمصاهرات التي حدثت بين المهاجرين والأنصار(٧)، وعلى الرغم من أن المصاهرة بين المكيين والمدنيين ليست بالأمر المستحدث(٨)، إلا أن

---

(١) أبو سلمة المخزومي هو: عبدالله بن عبدالأسد بن هلال المخزومي. من السابقين إلى الإسلام، مشهور بكنيته، تزوج الرسول ﷺ بزوجته بعد وفاته سنة ٤هـ/ ٦٢٥. ابن حجر، الإصابة، ٣٣٥/٢.

(٢) بنو المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. رهط أم سلمة زوجة أبي سلمة. الزبيري، ص٣٠٠. ابن حجر، الإصابة، ٤٥٨/٤.

(٣) بنو عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. قرابة أبي سلمة. الزبيري، ص٣٣٧.

(٤) هي أم سلمة هند بنت أبي أمية سهيل بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. أم المؤمنين، كانت من المهاجرات إلى الحبشة وإلى المدينة، توفيت سنة ٦٢هـ/٦٨١م. أبو عبيدة، معمر بن المثنى، أزواج النبي ﷺ وأولاده، تحقيق يوسف علي بديوي (د. ط، دار مكتبة التربية، بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص ٦٤. الخراز، نهاية، ورقة ٣٢٩. ابن الأثير، أسد، ٢٤٠/٧. خير الدين الزركلي، ٩٧/٨.

(٥) سلمة بن أبي سلمة عبدالله بن عبدالأسد القرشي المخزومي، ربيب النبي ﷺ، عاش إلى أيام عبدالملك بن مروان. ابن الأثير، أسد، ٤٢٩/٢.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ٤٥٨/٤. خالد البكر، ص١٧٢.

(٧) انظر أمثلة على تلك المصاهرات: ابن سعد، ٨/٣، ١٦٩. ابن قدامة، الاستبصار، ص٦٢. ابن حجر، الإصابة، ٤٨٠/٣، ٦٦٢، ٦٧٢. عبدالله عبدالعزيز بن إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، (ط١، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص١١٠.

(٨) من ذلك مصاهرة هاشم بن عبدمناف لعمرو بن زيد بن لبيد، من بني النجار. البلاذري، أنساب، ٦٤/١.

الإسلام أعطاها طابع الجدة، وبالإضافة إلى المصاهرة بين المهاجرين والأنصار حدثت مصاهرات بين قريش وبقية القبائل العربية المهاجرة[1]. فالهجرة بذلك أسهمت في تكوين أسر إسلامية، شكلت المجتمع الإسلامي الأول.

لا شك أن ما ترتب على الهجرة من قيام صراع عسكري بين المسلمين والمشركين قد أثار بعض المشاعر التي دلت على أن وضع الأسرة قد تأثر بظهور الإسلام تأثرًا عميقًا، فالرجل المسلم كان يقابل المشركين في ميدان القتال وفيهم أبوه أو أخوه أو أحد قرابته.

وفي ذلك قالت قتيلة بنت النضر[2] ترثي أباها:

هَلْ يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إن نَادَيْتُهُ   أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لا يَنطِقُ

ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أبيه تَنوشُهُ   لِلهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ[3]

وقالت هند بنت عتبة[4] ترثي أباها:

---

(١) انظر أمثلة على تلك المصاهرات: ابن سعد، ٤٠٨/٣. ابن حبيب، المنمق، ٣٠١، ٣٢٥. ابن حجر، الإصابة، ٧٢/١- ٧٣، ٤٧٨، ٥٧١، ٢٣٥/٣- ٢٣٦.

(٢) قتيلة بنت النضر بن الحارث بن كلدة، من بني عبدالدار بن قصي بن كلاب بن مرة. توفيت نحو ٢٠هـ/ ٦٤٠م. الزبيري، ص ٢٥٥. ابن الأثير، أسد، ٢٤١/٧. خير الدين الزركلي، ١٩٠/٥هـ. وهناك من يراها أخت النضر وليست ابنته. ابن هشام، ٤١٩/٢ - ٤٢٠. إلا أن السهيلي يؤكد أنها ابنته وليست أخته. عبدالرحمن بن عبدالله، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبدالرحمن الوكيل، ج٥ (ط١، دار النصر للطباعة، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ص٣٨٧.

(٣) ابن هشام، ٤١٩/٢- ٤٢٠.

(٤) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف، أم الخليفة معاوية بن أبي سفيان، الزبيري ص١٥٣.

أعينـــيّ جـــودا بدمـــع سَــــرِب   على خيـر خنـدف[1] لـم ينقلب
تداعـى لـه قصـــرة[2] رهطـــه   بنـو هاشـــم وبنـو المطلـــب[3]

أما المسلمون فإن إيمانهم بعقيدتهم جعلهم يفكرون بدينهم قبل أي أمور أخرى.

(١) خندف: قبيلة ضخمة تعود إليها قريش.

(٢) قصرة: أي داني النسب. ابن منظور، ١٠١/٣.

(٣) البلاذري، أنساب ، ٩/, ٣٨٨

الفصل الأول

الزواج

أولاً - مقدمات عقد الزواج :

- **الاختيــــار**
- **الخطبــــة**

ثانياً - شروط إتمام الزواج :

- **المهـــــر**
- **الدخـــول**



أولاً - مقدمات عقد الزواج :

يمثل الزواج وضعًا اجتماعيًا يترتب على حدوثه تكوين أسرة تلتقي فيها الحقوق بالواجبات وترتبط قوته بأسسه البنائية، فلضمان رسوخه واستمراريته وللمحافظة عليه من التفكك والانحلال، كان لا بد من مروره بمرحلتين يمكن أن نطلق عليهما مقدمات عقد الزواج وتشتمل على الآتي:

- الاختيار.
- الخطبة.

- الاختيار :

اهتم العرب بالمعايير التي يتم من خلالها الاختيار سواء ما يرتبط باختيار الأسرة أو المرأة. فالفرد هو نتاج للأسرة فإن صلحت صلح الفرد في أغلب الأحيان. وقد عرف دور الأسرة وأثرها عند العرب فعثمان بن أبي العاص الثقفي[١] كان يقول: "... الناكح مُغترِس فلينظر امرؤ منكم حيث يضع غرسه، والعِرْق السُّوء قلما ينجب ولو بعد حين"[٢]. وقالت العرب أيضًا: "إياكم وعقيلة الملح". يقصدون بذلك اللؤلؤة لوجودها في الماء الملح. ومعنى القول: "النهي عن نكاح الحسناء في منصب السوء"[٣].

---

(١) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي. وفد على النبي ﷺ مع وفد ثقيف سنة ٩هـ/٦٣٠م. استعمله الرسول ﷺ على الطائف واستمر واليًا عليها في عهد الخليفة أبي بكر الصديق وسنتين من خلافة عمر بن الخطاب وهو الذي وقف في وجه ردة أهل الطائف. ابن الأثير، أسد، ٥٧٩/٣- ٥٨٠.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ج٢ (د.ط، دار الفكر للجميع، بيروت ١٩٦٨م) ص٧٥. وانظر أيضًا: الفاسي، العقد، ٢٥/٦.

(٣) العسكري، الحسن بن عبدالله، جمهرة الأمثال، تحقيق أحمد عبدالسلام ومحمد زغلول، ج١ (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص٢١. الخويي، يوسف بن طاهر، فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق عبدالرزاق حسين (د. ط، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ص٥٤.

أما في مجال اختيار المرأة، فإننا نجد المعايير في العصر الجاهلي تنصبُّ على الجمال والمال والشرف[1]. ولا شك أن هذه المعايير استمرت في العصر الإسلامي بالإضافة إلى بعض المعايير الجديدة قال ﷺ: "تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ودينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك"[2]. فعلى الرغم من تفضيل الشريعة الإسلامية لهذا المعيار إلا أنها تقر بمكانة الجمال، والحسب، والمال في سُلّم الاختيار. والمجتمع الحجازي في العصر الإسلامي لا يتجاهل تلك المعايير، فزواج الرسول ﷺ من ريحانة بنت زيد[3]، وصفية بنت حُيي[4]، وكلتاهما لم تدينا بالإسلام إلا عند زواج الرسول ﷺ بهما[5]، وزواج طلحة بن عبيدالله[6]

---

(١) ابن سعد، ١/١٣١. البلاذري، أنساب، ١/٩٨. الدولابي، الذرية، ص٢٧.

(٢) البخاري، صحيح، ٦/١٢٣. وانظر أيضًا: ابن حبيب، عبدالملك، أدب النساء الموسوم بكتاب الغاية والنهاية، تحقيق عبدالمجيد تركي (ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص١٤٧.

(٣) ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن شمعون بن زيد، من بني النضير وقيل من بني قريظة. اختلف فيها هل كانت زوج رسول الله ﷺ أم سريته، توفيت حوالي سنة ١٠هـ/ ٦٣١م. ابن سعد، ٨/١٢٩. ابن سيد الناس، محمد بن محمد، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ج٢ (ط٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص٣٨٤. ابن حجر، الإصابة، ٤/٣٠٩.

(٤) صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد، من بني إسرائيل من سبط هارون عليه الصلاة والسلام. تزوجها الرسول ﷺ بعد خيبر أي في سنة ٧هـ/ ٦٢٨م. وتوفيت حوالي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. ابن الأثير، أسد، ٧/١٦٩، ١٧١. ابن المبرد، يوسف بن حسن، الشجرة النبوية في نسب خير البرية. تحقيق محيي الدين ديب مستو (ط١، دار الكلم الطيب ودار ابن كثير، بيروت، دمشق ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص٤٨.

(٥) ابن إسحاق، ص٢٤٦- ٢٦٥. الزبير بن بكار، المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ، تحقيق سكينة الشهابي (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ٤٧- ٤٨.

(٦) طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد التيمي القرشي. كان من المهاجرين الأوائل، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما عدا بدرًا، قيل: إن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسله إلى طريق الشام مع سعيد بن زيد ليتحسسا الأخبار، قتل سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م في موقعة الجمل. ابن عبدالبر، ٢/٢١٩- ٢٢٤. ابن حجر، الاصابة، ٢/٢٢٩- ٢٣٠.

من يهودية[١]. كل ذلك يؤكد أن الدين معيار غير ملزم في اختيار الزوجة، بل كانت هناك معايير أخرى لها دور كبير في عقد الكثير من الزيجات، مثل مال المرأة، ونسبها، وجمالها. ولعل فيما قالته امرأة سعد بن الربيع[٢] للرسول ﷺ ما يدل على ذلك، قالت: "يا رسول الله إنّ سعدًا قتل معك يوم أحد[٣] وترك ابنتين، وإن عمهما أخذ مالهما ولا يُنْكحان إلا ولهما مال"[٤]. ففي قولها هذا دلالة على دور المال في تزويج البنات. كما أرسل عثمان بن عفان[٥] رضي الله عنه لسعيد بن العاص حين تزوج من هند بنت الفرافصة[٦] يقول له: "فقد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب[٧] فاكتب إليَّ بنسبها وجمالها". فرد عليه قائلاً: "أما نسبها فهي ابنة الفرافصة بن الأحوص[٨]، وأما جمالها فبيضاء

---

(١) ابن شبة، ٩٣٢/٣.

(٢) سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري الخزرجي. كان أحد نقباء الأنصار، شهد العقبة الأولى والثانية، قتل شهيدًا يوم أحد سنة ٣هـ/ ٦٢٤م. الطبري، تاريخ، ٤٩٩/٢. ابن الأثير، أسد، ٣٤٨/٢.

(٣) غزوة أحد كانت في سنة ٣هـ/٦٢٤م. ابن سعد، ٣٦/٢. الطبري، تاريخ، ٤٩٩/٢.

(٤) ابن قدامة، الاستبصار، ص١١٥. وقد كان العرب في الجاهلية لايورثون الصغار ولا الإناث ويورثون من الرجال من قاتل على الخيل وأخذ الغنيمة. الفخر الرازي، تفسير، ٢١٠/٩.

(٥) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. تولى الخلافة ما بين ٢٣- ٣٥هـ/ ٦٤٣- ٦٥٥م. الزبيري، ص١٠١. الطبري، تاريخ، ٢٤٢/٤، ٣٦٥. ابن عنبة، أحمد ابن علي، بحر الأنساب (مخطوطة مصورة برقم ١٤١٨/تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ٦أ.

(٦) هند بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو الكلبية. ابن حزم، ص ٤٥٦.

(٧) كلب نسبة إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة. ابن حزم، ص ٤٥٥.

(٨) الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن الحصن بن ضمضم بن عدي بن جناب. ابن حزم، ص٥٤٦.

مديدة والسلام". فكتب إليه عثمان: إن كانت لها أخت فزوجنيها[١]. وحين تزوج عكرمة بن عبدالرحمن المخزومي[٢] بنت عمر بن عبيدالله بن معمر[٣]، قال أحدهم:

تُبَشَّرُ يَا ابْنَ مَخْزُوْمٍ بِخَوْدٍ[٤] أَبُوهَا مِن بَنِي تَيْمِ الرِّبَابِ[٥]
أَتَتْكَ بِمَالِ شِيرازٍ[٦] وَفَسَّا[٧] وسَابُورَ[٨] الذي دونَ العُقَابِ
فَتِلكَ مَآثِرُ الأَمْوالِ لا مَا يُجَمَّعُ يَوْمَ سُعْدَى والرِّبَابِ[٩]

(١) الوشاء، محمد بن أحمد، الموشى أو الظرف والظرفاء، تحقيق عبدالأمير علي مهنا (ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٠م) ص١٤٤-١٤٥. وانظر أيضًا: الكسائي، أحمد بن سليمان، روضة العاشق ونزهة الوامق، (مخطوطة مصورة برقم ٤٣٢/ أدب، معهد المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ٦٤.

(٢) عكرمة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي. الزبيري، ص٣٠٤.

(٣) عمر بن عبيدالله بن معمر، من تيم بن مرة. أحد أجواد العرب وفرسانها، كان مع مصعب بن الزبير ضد عبدالملك بن مروان. الزبيري، ص ١٨٩، ٣٠٤- ٣٠٥. ابن حزم، ص١٤٥.

(٤) الخود هي الفتاة الحسنة الخلق الشابة. ابن منظور، ٩١٧/١.

(٥) تيم الرباب بن عبدمناة بن إد بن طابخة. ابن الكلبي، جمهرة، ص٢٨١. ابن حزم، ص٤٨٠. إلا أن المعروف أن عمر بن عبيدالله من تيم بن مرة من قريش وليس من تيم الرِّباب. ولعل ما أورده الزبير بن بكار يصحح ذلك فقد ذكرها - تيم اللبابُّ - جمهرة نسب قريش وأخبارها، ج٢ (مخطوطة مصورة برقم ٥٥٣/ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ١٢٨ ب.

(٦) شيراز: تقع في بلاد فارس وتعد قصبته. ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، ج٣ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص٣٨٠.

(٧) لعل المقصود بها فَسَا : وهي مدينة بفارس بينها وبين شيراز أربع مراحل "المرحلة ما بين المنزلين". ياقوت، البلدان، ٢٦١/٤. ابن منظور، ١١٤٣/١.

(٨) سابور مدينة بفارس على اسم سابور أحد أكاسرة الفرس بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخًا "الفرسخ حوالي ثلاثة أميال" ياقوت، البلدان، ١٦٧/٣، جواد علي، ٦٢٤/٧، ٦٢٥.

(٩) الزبيري، ص ٣٠٤- ٣٠٥. ولعل المقصود بها الرَّباب يدلنا على ذلك شرح الزبيري لها بقوله: "وكان عكرمة يسعى على سعد والرِّباب أيام كانت اليمامة تضم إلى المدينة". ص٣٠٥. انظر أيضًا: الزبير بن بكار، جمهرة، ١٢٨/٢ب. البلاذري، أنساب ، ١٩٨/٧.

بالإضافة إلى ذات الدين فقد وردت أحاديث نبوية كثيرة تُرغِّب في الزواج من البكر، منها قول الرسول ﷺ لجابر بن عبدالله[1] عندما ذكر له أنه تزوج بثيب: "أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟"[2]. وعلى الرغم من ذلك لم يكن هذا الأمر معيارًا دائمًا في اختيار الزوجة، فالنسوة المطلقات والأرامل لم يكنَّ ممن يُرغب عنهن في المجتمع الحجازي خلال العصر الجاهلي واستمر ذلك في عصر الدراسة. بل إن ظاهرة الزواج منهن أدت إلى انتشار وجود ما يسمى بالمرأة المردفة[3]، ويقصد بها المرأة التي تزوجت عدة أزواج واحدًا بعد الآخر، ويبدو أن تلك الظاهرة لم تكن قصرًا على طبقة اجتماعية بذاتها، بل كانت منتشرة بين جميع الطبقات. يدلنا على ذلك أن مدة الدراسة حفلت بالكثير من الأمثلة عن المردفات سواء من قريش أم من غيرها[4]. فإذا كانت تلك الظاهرة قد برزت وشاعت في مجتمع الأشراف فهو دليل على انتشارها بين الطبقات الاجتماعية الأخرى كذلك.

ومن المرجح أن هذا المظهر الاجتماعي قد طرأ عليه تحول كبير خاصة في القرن الثالث الهجري، ولعل فيما ذكره الجاحظ[5] ما يدل على ذلك قال: "... وكذلك كانوا لا يرون بأسًا أن تنتقل المرأة إلى عدة أزواج لا ينقلها عن ذلك إلا

---

(١) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري. شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة، توفي حوالي ٧٤هـ/ ٦٩٣م. ابن الأثير، أسد، ١/٣٠٧- ٣٠٨.

(٢) البخاري، صحيح، ٣/١٥. فنسنك، ص٢١٠.

(٣) المردفة مشتقة من الجذر (ردف) والرِّدف "كل شيء جاء بعدك". ابن دريد، محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ج٢ (ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م) ص٦٣٤.

(٤) المدائني، ١/٦١- ٨٧. ابن حبيب، المحبر، ٤٣٧- ٤٥٥.

(٥) الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ (الرسائل الكلامية) تحقيق علي أبو ملحم (ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٧م)، ص٧١- ٧٢.

الموت ما دام الرجال يريدونها. وهم اليوم يكرهون هذا ويستسمجونه في بعض، ويعافون المرأة الحرة إذا كانت قد نكحت زوجًا واحدًا، ويلزمون من خطبها العار ويلحقون به اللوم، ويعيرونها بذلك، وَيَتَحَظَّون الأمة وقد تداولها من لا يحصى عدده من الموالي. فمن حَسَّنَ هذا في الإماء وقبحه في الحرائر؟!".

- الخِطْبة :

وهي خطوة يعلن فيها الرجل رغبته في الزواج، إما بشكل عام بقوله مثلاً: "إني أريد التزويج، ولوددتُ أنه يتيسر لي امرأة صالحة"[١]. أو بتحديد امرأة بعينها تُختار إما من قِبل الرجل مباشرة، أو عن طريق الوسطاء. فقد يتعرف الرجل إلى المرأة في ظل ظروف اجتماعية معينة فتقع في نفسه موقع الرضا والقبول، وقد عرف هذا الأسلوب في الجاهلية، ومن أمثلته زواج هاشم بن عبدمناف[٢] من سلمى بنت عمرو[٣] التي رآها وهي تبيع وتشتري، فأعجب بها وسارع إلى خطبتها[٤]. واستمر بعد ذلك في الإسلام ومنه خطبة الرسول ﷺ لجويرية بنت الحارث[٥]، تقول أم المؤمنين

---

(١) ابن حجر، فتح، ١٧٨/٩.

(٢) هاشم واسمه عمرو بن عبدمناف بن قصي بن كلاب. وهو من سَنّ الرحلتين لقريش، مات بغزة من بلاد الشام. الزبيري، ص١٤. البلاذري، أنساب، ٦٣/١. ابن عنبة، بحر، ورقة ٤ب - ٥أ.

(٣) سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر، من بني النجار من الخزرج. الزبيري، ص١٥. ابن حبيب، محمد، أمهات النبي ﷺ، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد (ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص ٨٥- ٨٦.

(٤) البلاذري، أنساب، ٦٤/١. ابن عنبة، أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق محمد حسن آل الطالقاني (ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م) ص٢٣- ٢٤.

(٥) جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، من بني المصطلق، من خزاعة. سبيت في غزوة المريسيع سنة ٦هـ/ ٦٢٧م. أبو عبيدة، أزواج، ص٧١ ابن سعد، ١١٦/٨. خليفة بن خياط العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، ق١ (د. ط، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٨م) ص٤٧.

عائشة بنت أبي بكر الصديق[1]: ".. وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها[2]، قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها وقلت: سَيَرَى منها مثلما رأيت، فلما دخلتْ عليه قالت: يا رسول الله أنا جويرية ابنة الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، وقد كاتبت على نفسي فَأَعِنِّي على كتابتي، فقال رسول الله ﷺ: أو خير من ذلك؟! أُؤَدِّي عنك كتابتك وأتزوجك. فقالت: نعم، ففعل رسول الله ﷺ "[3]. ومن ذلك أيضًا الأسلوب الذي اتبعه عبدالله بن عمرو[4] في خطبته لفاطمة بنت الحسين[5]. فقد رآها وهي تضرب وجهها حزنًا على وفاة زوجها[6]. فأرسل لها: "إن لنا في وجهك حاجة فارفقي به. فاسترخت يداها وعرف ذلك فيها وخمرت وجهها، فلما حلّت، أرسل إليها يخطبها"[7]. ولعله في البادية أيسر، فطبيعة الحياة البدوية كانت تهيئ فرصًا

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة التيمية القرشية. أم المؤمنين تزوجها الرسول ﷺ في مكة ودخل بها في المدينة سنة ١هـ/٦٢٢م. توفيت سنة ٥٨هـ/٦٧٧م. أبو عبيدة، أزواج، ص٦٢- ٦٣. ابن سعد، ٥٨/٨. ابن المبرد، ص٤٥.

(٢) "الكتابة: أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه مُنَجَّمًا، فإذا أداه صار حرًا. وسميت كتابة، بمصدر كَتَبَ، لأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه، ويكتب مولاه له عليه العتق". ابن منظور، ٢١٧/٣.

(٣) ابن إسحاق، ص٢٦٣. وانظر أيضًا: ابن سعد، ١١٦/٨- ١١٧. الطبري، تاريخ، ٦١٠/٢. الكسائي، ورقة ٥٦. ياسين بن خير الله الخطيب، الروضة الفيحاء في تاريخ النساء (مخطوطة مصورة برقم ١٦٩٤/ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ٧٠ ب، ٧١أ.

(٤) عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان. كان يقال له "المُطْرَف" لحسنه وجماله. الزبيري، ص١١٣.

(٥) فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب. الزبيري، ص٥٩.

(٦) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. الزبيري، ص٥١.

(٧) الزبيري، ص٥٢. وانظر أيضًا: ابن أحمد بن هشام، محاسن النساء (مخطوطة مصورة برقم ٨٠٣/أدب، مكتبة تيمور بدار الكتب المصرية، القاهرة) ورقة ٥٥. الكسائي، ورقة ١٦٧.

أكبر لرؤية المرأة. ومن خلال ما سبق نجد أن هذا الأسلوب قد يبدو من الوسائل المقبولة اجتماعيًا لكونه طريقاً لاختيار الزوجة في الجاهلية والإسلام.

قد يستخدم الرجل وسيلة أخرى في اختياره المرأة، تعتمد على الاستعانة بالوسطاء من الرجال الذين لا تهابهم النساء فيرون منهن ما يحسن وما يقبح فيصفونهن لراغب الزواج(١).

وللنساء أيضًا دور في دلِّ الرجال الراغبين في الزواج على النساء ومنهن خولة بنت حكيم(٢) التي كان لها دور في تزويج سودة بنت زمعة(٣) من الرسول ﷺ(٤). ومنهن أيضًا امرأة تدعى قطنة تداخل النساء القرشيات وغيرهن فيقصدها من يريد خطبة إحداهن(٥). وأخرى تدعى حُبَّى المدينية تمارس المهنة نفسها(٦). واستمر هذا الأسلوب حتى العصر العباسي

(١) الدورقي، أحمد بن إبراهيم، مسند سعد بن أبي وقاص، تحقيق عامر حسن صبري، ج١ (ط١، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص٧٨. الأصفهاني، الأغاني، ٤/٢٦٧- ٢٦٨. ابن الأثير، أسد، ٥/٥، ٤٢٣. ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١٠ (مخطوطة مصورة برقم ٣٤٢٣، آيا صوفيا، مكتبة السليمانية، إستانبول، أصدرها فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت، ألمانيا ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ورقة ٣٧، ٣٩. ابن حجر، الإصابة، ١/٧٥، ٣/٣٣٥- ٣٣٦، ٦١٤. ابن حجر، فتح، ٩/٣٢٤.

(٢) خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأقوص بن مرة بن هلال، من بني سُليم. زوجة عثمان ابن مظعون. ابن الأثير، أسد، ٧/٩٣.

(٣) سودة بنت زمعة بن قيس بن الأسود، من بني عامر بن لؤي. تزوجها الرسول ﷺ قبل الهجرة بأربع سنين. أبو عبيدة، أزواج، ص ٦١ - ٦٢. ابن سعد، ٨/٥٢.

(٤) ابن الأثير، أسد، ٧/١٨٩. الطبري، أحمد بن عبدالله، السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، (ط٢، مكتبة التراث الإسلامي، حلب د. ت) ص ٣٦، ١١٧- ١١٨.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/٢٢٦.

(٦) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق جوتين، ج٥ (د. ط، منشورات الجامعة، القدس ١٩٣٦م) ص٢٨٢، ١٠/١٣٧.

ففي عصر الخليفة المهدي[١] أرسل أحدهم مولاة له إلى المدينة لتنظر له نساء من قريش ليزوجهن ولده[٢].

وللأمهات دور أيضًا في جذب الأزواج لبناتهن ويتخذن لذلك أسلوبًا يعتمد على إظهار محاسنهن عن طريق الاستعانة بشاعر ليشبب بهن، وقد استُخدم هذا الأسلوب في الجاهلية والإسلام، وفي الحاضرة والبادية، وأثبت نجاحه[٣]. وعلى الرغم من أن معظم الأمثلة تقع خارج النطاق الجغرافي للدراسة، إلا أنها قد تعطي دلالة على إمكانية استخدامه من قبل الأمهات في الحجاز. ومن ذلك أن امرأة نزلت المدينة ومعها بنات لها وسيمات فجعلت للشاعر الشماخ[٤] عن كل واحدة جزورًا على أن يذكرهن[٥]. وإذا تعسرت خطبة إحداهن في الجاهلية عمدت إلى عمل بعض الوسائل الغريبة التي يعتقدن أنها تساعد على تسهيل أمر زواجهن، فقد جاء في بلوغ الأرب[٦]: "إذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانبًا من شعرها وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور وحجلت

---

(١) الخليفة المهدي محمد بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس. تولى الخلافة ما بين ١٥٨- ١٦٩هـ/ ٧٧٤- ٧٨٥م. الطبري، تاريخ، ١٠٨/٨، ١٦٨.

(٢) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، ج١ (د.ط، مطبعة المدني، القاهرة ١٣٨١هـ) ص٧٨.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٣٨/٩، ١٩٦/١٠، ٧٨/٢٤.

(٤) الشماخ هو: معقل بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الغطفاني. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وصفه الحطيئة بأنه أشعر غطفان، توفي سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م. ابن قتيبة، الشعر، ص١٤٥- ١٤٦. خير الدين الزركلي، ١٧٥/٣.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ١٥٥/٢.

(٦) محمود شكري الألوسي، ٣٣٠/٢. ولم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه. وانظر أيضًا: عبدالهادي عباس، المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها، ج١ (ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٧م) ص٣٦٦.

على إحدى رجليها ويكون ذلك ليلاً وتقول: يا لكاح. أبغي النكاح. قبل الصباح! فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب". ولم أجد ما يدل على استمرار مثل هذا الأمر بعد ظهور الإسلام لكونه بدعة مخالفة للدين.

بعد أن يحدد الرجل المرأة التي يريد أن يخطبها يُحِل الإسلام له أن ينظر إليها، سواء بمعرفة أهلها أو من دون ذلك. قال رسول الله ﷺ: "إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها"(١). كما جاء المغيرة بن شعبة(٢) إلى رسول الله ﷺ يخبره أنه يريد أن يتزوج فقال له: "اذهب فانظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما". فأتاهم فسلم عليهم وأبلغهم قول الرسول ﷺ فنظر إليها ثم تزوجها(٣). كما جاء المغيرة بن شعبة إلى رسول الله ﷺ وقال له: "إني ذكرت فلانة أَتُطلِقُ لي أن أراها؟ قال: "نعم فإني كنت لأحتالها في أصول النخل لتمر بي"(٤). وكان محمد بن مسلمة(٥) يطارد ثبيتة بنت الضحاك(٦) لينظر إليها، وعندما استنكر عليه عمه فعله هذا وهو صاحب رسول الله ﷺ

(١) ابن ماجه، ٣٤٤/١.

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي. أسلم سنة ٥هـ/ ٦٢٦م، يعد من دهاة العرب، ولاه عمر بن الخطاب البصرة ثم الكوفة، توفي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. ابن الأثير، أسد، ٢٤٧/٥-٢٤٨. الذهبي، ٢١/٣- ٣٢.

(٣) ابن ماجه، ٣٤٤/١. الطبراني، الكبير، ٣٧٠/٢٠، ٤٣٣.

(٤) الطبراني، الكبير، ٤٣٧/٢٠.

(٥) محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة الأنصاري، حليف بني عبدالأشهل. شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما عدا تبوك، مات في المدينة حوالي سنة ٤٦هـ/ ٦٦٦م. ابن الأثير، أسد، ١١٢/٥- ١١٣.

(٦) ثبيتة بنت الضحاك بن خليفة. ولدت في عهد الرسول ﷺ وهي أخت أبي جبيرة وثابت ابني الضحاك بن خليفة الأنصاري الأشهلي. ابن عبدالبر، ٢٥٧/٤-٢٥٨. ابن حجر، الإصابة، ٢٥٨/٤.

استشهد محمد بن مسلمة بالحديث السابق لرسول الله ﷺ : "إذا ألقى الله..."[(١)].

يبدو أن بعض الأسر كانت تتحرج من عرض بناتها على من يريد خطبتهن، فالمغيرة بن شعبة عندما أراد تنفيذ أمر رسول الله ﷺ بالنظر إلى إحدى بنات الأسر لخطبتها، لحظ أن والديها لم يتقبلا هذا الأمر وكرهاه[(٢)]. إلا أن هذا الموقف السلبي من مسألة الرؤية ما لبث أن خف أثره في العصر الراشدي، فنجد عليَّ بن أبي طالب يرسل ابنته أم كلثوم[(٣)] إلى عمر بن الخطاب لينظر إليها بعد خطبته لها[(٤)]. أما في العصر الأموي فقد تطور الأمر حتى أصبح بعض الناس يتقدم للأسرة دون تحديد المرأة المطلوبة فتعرض عليه البنات ليختار إحداهن. إلا أن هذا كان خاصًا بالشخص القريب من الأسرة إما نسبًا أو صهرًا، فقد عرض الحسين بن علي[(٥)] ابنتيه فاطمة وسكينة على الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عندما تقدم إليه خاطبًا[(٦)]. كما عرض

(١) ابن عبدالبر، ٢٥٨/٤. ابن حجر، الإصابة، ٢٥٨/٤.

(٢) ابن ماجه، ٣٤٤/١.

(٣) أم كلثوم الكبرى ابنة علي بن أبي طالب. أمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، تعد من المردفات من نساء قريش فقد تزوجت بعد عمر بن الخطاب عون بن جعفر بن أبي طالب ثم أخاه محمدًا. المدائني، ٦٧/١. الزبيري، ص٤١.

(٤) ابن سعد، ٦٤/٨. الزبيري، ص٣٤٩. البلاذري، أنساب، ١٨٩/٢ - ١٩٠. الدولابي، الذرية، ص١١٤.

(٥) الحسين بن علي بن أبي طالب. اختلف في سنة مولده، قتل في كربلاء سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م. ابن الأثير، أسد، ١٨/٢- ٢٣. ابن المبرد، ص٥٩.

(٦) الزبيري، ص٥١. الأصفهاني، الأغاني، ١٥٠/١٦، ١٢٦/٢١. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، أخبار النساء، تحقيق إيهاب كريم (ط١، دار النديم للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩١م) ص١٢٩. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي، ذم الهوى، تحقيق مصطفى عبد الواحد (ط١، د. ن، د. م ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م) ص٦٤٨. ابن عنبة، عمدة، ص ٩٨- ٩٩.

عاصم بن عمر[١] ابنتيه على صهره إبراهيم بن نُعيم[٢] بعد وفاة أخته رقية[٣].

وبعد أن يتم قبول المرأة تبدأ المراسم الفعلية لخطبتها. وهي في الحاضرة والبادية سواء. وتكون إما بطريق مباشر بأن يتقدم الرجل لولي المرأة[٤]، كخطبة الرسول ﷺ عائشة أم المؤمنين[٥]. وفي البادية: خطبة الحارث بن عوف[٦] ابنة أوس بن حارثة الطائي[٧]. أو أن يتقدم للمرأة نفسها كخطبة الرسول ﷺ هند بنت أبي طالب[٨]. وفي البادية : خطبة حاتم

(١) عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي. ولد قبل وفاة الرسول ﷺ بسنتين، وكان خيّرًا فاضلاً. مات سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م. ابن الأثير، أسد، ١١٥/٤.

(٢) إبراهيم بن نعيم بن عبدالله بن أسيد القرشي العدوي. الزبيري، ص٣٤٩. ابن الأثير، أسد، ٥٥/١.

(٣) الزبيري، ص٣٦١. البلاذري، أنساب، ٤٧٨/١٠- ٤٧٩. الأصفهاني، الأغاني، ٢٩٣/٩. ابن حجر، الإصابة، ٩٦/١. وهي رقية بنت عمر بن الخطاب. أمها أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب. الزبيري، ص٣٤٩.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٠. الطبراني، الكبير، ١٤/٣. الخويِّي، ص١٥٧.

(٥) ابن سعد، ٥٨/٨.

(٦) الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري. يعد من فرسان الجاهلية. أدرك الإسلام وقدم على رسول الله ﷺ فأسلم. ابن عبدالبر، ٣٠٣/١. خير الدين الزركلي، ١٥٧/٢.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ٣٤٣/١٠. وهو أوس بن حارثة بن لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جدعاء، من طيِّئ. يعد من المعمرين، قيل مات في الجاهلية ولم يدرك الإسلام، أبو حاتم السجستاني، ص٥٤. ابن حزم، ص٣٩٩. ابن حجر، الإصابة، ٨١/١. وانظر مثالاً آخر: المرزباني، محمد بن عمران، أشعار النساء، تحقيق سامي العاني وهلال ناجي (د. ط، دار الرسالة للطباعة، بغداد ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ص١١٨.

(٨) ابن حبيب، المحبر، ص٩٨. وهي هند بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. تكنى بأم هانئ، تزوجت من هبيرة بن أبي وهب المخزومي وأسلمت قبله. الزبيري، ص٣٩. ابن الأثير، أسد، ٢٩٢/٧.

الطائي[١] ماوية بنت عمرو[٢]. ولهذا النوع من الخطبة أسلوبه، بأن يقول لها مثلاً: "إنك عليَّ لكريمة، وإني فيك لراغب، وإن الله لسائق إليك خيرًا ورزقًا"[٣]. أو ما شابه ذلك. وقد يعمد بعضهم إلى التعريض بالموضوع دون البوح به فيقول مثلاً: "إن لي حاجة، وأبشري وأنت بحمد الله نافقة"[٤]. فترد عليه قائلة: "قد أسمع ما تقول"[٥]. ومن المرجح أن خطبة الرجل المرأة مباشرة دون التقدم لوليها تتم إذا كانت مطلقة أو أرملة فقط. أما إذا كانت بكرًا فتخطب من وليها. وقد تتم الخطبة بطريق غير مباشر، كأن يتقدم نيابة عنه أحد أقربائه أو معارفه من الرجال أو النساء كما فعل كل من: عمرو بن سعيد[٦]، ومروان بن الحكم[٧]

---

(١) حاتم الطائي هو: حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج، من طيِّئ. وصف بالجود وكان شاعرًا. ابن قتيبة، الشعر، ص١٠٦.

(٢) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، ذيل الأمالي والنوادر، ج٣ (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦هـ /١٩٩٦م) ص١٥٤. وماوية بنت عفزر كانت من النساء اللاتي كان أمرهن بيدهن في الزواج والطلاق. الأصفهاني، الأغاني، ٣٧٩/١٧. عمر رضا كحالة، أعلام، ١٣/٥.

(٣) مالك بن أنس الأصبحي، موطأ الإمام مالك، ج٢ (الطبعة الأخيرة، شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) ص٢. وانظر أيضًا: ابن حجر، فتح، ١٧٨/٩.

(٤) نافقة أي كثير خُطَّابها. ابن منظور، ٦٩٤/٣.

(٥) ابن حجر، فتح، ١٧٨/٩.

(٦) عمرو بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف. ولاه الخليفة معاوية بن أبي سفيان على المدينة وأقره يزيد بن معاوية. توفي سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م. الزبيري، ص١٧٨- ١٧٩. الطبري، تاريخ، ١٤٠/٦- ١٤٤. خير الدين الزركلي، ٧٨/٥- ٧٩.

(٧) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف. كان كاتبًا لعثمان بن عفان ثم أميرًا على المدينة في عهد معاوية بن أبي سفيان. تولى خلافة المسلمين ما بين ٦٤ - ٦٥هـ/ ٦٨٣- ٦٨٤م. ابن سعد، ٣٥/٥. الطبري، تاريخ، ٥٣١/٥، ٦١٠.

عندما أرادا خطبة ابنة أبي الجهم بن حذيفة، فقد مشى في خطبة الأول رجل، وفي خطبة الثاني عدة نسوة[١].

عند التقدم للخطبة تستعمل بعض العبارات الخاصة بذلك، ففي العصر الجاهلي عندما يتقدم أحدهم خاطبًا يقول: "أنعموا صباحًا" ثم يقول: "نحن أكفاؤكم ونظراؤكم، فإن زوَّجتمونا فقد أصبنا رغبة وأصبتمونا وكنا لصهركم حامدين، وإن رددتمونا لعلَّةٍ نعرِفُها رجعنا عاذرين"[٢]. ومن العبارات المستعملة في العصر الإسلامي ما جاء على لسان بلال عندما خطب لأخيه امرأة من بني حسل من قريش حيث قال: "نحن من قد عرفتم، كنا عبدين فأعتقنا الله، وكنا ضالين فهدانا الله وفقيرين فأغنانا الله، وأنا أخطب على أخي خالد فلانة فإن تُنْكِحوه فالحمد لله، وإن تردوه فالله أكبر"[٣].

وبعد الخطبة قد يُوافَق على الخاطب وقد يرفض طلبه لأسباب كثيرة، منها: الاختلاف حول المهر، ففي الجاهلية خطب تميم الداري[٤] أسماء بنت أبي بكر[٥] إلا أنه أكثر مساومتهم في المهر فلم يزوجوه[٦]. أو لعدم رضا

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٩- ٣٢٠. وانظر أيضًا إشارات أخرى: ابن قتيبة، عيون، ٤٣/٢. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقر المحمودي، ج٣ (ط١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ص١٤- ١٥.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٠.

(٣) ابن قتيبة، عيون، ٧٣/٤.

(٤) تميم الداري هو: تميم بن أوس بن خارجة، ينسب إلى الدار وهو بطن من لخم. صحابي أسلم سنة ٩هـ/ ٦٣٠م. كان يبيع العطر في الجاهلية والإسلام. ابن عبدالبر، ١٨٤/١.

(٥) أسماء بنت أبي بكر الصديق، التيمية القرشية. كانت من السابقات إلى الإسلام، اختلف في سنة وفاتها. ابن الأثير، أسد، ٩/٧- ١٠.

(٦) ابن طيفور، أحمد، بلاغات النساء، تحقيق محمد طاهر الزين (د. ط، مكتبة السندس، الكويت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ص١٧٩.

ولي الأمر عن أخلاق الخاطب، فقد تقدم لعبدالله بن عباس[1] رجل يخطب منه، فأراد اختبار أخلاقه فقال له: "لا أرضاها لك، قال: ولِمَ وفي حجرك نشأت؟ قال: لأنها تتشرف وتنظر. قال: وما هذا؟! فقال ابن عباس: الآن لا أرضاك لها"[2].

وقد يرفض طلبه للرغبة في تزويج البنت من أحد أبناء عمها، فعندما خطب عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم قال له: "إني حبست بناتي على بني جعفر"[3]. وعندما خطب عبدالله بن عمر ابنة نعيم النحام[4] قال له والدها: "لي ابن أخ مضعوف لا يزوجه الرجال فإذا تركت لحمي تربًا فمن يذبُّ عنه؟!"[5]. وعندما خُطِبت ابنة عمر بن الخطاب قال أخوها عبدالله:

(١) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. حبر هذه الأمة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، كان يسمى البحر من كثرة علمه. توفي في الطائف سنة ٦٨هـ/٦٨٧م. ابن سعد، ٣٦٥/٢- ٣٦٦. البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، تحقيق عبدالعزيز الدوري، ق٣، ج٢٨ (د.ط، فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ص٢٧- ٥٤. ابن عنبة، بحر، ورقة ١٠ب. ابن فهد، تحفة، ص١٠٣، ١٠٤، ١٢٤.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ١٦/٤. وانظر أيضًا: المرتضى، علي بن الحسين، أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج١ (ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) ص٢٨٥.

(٣) ابن سعد ، ٤٦٣/٨.

(٤) نعيم النحام بن عبدالله بن أسيد بن عبدعوف، من بني عدي بن كعب من قريش. من أوائل من أسلم، هاجر عام الحديبية سنة ٦هـ/ ٦٢٧م، ومات شهيدًا في معركة اليرموك سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م. ابن سعد، ١٣٨/٤- ١٣٩. ابن الأثير، أسد، ٣٤٦/٥.

(٥) الفاسي، العقد، ٣٤٤/٧ - ٣٤٥.

"ابن عمها أحق بها"[1]. وكذلك الوضع في البادية فقد رفضت الخنساء[2] الزواج من دريد بن الصِّمة[3] قائلة: "لا أدع بني عمي الطِّوال مثل أعالي الرماح وأتزوج شيخًا"[4]. ويرى أحد الباحثين[5] أن المرأة قد تُؤْثر الزواج من بني عمها لأنها أكثر معرفة بشؤونهم من الغرباء وهم أحرص على ستر عيوبها والمحافظة عليها. وعلّل محمد بن بشير الخارجي لابنته سبب تفضيله لابن أخيه زوجًا لها على غيره ممن هم أغنى منه بقوله: "هو ابن عمك وأولى الناس بك"[6]. وقد يكون سبب الرفض اقتصاديًا، كأن تكون ثروته وماله أقل مما يجب، فقد خطب مسافر بن أبي عمرو[7] هند بنت عتبة فلم ترض ثروته وماله[8]. وعندما وافقت عائشة أم المؤمنين على

---

(١) البلاذري، أنساب، ١٣/٥.

(٢) الخنساء هي: تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة، من بني سليم. يقال: إن أهل العلم بالشعر أجمعوا على أنه لم تكن امرأة قبلها أشعر منها، وفدت مع قومها على الرسول ﷺ وأسلمت معهم. توفيت سنة ٢٤هـ/٦٤٥م. ابن قتيبة، الشعر، ص١٦٠. ابن حجر، الإصابة، ٢٨٩/٤. خير الدين الزركلي، ٨٦/١.

(٣) دريد بن الصمة، من جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، من قيس عيلان. أحد المشهورين بالشجاعة والرأي في الجاهلية، قُتِل مشركًا يوم حنين سنة ٨هـ/ ٦٢٩م. ابن قتيبة، الشعر، ص٣٨٦.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ٢٨٧/٤.

(٥) عبدالهادي عباس، ٣٦٨/١.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/ ١٤٠- ١٤١.

(٧) مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبدشمس. كان أحد شعراء قريش، سيدًا جوادًا، وأحد أزواد الركب الذين لا يدعون غريبًا ولا مارًا ولا محتاجًا يجتاز بهم إلا تكفلوا به. الأصفهاني، الأغاني، ٦١/٩.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ٦٢/٩. البقاعي، إبراهيم بن عمر، أسواق الأشواق من مصارع العشاق، (مخطوطة مصورة برقم ٩٤٣/أدب، معهد المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ١١٩أ.

خطبة عمر بن الخطاب لأختها أم كلثوم[1] ما لبثت أن تراجعت عن موقفها معللة ذلك بقولها: "إن هذه جارية حَدَثة وأردت لها ألين عيشًا من عمر"[2]. كما شاهد عمر بن أبي ربيعة[3] بعد أن تاب شابًا قد دنا من شابة فألقى إليها كلامًا وعندما لامه على فعله وطلب منه أن يتزوجها قال له: "أبى عليّ أبوها... يقول: ليس لك مال"[4]. وكذلك كان الوضع في البادية، فقد خطب أحد بني عذرة[5] ابنة عم له، فأبى والدها أن يزوجه إياها لفقره[6]. وخطب مزاحم العقيلي[7] ابنة عم له فرفض طلبه لقلة ماله[8]. وقد يرد الخاطب لعدم رغبة المرأة في الزواج، فقد رفضت فاطمة بنت الحسين خطبة

---

(١) أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق. ولدت بعد وفاة أبيها، أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد، من بني الحارث بن الخزرج. تزوجت طلحة بن عبيدالله، ثم عبدالرحمن بن عبدالله المخزومي. الزبيري، ص٢٧٨.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١٠٣. وانظر أيضًا: ياسين الخطيب، ورقة ٨١ب، ٨٦أ.

(٣) عمر بن أبي ربيعة هو: عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي. أَرَقُّ شعراء عصره، يعد من طبقة جرير والفرزدق. ولد سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب فسمي باسمه. نفاه عمر بن عبدالعزيز إلى دهلك لما بلغه من تعرضه لنساء الحاج والتشبيب بهن. مات شهيدًا سنة ٩٣هـ/ ٧١١م. ابن قتيبة، الشعر، ص٢٧٦. خير الدين الزركلي، ٥/٥٢.

(٤) الجاحظ، المحاسن، ص٣٢٤. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ١٠/١٩٦.

(٥) بنو عذرة بن سعد هذيم بن زيد، بطن من قضاعة من القحطانية. معروفون بشدة العشق. منهم جميل بن معمر وعروة بن حزام. وقد تفرقت عذرة فلم يعد لها اليوم اسم في الحجاز. القلقشندي، نهاية، ص٣٥٩. البقاعي، ورقة ٦ب. عاتق البلادي، قبائل، ص٣٢٤.

(٦) الوشاء، ١/١١٨. وانظر أيضًا: ابن الجوزي، ذم، ص٤١٠- ٤١١، ٥٧٥. الأنطاكي، داود بن عمر، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، ج١ (د. ط، دار مكتبة الهلال، بيروت د. ت) ص١٩٤- ١٩٥.

(٧) مزاحم العقيلي هو: مزاحم بن عمرو بن الحارث بن مصرف بن الأعلم بن خويلد، من بني عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. شاعر بدوي، من شعراء العصر الإسلامي. توفي حوالي سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م. الأصفهاني، الأغاني، ١٩/١٠٤. خير الدين الزركلي، ٧/٢١١.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/١٠٦.

عبدالرحمن بن الضحاك[1] قائلة: "والله ما أريد النكاح. ولقد قعدتُ على بَنِيَّ هؤلاء"[2]. وقد يُرفَض الخاطب لصفات خُلُقية فيه، فقد خطب عمر بن الخطاب أم أبان بنت عتبة[3] فردته قائلة: "لا يدخل إلا عابسًا ولا يخرج إلا عابسًا. يغلق أبوابه ويقل خيره"[4]. وعندما خطبها الزبير بن العوام قالت معللة سبب رفضها له: "يدٌ له على قروني ويدٌ له في السوط"[5]. وقد يرتبط رفض الخاطب بأسباب نفسية، فعندما خطب عبدالملك بن مروان سكينة بنت الحسين قالت أمها الرباب بنت امرئ القيس[6]: "لا والله، لا يتزوجها أبدًا وقد قتل ابن أخي[7] تعني مصعبًا"[8]. وفي البادية رفض أحد بني غطفان[9]

(١) عبدالرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري. والي المدينة في عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك. ابن سعد، ٤٧٤/٨.

(٢) ابن سعد، ٤٧٤/٨. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ١٩٧/٢، ٢٤٥/٨- ٢٤٦. ابن عساكر، علي ابن الحسن، تاريخ مدينة دمشق، (السيرة النبوية)، تحقيق نشاط غزاوي، ق١ (د. ط، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ١٩٨/١ - ١٩٩.

(٣) أم أبان بنت عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف. تزوجت طلحة بن عبيدالله وأنجبت منه. الزبيري، ص١٥٣.

(٤) ابن قتيبة، عيون، ١٧/٤. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ٣٦٨/٩. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق - تراجم النساء - تحقيق سكينة الشهابي (ط١، د. ن، دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م) ص ٤٧٢.

(٥) ابن قتيبة، عيون، ١٧/٤. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ٣٦٨/٩.

(٦) الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب. الزبيري، ص٥٩.

(٧) يبدو أن المقصود ابن أختي فهو أقرب للصحة حيث إن أمه مثلها من بني كعب بن عُليم بن جناب الكلبي. الزبيري، ص٢٣٦.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ١٦٠/١٦.

(٩) بنو غطفان بن قيس عيلان. منازلهم مما يلي وادي القرى وجبلي طيِّئ، ثم تفرقوا في الفتوحات، ويرى أحد الباحثين أن قبيلة مطير اليوم هي بقايا غطفان أو قد تكون بطوناً من غطفان انضمت إلى مطير. القلقشندي، نهاية، ص٣٨٨. عاتق البلادي، قبائل، ص٣٨٢- ٣٨٣.

خطبة ابن أخيه لابنته لكونه مطلوبًا في سائر القبائل بدماء قوم قتلهم[١]. كما اشتهر بين العرب أن لا يُزوج رجل شبَّب بامرأة قبل خطبته لها، أو عُرِف بحبه لها حتى وإن كانت ابنة عم له[٢]، وقد وردت عدة إشارات عن رد خطبة بعضهم لهذا السبب[٣]. ومن ذلك ما رواه محمد بن قيس الأسدي[٤]، قال: "وجهني عامل المدينة إلى يزيد بن عبدالملك[٥] وهو خليفة فخرجت فلما قربت المدينة بليلتين أو ثلاث وإذا أنا بامرأة قاعدة على قارعة الطريق، وإذا رجل رأسه في حجرها... فسلمت فردت ... فقالت: هذا ابني، وكان إلفًا لابنة عم له تَرَبَّيا جميعًا، ثم حُجِبت عنه، فكان يأتي الموضع والخباء، ثم خطبها إلى أبيها فأبى عليه أن يزوجها، ونحن نرى عيبًا أن تزوج المرأة من رجل كان بها مغرمًا ..."[٦]. وقد يكون السبب في رد الخاطب هو عدم الرغبة في تزويج البنت حيث يطلق عليها عند ذلك امرأة معضولة. وقد كان معروفًا عند العرب ومرجعُه في الأغلب الغَيْرة عليهن[٧]. وقد عرف في الحاضرة والبادية، وممن كان يعضل نساءه: عامر بن عبدالله بن الزبير[٨]. وكما جاء في وصية زياد بن

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٤/٥٩.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ٤/١٢٩. الأصفهاني، الأغاني، ٢٤/١٩٩. ابن الجوزي، ذم، ص٥٠٧. ابن فضل الله العمري، ١٠/١٠٣- ١٠٤.

(٣) ابن قتيبة، عيون، ٤/١٢٩. الأصفهاني، الأغاني، ٢/٨٠، ٢٦٦، ٢٤/١٩٨- ١٩٩.

(٤) لم أجد له ترجمة سوى أنه أحد الرواة الذين اعتمد عليهم الطبري في كتابه: تاريخ الرسل والملوك. الطبري، تاريخ، ١٠/٤٠٥.

(٥) يزيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم. تولى الخلافة ما بين ١٠١- ١٠٥هـ/ ٧١٩- ٧٢٣م. الطبري، تاريخ، ٦/٥٧٤- ٥٧٥، ٧/٢١- ٢٢.

(٦) ابن قتيبة، عيون، ٤/١٢٩.

(٧) المرزباني، ص١٥٢.

(٨) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٢٦. البلاذري، أنساب، ٩/٤٥١. وهو عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى. وصف بأنه من أعبد أهل زمانه. الزبيري، ص٢٤٣. ابن قتيبة، المعارف، ص٢٢٦.

أبيه[١] لأبي بردة[٢] عندما ولاه صدقة أسد وغطفان: "ما رأيت من امرأة معضولة فأنخ إبل صاحبها في العطن حتى يُنكِحها كفؤًا ولا يكن كالأعور بن بَشامة[٣] حبس أخته حتى شمطت أصداغها"[٤].

ولكن ما المعايير التي يتم على أساسها قبول الخاطب؟

لا شك أن هناك بعض المعايير التي قد تؤدي إلى الموافقة على الخاطب أو تُرجِّح كفة خاطب على آخر مثل المكانة الاجتماعية، فقد خطب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص[٥] إلى عثمان بن عفان، فطلب مروان من أحدهم أن يحتال له حتى يزوجه عثمان ويرد سعيدًا، فجاء الرجل إلى عثمان وقال له: "يا أمير المؤمنين تركت إماء أهل المدينة يقلن: إن مروان وسعيدًا خطبا إليك، وأنت منكح أشرفهما، وقد شكَّ الناس أيهما أشرف، فدعا مروان فزوجه"[٦].

(١) زياد بن أبيه سُمِّي بذلك لاختلافهم في نسبته إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس، أمه سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفي. ادعاه معاوية وولاه البصرة والكوفة. ولد عام الفتح سنة ٨هـ/ ٦٢٩م. ومات بالكوفة سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢م. ابن سعد، ٩٩/٧- ١٠٠.

(٢) هو أبو بردة بن قيس الأشعري. اسمه عامر بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب. خليفة بن خياط، الطبقات، ١٥٦/١. ابن عبدالبر، ١٨/٤. ابن حجر، الإصابة، ١٨/٤.

(٣) الأعور بن بشامة بن نضلة بن سنان بن جندب، من بني تميم. كان شريفًا في قومه. ابن الأثير، أسد،١/١٢٣- ١٢٤.

(٤) البلاذري، أنساب، ق٤، ١/ ٢٤٠.

(٥) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس القرشي. استعمله عثمان بن عفان على الكوفة، واستعمله معاوية بن أبي سفيان على المدينة، مات سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م. الزبيري، ص١٧٦. الفاسي، العقد، ٥٧١/٤- ٥٧٢. خير الدين الزركلي، ٩٦/٣.

(٦) ابن شبة، ١٠٥٦/٣.

كما خطب الحسن بن علي[1] إلى منظور بن زبان ابنته فقال : "والله إني لأنكحك وإني لأعلم أنك غَلَقٌ[2] طَلَقٌ[3] مَلَقٌ[4] غير أنك أكرم العرب بيتًا وأكرمه نسبًا"[5]. كما كان للمال دور كبير في قبول الخاطب. فقد كان أهل المرأة والمرأة نفسها غالبًا ما يفضلون الرجل الثري على الفقير في الحاضرة والبادية. ومن ذلك أن زينب بنت عثمان بن مظعون[6] رفضت تزويجها من عبدالله بن عمر وقبلت بالمغيرة بن شعبة لأنه أَرْغَبَ لها في المهر[7]. وعندما زوج الرسول ﷺ ابنته فاطمة[8] من علي بن أبي طالب قالت له: "زوجتني من

---

(١) الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. ولد سنة ٣هـ/ ٦٢٤م، تولى الخلافة سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م. ثم ما لبث أن تنازل عنها لمعاوية بن أبي سفيان. توفي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة من الصحابة، تحقيق محمد صامل السلمي، ج١ (ط١، مكتبة الصديق، الطائف ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ص٢٢٥، ٣٥٤. الطبري، تاريخ، ١٥٨/٥- ١٥٩.

(٢) الغلق: ضيق الصدر وقلة الصبر. ابن منظور، ١٠٠٧/٢. وقد وردت هذه الكلمة في رواية ابن سعد، (الطبقة الخامسة) ٢٩٠/١: علق: أي الهوى يكون للرجل في المرأة. ابن منظور، ٨٦٣/٢. ولعل هذا أقرب لصفات الحسن حيث عرف بالحلم وحب النساء. ابن سعد، (الطبقة الخامسة) ٣٠١/١، ٣٥٤.

(٣) طلق: يبدو أن المراد بها كثير التطليق للنساء وإن لم ترد في معاجم اللغة بهذا اللفظ بل ورد مطلاق، ومطليق، وطليق، وطُلقة. ابن منظور، ٦٠٦/٢. الزبيدي، ٩٣/٢٦- ٩٤.

(٤) ملق: الود واللطف الشديد. ابن منظور، ٥٢٧/٣.

(٥) الطبراني، الكبير، ١٤/٣.

(٦) زينب بنت عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي. ابن حجر، الإصابة، ٤٦٤/٢، ٣١٨/٤.

(٧) ابن سعد، ٢٦٩/٨. الدار قطني، علي بن عمر، السنن، تحقيق عبدالله هاشم يماني، ج٣ (د. ط، دار المحاسن للطباعة، القاهرة د. ت) ص٢٣٠.

(٨) فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ولدت قبل البعثة بخمس سنين. وماتت بعد وفاة الرسول ﷺ بستة أشهر أي سنة ١١هـ/ ٦٣٢م. ابن الأثير، أسد، ٢٢٠/٧، ٢٢٥. ابن المبرد، ص٥٧.

عائل لا مال له"[١] وفي رواية أخرى: "زوجتني من رجل فقير ليس له شيء"[٢]. وعندما خطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت أبي بكر قالت لأختها عائشة أم المؤمنين: "تزوجيني عمر وقد عرفت غيرته وخشونة عيشه، إنما أريد فتى من قريش يصب عليَّ الدنيا صباً"[٣]. وعندما تأيمت[٤] أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب دخل عليها أخواها الحسن والحسين فقالا لها: "إنك من عرفت سيدة نساء المسلمين، وبنت سيدتهن. وإنك والله لئن أمكنت عليًا من ذمتك لينكحنك بعض أيتامه، ولئن أردت أن تصيبي بنفسك مالاً عظيمًا لتصيبنه". فعندما طلب منها أبوها أن تجعل أمرها في يده قالت: "أي أَبَهْ، والله إني لامرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء، فأنا أحب أن أصيب ما يصيب النساء من الدنيا"[٥]. وفي البادية أيضًا إشارات تدل على ذلك فقد زوجت عفراء بنت عقال[٦] من رجل من أهل الشام لأنه عرف بثروته العظيمة فيما رفض تزويجها من ابن عمها عروة بن حزام[٧] لفقره[٨]. كما أن عقيل بن علفة عندما زوج ابنته من

---

(١) الطبراني، الكبير، ٩٤/١١.

(٢) الطبراني، الكبير، ٩٤/١١. وانظر أيضًا: السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، مسند فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها، تحقيق الحافظ عزيز بيك (ط١، المطبعة العزيزية، حيدر آباد ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص٦٠.

(٣) ابن عبدالبر، ٢٧٣/٤. وانظر أيضًا: ياسين الخطيب، ورقة ٦٨ب.

(٤) تأيمت أي كان لها زوج فمات عنها. وهي تصلح للزواج مرة ثانية لكونها لا تزال شابة. ابن منظور، ١٤٥/١.

(٥) الدولابي، الذرية، ص١١٧.

(٦) عفراء بنت عقال بن مهاصر، من بني حزام بن ضبّة بن عبد بن كبير بن عُذرة. الأصفهاني، الأغاني، ١٢٣/٢٤- ١٢٤.

(٧) عروة بن حزام بن مهاصر، من بني حزام بن ضبّة بن عبد بن كبير بن عُذرة. شاعر إسلامي، يعد أحد العشاق الذين قتلهم العشق، توفي نحو ٣٠هـ/ ٦٥٠م. ابن قتيبة، الشعر، ص٣١٣. الأصفهاني، الأغاني، ١٢٣/٢٤. خير الدين الزركلي، ٢٢٦/٤.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ١٢٤/٢٤- ١٢٦.

يحيى بن الحكم[1]، قال له يحيى: "أما والله لأملأنك مالاً وشرفًا". فرد عليه عقيل قائلاً: "أما الشرف فقد حملت ركائبي منه ما أطاقت ... ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاح الأيم ورضا الأبي"[2].

أما المظهر الخارجي للخاطب فلا شك أنه من الأمور التي تهتم بها بعض النساء، ومن ذلك أن رسول الله ﷺ عرض التزويج على شخص يدعى جُليبيبًا[3] يتصف بالدمامة والقصر قال: "إذن تجدني يا رسول الله كاسدًا". وعندما أرسله الرسول ﷺ إلى أسرة من الأنصار ليخطب ابنتهم كرهوا ذلك لولا رضا البنت وتسليمها بما يرضى به رسول الله ﷺ[4]. كما كان عمر بن الخطاب يقول: "لا تُكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فإنهن يحببن ما تحبون"[5].

يبدو أن رفض الخاطب كان يؤدي إلى بعض المشكلات الاجتماعية، خاصة إذا كان الخاطب صاحب مكانة سياسية. فقد خطب زياد بن أبيه أخت سعيد بن العاص فرده سعيد وكان ذلك بعد أن استلحقه معاوية بن أبي سفيان بنسبه فشكاه زياد إلى معاوية فانتقم منه بإقطاع زياد الرحبة المقابلة لدار سعيد فَسَدَّ بذلك وجه الدار ولم يترك له سوى ثلاثة أذرع لا تُمكِّنه حتى من إدخال حمل حطب[6].

---

(١) يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس. عم الخليفة عبدالملك بن مروان، ولاه ولاية المدينة سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م. الزبيري، ص١٥٩. خليفة بن خياط، تاريخ، ٣٨٣/١. الطبري، تاريخ، ٢٠٢/٦.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٣٠٦/١٢.

(٣) جليبيب أحد صحابة رسول الله ﷺ قتل شهيدًا. ابن عبدالبر، ٢٥٦/١- ٢٥٧.

(٤) الصنعاني، ١٥٥/٦ - ١٥٦. ابن عبدالبر، ٢٥٦/١.

(٥) ابن حبيب، أدب، ص١٨٥ وانظر أيضًا: ابن شبة، ٧٦٩/٢. ابن قتيبة، عيون، ١١/٤. وانظر مثالاً آخر: البلاذري، أنساب، ج٤، ٦٩/٢.

(٦) الأزرقي، محمد بن عبدالله، أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحس، ج٢ (ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢٣٩.

ومن ذلك أيضًا ما فعله الخليفة يزيد بن معاوية[1] بإسحاق بن طلحة[2] الذي فضَّل عليه الحسن بن علي بن أبي طالب زوجًا لأخته أم إسحاق[3] فقد أوصى مسلم بن عقبة[4] عندما وجهه لأهل المدينة أن يقتل إسحاق، وعندما لم يظفر به هدم منزله[5]. أما إن كان الخاطب المرفوض شاعرًا فالهجاء هو الوسيلة الوحيدة التي يرد بها مكانته، ومن هؤلاء سالم بن مسافع[6] الذي خطب من بني فزارة[7] فردوه وطردوه فهجاهم[8]. وقد يؤدي الهجاء الهدف المطلوب منه، فقد يوافق أهل المرأة على خطبته منهم ويزوجونه حتى يثبتوا عكس ما جاء في

---

(١) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي. تولى الخلافة ما بين ٦٠- ٦٤هـ/ ٦٧٩-٦٨٣م. الطبري، تاريخ، ٣٣٨/٥، ٤٩٩.

(٢) إسحاق بن طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو التيمي القرشي. الزبيري، ص٢٨٠- ٢٨٢.

(٣) أم إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو التيمية القرشية. الزبيري، ص٢٨٠-٢٨٢.

(٤) مسلم بن عقبة بن رياح بن أسعد بن ربيعة المري. يلقب بمسرف لأنه أسرف في القتل يوم الحرة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م. ابن حزم، ص ٢٥٤.

(٥) الزبيري، ص٢٨٢. الزبير بن بكار، جمهرة، ١١٨/٢أ. وانظر أيضًا إشارة أخرى: البلاذري، أنساب، ٢٤٨/٨- ٢٤٩.

(٦) سالم بن مسافع هو أحد بني عبدالله بن غطفان. يعرف بسالم بن دارة، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، قتل في خلافة عثمان بن عفان. ابن شبة، ١٠٥٧/٣، ١٠٦١. ابن حزم، ص٢٤٩.

(٧) بنو فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. كانت ديارهم مع قومهم غطفان تمتد من قرب الجناب شمال الحجاز إلى أبانين في القصيم ثم نزحوا إلى مصر والشام ولم تعد معروفة في الحجاز. القلقشندي، قلائد، ص١١٣. عاتق البلادي، قبائل، ص٤٠٠. عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج٣ (ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص٩١٨.

(٨) ابن شبة، ١٠٥٧/٣.

شعره، ومن ذلك ما حصل مع حسان بن ثابت الذي خطب امرأة من أسلم(١) فردوه فقال عن أهلها:

مَنَازِيحُ عن فِعْلِ الكِرامِ مَسَارِعٌ   إلى اللُّؤم أنْذالٌ ثُمَادٌ بُحُورُهَا

قِصَارٌ مَسَاعِيها تَظَلُّ كِلابُهَا   إذا ضَافَ ضَيْف مُسْتَحِثاً هريرُهَا

فعدلوا عن رفضه وزوجوه(٢).

تربط الشريعة الإسلامية قبول الخاطب بموافقة المرأة عليه سواء كانت بكرًا أو ثيبًا. قال ﷺ : "لا تُنكح الأيم(٣) حتى تُستأمر(٤). ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن". قالوا يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال: "أن تسكت"(٥). وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: "الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستأذن في نفسها، وإذنها صماتها"(٦).

(١) تعددت القبائل المعروفة بأسلم. انظر: ابن حبيب، محمد، مختلف القبائل ومؤتلفها، تحقيق إبراهيم الأبياري (د. ط، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، مصر وبيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص٢٧. عاتق البلادي، قبائل، ص١٨- ١٩. والمقصود هنا من تقع منازلهم بين قديد وعسفان. حسان بن ثابت، ص٣٥٤.

(٢) حسان بن ثابت، ص٢٥٤، ٢٥٥. الأصفهاني، الأغاني، ١٧٢/١٧.

(٣) الأيم هي الثيب التي فارقها زوجها بموت أو طلاق. ابن حجر، فتح، ١٩٢/٩.

(٤) "أصل الاستئمار طلب الأمر، والمعنى لا يعقد عليها حتى يطلب الأمر منها". ابن حجر، فتح، ١٩٢/٩.

(٥) البخاري، صحيح، ١٣٥/٦. مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ج٢ (د. ط، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص١٠٣٦.

(٦) مالك، ٣/٢. وانظر أيضًا: ابن أبي شيبة، مسند، ٢٧٨/٢. ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال الحوت، ج٣ (ط١، دار التاج، بيروت ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ص ٤٥٨- ٤٥٩. مسلم، ١٠٣٧/٢. الطبراني، الكبير، ١٠٨/١٧.

إن هذا التشريع الإسلامي يجعلنا نطرح تساؤلين:

- هل هذا التشريع مُستحدث أم عُرِف في العصر الجاهلي؟
- ما مدى نجاح تطبيقه في المجتمع الحجازي خلال مدة الدراسة؟

يبدو أن العرف الذي كان سائدًا في المجتمع الجاهلي يفرض على البنت التي لم يسبق لها الزواج الخضوع لرأي وليها، ولم يكن لها حق في أن تعارضه. ومن ذلك قول هند بنت عتبة لأبيها بعد طلاقها من زوجها الأول[1]: "إنك زوجتني ولم تشاورني"[2]. أما من سبق لهن الزواج فقد كان حق الاختيار في يدهن، وفي قول هند بنت عتبة بعد طلاقها ما يعطي دلالة على هذا التصور، فقد قالت لأبيها عتبة بن ربيعة: "إني امرأة قد ملكت أمري فلا تزوجني رجلاً حتى تعرضه عليَّ"[3]. فقولها قد يعطي دلالة على أن المرأة كانت تزوج دون الرجوع إلى رأيها، أما بعد طلاقها فلها الحق في إبداء الرأي[4]. ويقال عنها إنها امرأة ملكت أمرها[5].

أما عن مدى نجاح تطبيقه في المجتمع الحجازي خلال مدة الدراسة فتدل الشواهد التاريخية على تطبيقه في عهد الرسول ﷺ، وكان هو أول من طبقه. فقد وردت عدة روايات عن أسلوبه ﷺ في استئذان بناته، منها الطريقة

---

(١) تزوجت هند بنت عتبة حفص بن المغيرة بن عبدالله بن عمر المخزومي ثم خلفه عليها أبو سفيان بن حرب. الزبيري، ص١٥٣. ابن عساكر، تاريخ - تراجم - ص٤٣٨.

(٢) ابن عساكر، تاريخ - تراجم - ص٤٤١.

(٣) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي، ج٢ (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ص١٠٤. وانظر أيضًا: ابن عساكر، تاريخ - تراجم، ص٤٤٢.

(٤) البلاذري، أنساب، ق٤، ٧/١.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ٢٨٦/٤.

المباشرة، فعندما خطب علي بن أبي طالب فاطمة قال لها ﷺ : "إن عليًا يذكرك فسكتت فزوجها"[١]. ومنها الطريقة غير المباشرة، كأن يجلس قرب خِدْرِها[٢]، ويقول: "إن فلانًا يذكر فلانة فإن تكلّمت وعرّضت[٣] لم يزوجها، وإن هي صمتت زوجها"[٤]. وفي رواية أخرى: "فإن طعنت[٥] في الحائط لم يزوجها وإن لم تطعن في الجدار أنكحها"[٦]. ورَدَّ ﷺ زواج الخنساء بنت خذام[٧] عندما زوجها أبوها وهي كارهة[٨]. كما روي أن فتاة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: "إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته[٩]. قال: فجعل الأمر إليها. فقالت: قد أجزت ما صنع أبي ولكني أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء"[١٠]. وقد استغلت بعض النساء هذا التشريع في تفضيل خاطب على آخر فقد تزوج عبدالله بن عمر زينب بنت عثمان بن مظعون بعد وفاة أبيها، وقد زوجه إياها عمها قدامة بن مظعون[١١]، وقبل الدخول خطبها

---

(١) ابن سعد، ٢٠/٨. وانظر أيضًا: الدولابي، الذرية، ص٦٤.

(٢) "الخدر: ستر يمد للجارية في ناحية البيت ثم صار كل ما واراك من بيت ونحوه خدرًا". ابن منظور، ٧٩٦/١.

(٣) "التعريض: خلاف التصريح، يقال: عرَّضت بفلان ولفلان، إذا قلت قولاً وأنت تعنيه"، الزبيدي. ٤١٢/٨.

(٤) ابن الأثير، أسد، ٣٢٣/١.

(٥) طعنت أي بإصبعها ويدها. ابن منظور، ٥٩٦/٢.

(٦) الطبراني، الكبير، ٣٥٥/١١.

(٧) الخنساء بنت خذام بن خالد الأنصارية، من بني عمرو بن عوف. ابن حجر، الإصابة، ٢٨٦/٤.

(٨) البخاري، صحيح، ١٣٥/٦. ابن ماجه، ٣٤٥/١. الطبراني، الكبير، ٣٥٥/١١، ٢٥٧/٢٣، ٢٥١/٢٤. ابن عبدالبر، ٢٩٥/٤.

(٩) "يقال: رفع الله خسيسة فلان إذا رفع حاله بعد انحطاطها". ابن منظور، ٨٣٠/١.

(١٠) ابن ماجه، ٣٤٥/١. وانظر أيضًا: الدار قطني، ٢٣٢/٣- ٢٣٣.

(١١) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي. أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، مات حوالي سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م. ابن حجر، الإصابة، ٢٢٨/٣- ٢٢٩.

المغيرة بن شعبة وأرغب لهم في المهر فشجعت الأم ابنتها على رد نكاح عبدالله ابن عمر، مما يدل على أنه تم دون استشارتها وأعلمت الرسول ﷺ فرد نكاحها وتزوجها المغيرة[١]. وعلى الرغم من ذلك نجد حديثًا للرسول ﷺ جاء فيه: "أيما امرأة زوجها وليَّان فهي للأول منهما"[٢]. ويستدل من هذا الحديث أن المرأة قد تزوج دون استشارتها، ويبدو أن ذلك يتم إن أجازته المرأة.

أما في عصر الخلفاء الراشدين فقد كان وضع المرأة الثيب[٣] واضحًا، حيث من حقها قبول المتقدم لخطبتها أو رفضه[٤]، أما البكر فلم نجد ما يدل على استشارتها، وفي الوقت نفسه لا نجد ما يدل على رفضها لنكاح وافق عليه وليها. ولتوضيح هذا نطرح بعض الأمثلة التي عاصرت الخليفتين: عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان فقد خطب الخليفة عمر بن الخطاب من علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم وقال له: "أنكحنيها يا علي ... فقال علي: قد فعلت فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين ... فقال: رفئوني[٥] فرفؤوه وقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ قال: بابنة علي بن أبي طالب"[٦]. وعرض الخليفة عمر بن الخطاب أم عمرو بنت جنيدب الدوسي[٧] على جمع من قريش، فخطبها

---

(١) ابن سعد، ٢٦٩/٨. ابن حجر، الإصابة، ٢٢٨/٣، ٣١٨/٤.

(٢) الطبراني، الكبير، ٢٠٢/٧- ٢٠٣.

(٣) الثيب هي من تزوجت ثم مات عنها زوجها أو طلقت منه. ابن منظور، ٣٨٨/١.

(٤) ابن قتيبة، عيون، ١٧/٤.

(٥) رفئوني مشتقة من قولهم للمُمَلك في الجاهلية: بالرفاء والبنين. ومعنى الرفاء: "الموافقة والملاءمة من قولك: رفأت الثوب إذا لأمت خرقه". العسكري، ١٦٩/١. الخويي، ص٩١. ابن منظور، ١١٩٤/١.

(٦) ابن سعد، ٤٦٣/٨. وانظر أيضًا: الزبيري، ص٣٤٩.

(٧) أم عمرو بنت جنيدب بن عمرو بن حممة الدوسي، شارك والدها في فتوحات بلاد الشام واستشهد هناك في خلافة عمر بن الخطاب. ابن شبة، ٩٨٢/٣.

عثمان بن عفان ودفع مهرها، فدخل الخليفة عمر بيته واستدعاها وقال لها: "ابسطي حبوتك فبسطت مقدم ثوبها فنثر فيه الدراهم وقال: ... هذا صداقك من عثمان بن عفان، فنثرتها وقالت: واسوأتاه"[1]. مما يدل على أنها لم تكن تعلم بأمر الخطبة ولم تستأذن فيها. كما مر الخليفة عثمان بن عفان على مجلس لبني مخزوم[2] فقال: "لا أجد بعد عشيرتي أحب إليّ منكم...، فقال رجل: "يا أمير المؤمنين فأنكحنا إذن. قال: فنظر إلى عبدالرحمن بن الحارث بن هشام[3] فقال: إن خطب إليَّ هذا أنكحته. قال: فخطب إليه فزوجه من ساعته مريم بنت عثمان"[4].

اتفقت الروايات السابقة على أربعة أمور:

- أنها تمت في العصر الراشدي.
- أن المرأة فيها كانت بكرًا.
- أن مبدأ الاستئمار قبل التزويج لم يكن واضحًا.
- أن الزواج قد تم فعلاً دون معارضة من قبل المرأة.

ولهذا وعلى ضوء ما اعتمدنا عليه من مصادر لا نستطيع أن نجزم بأن البكر في العصر الراشدي كانت تستأذن من قبل وليها قبل التزويج. ومن المرجح أن هذا الوضع استمر في العصر الأموي[5]، ومن ذلك تزويج عبدالله

(١) ابن شبة، ٣/٩٨٢- ٩٨٣.

(٢) بنو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، بطن من قريش. الزبيري، ص٢٩٩. عاتق البلادي، قبائل، ص٤٧٥.

(٣) عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. الزبيري، ص٣٠٣.

(٤) ابن شبة، ٣/١٠٥٦. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ١٠/١٧٦.

(٥) وانظر: محمد ضيف الله بطاينة، الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام، (ط١، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) ص١٤.

ابن الزبير ابنته أم حكيم[١] لابن أخيه عبدالله بن عروة بن الزبير[٢] فقد عرض عليه أن يزوجه ابنته وعندما وافق دخل به المسجد وحمد الله وأثنى عليه وزوجه دون أن يعرض الأمر على ابنته أولاً[٣]. كما أن ما ذكر عن تزويج أم إسحاق بنت طلحة يدل على ذلك فقد زوَّجها أخوها عيسى[٤] من يزيد بن معاوية، فيما زوجها أخوها إسحاق من الحسن بن علي. ولم يذكر المصدر الذي أورد هذه الرواية موقف أم إسحاق من هذا الزواج[٥]. كما أن المغيرة ابن عبدالرحمن بن الحارث[٦] زوَّج أخته زينب[٧] من يحيى بن الحكم عندما قدم عليه في أيلة[٨] دون أن يرد في مصدر الرواية ما يدل على أن زينب قد استُشيرت في هذا الزواج على الرغم من أنها كانت ثيبًا[٩]. كما

(١) أم حكيم بنت عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى. الزبير بن بكار، جمهرة، ١/ ٢٦٥.

(٢) عبدالله بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى. وصفه الزبير بن بكار بأنه كان "مصلحًا مثمرًا للمال، وكان يبذله في حقه، ويرغب في الأجر وحسن الذكر". جمهرة، ٢٦٧/١.

(٣) الزبير بن بكار، جمهرة، ٢٦٤/١- ٢٦٥.

(٤) عيسى بن طلحة بن عبيدالله بن عثمان بن عمرو التيمي القرشي. الزبيري، ص٢٨٧.

(٥) الزبيري، ص٢٨٢.

(٦) المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. الزبيري، ص٣٠٥.

(٧) زينب بنت عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. كانت تسمى من حسنها: الموصولة "لأن كل إرب منها كأنما حسن خلقه، ثم وصل إلى الإرب الآخر". الزبيري، ص٣٠٧.

(٨) أيلة "مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام". ياقوت، البلدان، ٢٩٢/١. وتعرف اليوم باسم العقبة ميناء المملكة الأردنية الهاشمية على رأس خليج العقبة. عاتق البلادي، المعالم، ص٣٥.

(٩) الزبيري، ص٣٠٧. ابن الجوزي، ذم، ص٣٥١.

قال أحدهم: "كنت أجالس سعيد بن المسيب[١] ففقدني أيامًا فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي... ثم قال: هل استحدثت امرأة؟ فقال: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتفعل؟ قال: نعم، ثم تحمد وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين - أو قال ثلاثة - فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح"[٢]. ومن المرجح أن هذا الوضع كان شائعًا في ذلك الوقت فقد أرسل معاوية بن أبي سفيان أحدهم إلى الحسن بن علي يخطب ليزيد ابنته أو أخته، فقال للرسول: "إنا قوم لا نزوج نساءنا حتى نستأمرهن"[٣]. ولا شك أن قوله هذا يعطي دلالة على أن هناك من يزوج نساءه دون استئمار. كما أن قول أم القاسم بنت جعفر بن أبي طالب[٤] بعد وفاة زوجها يعطي أيضًا الدلالة نفسها، حيث جمعت رجلين من قريش ورجلين من الأنصار وقالت لهم: "إني قد تأيمت كما ترون وإني مشفقة من الأولياء أن ينكحوني من لا أريد نكاحه، إني أشهدكم أني من أُنْكِحتُ من الناس بغير إذني فإني عليه حرام ولست له بامرأة"[٥]. ويرجح شيوع هذا الوضع موافقة بعض

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي. ولد في أوائل خلافة عمر بن الخطاب، يعد عالم أهل المدينة، توفي فيها سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م. ابن سعد، ٢/٣٧٩- ٣٨٤. الذهبي، ٤/٢١٧، ٢٤٥.

(٢) الذهبي، ٤/٢٣٣.

(٣) الطبراني، الكبير، ٣/٨٢.

(٤) أم القاسم بنت جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم. لم يرد لها ذكر في كتب النسب على أنها من ذرية جعفر. الزبيري، ص٨٢. ويرجح ابن حجر في الإصابة، ٤/٤٨٥ أنها قد تكون فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ٤/٤٨٥.

فقهاء المدينة عليه[1] فهم يرون أن من حق الأب أن يزوج ابنته البكر دون إذن منها[2].

قد تشترط قبيلة المرأة أو المرأة نفسها أو أهلها شروطًا معينة قبل الموافقة على الخطبة.

وقد وضح ذلك طوال مدة الدراسة تقريبًا، ولا شك أن ذلك يعد استمرارًا لما كان في العصر الجاهلي، فمن شروط القبيلة أن قريشًا إذا زوجت غريبًا امرأة منهم اشترطوا عليه أن كل من ولدت فهو على دينهم أحمسي[3]، ومن الجدير بالذكر أن هذه الرواية هي الوحيدة التي أشارت إلى شروط للقبيلة، ومن المرجح أن هذا الأمر لم يكن له استمرارية. أما المرأة فقد اشترطت سلمى بنت عمرو بن زيد ألا تتزوج إلا من يجعل أمر بقائها أو طلاقها بيدها[4]،

(١) أمثال سالم بن عبدالله (ت ١٠٦هـ/٧٢٤م) وسليمان بن يسار (ت ١٠٧هـ/٧٢٥م). والقاسم بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٧هـ/ ٧٢٥م). وأيَّدهم في ذلك الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م). مالك، ٣/٢. ابن أبي شيبة، المصنف، ٤٥٩/٣.

(٢) مالك، ٣/٢. أما ما ذكرته احدى الباحثات في ردها على أحد الباحثين من أن كون أهل البكر كانوا ينوبون عنها عند تزويجها بأنه أمر لا أساس له من الصحة معتمدة في ذلك على طرح بعض الأمثلة لنساء كن يستشرن وأخريات كن يشترطن فلا يمكن التسليم بصحته هو أيضًا لأن جميع الإشارات التي اعتمدت عليها هي لنساء سبق لهن التزويج. انظر: إلهام أحمد البابطين، الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ص١٤٦.

(٣) ابن العربي، محمد بن علي، محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، تحقيق محمد مرسي الخولي، ج١ (د. ط، دار الكتاب الجديد، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص٣٥٧.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٤٧/١٥. حمزة بن الحسن الأصفهاني، الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، تحقيق عبدالمجيد قطامش، ج١ (د. ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م) ص٢٢٥. الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ج١ (ط٣، دار الفكر، د. م ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م) ص٣٤٨.

وخطب عمارة بن الوليد[١] امرأة فاشترطت عليه أن يترك الشراب والزنا[٢]. واشترطت ماوية بنت عفزر على حاتم الطائي أن يطلق امرأته إن أراد الزواج منها[٣]. وفي عصر الرسول ﷺ شرطت أم سمرة بن جندب[٤] على من يريد أن يتزوجها أن ينفق على ابنها سمرة حتى يبلغ[٥]. كما شرطت إحداهن على من خطبها أن لا ينقلها من دارها وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[٦]. وشرطت عاتكة بنت زيد[٧] على عمر بن الخطاب أن لا يضربها ولا يمنعها من الصلاة في المسجد النبوي. كما شرطت على الزبير بن العوام مثل ذلك[٨]. وفي العصر الأموي شرطت رملة بنت الزبير[٩] على خالد بن يزيد[١٠] أن

---

(١) عمارة بن الوليد بن المغيرة، من بني مخزوم. أحد أزواد الركب في الجاهلية الذين لا يمر عليهم أحد إلا أحسنوا ضيافته، كان أحد فتيان قريش جمالاً وشعرًا. الزبيري، ص٣٢٢. الأصفهاني، الأغاني، ١٢٧/١٨.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٢٨/١٨.

(٣) أبو علي القالي، ذيل، ص ١٥٤.

(٤) سمرة بن جندب بن هلال بن حريج بن مرة بن حزن، من بني فزارة بن ذبيان من غطفان. قدمت به أمه المدينة بعد موت أبيه، فتزوجت رجلاً من الأنصار يدعى سُرَّى بن سنان بن ثعلبة. فكان سمرة في حجره حتى كبر. ثم سكن البصرة، توفي حوالي سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م. ابن الأثير، أسد، ٤٥٤/٢- ٤٥٥.

(٥) ابن الأثير، أسد، ٣٤٧/٧.

(٦) ابن حجر، فتح، ٢١٧/٩.

(٧) عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، من بني عدي بن كعب من قريش. تعد من نساء قريش المردفات. المدائني ٦٨/١- ٧١. ابن حجر، الإصابة، ٣٥٦/٤.

(٨) ابن حجر، الإصابة، ٣٥٧/٤.

(٩) رملة بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى، من قريش. الزبيري، ص٢٣٦.

(١٠) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. وصف بالعلم وقول الشعر. الزبيري، ص١٢٨- ١٢٩.

يطلق نساءه إن أراد الزواج منها[1]. كما شرطت إحداهنّ على محمد بن بشير الخارجي أن يطلق امرأته قبل أن يتزوجها[2]. كما شرطت امرأة الأحوص[3] عليه أن لا يمنعها من أحد من أهلها[4]. وشرطت سكينة بنت الحسين على زوجها زيد بن عمرو بن عثمان[5] ألا يطلقها ولا يمنعها شيئًا تريده وأن يقيمها حيث خُلَّتها[6] أم منظور ولا يخالفها في أمر تريده، ولا يتزوج عليها ولا يتسرى ولا يُلمَّ بنسائه وجواريه إلا بإذنها[7]. كما شرطت ابنة محمد بن عروة بن الزبير[8] على زوجها أن "عطاءه ما عاشت وغلة أرضه وبُضع بناته إليها تُزوِّجهن من شاءت. ولا يُغيِّر عليها فإن فعل فأمرها بيدها"[9]. كما شرطت زينب بنت عبدالرحمن أن لا تتزوج إلا من

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، (د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص٢٠٧. الكسائي، ورقة ١٦٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١٦٠.

(٣) الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت الأنصاري. شاعر اشتهر بالغزل والفخر والمديح. عده الجمحي في الطبقة السادسة من الشعراء الإسلاميين. محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، ج٢ (ط٢، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٤م) ص٦٤٨. ابن قتيبة، الشعر، ص ٢٦٢. خير الدين الزركلي، ٤/١١٦.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٥/٢٨٣- ٢٨٤.

(٥) زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية. الزبيري، ص٥٩.

(٦) الخُلة: الصديق ذكرًا كان أم أنثى. ابن منظور، ١/٨٩٤.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١٦٢- ١٦٣، ١٩/١٧٥. ابن فضل الله العمري، ١٠/١٢٩.

(٨) ابنة محمد بن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد، من قريش من أسد بن عبدالعزى. الزبيري، ص٢٤٦.

(٩) المدائني، ١/٨١. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ٩/٤٤٥.

يغني أخاها المغيرة[1]. ومن شروط الأهل ما اشترطه عمرو بن زيد[2] على هاشم بن عبدمناف أن لا تلد ابنته إلا عند أهلها[3]. كما شرط الرسول ﷺ على علي بن أبي طالب أن يحسن صحبة فاطمة[4]. وشرط عمرو بن عبدالله بن صفوان[5] على الخليفة سليمان بن عبدالملك[6] أن يخطب منه ابنته في بيته ويفرض له ويقضي عنه. وعندما وافق زوَّجه[7]. كما شرط القاسم بن عبدالله بن عمرو[8] على الخليفة هشام بن عبدالملك ليزوجه ابنته أن يقضي دينه، ويأمر له بعشرة آلاف درهم، ومثلها لأخيه وأخته[9]. ولعل هذا الوضع استمر في العصر العباسي، وإن لم أجد إشارات تدل على ذلك.

هذا هو الأسلوب الذي كان سائدًا في مراسم الخطبة والمتعارف عليه خلال تلك المدة، إلا أن هذا الوضع لا يمنع من ظهور بعض الحالات التي يختلف فيها الأمر عن المألوف، ومن ذلك:

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٢٩٦/١٦.

(٢) عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، من الخزرج. الزبيري، ص١٥.

(٣) البلاذري، أنساب، ٦٤/١.

(٤) الطبراني، الكبير، ٤٠/٤.

(٥) عمرو بن عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي المكي. الفاسي، العقد، ٤٠٦/٦.

(٦) سليمان بن عبدالملك بن مروان بن الحكم. تولى الخلافة ما بين ٩٦ - ٩٩هـ/ ٧١٤ - ٧١٧م. الطبري، تاريخ، ٥٠٥/٦، ٥٦٤.

(٧) الفاسي، العقد، ٤٠٨/٦.

(٨) القاسم بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان. أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب. توفي في خلافة هشام بن عبدالملك. البلاذري، أنساب، ٣٨٦/٨.

(٩) البلاذري، أنساب، ٣٨٦/٨.

- أن ولي الأمر قد يكون له دور في اختيار الزوج. فقد اختار النعمان ابن أبي الجون[1] الرسول ﷺ قائلاً له: "كانت أسماء تحت ابن عم لها هلك عنها وقد رغبت فيك وخطبت إليك"[2]. كما أن الخليفة عثمان بن عفان اختار عبدالرحمن بن الحارث بن هشام زوجًا لابنته مريم[3].

- أن ولي الأمر قد يعمد إلى ذكر المرأة أمام الرجل بغية الحصول على زوج لها فقد ذكر عمر بن الخطاب أم عمرو بنت جنيدب الدوسي لجمع من قريش، فتزوجها عثمان بن عفان[4].

- أن بعض النساء كن يَخْطِبن لأنفسهن، فقد أرسلت خديجة بنت خويلد[5] إلى رسول الله ﷺ قائلة: يا ابن عمٍّ إني قد رغبت فيك[6].

(١) النعمان بن أبي الجون الأسود بن شراحيل بن حجر بن معاوية الكندي. قدم على رسول الله ﷺ فأسلم. ابن حجر، الإصابة، ٣/٥٦٠.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ٣/٥٦٠.

(٣) الزبيري، ص ١١١.

(٤) ابن شبة، ٣/٩٨٢.

(٥) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب. أم المؤمنين، توفيت قبل الهجرة بخمس سنوات. أبو عبيدة، أزواج، ص ٥٧. الزبيري، ص ٢١.

(٦) ابن سعد، ٨/١٦. الزبير بن بكار، أزواج، ص ٢٤.

ثانيًا - شروط إتمام الزواج:

بعد أن تُختار الزوجة ويوافق على الخطبة تبدأ مرحلة إتمام الزواج. ولا يتحقق ذلك إلا باتخاذ الأمور الآتية:

- العقد:

ويطلق عليه أيضًا الإملاك، وهو أهم خطوة في مرحلة إتمام الزواج، ويثبت من خلالها حقوق كل طرف على الآخر. ومن الجدير بالذكر هنا أنه ليس هناك سن محددة لعقد زواج البنت أو الفتى، فكثيرًا ما كان يتم العقد في سن مبكرة، وقد عرف ذلك في الجاهلية واستمر في الإسلام، ففي العصر الجاهلي كان الفرق في العمر بين عمرو بن العاص[١] وابنه عبدالله[٢] اثنتي عشرة سنة[٣]. وهذا يدل على زواجه إذ كان عمره حوالي إحدى عشرة سنة. وبعد ظهور الإسلام عقد الرسول ﷺ على أم المؤمنين السيدة عائشة وهي ابنة سبع سنين[٤].

---

(١) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو القرشي. أسلم قبل الفتح سنة ٨هـ/ ٦٢٩م، وقيل قبل ذلك، تولى إمارة مصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وبعضًا من خلافة عثمان بن عفان، وخلافة معاوية بن أبي سفيان حتى توفي سنة ٤٣هـ/٦٦٣م. ابن حجر، الإصابة، ٣/٢-٣.

(٢) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو القرشي. أسلم قبل أبيه، كان عالمًا فاضلاً، شهد فتح الشام مع أبيه، وتوفي سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م بمصر. ابن الأثير، أسد، ٣/٣٤٩- ٣٥٠.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٩٢. ابن عبدالبر، ٢/٣٤٧. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٥٢.

(٤) أبو عبيدة، أزواج، ص٦٢-٦٣. ابن سعد، ٨/٥٩. ابن أبي خيثمة، أحمد بن زهير، أخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة، تحقيق إسماعيل حسين (ط١، دار الوطن، الرياض ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ص١٩٦. ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد، العيال، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف، ج٢ (ط١، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص ٧٥٥- ٧٥٦. الطبري، تاريخ، ٢/٣٩٩.

وزَوَّج الرسول ﷺ أمامة بنت حمزة(١) من سلمة بن أبي سلمة وهما صغيران(٢). كما عقد قدامة بن مظعون زواجه على ابنة الزبير بن العوام يوم وُلِدت(٣). وزوَّج علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب وهي صغيرة(٤). ويرى الإمام مالك(٥) أنه لا يجوز أن يزوج الصغيرة إلا أبوها، أما الأولياء أو الأوصياء فلا يجوز لهم تزويجها في هذه السن(٦). وفي ذلك دلالة على استمرار تزويج الصغيرات حتى عصر الإمام مالك أي حتى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وبالإضافة إلى ما تعطيه هذه الأمثلة من دلالة على صغر سن البنت أو الفتى عند الزواج فإنها تشير أيضًا إلى تقبل المجتمع الإسلامي لتفاوت السن الكبير بين الزوجين، وقد وضح ذلك في العصر الجاهلي أيضًا فقد تزوج عبدالله بن جدعان من ضباعة بنت عامر بن قرط(٧) وهو شيخ كبير وهي امرأة شابة(٨). ولا شك أن ذلك قد يُسبِّب الكثير من المشكلات، من ذلك طلب المرأة الطلاق، أو الحنين لزوج يماثلها في السن(٩). كما أُتي عمر بن

---

(١) أمامة بنت حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. وقيل اسمها عمارة. قدمت إلى المدينة مع رسول الله ﷺ بعد عمرة القضاء، أي سنة ٧هـ/ ٦٢٨م. ابن سعد، ١٢٢/٢. ابن حجر، الإصابة، ٢٣٤/٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ٦٦/٢.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص١٧٣.

(٤) ابن سعد، ٤٦٤/٨. الزبيري، ص٣٤٩.

(٥) الإمام مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة، ولد سنة ٩٣هـ/ ٧١١م وتوفي سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م، انظر ترجمة وافية له: الذهبي، ٤٨/٨- ١٣٥.

(٦) سحنون، عبدالسلام بن سعيد، المدونة الكبرى، ج٣ (ط١، مطبعة السعادة، مصر د. ت) ص١٦٨.

(٧) ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب. ابن حبيب، المنمق، ص٢٢٥.

(٨) ابن حبيب، المنمق، ص٢٢٦. المرزباني، ص١٠٢. الكسائي، ورقة ٢٥٣.

(٩) المفضل بن محمد الضبي، أمثال العرب، تحقيق إحسان عباس (ط١، دار الرائد العربي، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص١١٨. ابن حبيب، المنمق، ص٢٢٦. المرزباني، ص١٠٢. الكسائي، ورقة ٢٥٣.

الخطاب بامرأة شابة تزوجها شيخ كبير فقتلته، فأمر بحبسها ثم خطب قائلاً: "أيها الناس اتقوا الله وليتزوج أحدكم لمته من النساء ولتتزوج المرأة لمتها من الرجال"(١).

يبدو أن عقد النكاح كان يتم بمجرد قول ولي الأمر للخاطب: قد زوَّجتك. ولا يوجد شخص ذو صفة دينية كما هو الوضع في الوقت الحالي(٢). ومن الإشارات التي تدل على ذلك قول علي بن أبي طالب لعمر بن الخطاب عندما خطب منه ابنته أم كلثوم: "أبعثُها إليك فإن رضيت فقد زوجتكها". ثم بعث بها إليه ومعها حلة وقالت له: "يقرئك أبي السلام ويقول لك: هل رضيت الحلة؟ فقال عمر: نعم ورضي الله عنك". وعندما عادت إلى أبيها قال لها: "إنه زوجك"(٣). ومن ذلك أيضًا قول أم حكيم بنت قارظ(٤) لعبدالرحمن بن عوف: "إنه قد خطبني غير واحد فزوِّجني أيهم رأيت. قال: وتجعلين ذلك إليَّ؟ فقالت: نعم. قال: قد تزوجتك"(٥). كما أن أمامة بنت أبي العاص(٦) قالت

(١) ابن حبيب، أدب، ص١٨٤. وانظر أيضًا: ابن شبة، ٧٦٩/٢.

(٢) انظر رأي إبراهيم فوزي حول هذا الموضوع والمشابه لما توصلنا إليه في كتابه: أحكام الأسرة في الجاهلية والإسلام، (ط٢، دار الكلمة للنشر، بيروت ١٩٨٣م) ص٥٤- ٥٥. ويرى أحد الباحثين أن أهل العروسين يُوقِّعان على وثيقة زواج دون أن يشير إلى مصدر قوله ذلك ولعله قاسها على ما هو موجود حاليًا.

Robert O.Blood, Jr, The Family (No, ed, Macmillan Publishing co, New york 1972) p. 108.

(٣) الزبيري، ص٣٤٩.

(٤) أم حكيم بنت قارظ بن خالد بن عبيد بن سويد بن قارظ، من بني ليث حلفاء لبني زهرة. ابن حجر، الإصابة، ٤٤٦/٤.

(٥) البخاري، صحيح، ١٣٣/٦. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، ٤٤٦/٤. ابن حجر، فتح، ١٨٩/٩.

(٦) أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبدشمس. أمها زينب بنت رسول الله ﷺ. الزبيري، ص٢٣٠- ٢٣١. ابن حزم، ص١٦.

للمغيرة بن نوفل[1]: إن معاوية بن أبي سفيان قد خطبها. فقال لها: "لو جعلت ذلك إليَّ؟ قالت: نعم. قال: قد تزوجتك"[2].

وردت إشارات أخرى دلت على أن بعضهم كان يُفضِّل إجراء بعض المراسيم لعقد النكاح أو الإملاك، ومن أهمها توجه الخاطب ومعه ذووه وبعض قرابته إلى بيت المرأة[3]، ثم قيام أحدهم وقد يكون هو، أو والده، أو أكبرهم سنًا، أو أقدرهم على الحديث، بإلقاء خطبة يطلق عليها خطبة النكاح[4]. ومنها خطبة عبدالله بن الزبير التي جاء فيها بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ: "أما بعد، فإن الله أحل حلالاً رضيه، وحرّم حرامًا سخطه، فأمر بما أحلّ ووسع فيه، ونهى عما حرّم وأغنى عنه، فقال: ﴿**وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[5]. كما أورد ابن قتيبة[6] نماذج عدة لها، يحرص فيها قائلها على استعراض فضائل الخاطب[7] ثم يعلن رغبته في تزويجه من المرأة. فيرد عليه الولي بخطبة أخرى تدل على قبوله تزويجها منه[8] كأن يقول: "قد زوجناها

(١) المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم. الزبيري، ص٨٦. ابن حزم، ص٧٠.

(٢) ابن سعد، ٨/٤٠. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، ٣/٤٥٤، ٤/٢٣٧.

(٣) ابن سعد، ١/١٣١- ١٣٢، ٣/٢٣٧، ٨/١٦.

(٤) الزبير بن بكار، جمهرة، ٢/٨٣ ب. ابن حجر، فتح، ٩/٢٠٢.

(٥) الزبير بن بكار، جمهرة، ص٢٦٠. وانظر أيضًا: الفاكهي، محمد بن إسحاق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن دهيش، ج٣ (ط١، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص١٣٥- ١٣٦. والآية الكريمة من سورة النور، آية (٣٢).

(٦) عيون، ٤/٧٢- ٧٦.

(٧) ابن قتيبة، عيون، ٤/٧٣. المبرد، الكامل، ٣/٢٣٢.

(٨) ابن قتيبة، عيون، ٤/٧٣.

إليك وسلمناها لك". أو يقول: "الحمد لله قد ملكت باسم الله". أو "قد زوجته إياها وأوصيته بوصية الله لها". أو : "قد زوجناك على ما في كتاب الله إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان"(١). وقد يذكر فيها مقدار المهر المرغوب في دفعه(٢). وقد كانت هذه الخطبة معروفة منذ العصر الجاهلي عند قريش حين كانت دار الندوة(٣) مكانًا لعقد الأنكحة(٤)، وقد كانت خطبتهم: "باسمك اللهم، ذُكرت فلانة، وفلانٌ بها مشغوف. باسمك اللهم، لك ما سألت ولنا ما أعطيت"(٥). ومن ذلك أيضًا الخطبة التي ألقاها أبو طالب بن عبدالمطلب عند تزويج الرسول ﷺ من خديجة بنت خويلد(٦). ويقال إن رجالات قريش كانت تستحب من الخاطب أن يطيل في خطبته ومن المخطوب إليه أن يوجز(٧).

وبعد عقد النكاح يدعو أحد الحضور للزوجين، ويُؤمِّن الباقون(٨)، ثم يُهنأ الزوجان ويقال لهما: "بالرفاء والبنين والطائر المحمود"(٩). أو : "على الخير

---

(١) ابن قتيبة، عيون، ٧٤/٤- ٧٥.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ٧٣/٤. البقاعي، ورقة ٢٠١ ب .

(٣) دار الندوة: اتخذها قصي بن كلاب مكاناً لاجتماع قريش وتشاورهم، وكان لا يعقد لواء حرب ولا تزوج قرشية إلا فيها، كانت في الجانب الشمالي من المسجد الحرام، ثم دخلت في توسعته في عهد العباسيين. الثعالبي، عبدالملك بن محمد، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (د. ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م) ص٥١٨. السهيلي، ٥٥/٢. عاتق البلادي، المعالم، ص٣١٨.

(٤) ابن سعد، ٧٠/١. البلاذري، أنساب، ٥٢/١. الثعالبي، ثمار، ص٥١٨.

(٥) الجاحظ، البيان، ٣٥/٢.

(٦) المبرد، الكامل، ٢٣٢/٣. ياسين الخطيب، ورقة ٥٨ أ.

(٧) ابن قتيبة، عيون، ٧٣/٤. ياقوت بن عبدالله المستعصمي، مجموعة حكم وآداب وأخبار وآثار وأشعار وفقر منتخبة، (د. ط، مطبعة الجوائب، القسطنطينية ١٢٩٨هـ) ص ٥٥.

(٨) ابن سعد، ١٩٣/٧.

(٩) البلاذري، أنساب، ٩١/٨. وانظر أيضًا: الأصفهاني، الأغاني، ٣٠٨/١٢.

والبركة وعلى خير طائر"[1]. وقد استمرت هذه التهنئة في الإسلام في الحاضرة والبادية. فعن عائشة أم المؤمنين في روايتها لزواجها من رسول الله ﷺ أنها قالت: "فأخذت[2] بيدي حتى أوقفتني على باب الدار ... ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر"[3]. كما قال رجل من قريش لعقيل بن عُلّفة: بالرفاء والبنين والطائر المحمود. فقال له أحدهم: "يا ابن عُلّفة إنه يكره أن يقال هذا. فقال: يا ابن أخي، ما تريد إلى ما أحدث! إن هذا قول أخوالك في الجاهلية إلى اليوم لا يعرفون غيره"[4]. وعلى الرغم من ذلك فقد كان يُفضَّل عليها قول: "بارك الله لك وبارك عليك"[5]. أو قد يجمع بين التهنئتين فيقال: "على الخير والإلفة والطائر الميمون والسعة في الرزق. بارك الله لكم"[6].

وبعد التهنئة قد يضرب بالدُّف[7]، وقد ينثر على الحاضرين الفاكهة والسكر فينتهبونه ويجاذب بعضهم بعضًا[8]. أما في البادية فتنثر عليهم غرائر التمر أو يوزع عليهم الخبيص[9].

---

(١) البخاري، صحيح، ٤/٢٥١. وانظر أيضًا: الطبري، السمط، ص٣٨. والمقصود بقولهم على خير طائر، أي على خير حظ ونصيب. ابن حجر، فتح، ٧/٢٢٣.

(٢) أي أمها أم رومان. البخاري، صحيح، ٤/٢٥١.

(٣) البخاري، صحيح، ٤/٢٥١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٢/٣٠٨.

(٥) ابن أبي شيبة، المصنف، ٤/٦. وانظر أيضًا: الطبراني، الكبير، ١٧/١٩٣. السيوطي، مسند فاطمة، ص ٨٤.

(٦) الطبراني، الكبير، ٢٠/٩٨.

(٧) البخاري، صحيح، ٦/١٣٧. ابن حجر، فتح، ٩/٢٣١.

(٨) الطبراني، الكبير، ٢٠/٩٨. ابن الأثير، أسد، ٣/٣١٩. ابن حجر، الإصابة، ٢/٤٢٦.

(٩) ابن قتيبة، عيون، ٤/٧٥. والخبيص: نوع من الحلوى يعمل من التمر والسمن يخبص بعضه في بعض. ابن منظور، ١/٧٨٤. الزبيدي، ١٧/٥٤٢.

لا يشترط بعد الإملاك أن يُدخل بالزوجة مباشرة فقد يؤجل هذا الأمر إلى مدة لاحقة تتفاوت مدتها حسبما تمليه الظروف الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالزوج أو الزوجة، وقد وضح ذلك في أزمنة مختلفة. ففي العصر الجاهلي زوَّج أبو أزيهر الدوسي(١) ابنته الوليد بن المغيرة المخزومي(٢)، ومات قبل أن يدخلها عليه(٣). كما كانت المدة الزمنية الفاصلة بين عقد زواج الرسول ﷺ على عائشة أم المؤمنين والدخول بها حوالي سنتين(٤). وعلي ابن أبي طالب عُقِد زواجه على فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد الهجرة بخمسة أشهر وبنى بها بعد غزوة بدر، فكانت المدة بين الزواج والدخول حوالي سنة وشهرين(٥). كما أن في سؤال أحدهم لعبدالله بن مسعود(٦) عن رجل توفي وترك امرأته ولم يكن دخل بها ولم يَفرِض لها صداقًا(٧) دلالة على استمرار

---

(١) أبو أزيهر بن أنيس الدوسي، من بني الصعب بن دُهمان بن نصر بن زهران. حليف أبي سفيان ابن حرب. ابن حزم، ص٣٨٥- ٣٨٦.

(٢) الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. كان من المستهزئين برسول الله ﷺ، وصفه مؤرج بأنه "نابه الذكر في الجاهلية سيدًا"، ص٦٦.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص١٩٩. الزبيري، ص ٣٢٣.

(٤) أبو عبيدة، أزواج، ص٦٢- ٦٣. ابن سعد، ٥٩/٨.

(٥) ابن سعد، ٢٢/٨. ابن قدامة، التبيين، ص٩١. ابن حجر، الإصابة، ٣٧٧/٤.

(٦) عبد الله بن مسعود بن عاقل بن حبيب بن وقدان بن شمخ، من بني تميم بن سعد بن هذيل. حليف لبني زهرة بن كلاب. أرسله عمر بن الخطاب إلى الكوفة معلمًا لأهلها، ومات بالمدينة سنة ٢٣هـ/ ٦٥٢م، خليفة بن خياط العصفري، الطبقات، تحقيق سهيل زكار، ق١، ج١ (د. ط، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٦م) ص٣٦. الذهبي، ٤٦١/١.

(٧) الطبراني، الكبير، ٢٣٢/٢٠. ابن قدامة، عبدالله بن أحمد، المغني، ج٦ (د. ط، مطبوعات رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص٧٢١. محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عبدالله بن مسعود، (ط١، مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص ٥٥٩.

هذا الأمر. كما ورد في نسب قريش[1] عدة حالات لنساء تزوجن وتوفي أزواجهن قبل الدخول بهن.

يشترط عند عقد نكاح البكر أو الثيب وجود الولي وهو في البكر أحد قرابتها: أبوها أو أخوها أو عمها أو أحد بني عمها[2]. أما المرأة التي سبق لها الزواج فلا يشترط أن يكون أحد قرابتها، فزينب بنت خزيمة[3] عندما خطبها رسول الله ﷺ جعلت أمرها إليه فتزوجها[4]. وأمامة بنت أبي العاص كانت عند علي بن أبي طالب، فلما توفي ولَّت أمرها المغيرة بن نوفل فتزوجها[5]. ومما يدل على اشتراط وجود الولي للبكر والثيب قول الرسول ﷺ : "لا نكاح إلا بولي، والسلطان وليٌّ من لا وليَّ له"[6].

- **المهر أو الصداق :**

المهر عُرْفٌ كان قائمًا في الجاهلية لا يصح عقد الزواج بدونه، ويبدو أنه كان يمثل ثمنًا للمرأة، وفي ذلك يقول أحدهم في امرأة من بني فقعس[7] باع إبلاً له ومهرها ثم طلقها:

---

(١) الزبيري، ص٦٤، ٧١، ١١٧.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٣١٠.

(٣) زينب بنت خزيمة بن عبدالله، إحدى نساء بني عبدمناف بن هلال بن عامر بن صعصعة. سميت أم المساكين، تزوجها الرسول ﷺ في المدينة بعد استشهاد زوجها، توفيت بعد زواجها بثمانية أشهر أي في أوائل سنة ٤هـ/ ٦٢٥م. الزبير بن بكار، أزواج، ص٤٢. اليعقوبي، أحمد ابن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، ج٢ (د. ط، دار صادر، بيروت د. ت) ص٨٤.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ٣١٦/٤.

(٥) الدولابي، الذرية، ص٤٥.

(٦) ابن حنبل، أحمد بن محمد، المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج٤ (د. ط، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)، ٢٢٥٨.

(٧) بنو فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة. القلقشندي، نهاية، ص٣٩٣. عاتق البلادي، قبائل، ص١٧.

وبِنْتُ ولم أُغْبَن غداةَ اشتريتُها وبعتُ تِلادَ[١] المال بالثمنِ البخسِ[٢]

كما يقول عامر بن الظرب[٣] لصعصعة بن معاوية[٤] عندما خطب منه: "يا صعصعة إنك أتيتني تشتري مني كبدي"[٥]. وقال أعرابي:

"يقولون تزويج وأشهد أنه هو البيع إلا أن من شاء يكذب"[٦]

الأصل في المهر أنه يدفع للمرأة. ومع ذلك من المرجح أنهم في الجاهلية لم يكونوا على عُرْف واحد، فقد وردت عدة روايات يستدل منها على أن هناك من كان يستحوذ على مهر ابنته، من ذلك ماجاء في لسان العرب[٧]: "أن العرب كانت تقول في الجاهلية للرجل إذا ولدت له بنت: هنيئًا لك النافجة، أي المعظمة لمالك، وذلك أنه يزوجها فيأخذ مهرها من الإبل فيضمها إلى إبله فينفجها أي يرفعها ويكثرها". وهناك من يستحوذ على جزء من المهر أو يشترط لنفسه شيئًا مسمى منه، وهو ما يسمى بالحُلْوان، وكان هذا الأمر يعد عارًا عند العرب، وفي ذلك تقول إحداهن تفخر بزوجها:

"لا يأخذ الحلوان من بناتيا"[٨]

---

(١) التلاد: كل مال قديم من حيوان أو غيره يورث عن الآباء. ابن منظور، ٣٢٥/١.

(٢) ابن عبدربه، ٤٧/٤.

(٣) عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان. يعد من المعمرين وهو من حكام العرب في الجاهلية. كان ممن حرم على نفسه شرب الخمر. أبو حاتم السجستاني، ص٦٤. ابن حبيب، المحبر، ص ١٣٥، ٢٣٧. ابن حزم، ص٢٤٣.

(٤) صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة، من قيس عيلان من مضر. ابن حزم، ص٢٧١.

(٥) ابن عبدربه، ٨٣/٦. وانظر أيضًا: الميداني، ٣١٣/١.

(٦) ابن عبدربه، ٧٢/٤.

(٧) ابن منظور، ٦٨٣/٣.

(٨) السابق، ٧١٠/١.

ولعل البيوتات الشريفة كانت تأنف من أخذ مهر البنت أو شيءٍ منه.

استمر دفع المهر في الإسلام، واستمرت تسميته بالمهر وإن لم يرد له ذكر في القرآن الكريم[١]. وإنما وردت كلمة أجر[٢] وصداق[٣] فقط. إلا أن الأحاديث الشريفة أوردت كلمة مرادفة لكلمة صداق[٤].

يتبادر إلى الأذهان عدة تساؤلات حول مهر المرأة، هل يحدد مقداره من قبل ولي المرأة أم من قبل الخاطب؟ ومتى يدفع هل بعد الخطبة مباشرة كما هو الوضع في الوقت الحالي، أم عند الإملاك؟ أو قبل الدخول، أم قد يؤجل إلى ما بعد الدخول؟ وهل يدفع كله أم يؤجل جزء منه كما هو معروف عند بعض الدول العربية في الوقت الحاضر؟ وما مدى تأثر المهر بالأوضاع الاقتصادية التي مر بها إقليم الحجاز خلال مدة الدراسة؟ وهل كانت هناك محاولات لتحديد المهور من قبل أولياء أمور المسلمين؟ وما نوعية هذه المهور هل هي نقدية أم عينية أم كلاهما معًا؟ وما الوظيفة الأساسية للمهر؟

من المتعارف عليه أن يحدد المهر من قبل الخاطب[٥]، ولكن قد يشترط بعض أولياء الأمور مهورًا محددة لنسائهم. فقد كان المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث لا يزوج كفؤًا إلا بألف دينار[٦]. كما اشترط أحدهم في مكة على ابن أخيه مهرًا مقداره أربع مئة دينار[٧]. كما كان عبدالله بن عمرو بن عثمان قد

---

(١) محمد عبدالباقي، ص٦٧٧.

(٢) السابق، ص١٤.

(٣) السابق، ص٤٠٦.

(٤) فنسنك، ٢٧٩/٦- ٢٨٠.

(٥) ابن قتيبة، عيون، ٧٤/٤. الأصفهاني، الأغاني، ٣٧٠/١، ٢٩٥/١٦. الميداني، ٣٠٠/١.

(٦) الزبيري، ص٣٠٩.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٥٥/١- ١٥٦. أبو علي القالي، الأمالي، ٩/٢.

سَنَّ لمن يلي أمرهن من النساء مهرًا قدره عشرون ألف دينار[1]. وعلى الرغم مما في هذا الرقم من مبالغة إلا أنه يعطي تصورًا على أن بعضهم كان يرى في مقدار المهر دلالة على مكانة المرأة الاجتماعية.

من المرجح أنه لا يوجد عرف واحد حول المدة التي يتم فيها دفع المهر، فقد يكون بعد الخطبة مباشرة فعندما خطب عثمان بن عفان ابنة جندب بن عمرو الدوسي من عمر بن الخطاب الذي خلفه أبوها عليها، قال له: "كم سقت لها؟ قال: كذا وكذا. قال: قد زوجتكها" فدفع له وحمل المهر لها[2]. وقد يكون قبل الدخول فعندما سأل أبو بكر الصديق الرسول ﷺ: "ما يمنعك أن تبني بأهلك؟" قال له عليه الصلاة والسلام: "الصداق" فأعطاه أبو بكر الصديق الصداق حتى يتمكن من الدخول[3]. كما أن عليًا بن أبي طالب عندما أراد أن يبني بفاطمة قال له النبي ﷺ : "قدِّم شيئًا، قال: ما أجد شيئًا. قال: فأين درعك الحطمية؟..."[4]. وقد يتزوجها قبل أن يدفع شيئًا[5]، وقد تطلق المرأة قبل أن تتسلم مهرها، فقد كان الأضبط بن قريع[6] قد تزوج امرأة على مهر محدد فنشزت عليه ففارقها، ولم يسلم لها ما كان ضَمِنَ لها من المهر[7].

---

(١) البلاذري، أنساب، ق ٤، ١/٦٠٧، ٥/١١١، ٨/٢٤٨ - ٢٤٩.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١/٣٧٠.

(٣) ابن سعد، ٨/٦٣. الزبير بن بكار، جمهرة، ٢/٥٨ب. الطبراني، الكبير، ٢٣/٢٥.

(٤) ابن سعد، ٨/٢٠. وانظر أيضًا: الدولابي، الذرية، ص٦٤.

(٥) ابن أبي شيبة، مسند، ٢/٢٥٥. ابن أبي شيبة، المصنف، ٣/٤٩٨. ابن حنبل، ٦/٧٤ - ٧٥. الخوئي، ص١٨٠.

(٦) الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب السعدي. شاعر جاهلي قديم. ابن قتيبة، الشعر، ص١٨٣. خير الدين الزركلي، ١/٣٣٤.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٨/١٣٤.

من المرجح أن المهر إما أن يدفع كله أو يؤجل كله، فمن الإشارات السابقة لم نجد ما يدل على وجود ما يطلق عليه حاليًا بالمعجل والمؤجل عند بعض الدول العربية سوى إشارة واحدة أوردها الإبشيهي[1] في روايته لخطبة النكاح التي ألقاها أبو طالب عند زواج الرسول ﷺ من السيدة خديجة بنت خويلد جاء فيها: "... وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وكذا". ولم نجد لذلك استمرارية في القرنين الأول والثاني الهجريين.

تفاوتت المهور في المجتمع الإسلامي خلال مدة الدراسة، ويبدو أن الأوضاع الاقتصادية التي عاصرت تلك المرحلة كان لها أثر كبير في ظهور ذلك التفاوت. فقد كانت أوضاع المسلمين المالية في عهد الرسول ﷺ ضعيفة[2]، ولعل في إلقاء نظرة على مستوى المهور في تلك المرحلة ما يساعد على تقويم ذلك الوضع. فلو نظرنا إلى مهور نساء الرسول ﷺ وبناته سنجدها لا تتجاوز خمس مئة درهم[3]. كما تزوج عبدالرحمن بن عوف وغيره على وزن نواة من ذهب[4]. وقدّم أحدهم خاتمًا مهرًا لامرأة أراد أن

---

(١) الإبشيهي، محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، ج٢ (دار إحياء التراث العربي، القاهرة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) ص٢٤٩.

(٢) انظر في هذا الموضوع فقرة الموارد المالية من الفصل الثالث "الحياة المعيشية".

(٣) الصنعاني، ١٧٧/٦. ابن سعد، ١٧/٨، ٢٢، ٦٣، ١٦١. ابن حبيب، المحبر، ص٧٩. البلاذري، أحمد بن يحيى، النقود، ضمن مجموعة الرسائل التي نشرت في كتاب النقود العربية والإسلامية وعلم النميات (ط٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٧م) ص١٧. ابن أبي خيثمة، ص ٤٠٦. الدار قطني، ٢٢٢/٣.

(٤) ابن سعد، ٥٢٣/٣. البخاري، صحيح، ١٣٧/٦، ١٤٢. مسلم، ١٠٤٢/٢. ونواة من ذهب تعادل خمسة دراهم. البلاذري، النقود، ص١٧. ابن دريد، جمهرة، ١٤٠/١. ابن منظور، ٧٥٢/٣. المقريزي، أحمد بن عبدالقادر، النقود الإسلامية، (د. ط، مطبعة الجوائب، القسطنطينية ١٢٩٨هـ) ص٣. وقيل ثلاثة دراهم وثلث. ابن أبي شيبة، المصنف ، ٤٩٢/٣.

يتزوجها[1]. وزوَّج الرسول ﷺ أحدهم بما يحفظه من القرآن الكريم لعدم وجود مهر لديه سواء كان ذلك نقدًا أم عينًا[2]. كما تزوج أبو حدرد الأسلمي[3] بمئتي درهم[4]. كما كان بعضهم يتزوج على مهر مقداره ملء كف من طعام[5]. وعلى الرغم من أن معظم المصادر ترجع قلة المهور في تلك المدة إلى حث الرسول ﷺ على ذلك، كقوله لأحدهم عندما أخبر أنه تزوج امرأة من الأنصار على أربع أواق[6]: "على أربع أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عُرْض هذا الجبل"[7]. وقوله لأبي حدرد الأسلمي عندما علم بأنه أمهر إحداهن مئتي درهم: "لو كنتم تغرفونه من بُطْحَان ما زدتم"[8]. إلا أننا على الرغم من ذلك لا يمكن أن نتجاهل الوضع الاقتصادي في تلك المدة فمعدل المهور ارتفع بعد ذلك تبعًا لتحسن الأوضاع الاقتصادية للدولة الإسلامية. وقد وردت كثير من الإشارات تحدثت عن ثروات بعض الصحابة[9]، وعلى الرغم مما تحمله تلك

---

(١) الطبراني، الكبير، ١٥٦/٦، ٣٦٨/٨. ابن حجر، الإصابة، ٢١٤/٢.

(٢) البخاري، صحيح، ٦٣/٣. الطبراني، الكبير، ٣٦٨/٨.

(٣) أبو حدرد الأسلمي قيل اسمه سلامة بن عمير بن أبي سلامة بن سعيد، من هوازن بن أسلم ابن أفصى. روى عن الرسول ﷺ. خليفة بن خياط، الطبقات، ق١، ٢٤٢/٢. ابن عبدالبر، ٤٠/٤. ابن حجر، الإصابة، ٤٢/٤.

(٤) ابن سعد، ٣١٠/٤.

(٥) الدار قطني، ٢٤٣/٣.

(٦) الأوقية تساوي زنة أربعين درهمًا. ابن منظور، ١٣٠/١. المقريزي، النقود، ص٣.

(٧) مسلم، ١٠٤٠/٢.

(٨) ابن سعد، ٣١٠/٤.

(٩) ابن سعد، ١٠٨/٣- ١١٠، ٢٢١- ٢٢٢. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ج٢ (ط٤، مطبعة السعادة، مصر ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) ص٣٤٢- ٣٤٣. ابن الزبير، أحمد بن الرشيد، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميدالله (ط٢، منشورات وزارة الإعلام، الكويت ١٩٨٤م) ص ٢٠١- ٢٠٤.

الإشـارات من مـبـالغـات إلا أنهـا تعطي مـؤشـرًا على مـدى تأثيـر التطور الاقـتـصـادي في الوضع المالـي للأسـرة. ويبـدو أن مـا سـبق له أثر واضح في ارتفـاع مهور تلك المدة، فلو نظرنا إلى مهور النسـاء في الحـجاز خلال العصر الراشدي لوجدناها تتراوح حسب بعض الأمثلة التي وردت في المصادر ما بين أربعة آلاف ومئة ألف درهم. فقد تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ابني عمها عون بن جعفر[1] ثم محمد بن جعفر بالتعاقب[2] بمهر مقداره أربعة آلاف درهم[3]. كما تزوج عبدالله بن عباس من ثميلة بنت أبي حَناءة[4] بمهر مقداره عشرة آلاف درهم[5]. وتزوج عثمان امرأتين على مهر مقداره ثلاثون ألف درهم[6]. وعمر بن الخطاب تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب على مهر قدره أربعون ألف درهم[7]. وأراد عثمان بن عفان أن يتزوج ابنة عمر بن الخطاب بعد وفاته بمهر قدره مئة ألف درهم[8]. وبمقارنة هذه المهور بما كان عليه الوضع في عصر الرسول ﷺ نرى إلى أي مدى بلغ الاختلاف في مقدارها نتيجة لتغير الوضع الاقتصادي.

---

(١) عون بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. ولد في الحبشة وقدم المدينة مع أبيه في غزوة خيبر، استشهد في خلافة عمر بن الخطاب. ابن حجر، الإصابة، ٤٤/٣.

(٢) محمد بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. هو أول من سمي محمدًا في الإسلام من المهاجرين، ولد بالحبشة قيل: إنه قتل في صفين أي حوالي سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م. ابن حبيب، المحبر، ص٢٧٤. ابن حجر، الإصابة، ٣٧٢/٣.

(٣) الدولابي، الذرية، ص١١٧-١١٨. ابن الأثير، أسد، ٣٨٨/٧.

(٤) ثميلة بنت أبي حناءة بن أبي أزيهر الدوسي. أبو عبيد، النسب، ص٣٠٠.

(٥) أبو عبيد، النسب، ص٣٠٠.

(٦) البلاذري، أنساب، ق ٤، ٤٩٨/١.

(٧) ابن سعد ، ٤٦٤/٨. ياسين الخطيب، ورقة ٩١ب.

(٨) الوزير المغربي، ص١٣٢.

استمر ارتفاع مستوى المهور في العصر الأموي، ولا شك أن مكانة المرأة الاجتماعية لها دور في رفع مهرها[1] حتى قيل: إنها بلغت خمس مئة ألف درهم[2]، وقيل: ألف ألف درهم[3]. ومن ذلك مهور سكينة بنت الحسين[4]، وعائشة بنت طلحة[5]، وزينب بنت عبدالرحمن بن الحارث[6]، ولعل فيما قيل بعض المبالغة نظرًا لمكانة تلك النسوة أو أزواجهن الاجتماعية. كما تزوج يزيد ابن عبدالملك عندما قدم المدينة قبل توليه الخلافة من سعدى بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ورُبيحة بنت محمد بن عبدالله بن جعفر بمهر قدره عشرون ألف دينار لكل منهما[7]. ويبدو أنه لم يُكْتَفَ بالمهور في تلك المدة بل أصبح يضاف لها ما يسمى بالهدية والكرامة، فقد تزوج الحسين بن علي امرأة على حكمها فاشترطت مهرًا مقداره اثنتا عشرة أوقية، فأهداها مئة ألف درهم[8]. كما أرسل معاوية بن أبي سفيان أبا هريرة[9] إلى المدينة ليخطب

---

(١) عطية عودة أبو سرحان، تاريخ الحجاز في العصر الأموي (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ص٣٨٠.

(٢) المدائني، ١/٧٠. ابن قتيبة، عيون، ١/٢٥٨. البلاذري، أنساب، ١٠/١٣٧. الأصفهاني، الأغاني، ١٦/٢٩٥.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١٥٩، ١٦٤.

(٤) ابن قتيبة، عيون، ١/٢٥٨. ابن الفرضي، عبدالله بن محمد، الألقاب، تحقيق محمد عزب (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص ٨٩.

(٥) المدائني، ١/٧٠. ابن الفرضي، ص ٨٩. وهي عائشة بنت طلحة بن عبيدالله، من تيم بن مرة من قريش. أمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق. الزبيري، ص ٢٨٣.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/٢٩٥.

(٧) البلاذري، أنساب، ٨/٢٥٦- ٢٥٧.

(٨) ابن طيفور، ص١٨٥.

(٩) أبو هريرة الدوسي. أكثر صحابة الرسول ﷺ رواية عنه، اختلف في اسمه كثيرًا، أسلم عام خيبر أي في سنة ٧هـ/ ٦٢٨م. وتوفي حوالي سنة ٥٧هـ/ ٦٧٦م. ابن سعد، ٤/٣٢٥، ٣٢٧، ٣٤٠. ابن الأثير، أسد، ٦/٣١٨- ٣٢١.

لابنه يزيد إحداهن وأن مهرها عشرون ألف دينار، وكرامتها عشرون ألف دينار، وهديتها عشرون ألف دينار"[1]. وتزوج مصعب بن الزبير[2] عائشة بنت طلحة على مهر قدره خمس مئة ألف وأهدى لها خمس مئة ألف[3]. ولعل ذلك يمثل عودة إلى ما كان عليه الوضع في العصر الجاهلي حيث يرى إدوارد وستر مارك[4] أن الرجل كان يُقدَّم إلى عروسه بالإضافة إلى المهر الذي كان يدفع لوالد العروس هدية يطلق عليها صداق، ويرى أن الفارق بين الصداق والمهر اختفى في العصر الإسلامي اختفاءً تامًا وأصبح بذلك الصداق والمهر كلمتين مترادفتين. وبالإضافة إلى الهدية والكرامة قد يقدم لأهل الزوجة مقدارًا من المال يسمى حِبَاء[5]، فعندما قدم علي بن الحسين[6] حاملاً أخته سكينة لمصعب بن الزبير أعطاه أربعين ألف دينار[7]. وعندما زوَّج المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي أخته يحيى بن الحكم أعطاه أربعين ألف دينار[8]. إلا أن هذا الارتفاع في مستوى المهور لا يمكن أن نعممه على الأسر كافة. فلا شك أن هناك تفاوتًا في الأوضاع الاقتصادية، وما ينطبق على ما يمكن أن نسميه

(١) الميداني، ٣٠٠/١. وانظر أيضًا: ابن البتنوني، علي بن عمر، العنوان في الاحتراز من مكائد النسوان، تحقيق محمد التونجي (ط٢، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٩م) ص١٥٥.

(٢) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى، من قريش. كان واليًا لأخيه عبدالله على البصرة سنة ٦٧هـ/ ٦٨٦م، قتل سنة ٧١هـ/٦٩٠م. الزبيري، ص٢٤٩. ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، ج٤ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢٦٦، ٣٢٣.

(٣) المدائني، ٧٧/١. البلاذري، أنساب، ١٣٧/١٠، ٢١٧.

(٤) إدوارد وستر مارك، قصة الزواج، ترجمة عبدالهادي الزيادي (د. ط، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة د. ت) ص١٨١، ١٨٨.

(٥) مالك، ٤/٢. الصنعاني، ٦/ ٢٥٧- ٢٥٩. البلاذري، أنساب، ١٦٧/٨.

(٦) علي الأكبر بن الحسين بن علي بن أبي طالب. مات في موقعة كربلاء سنة ١٦هـ/ ٦٨٠م. الزبيري، ص٥٧. خير الدين الزركلي، ٢٧٧/٤.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٥٩/١٦. ابن الفرضي ، ص ٨٩.

(٨) الزبيري، ص٣٠٧.

بالأسر الشريفة لا يمكن أن ينطبق على غيرها من الأسر في المجتمع الحجازي. خاصة وأن الحجاز في العصر الأموي تعرض لتدهور في أوضاعه السياسية[1]، ولا شك أن لهذا أثره في المستوى الاقتصادي حيث استخدم المال وسيلة ترهيب وترغيب فمنح لفئات رغبة في كسب ولائهم[2]، وحرمت منه فئات إما عقابًا لها أو لانعدام أهميتها السياسية[3]. وهذا ما يجعلنا نرجح تدني المهور عند العامة. ولعل هذا الوضع استمر أيضًا في العصر العباسي لاستمرار تدهور الأوضاع السياسية في الحجاز[4].

---

(١) من ذلك ما نتج عن وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م وقيام مواجهة عسكرية بين يزيد بن معاوية والحسين بن علي انتهت باستشهاد الحسين. ثم حدوث مواجهة عسكرية ثانية بين عبدالله بن الزبير ومروان بن الحكم وظلت الحرب بينه وبين الأمويين سجالاً حتى استشهد في مكة سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م. لتفصيلات أكثر في هذا الموضوع انظر: الدينوري، أحمد ابن داود، الأخبار الطوال، تحقيق حسن الزين (د. ط. دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٨م) ص١٧٤- ٢٢٩. الطبري، تاريخ، ٣٤٧/٥- ٤٦٧، ٤٧٨- ٤٩٩، ١٨٧/٦- ١٩٧. ابن أعثم، أحمد، الفتوح، ج٣ (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص٧١- ١٣٩، ١٦٣- ١٩١، ٣٨٣- ٣٩٢. اليافعي، عبدالله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج١ (ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ص ١٣٠، ١٣٨، ١٤٨- ١٤٩.

(٢) مثل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب. انظر: خليفة بن خياط، تاريخ، ٢٨٩/٣. الطبري، تاريخ، ٤٧٩/٥- ٤٨٠. ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) ص١٠٤- ١٠٥. ابن كثير، إسماعيل ابن عمر، البداية والنهاية، ج٨ (ط٢، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٧٧م) ص١٣٧.

(٣) البلاذري، أنساب، ق٤، ١١٦/١. ابن الأثير، الكامل، ٥١١/٣. محمد محمد حسن شراب، المدينة في العصر الأموي دراسة سياسية وإدارية واجتماعية واقتصادية وفكرية، (ط١، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص٢٧٧- ٢٧٨.

(٤) من ذلك ثورة محمد النفس الزكية سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م. والحسين بن علي سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م. وثورة أبي السرايا سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م. لتفصيلات أكثر عن هذه الثورات انظر: الطبري، تاريخ، ٥٦٠/٧- ٥٦١، ٥٦٦، ٥٧١، ٥٧٣، ١٩٢/٨- ١٩٤. ابن الأثير، الكامل، ٥٣٦/٥ - ٥٤٢، ٦/ ٣٠٥، ٣٠٧، ٣١١ - ٣١٣.

من الجدير بالذكر هنا أنه جرت محاولتان خلال تلك المرحلة لتحديد المهور، ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ونتيجة لمغالاة الناس في المهور، قرر أن تكون مهور النساء كمهور زوجات النبي ﷺ، إلا أنه ما لبث أن عدل عن رأيه بعد أن نبهته إحدى النساء إلى أحقيتهن في الحصول على مهور مرتفعة اعتمادًا على الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(٢). والمحاولة الثانية حدثت في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان الذي حدد المهور بأربع مئة دينار قائلاً: "أرى النساء يذهب بهن المهور، ولو كان المهر واحدًا ما وضعت المرأة نفسها إلا في الفضل"(٣). ولكن من الواضح أن محاولة الخليفة عبدالملك لم يكتب لها النجاح(٤).

وبعد أن يُحدَّد المهر كان لا بد من الوفاء بدفعه، ومن لا يتمكن من ذلك فعليه أن يستعين بآخرين ليساعدوه في جمع ما وعد به. وقد عرف هذا الأسلوب منذ العصر الجاهلي فقد استعان مسافر بن أبي عمرو بالنعمان بن المنذر(٥)

---

(١) القنطار: المال العظيم، الفخر الرازي، ١٠/١٣. وهو يساوي (١٠٠) رطل، و (١٠) أمنان، وإذا أطلق على الذهب فإنه يساوي (١٠,٠٠٠) دينار و (٤٢,٣٣) كغم ذهبًا. انظر فالتر هنتس، ص ٤٠.

(٢) الصنعاني، ٦/١٨٠. الفخر الرازي، ١٠/١٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج٢ (ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م) ص٢٣٠- ٢٣١. والآية الكريمة من سورة النساء آية (٢٠).

(٣) ابن عساكر، تاريخ - تراجم - ص١١٨.

(٤) الزبير بن بكار، جمهرة، ١/٢٦٤- ٢٦٥. ابن عساكر، تاريخ - تراجم ، ص١٣٩.

(٥) النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي. يعد من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، حكم اثنتين وعشرين سنة ومات حوالي ١٥ ق.هـ/ ٦٠٨م. ابن حبيب، المحبر، ص٣٥٩- ٣٦٠. خير الدين الزركلي، ٨/٤٣.

في جمع مهر هند بنت عتبة[١]. واستمر أيضًا في الإسلام، فقد كان الرسول ﷺ يساعد من لا يجد مهرًا، ومن ذلك أنه جمع لرجل من الأنصار وزن نواة من ذهب[٢]. كما أصدق عن عبدالمطلب بن ربيعة[٣] والفضل بن العباس[٤] من الخمس[٥]. كما استعان به أبو حدرد الأسلمي في جمع مهر امرأته البالغ مئتي درهم[٦]. وفي العصر الأموي استعان ابن قيس الرقيات[٧] بحمزة بن عبدالله بن الزبير[٨] لتزويج بناته وأبنائه على أبناء أخيه وبناته[٩]. ولعل ذلك استمر أيضًا في العصر العباسي.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٩/٦٥، ٢٢/٢٤٤. البقاعي، ورقة ١١٨أ.

(٢) الطبراني، الكبير، ٥/٥٤.

(٣) عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم. سكن المدينة حتى خلافة عمر ابن الخطاب، ثم انتقل إلى دمشق ومات بها سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م. ابن حجر، الإصابة، ٢/٤٣٠.

(٤) الفضل بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. شهد مع رسول الله ﷺ غزوة حنين وحجة الوداع، واختلف في زمن وفاته فقيل في خلافة أبي بكر الصديق، وقيل في خلافة عمر بن الخطاب. ابن عبدالبر، ٣/٢٠٨- ٢١٠.

(٥) ابن سعد، ٤/٥٩. الطبراني، الكبير، ٥/٤٨، ٤٩.

(٦) ابن سعد، ٤/٤١٠. ابن الأثير، أسد، ٣/٣٣٤- ٣٣٥.

(٧) ابن قيس الرقيات هو: عبيدالله بن قيس بن شريح، أحد بني عامر بن لؤي. شاعر قريش في العصر الأموي كان مقيمًا في المدينة، لُقِّب بابن قيس الرقيات لأنه كان يشبب بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية، توفي نحو ٨٥هـ /٧٠٤م. ابن قتيبة، الشعر، ص٢٧٢. الأصفهاني، الأغاني، ٥/٨٠. خير الدين الزركلي، ٤/١٩٦.

(٨) حمزة بن عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى، من قريش. ولي البصرة لأبيه عبدالله، عُرف بالكرم. توفي في حياة الخليفة عبدالملك بن مروان. الزبير بن بكار، جمهرة، ١/ ٣٩- ٥٠.

(٩) الأصفهاني، الأغاني، ٥/١٠٣.

أما عن نوعية تلك المهور فمما سبق يتضح أن مهور أهل الحاضرة على الأغلب نقدية، أما في البادية فيختلف الوضع حيث إنها في معظمها عينية من إبل أو غنم[1] وقد تضاف إليها الدراهم[2]. وقد لا يتحرج بعضهم عن دفع ضبَّين مهرًا لزوجته يقول أحدهم:

مَهَرْتُها بعد المِطَالِ ضَبَّيْنْ   مِنَ الضِّباب سَحْبَلَيْنِ[3] سَبْطَينِ[4]

نِعْمَ لعمرُ اللهِ مَهْرُ العِرْسَيْنْ[5]

من الواضح أن تجهيز المرأة هو الوظيفة الأساسية للمهر قال ﷺ في مهر فاطمة: "اجعلوا ثلثين في الطيب وثلثًا في الثياب"[6]. كما أن ابنة جندب بن عمرو عندما دفع لها عمر بن الخطاب مهرها الذي قدمه عثمان بن عفان قسمته على قومها وتجهزت من مالها[7]. وكان عبدالله بن عمر يجعل معظم مهور نسائه في الحلي[8]، كما أن عدي بن حاتم الطائي[9] قسّم مهر ابنته

(١) لذلك كان يقال للمرأة إذا دفع لها الزوج المهر: "ساق إليها مهرها". ابن دريد، جمهرة، ١٢٥٦/٣.

(٢) الجاحظ، المحاسن، ص ٢٣٨، ٣٣٢. الأصفهاني، الأغاني، ٩٠/٨، ٣٧٩/٩، ١١٧/١٦- ١١٨.

(٣) السحبل: الضخم العريض البطن. ابن منظور، ١٠٤/٢.

(٤) السبط: الممتد الأعضاء التام الخلق. ابن منظور، ٨٦/٢.

(٥) الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، ج٦ (ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م) ص ١١٨. الميداني، ١٢٢/١- ١٢٣.

(٦) ابن سعد، ٢٢/٨. وانظر أيضًا: السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تحقيق الحافظ عزيز بيك (ط١، المطبعة العزيزية، حيدر آباد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص١١٦، السيوطي، مسند فاطمة، ص ٨٢، ٨٣، ٨٥، ١١٦.

(٧) ابن دريد، جمهرة، ٥٠٩/١.

(٨) ابن حبيب، أدب، ص ٢١٤.

(٩) عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي. أسلم حوالي سنة ٩هـ/٦٣٠م، سكن البصرة، يعد من المعمرين، ومات حوالي ٦٨هـ/ ٦٨٧م. أبو حاتم السجستاني، ص٥٥. ابن حجر، الإصابة، ٤٦٨/٢- ٤٦٩.

وكرامتها على جلسائه وجهزها من عنده[١]. وعلى الرغم من أن ذلك قد لا يكون في النطاق الجغرافي للدراسة إلا أنه يعطي تصورًا عن وظيفة المهر سواء في الحجاز أم في بقية الأقاليم المجاورة له. وقد يعمد بعض أولياء الأمور الموسرين لتسليم المرأة مهرها كاملاً دون أن يمس ويتكفل هو بتجهيزها من ماله الخاص، ومن هؤلاء المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي فقد كان يجهز ابنته بما يصلحها ويُخدِمها خادمين ويُدخِل بيتها نفقة سنة ثم يدفع لها صداقها مختومًا بخاتم زوجها ويقول لها: "هذا مالك وما جهزناك به صلة منا لك"[٢].

أما تجهيز مسكن الزوجية فلا يقوم على عرف واحد، فإما أن يتكفل به ولي المرأة أو الزوج، فقد رُوِي أن أم أيمن[٣] وليت جهاز فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكان فيما جهزتها به "مرفقة[٤] من أدم[٥] حشوها ليف وبطحاء مفروش في بيتها"[٦]، وعن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ عندما زوَّجه فاطمة "بعث معها خملة[٧] ووسادة أدم حشوها ليف وسقاء وجرتين"[٨]. وفي المقابل نجده يقول لأم سلمة: "أَمَا إني لا أنقصك مما أعطيت أختك فلانة، رحيين وجرَّتين ووسادة من أدم حشوها ليف"[٩]. كما ساق الرسول ﷺ لميمونة بنت

(١) ابن حبيب، المحبر، ص١٥٦.

(٢) الزبيري ، ص٣٠٩.

(٣) أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته. اسمها بركة، وهي حبشية هاجرت الهجرتين، وتزوجت من زيد بن حارثة، فهي أم أسامة بن زيد. ابن الأثير، أسد، ٣٠٤/٧.

(٤) المرفقة هي: المتكأ والمخدة. ابن منظور، ١٢٠١/١.

(٥) أدم أي من جلد. ابن منظور، ٣٤/١.

(٦) ابن سعد، ٢٤/٨.

(٧) خملة أي ثوب مخمل من صوف كالكساء ونحوه له خمل أي هُدّب. ابن منظور، ٩٠٥/١.

(٨) ابن سعد، ٢٥/٨. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، /٣٧٩٤.

(٩) ابن سعد، ٩٠/٨.

الحارث بيتًا تامًا، وخادمًا، ومتاعًا[1]. وعلى ذلك يبدو أن تجهيز مسكن الزوجية في الحاضرة من اختصاص الزوج، وما قام به رسول الله ﷺ من تجهيز بيت فاطمة إنما هو مساعدة منه لعلي لعلمه بوضعه المالي. أما في البادية فالأمر لا يتعلق فقط بتأثيث المسكن بل ببنائه أيضًا، ويبدو أنه من اختصاص أهل الزوجة، ويعد ملكًا لابنتهم، فزوجة العباس بن مرداس السلمي عندما سمعت بإسلام زوجها ورغبته في الهجرة إلى المدينة "قوضت بيتها وارتحلت إلى قومها"[2]. كما جاء في مجمع الأمثال[3] أن امرأة زُوِّجت فأبطأ أهلها في إهدائها[4] واحتجوا بأنه ليس عندهم أداة للبيت فقالت لهم تستحثهم على إهدائها: "عِلَّةٌ مَا عِلَّة، أَوْتَادٌ وَأَخِلَّة وعَمَدُ المِظَلَّة".

- **الدخول :**

من الطبيعي أن تحديد يوم الدخول كان يتم باتفاق مسبق بين أهل العروسين. ومناقشة هذا الموضوع يتطلب الإجابة عن عدد من التساؤلات للوصول إلى تصور تقريبي حول مراسيم ذلك اليوم، منها: ما الأشهر التي كان يفضل إقامة الأعراس فيها؟ وهل كانت تلك الحفلات تقام نهارًا أم ليلاً؟ وكيف كانت تُزيَّن العروس؟ وأين تتم جلوتها؟[5] وكيف ومتى تقام وليمة العرس؟ ومن الذي يقيمها؟ وأين يتم الدخول؟ وما الوصايا التي تتلقاها العروس؟ وممن؟ وكيف تُهدى إلى زوجها؟

(١) الزبير بن بكار، أزواج، ص٥٣.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٤/٢٩٦، ٢٩٨.

(٣) الميداني، ٢/٣٠.

(٤) الإهداء: "مصدر قولك: هدى العروس إلى بعلها هداء وأهداها...". والمراد انتقالها إلى بيت زوجها. ابن منظور، ٣/٧٨٨.

(٥) "جلا العروس على زوجها جلوة ... واجتلاها زوجها أي نظر إليها". ابن منظور، ١/٤٩٢.

كان شهر شوال من أفضل الشهور لإقامة الأعراس عند أهل المدينة في عصر الرسول ﷺ، على الرغم من أن العرب في الجاهلية كانت تتطير منه وتتحاشى إقامة الأعراس فيه[1]. إلا أن زواج الرسول ﷺ ودخوله بعائشة في شوال والمكانة الرفيعة التي حظيت بها عنده جعلت الناس يفضلونه لإقامة أعراسهم[2].

لا يوجد ما يدل على وقت إقامة الأعراس هل كان نهارًا أم ليلاً في العصر الإسلامي، أما في الجاهلية فقد وردت إشارة دلت على أن أهل مكة كان يحتفلون بأعراسهم ليلاً[3]، إلا أن ما رواه البخاري[4] في باب: البناء بالنهار بغير مركب ولا نيران، والذي جاء فيه حديث للسيدة عائشة رضي الله عنها قالت فيه: "تزوجني النبي ﷺ فأتتني أمي فأدخلتني فلم يرُعني إلا رسول الله ﷺ ضُحى". يرجح أن أعراس أهل المدينة كانت تقام نهارًا لما يتطلب إقامتها ليلاً من حاجة لإضاءة مكان الاحتفال، وهو أمر يرهقهم ماديًا، كما أن الإضاءة أمام موكب العروس كان على ما يبدو أمرًا منهيًا عنه لما فيه من التشبه بالكفار[5]. إلا أن ما جاء في صحيح البخاري قد يعطي دلالة أيضًا على أن إقامة الأعراس ليلاً في القرن الثالث الهجري[6] أمر مألوف، ولعله عُرف قبل ذلك أيضًا.

---

(١) ابن قتيبة ، عيون، ٧٢/٤. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، نزهة المتأمل ومُرشد المتأهل في الخاطب والمتزوج، تحقيق محمد التونجي (ط٢، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٩م) ص٣٣.

(٢) ابن سعد، ٥٩/٨. الزبير بن بكار، جمهرة، ٥٩/٢أ. البلاذري، أنساب، ٤٠٩/١- ٤١٠. الطبراني، الكبير، ٢٨/٣. الطبري، السمط، ص٣٨.

(٣) الفاكهي، ٢٢/٣.

(٤) البخاري، صحيح، ١٤٠/٦.

(٥) ابن حجر، فتح، ٢٢٤/٩.

(٦) توفي الإمام البخاري سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩ م. الذهبي، ٤٦٨/١٢.

في يوم العرس تزين العروس استعدادًا للجلوة، ويتم ذلك إما على يد مقينة[١] متخصصة[٢]، أو بمساعدة من نساء الأسرة أو معارفهن. فقد كانت أسماء بنت يزيد[٣] مقينة للسيدة عائشة أم المؤمنين[٤]. كما زيَّنت حفصة وعائشة رضي الله عنهما أسماء بنت النعمان[٥] قبل دخول الرسول ﷺ بها[٦]. وتُزيَّن العروس بإخضابها[٧] وتنميصها[٨]، وقد يوضع على خدها نقطة سوداء تجعل كالخال[٩] رغبة في زيادة الحسن، كما يمشط شعرها ويضفر ويوضع في فرقه بعض الخَلُوق[١٠]، وقد تزين بوضع بعض الشعر

---

(١) مقينة: من التقين، أي التزين بألوان الزينة. وسميت بذلك لأنها تزين النساء. ابن منظور، ٢٠٤/٣.

(٢) البخاري، صحيح، ١٤٤/٣.

(٣) أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، قيل: إنها إحدى نساء بني عبدالأشهل. ابنة عمة معاذ ابن جبل، روت عن الرسول ﷺ. ابن الأثير، أسد، ١٨/٧- ٢٠.

(٤) ابن الأثير، أسد، ٢٠/٧.

(٥) أسماء بنت النعمان بن الجون بن شراحيل، وقيل أسماء بنت النعمان بن الحارث، وقيل بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل الكندية. كانت من أجمل النساء. أجمعوا أن الرسول ﷺ تزوجها، واختلفوا في سبب طلاقه لها. ابن عبدالبر، ٢٢٨/٤- ٢٢٩. ابن حجر، الإصابة، ٢٣٣/٤.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ٢٣٤/٤.

(٧) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٨) ابن سعد، ١٢١/٨. "وتنمصت المرأة: أخذت شعر جبينها بخيط لتنتفه" ابن منظور، ٧٢٢/٣. والتنميص محرم في الإسلام. انظر البخاري، صحيح، ٦١/٧- ٦٢.

(٩) الجمحي، ٥٥١/٢.

(١٠) ابن سعد ، ١٢١/٨. الأصفهاني، الأغاني، ١٢٠/٨. ابن منظور، ٨٩١/١. ابن حجر، الإصابة، ٢٣٤/٤، ٣٤٧. والخلوق هو طيب يصنع من الزعفران وغيره وتغلب عليه الصفرة والحمرة. ابن حجر، فتح، ٢٣٣/٩.

المستعار وهو ما يسمى القصة[1]، ثم تلبس ثوبًا خاصًا بالعروس من المرجح أن لونه أخضر[2] يتميز بعضه بذيل طويل[3]، يسمى المِعْرَض[4] يسبقه ثوب آخر يسمى الخامة يبدو أنه غلالة رقيقة فقد جاء في أخبار مكة[5]: "وأمر الله عز وجل العنكبوت فنسجت على وجه النبي بمثل الخامة قال: قلت: ما الخامة؟ قال: ثوب العروس الذي يلي جسدها". ثم تزين بالحلي. وقد يستعار ثوب العروس وحليها، فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "وقد كان لي منهن درع على عهد رسول الله ﷺ فما كانت امرأة تُقيَّن بالمدينة إلا أرسلت إليَّ تستعيره"[6]. ولما أراد عتبة بن ربيعة تزويج ابنته هند بعث ابنه الوليد[7] إلى بني أبي الحقيق[8] فاستعار حليَّهم لها[9]. وبعد أن تكتمل زينة العروس

(١) ابن حبيب، أدب، ص٢٢٣. الطبراني، الكبير، ٣٤٧/١٩. ويدخل هذا العمل ضمن ما يسمى بالوصل وهو من الأمور المحرمة في الإسلام. انظر البخاري، صحيح، ٦٢/٧.

(٢) المرتضى، ٥٤٨/١.

(٣) المفضل بن محمد الضبي، المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون (ط٧، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م) ص١٠٦. أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، تحقيق خليل شرف الدين، ج١ (ط٢، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٩١م) ص٧٢. الأصفهاني، الأغاني، ٢٢٠/٢٢.

(٤) ابن منظور، ٧٤٢/٢.

(٥) الفاكهي، ٨٢/٤- ٨٣.

(٦) البخاري، صحيح، ١٤٤/٣.

(٧) الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس القرشي. قتل كافرًا في غزوة بدر سنة ٢هـ/ ٦٢٣م. الزبيري، ص١٥٣.

(٨) بنو أبي الحقيق من يهود بني النضير. كانوا يسكنون المدينة ثم أخرجهم رسول الله ﷺ منها بعد غزوة أحد فسكنوا خيبر. منهم سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق. الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، تحقيق ماردسن جونسن، ج١، (د. ط، عالم الكتب، بيروت د. ت) ص٣٧٤. ابن هشام، ١٩٢/٣ - ١٩٣.

(٩) ابن سعد، ٢٣٦/٨. سحنون، ٢٤٦/١.

تطيب بالطيب الذي تحرص أمها على تحضيره لها مسبقًا وترفق به الحجر الذي يسحق عليه الطيب الذي يسمى "مداكًا"[١]. ولا يقتصر التزيين على العروس، بل حتى الرجل يبدو أنه كان يهتم بزينته ويُرى أثر ردع زعفران عليه[٢]، وإن لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر تفصيلاً لتلك الزينة.

تتم جلوة العروس عند أهلها[٣] بإجلاسها على منصة[٤] لإظهارها لجميع الحاضرات[٥]، ثم يُدخَل الزوج عليها[٦] في بيت أو قبة مزينة بستور خضراء[٧]. ومن المتعارف عليه أن يقدم الزوج لعروسه في تلك اللحظة شيئًا يسمى جِلْوة، كأن يقدم وصيفة أو دراهم[٨]. ومن المرجح أنها كانت عبارة عن

(١) المفضل الضبي، المفضليات، ص١٠٧. ابن سعد، ٨/ ١٢١. ابن قتيبة، المعارف، ص٤٤٢. الأنباري، محمد بن القاسم، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبدالسلام هارون (ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص٩٠- ٩١. الزوزني، الحسين بن أحمد، شرح المعلقات السبع، (د. ط، مكتبة دار البيان للطباعة والنشر، بيروت د. ت) ص٤٦.

(٢) ابن سعد، ٣/ ١٢٦، ٥٢٣. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، الأشربة، تحقيق محمد كرد علي (د. ط، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م) ص ٥٦. المبرد، الكامل، ٣/ ١٩٧. الطبراني، الكبير، ١/ ٢٥٣، ٢٤/ ٣٢٢.

(٣) الطبراني، الكبير، ٢٣/ ٢٩.

(٤) المنصة: من النَّص أي رفعك الشيء، وهو سرير العروس الذي تقعد عليه لترى من بين النساء. ابن منظور، ٣/ ٦٤٨.

(٥) ابن حبيب، محمد، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون، ج٢ (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص١٥٣. الزبيري، ص٢٢١. المبرد، الكامل، ٢/ ١٠٢. ابن دريد، جمهرة، ١/ ١٤٥.

(٦) الزبيري ، ص٢٢١.

(٧) الطبراني، الكبير، ٤/ ١٤٠.

(٨) الصنعاني، ٦/ ٢٥٩ - ٢٦٠. ابن منظور، ١/ ٤٩٢.

وعد، ولا تقدم في نفس الوقت. ففي حديث لابن سيرين: "أنه كره أن يجلي امرأته شيئًا ثم لا يفي به"(١).

من مظاهر إشهار الزواج الضرب بالدف والغناء، ويعد هذا المظهر من الأمور المعروفة عند أهل مكة قبل الإسلام، فقد رُوِي أن رسول الله ﷺ دخل مكة ليسمر بها فسمع في أحد دورها عزفًا بالدفوف والمزامير فسأل عن ذلك فقيل له: إنه احتفال بعرس أحدهم(٢). ثم أصبح في الإسلام من الأمور المستحبة لإشهار النكاح، فعن عائشة أم المؤمنين أنها زفّت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال الرسول ﷺ : "يا عائشة، ما كان معكم لهو، فإن الأنصار يعجبهم اللهو"(٣). وقالت الرُّبَيِّع بنت معوذ(٤): "دخل عليَّ رسول الله ﷺ في يوم عرسي... وعندنا جاريتان تضربان بدف وتندبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر"(٥). وعن ثابت بن يزيد بن وديعة(٦) أنه قال: "رُخِّص لنا في الغناء في العرس"(٧). وعن عامر بن سعد(٨) أنه قال: "دخلت على أبي مسعود

(١) ابن منظور، ٤٩٢/١.

(٢) الطبري، تاريخ، ٢٧٩/٢. السيوطي، مسند علي، ص٣٠١.

(٣) البخاري، صحيح، ١٤٠/٦.

(٤) الربيع بنت معوذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار. كانت تشارك في غزوات الرسول ﷺ فتداوي الجرحى، كانت من المبايعات تحت الشجرة بيعة الرضوان. ابن الأثير، أسد، ١٦٧/٥، ١٠٧/٧.

(٥) ابن سعد، ٤٤٧/٨.

(٦) ثابت بن يزيد بن وديعة وقيل: ابن زيد بن وديعة: عده خليفة بن خياط من الأنصار الذين لم يحفظ لهم نسب إلى أقصى آبائهم، الطبقات، ق١، ٢٣١/٢. ابن الأثير، أسد، ٢٨١/١.

(٧) خليفة بن خياط، الطبقات، ق١، ٢٣١/٢. الطبراني، الكبير، ٢٠١/٢٢، ٢٥٨/٢٤.

(٨) عامر بن سعد البجلي الكوفي ذكره ابن حبان في الثقات له في الصحيح حديث واحد. ابن حجر، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، (ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٢٦هـ)، ٦٤/٥.

الأنصاري[١] وقرظة بن كعب[٢]، وثابت بن زيد[٣]، وهم في عرس لهم وجوارٍ يتغنين، فقلت: أتسمعون هذا وأنتم أصحاب محمد ﷺ؟! فقالوا: إنه قد رخص لنا في الغناء في العرس والبكاء على الميت"[٤].

لا يقتصر هذا الاحتفال على النساء والأطفال[٥]. وإنما قد يحضره الرجال أيضًا، يدلنا على ذلك ما ورد في النص السابق وإن لم يرد ما يدل على جلوسهم في مكان واحد سواء في الجاهلية أو الإسلام.

من المرجح أن الحضور كانوا يكرمون بتقديم تُحْفَة[٦] لهم فعن عبدالله بن عباس أنه قال: "لما ابتنى عمر بأم كلثوم، دخل على مشيخة المهاجرين، وكانت تحفته إياهم أن صَفَّرَ لحِاهم بالمَلاب"[٧]. أما الحاضرات فلم يرد ما يدل على ذلك وإن كان أمرًا غير مستبعد.

---

(١) أبو مسعود الأنصاري هو: عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة، من الخزرج. عرف بالبدري، لأنه سكن بدرًا. شهد العقبة الثانية، وكان أصغر من شهدها سنًا. اختلف حول سنة وفاته. ابن الأثير، أسد، ٥٧/٤، ٢٨٦/٦- ٢٨٧.

(٢) قرظة بن كعب بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي. شهد أحدًا وما بعدها، ومن المرجح أنه مات في خلافة معاوية. ابن حجر، الإصابة، ٢٣١/٣- ٢٣٢.

(٣) ثابت بن زيد لم أصل إلى تحديد شخصيته فقد وردت ثلاث تراجم باسم ثابت بن زيد. ولعله ثابت بن يزيد السابق الذكر فهو ينسب أيضًا بثابت بن زيد. ابن الأثير، أسد، ٢٦٩/١- ٢٧٠.

(٤) الطبراني، الكبير، ٢٤٧/١٧- ٢٤٨. وانظر أيضًا: ابن عبدالبر، ٢٦٦/٣- ٢٦٧.

(٥) البخاري، صحيح، ١٤٤/٦.

(٦) التحفة: "الطرفة من الفاكهة وغيرها". ابن منظور، ٣١٣/١.

(٧) البلاذري، أنساب، ١٩٠/٢. وانظر أيضًا: الطبري، محمد بن جرير، تهذيب الآثار (الجزء المفقود) تحقيق علي رضا بن عبدالله (ط١، دار المأمون للتراث، بيروت، دمشق ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ص٤٦٧. والملاب: عطر أو زعفران. الفيرزآبادي، القاموس، ص١٧٤. وانظر رواية أخرى: ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد، الإشراف في منازل الأشراف، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف (ط١، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ص١٧٨.

يسن في الزواج إعداد وليمة يدعى لها الناس بوصف ذلك مظهراً من مظاهر إشهار الزواج، إلا أنه اختلف في وقتها، هل عند العقد أو بعده؟ أو عند الدخول أو بعده؟ أو موسع من ابتداء العقد إلى انتهاء الدخول. وسبب هذا الاختلاف أنه لم يرد ما يدل على تعيين وقتها بالتحديد[١]، فكما ورد أنها قد تكون بعد الدخول[٢]. وورد أيضًا ما يدل على أنها قد تكون قبل الدخول[٣]. وإن استحب بعضهم أن تكون عند البناء ويقع الدخول بعدها[٤]. وعلى ذلك وضع وليمة العرس في الوقت الحاضر.

من المرجح أن الوليمة كانت من واجبات الزوج في الجاهلية والإسلام، فعندما تزوج هاشم بن عبدالمطلب أعد وليمة ودعا إليها أصحابه[٥]. كما أَوْلَمَ الرسول ﷺ بشاة عند زواجه بزينب بنت جحش[٦] وقال لعبدالرحمن بن عوف عندما علم أنه تزوج: "أولم ولو بشاة"[٧]. وفي حديث الرسول ﷺ مع علي يوم دخوله بفاطمة، قال: "يا علي إنه لا بد للعروس من وليمة"[٨].

ونظرًا لضعف الموارد الاقتصادية في أول الإسلام فقد كان الرجل يعان لإعداد وليمة العرس وقيل: إن الرجل كان يلبس ثوبًا مصبوغًا للدلالة على زواجه

---

(١) ابن حجر، فتح، ٩/٢٣٠- ٢٣١.

(٢) البخاري، صحيح، ٦/١٤٢.

(٣) ابن سعد، ٨/٢١.

(٤) ابن حجر، فتح، ٩/٢٣١. السيوطي، نزهة، ص٧٦.

(٥) ابن سعد، ١/٧٩.

(٦) البخاري، صحيح، ٦/١٤٢.

(٧) السابق نفسه.

(٨) ابن سعد، ٨/٢١. انظر أيضًا: الطبراني، الكبير، ٢/٤. السيوطي، مسند فاطمة، ص٨٣، ٨٤.

حتى يعان في إقامة وليمة عرسه[١]، وقد يعمدون كذلك إلى استعارة بعض الآنية للاستعانة بها في إعداد الوليمة، ويبدو أن أهل المدينة قد دأبوا على استعارة الآنية من اليهود، يدلنا على ذلك أن الرسول ﷺ سأل بني أبي الحقيق قبل إخراجهم من المدينة فقال: "أين آنيتكم التي كانت تستعار في أعراس المدينة؟"[٢].

في عصر الرسول ﷺ لم تكن الوليمة تزيد على صنف واحد من الطعام يعده أصحاب العرس[٣]. إلا أنها ما لبثت أن تنوعت أصنافها مع توسع الدولة الإسلامية وتدفق الغنائم في العصر الراشدي. فقد دُعي الخليفة عمر بن الخطاب إلى عرس "فرأى قدرًا صفراء وأخرى حمراء، واحدة مُرَّة وأخرى حلوة وواحدة محمضة"[٤]. ويرى أحد الباحثين[٥] في تلك الرواية دلالة على بداية التطور الغذائي في العصر الراشدي. وفي العصر الأموي أصبح هناك متخصصون لصنع طعام الولائم قال الأصفهاني[٦]: "وإنما سُمِّي إسماعيل بن يسار النَّسائي[٧]، لأن أباه كان يصنع طعام العرس ويبيعه، فيشتريه منه من أراد التعريس من المتجملين وممن لم تبلغ حاله اصطناع ذلك".

(١) البخاري، صحيح، ١٤٠/٦. ابن حجر، فتح، ٢٣٦/٩.

(٢) الطبراني، الكبير، ٣٨٣/١١.

(٣) البخاري، صحيح، ١٤٢/٦- ١٤٣.

(٤) الجاحظ، عمرو بن بحر، البخلاء (ط٢، المكتبة الثقافية، بيروت ١٩٧٨م) ص٥٣.

(٥) إحسان صدقي العمد، الخبز في الحضارة العربية والإسلامية، حوليات كلية الآداب، الحولية الثانية عشرة، الرسالة السادسة والسبعون، الكويت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٤٢.

(٦) الأغاني، ٤٠٠/٤.

(٧) إسماعيل بن يسار النسائي، مولى لبني تيم بن مرة من قريش. وصف بأنه مليح الشعر، عاش إلى أواخر عصر الدولة الأموية، مات حوالي ١٣٠هـ/ ٧٤٨م. الأصفهاني، الأغاني، ٤٠٠/٤. خير الدين الزركلي، ٣٢٩/١.

تقام الوليمة عادة في النهار، يدلنا على ذلك أن عثمان بن عفان عندما تزوج أرسل إلى الحسن بن علي يدعوه فأتاه وقال: "إني صائم ولو علمت أنكم تدعونني ما صمت"(١). كما أن عبدًا للمغيرة بن شعبة تزوج فدعا نفرًا ومنهم عثمان بن عفان فلما جاء قال: "إني صائم ولكنني أحببت أن أجيب الدعوة"(٢). ويبدو أن الوليمة كانت ضرورية لدى الحاضرة والبادية فالرجل إذا تزوج في البادية ولم يولم اجتمعوا عليه وقالوا له:

أولم ولو بيربوع(٣) أو بقراد(٤) مجدوع

قتلتنا من الجوع(٥)

من المتعارف عليه أن الوليمة تقام مرة واحدة إلا أن بعضهم كان يقيمها لعدة أيام، ولا شك أن ذلك يعد استمرارًا لما عرف في الجاهلية، فعندما تزوج أبو سفيان هند بنت عتبة أطعم الناس في أول يوم لحم جزور وسقاهم خمرًا، وفي اليوم الثاني لحم غنم وسقاهم نبيذًا، وفي اليوم الثالث لحم طير وسقاهم عسلاً(٦). إلا أنه في الإسلام أصبح من الأمور غير المستحبة، فعن الرسول ﷺ أنه قال: "طعام في العرس يوم سُنَّةٌ، وطعام يومين فَضْلٌ، وطعام ثلاثة أيام رياءٌ وسمعةٌ"(٧). ويبدو أن الأمر تطور فيما بعد وزاد على ثلاثة أيام ففي حديث

---

(١) ابن شبة، ٣/٩٨٤.

(٢) السابق، ٣/١٠١٩.

(٣) اليربوع دويبة أكبر من الجرذ. ابن منظور، ١/١١١٤.

(٤) القراد دويبة تعض الإبل. ابن منظور، ٣/٥٠.

(٥) ابن دريد، محمد بن الحسن، الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، ج١ (ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة د.ت) ص١٤١ - ١٤٢.

(٦) ابن عساكر، تاريخ، - تراجم - ص ٤٤٥.

(٧) الطبراني، الكبير، ١١/١٥١. وانظر أيضًا: السيوطي، نزهة، ص ٧٦.

لزوجة سيرين[١] أنها قالت: "لما بنى عليٌّ سيرين دعا أهل المدينة سبعة أيام"[٢]. ويسن أن يقوم المدعوون بعد تناول طعام الوليمة بالدعاء للزوجين بالبركة[٣].

من المرجح أن العرف السائد في العصر الجاهلي باديته وحاضرته إذا تزوج الرجل بامرأة سواء كانت من قومه أو غريبة عنه أن يتم الدخول عند أهلها. قال البلاذري[٤] عن عبدالله بن عبدالمطلب[٥]: "ثم إنه مضى مع أبيه إلى بني زهرة فزوَّجه آمنة[٦] وأقام عندها ثلاثًا وكانت تلك سُنَّتهم". وعندما تزوجت عفراء بنت عقال رجلاً من بلاد الشام أقام فيهم ثلاثة أيام ثم ارتحل بها[٧]، كما أن السليك بن مُجَمِّع[٨] تزوج بنت عم له "فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته"[٩].

قبل إهداء العروس إلى زوجها جرى العرف أن يقوم الأب أو من يقوم مقامه بوصية العروس، قال ابن حبيب[١٠] في حديثه عن السنن التي كانت

---

(١) سيرين مولى أنس بن مالك الأنصاري. ابن سعد، ١١٩/٧.

(٢) ابن سعد، ١٢١/٧. وانظر أيضًا: ابن أبي شيبة، المصنف، ٥٦١/٣. ابن حجر، فتح، ٢٤٢/٩.

(٣) ابن سعد، ١٢١/٧. ابن شبة، ٣/ ١٠١٩. البلاذري، أنساب، ق ٤، ٦٢١/١. ابن أبي الدنيا، الإشراف، ص١٧٨.

(٤) البلاذري، أنساب، ٨٠/١. وانظر أيضًا: ابن ظفر الصقلي، ص٥٢ - ٥٣. ابن عساكر، تاريخ - السيرة ، ٢٠٥/١.

(٥) عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، والد رسول الله ﷺ. الزبيري، ص٢٠.

(٦) آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب، أم رسول الله ﷺ. الزبيري، ص٢٠. الخراز، نهاية، ورقة ٣٢٩.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٢٦/٢٤.

(٨) السليك بن مجمع، رجل من غطفان يعد من الفرسان وكان مطلوبًا في كثير من القبائل بدماء قوم قتلهم. الأصفهاني، الأغاني، ٥٩/١٤.

(٩) الأصفهاني، الأغاني، ٥٩/١٤.

(١٠) ابن حبيب، المحبر، ص٣١٠.

موجودة في العصر الجاهلي: "وإذا كان قريب القرابة منه أو من قومه، قال لها أبوها أو أخوها إذا حُملت إليه: "أيسرت وأذكرت ولا آنثت! جعل الله منك عددًا وعزًا وجلدًا. أحسني خلقك وأكرمي زوجك. وليكن طيبك الماء". وإذا زُوجت في غربة قال لها: "لا أيسرت ولا أذكرت، فإنك تدنين البعداء وتلدين الأعداء. أحسني خلقك وتحببي إلى أحمائك، فإن لهم عليك عينًا ناظرة، وأذنًا سامعة. وليكن طيبك الماء". ويرى سميث[1] أن الآباء بصفة عامة يكرهون تزويج بناتهم من الغرباء لأن ذلك في اعتقادهم يجعلهن يلدن أعداء لقبيلتهن. إلا أن ذلك لم يؤد إلى توقف مصاهرة الغريب إما برضاهم أو نتيجة لوقوع بناتهم في الأسر وزواجهن من آسريهن، خاصة وأن هناك رغبة من قبل الرجال في التزويج من خارج القبيلة[2]. ومن وصاياهم لبناتهم في الإسلام وصية عبدالله بن جعفر[3] لابنته حين قال: "إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء"[4]. وعلقت إحدى الباحثات[5] على هذه الوصية بقولها: "فهذه الوصية

(1) Smith, p. 74.

(٢) انظر الفصل الثاني عن الإنجاب.

(٣) عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. ولد بالحبشة وقدم مع أبيه إلى المدينة في غزوة خيبر أي سنة ٧هـ/ ٦٢٨م، يعد من أجواد العرب في الإسلام. وتوفي في المدينة سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م. أبو عبيدة، الديباج، ص٣٠. ابن الأثير، أسد، ٣/١٩٨، ٢٠٠.

(٤) الجاحظ، المحاسن، ص٢٨٧. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ٢/٥٠. ابن أحمد بن هشام، ورقة ٥٩. ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى، المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق سيد حنفي حسنين (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٨٣م) ص ٦٠.

(٥) رجاء عودة، أدب البُنُوَّة في نثر العصرين الأموي والعباسي الأول، (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ص٣١.

على إيجازها رسمت المنهج السليم لبناء حياة أسرية مستقرة من خلال منظور الزوج الذي يدرك الأزمات الحقيقية للحياة الزوجية التي قد تؤدي إلى إخفاقها ... والتي اختزلها بكلمات ثلاث: الغيرة، المعاتبة، إهمال الزينة". ومن تلك الوصايا أيضًا وصية المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي لابنته إذ قال: "زوجك أولى بك منا اليوم فأحسني ما بينك وبينه"[(١)]. وترى إحدى الدراسات الحديثة[(٢)] انعدام تلك الوصايا في القرن الثاني الهجري وتعزو سبب ذلك إلى مزاحمة الجواري للنساء الحرائر، إلا أن هذا السبب لا يقبله العقل فلا يمكن أن يؤدي ذلك إلى توقف زواج النساء الحرائر. ولعل التعليل الأقرب إلى التصديق هو تجاهل بعض المصادر ذكر تلك الوصايا. فقد وردت إشارة عن وصايا تلقتها ابنة الإمام مالك من حاضنتها وأخواتها، حثتها فيها على محبة الزوج، وطاعته، والاقتصاد في النفقة، والطهارة، والعفاف[(٣)].

وعند إهداء العروس يحرص على تزيينها، فقد ألبست فاطمة بنت رسول الله ﷺ بردين[(٤)] ودملوجين[(٥)] من فضة مصفرين بزعفران[(٦)]. ويسن أيضًا الضرب بالدف، ومن المرجح أن ذلك كان معروفًا عند أهل المدينة قبل الإسلام فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أهدينا يتيمة من الأنصار. قالت: فلما رجعنا قال النبي ﷺ : ما قلتم؟ قالت: سلمنا وانصرفنا، قال: إن الأنصار يعجبهم الغزل ألا قلت يا عائشة:

---

(١) الزبيري، ص٣٠٩.
(٢) رجاء عودة، أدب، ص ٢٩٩.
(٣) ابن حبيب، أدب، ص ١٦٤- ١٦٦.
(٤) البرد من الثياب. وقيل هو ثوب فيه خطوط قد تكون من الوشي. ابن منظور، ١٨٩/١.
(٥) الدملوج، هو المعضد من الحلي. ابن منظور، ١٠١٤/١.
(٦) ابن سعد، ٢٤/٨.

أتينـاكـــم أتينـاكـــم   فحيُّـونـــا نحيِّيكـــم[1]

وتزوج أحد الأنصار إحدى قريبات لعائشة رضي الله عنها فأهدتها إلى زوجها في قُباء[2]. فقال النبي ﷺ : "أهديت عروسك؟ قالت: نعم. قال: فأرسلت معها بغناء فإن الأنصار يحبونه، قالت: لا. قال: فأدركيها بأرنب"[3].

من الواضح أن إهداء المرأة إلى بيت زوجها كان أمرًا تقوم به النساء ويطلق عليهن "الزواف"[4]. فعن أحد الأنصار أنه قال : "أخبرتني جدتي أنها كانت مع النسوة اللاتي أهدين فاطمة إلى علي"[5]. وفي رواية أخرى توضح زفة عروس في العصر الأموي ورد ما يدل على أن النساء كن هن الزواف وبصحبتهن إحدى المغنيات[6]. وبعد إهداء العروس تعود النسوة وتبقى واحدة فقط. ففي ليلة إهداء فاطمة شاهد رسول الله ﷺ امرأة عندها فقال: "من أنت؟ قالت: أنا الذي أحرس ابنتك، إن الفتاة ليلة بنائها ... لا بد لها من امرأة تكون قريبة منها إن عرضت لها حاجة أو أرادت شيئًا أفضت بذلك إليها"[7]. وقد يبعث مع

---

(١) ابن الأثير، أسد، ٢١٤/٧. وانظر أيضًا: ابن سعيد الأندلسي، ص١٨٤.

(٢) قباء تقع على بعد ميلين من المدينة المنورة، فيها أول مسجد أسس على التقوى. أبو الفداء، إسماعيل بن محمد، تقويم البلدان (د. ط، دار صادر، بيروت د. ت) ص٨١. وتتصل حاليًا بالمدينة المنورة عمرانيًا، كثيرة البساتين والسكان. عاتق البلادي، المعالم، ص ٢٤٨- ٢٤٩.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ٢٢٦/٤، ٣٢٠. وأرنب امرأة كانت تغني بالمدينة. ابن حجر، الإصابة، ٢٢٦/٤.

(٤) ابن دريد، جمهرة، ١٢٩/١.

(٥) ابن سعد، ٢٤/٨. وانظر أيضًا: الطبراني، الكبير، ٦٩/٢٥. ابن الأثير، أسد، ٣١٤/٧، ٦٢٢، ٦٢٣.

(٦) الفاكهي، ٢٤/٣.

(٧) الطبراني، سليمان بن أحمد، الأحاديث الطوال، ملحق بالجزء الخامس والعشرين من كتاب المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي (د. ط، مطبعة الأمة، بغداد، د. ت) ص٣٠٩. وانظر أيضًا: ابن سعد، ٢٣/٨.

العروس جارية لتكون في خدمتها، فالرسول ﷺ بعث مع ابنته رقية[١] يوم إهدائها على عثمان أمة تدعى أم عياش[٢].

بعد إهداء العروس إلى زوجها يبقى معها مدة من الزمن، وقد وضح ذلك في الحاضرة، وتتراوح المدة بين سبعة أيام أو ثلاثة. فقد كان الرسول ﷺ يقول لأم سلمة حين تزوجها: إن شئت سَبَّعتُ عندك وسَبَّعتُ عندهن، وإن شئت ثَلَّثتُ عندك ودرت[٣]. وقال أنس بن مالك: "للبكر سبعٌ وللثيب ثلاث"[٤]. ويبدو أن البقاء مع المرأة الثيب مدة سبعة أيام دليل على محبته لها، ومن ذلك أن تماضر بنت الأصبغ[٥] تزوجها الزبير بن العوام بعد موت عبدالرحمن بن عوف، فأقام معها سبعًا ثم لم يلبث أن طلقها فكانت تقول للنساء: "إذا تزوجت إحداكن فلا يغرنك السبع بعدما صنع بي الزبير"[٦].

من المرجح أن البقاء مع العروس ثلاثة أيام أو سبعة يعني في الحاضرة انقطاعه عن الخروج إلى أي مكان حتى إلى صلاة الجماعة، وفي ذلك قال ابن حجر[٧] عن أحد سكان البادية: "تزوج الحارث بن حسان[٨] ... وكان الرجل

---

(١) رقية بنت محمد رسول الله ﷺ بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم. عدّها الزبيري أصغر بنات الرسول ﷺ، هاجرت إلى الحبشة. توفيت سنة ٢هـ/ ٦٢٣م. الدولابي، الذرية، ص٥٢.

(٢) ابن شبة، ٩٨٥/٣. ابن حجر، الإصابة، ٤٨١/٤.

(٣) مالك، ٥/٢.

(٤) مالك، ٥/٢- ٦. وانظر أيضًا: ابن حنبل، ١٤٧/١٠. البخاري، صحيح، ١٥٤/٦. سحنون، ٢٦٩/١.

(٥) تماضر بنت الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة الكلبية. تزوجها عبدالرحمن بن عوف استجابة لطلب رسول الله ﷺ عندما بعثه إلى بني كلب يدعوهم إلى الإسلام. ابن حجر، الإصابة، ٢٥٥/٤.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ٢٥٥/٤.

(٧) السابق، ٢٧٧/١.

(٨) الحارث بن حسان بن يزيد البكري الذهلي. كان يسكن البادية، قدم على رسول الله ﷺ في سنة ٨هـ/٦٢٩م. ابن حجر، الإصابة، ٢٧٧/١.

إذا تزوج تخدر أيامًا فقيل له في ذلك فقال: والله إن امرأة تمنعني صلاة الغداة في جَمْعٍ لامرأة سوء".

هذه هي أهم الملامح التي تعطي تصورًا تقريبيًا لوضع الأعراس في الحجاز خلال مدة الدراسة، ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من الزواج هو الشائع في ذلك الوقت إلا أن بعضهم قد يعمد للزواج سرًا، ولا يمارس هذا النوع من الزواج إلا من اتصف بالشرف ولديه زوجة ذات قدر شريف وأراد الزواج من امرأة ليست بذات مكانة اجتماعية، أو تمارس مهنة غير شريفة إلا أن هذا النوع من الزواج نادر الحصول، وممن أراد أن يتزوج بهذه الطريقة محمد بن عبدالله بن عمرو(١) الذي أراد الزواج سرًا بخليدة المكية(٢) فقالت له: "لا ينبغي أن يستحي من الحلال، فأما نكاح السر فلا والله لا فعلته ولا كنت عارًا على القيان". فلما أخبر بردها قال: "أتزوجها معلنًا وعندي بنت طلحة بن عبيدالله؟ لا"(٣).

(١) محمد الأصغر بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان. كان يقال له الديباج من حسن وجهه، مات في سجن الخليفة أبي جعفر المنصور. الزبيري، ص١١٤، ١١٦- ١١٧.

(٢) خليدة المكية، كانت مولاة لابن شماس، أخذت الغناء عن ابن سريج ومعبد. الأصفهاني، علي ابن الحسين، القيان، تحقيق جليل العطية (ط١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٨٩م) ص٦٠. عمر رضا كحالة، أعلام، ١/٣٥٦.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/٢٠٣. الأصفهاني، القيان، ص٦٠- ٦١. عبدالرحمن العبيد عبدالماجد، تحقيق كتاب: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، لعبدالرحمن بن علي بن الجوزي (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ص٢٧٩. ابن فضل الله العمري، ١٠/١٢٣.



الفصل الثاني

الصبيان

أولاً : الإنجـــاب

ثانياً : الاسترضاع والحضانة

ثالثاً : اللبـاس والزينـــة

رابعاً : أغاني ترقيص الصبيان

خامساً : ألعـاب الصبيان

سادساً : عـادات أسـرية خـاصـة بالصبيـان



أولاً - الإنجـــاب :

يمكن أن يعد الإنجاب الدافع الرئيس لتكوين الأسرة، لذلك اهتم العرب بانتقاء أمهات أولادهم، ففضلها بعضهم غريبة لاعتقادهم أن ذلك سبب في نجابة الأولاد وكمال أجسامهم(1). فقد قدم على الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أحد أخواله فقال له: "ومن عندك من النساء؟ قال: ابنة عمي الحسين. قال: ومالك ولبنات العم؟ إنهن يُضْوِين وإن الغرائب أنجب. اعرض عليّ بنيك، فدعا بعبدالله فقال: هذا سيد، ثم دعا بالحسن بن الحسن فقال: ولا بأس، ثم دعا بإبراهيم بن الحسن فلما رآه قال: حسبك منها"(2). ويرى أحد الباحثين(3) أيضًا أن الزواج من امرأة غريبة يقلل من المشكلات العائلية التي تنشأ بسبب الزواج من الأقارب.

حرص العربي على إنجاب عدد كبير من الذرية، إلا أن هناك تفضيلاً واضحًا لإنجاب الذكور على الإناث، يتساوى في ذلك مجتمع الحاضرة والبادية. فالإنجاب يعد مقياسًا للتفاضل بين الرجال، فقد اختلف عبدالمطلب بن هاشم وحرب بن أمية(4) فجعلا بينهما حكمًا هو نفيل بن عبدالعزى(5) فقال لحرب:

---

(1) ابن قتيبة، عيون، ٤/٣. الخويِّي، ص٥٤٢. Smith, p. 74 - 75.

(2) البلاذري، أنساب، ٣/٧٥.

(3) ي. أ. بليبايف، العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة أنيس فريحة (ط١، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣م) ص١٠٥.

(4) حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي بن كلاب. يعد من سادات قريش، توفي حوالي ٣٦ق. هـ/ ٥٨٨م. الزبيري، ص١٢١. خير الدين الزركلي، ٢/١٧٢.

(5) نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، من قريش. أحد قضاة العرب في الجاهلية، توفي حوالي ٥٠ق. هـ/ ٥٧٥م. الزبيري، ٣٤٦- ٣٤٧. خير الدين الزركلي، ٨/٤٥.

"يا أبا عمرو أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة وأعظم هامة ... وأكثر منك ولدًا!؟"[1]. كما كان بين حاتم الطائي وأوس بن حارثة صداقة فأراد النعمان بن المنذر إفسادها فدخل على حاتم فقال له: يقول أوس: إنه أفضل منك وأشرف. فقال: "صدق، أين عسى أن أقع من أوس!؟ له عشرة ذكور أخسُّهم أفضل مني"[2]. ولعل هذا ما أدى إلى انتشار ظاهرة التبني في الجاهلية[3].

كانت الرغبة في إنجاب الذكر تسيطر أيضًا على أذهان النساء، خاصة عند من أنجبت عددًا من الإناث. لذلك كنّ يعمدن إلى النذور ليتحقق أملهن بإنجاب مولود ذكر، فقد كانت أم الغوث بن مر[4] لا تنجب إلا إناثًا فأقسمت إن أنجبت ذكرًا لتجعلنه خادمًا للكعبة[5]، كما عمد بعض منهن إلى تصديق المشعوذين رغبة منهن في إنجاب الذكور. فقد نزل رجل من البادية على أهل أبيات كانت فيهن امرأة حبلى فقال لها: "أيسرك أن تلدي غلامًا؟ قالت: نعم، قال: إن أعطيتني شاة ولدت غلامًا فأعطته فسجع لها أسجاعًا..." [6].

ولو حاولنا أن نقومَ بدراسة نتعرف من خلالها إلى وضع الإنجاب في أسر بني هاشم قبل الإسلام وبعده[7] لوجدناه كالآتي:

---

(١) ابن سعد، ٨٧/١. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ٣٠١/٣.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ٢٤/٢.

(٣) انظر ما سبق ذكره في التمهيد.

(٤) الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، أبناؤه يعرفون ببني صوفة. ابن حزم، ص٢٠٦. خير الدين الزركلي، ١٢٣/٥.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص٢٥٥.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ١١/١.

(٧) اعتمدت في هذه الدراسة على كتاب: الزبيري، ص ١٥- ٩١. وانظر الملحق رقم (١).

١ - الإنجاب في أسر بني هاشم خلال العصر الجاهلي :

- مجموع الأسر سواء كانت زوجاً وزوجة واحدة، أو زوجًا وعدة زوجات، أو أمهات أولاد بلغ حوالي عشرين أسرة.
- مجموع حالات الإنجاب ذكورًا وإناثًا بلغ حوالي مئة وست حالات.
- مجموع الذكور فقط بلغ حوالي ثلاثة وسبعين أي بنسبة ٦٨,٨٦٪ تقريبًا من مجموع حالات الإنجاب.
- مجموع الإناث فقط بلغ حوالي ثلاث وثلاثين أي بنسبة ٣١,١٣٪ تقريبًا من مجموع حالات الإنجاب.
- معدل الإنجاب في الأسرة الواحدة بلغ حوالي خمسة أطفال.

ومن خلال ما سبق نخرج بالملحوظات الآتية:

- أن إنجاب الذكور كان أكثر من إنجاب الإناث. ولعلنا نتساءل عن السبب في ذلك؟ للإجابة عن هذا التساؤل نطرح افتراضين:
- أن مؤلف كتاب نسب قريش وإن بدا أفضل من غيره من كتب النسب إلا أنه على الأرجح لم يكن يذكر أسماء الإناث من ذرية الشخص دائمًا. أو لم يكن يذكرها كاملة.
- أن عادة وأد البنات التي كانت معروفة في قريش وتمارس فعليًا قبل الإسلام قد يكون لها دور في انخفاض أعداد الإناث.

٢ - الإنجاب في أسر بني هاشم خلال مدة الدراسة[1]:

- مجموع الأسر سواء كانت زوجًا وزوجة واحدة، أو زوجًا وعدة زوجات، أو أمهات أولاد بلغ حوالي إحدى وخمسين ومئة أسرة.

---

(١) انظر الملحق رقم (٤) ولمزيد من المعلومات عن موضوع الأبناء ودراسة معدل إنجابهم انظر أيضًا: شارل بيلا، معدل المواليد في زمن النبي ﷺ (طريقة بحث)، ترجمة فاطمة عصام صبري، رسائل جغرافية، العدد ١٣٢، الكويت ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣- ٤٩.

- مجموع الإنجاب ذكورًا وإناثًا بلغ حوالي خمسة وسبعين وخمس مئة.
- مجموع الذكور فقط بلغ حوالي سبعين وثلاث مئة أي بنسبة ٦٤,٣٤٪ تقريبًا من مجموع الإنجاب.
- مجموع الإناث فقط بلغ حوالي مئتين وخمس إناث أي بنسبة ٣٥,٦٥٪ من مجموع الإنجاب.
- معدل الإنجاب في الأسرة الواحدة بلغ حوالي أربعة أطفال.

ومن خلال ما سبق نخرج بالملحوظة الآتية :

- أن إنجاب الذكور فاق إنجاب الإناث، ولعل ما سبق أن ذكرناه عن مؤلف كتاب نسب قريش ينطبق هنا أيضًا.

يتبقى لنا تساؤل حول موقف الأب من إنجاب الإناث؟ قد يُسبِّب إنجاب الأنثى إحباطًا لدى بعض الآباء. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[1]. ولننظر إلى موقف أحدهم عندما بُشِّر بأنثى، قال البيهقي[2]: "بُشِّر الأحنف بجارية فبكى. فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لِمَ لا أبكي وهي عورة، وبكاؤها عَبْرة، وهديتها سرقة، ونصرتها البكاء، ومَهْنَؤُها لغيري؟!". وربما وصل به الإحباط إلى تطليق الأم[3] أو هجرها[4]، أو قد يتحول هذا الإحباط إلى كره تجاه هذه المولودة يتمثل في الدعاء عليها بالموت،

(١) سورة النحل، آية (٥٨).

(٢) البيهقي، إبراهيم بن محمد، المحاسن والمساوئ (د. ط، دار صادر، بيروت د. ت) ص٥٦٣.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٢٠/٤٢٠.

(٤) الجاحظ، البيان، ١/١٠٥. الميداني، ١/٦٤.

كما كان يفعل أوس بن ساعدة(1) تجاه بناته(2). ويتضح مقدار تفضيل الذكور على الإناث في الجاهلية من خلال ما ورد في المصادر من حرمان الأنثى من الإرث(3). وقد استمر هذا الوضع حتى عصر الرسول ﷺ، ولم يتغير إلا بعد أن مات رجل من الأنصار يدعى أوس بن ثابت(4) وترك بنتين وابنًا صغيرًا(5)، فجاء ابنا عمه فأخذا ميراثه فأتت أمهم إلى رسول الله تشتكي(6) فأنزل الله عز وجل على نبيه هذه الآية: ﴿**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا**﴾(7).

---

(1) لم أجد له ترجمة سوى أنه أوس بن ساعدة الأنصاري. صحابي. ابن الأثير، أسد، 1/171. ابن حجر، الإصابة، 1/84.

(2) ابن الأثير، أسد، 1/171.

(3) ابن حبيب، المحبر، ص324. ابن الأثير، أسد، 2/104. ابن حجر، الإصابة، 1/80.

Smith, p.65- 66 ويبدو أن هذه العادة استمرت في بعض مناطق الحجاز حتى بعد ظهور الإسلام، فقد ورد في كتاب العقد الثمين للفاسي أن أحمد بن محمد التوزي الذي قدم مكة بعد سنة 790هـ/ 1388م كان لا يأكل بها لحمًا ولا ما يجلب من بلاد الطائف وناحيتها من القمح والسمن وغير ذلك لما اشتهر عن أهلها أنهم لايُورِّثون الأنثى. 3/175. وانظر أيضًا رأي أحمد محمد الحوفي في موضوع توريث البنات. المرأة في الشعر الجاهلي، (ط3، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة 1400هـ/ 1980م) ص332- 337.

(4) أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري. أخو حسان بن ثابت الشاعر، قيل: إنه توفي شهيدًا في غزوة أحد أي سنة 3هـ/ 624م. ابن عبد البر، 1/77.

(5) كان الذكور الصغار أيضًا يحرمون من الميراث ولا يورثون إلا من حاز الغنيمة، وقاتل على ظهور الخيل. ابن حبيب، المحبر، ص324. ابن الأثير، أسد، 2/104. ابن حجر، الإصابة، 1/80.

(6) ابن الأثير، أسد، 2/104. ابن حجر، الإصابة، 1/80.

(7) سورة النساء، آية (7).

من المرجح أن تفضيل الذكور على الإناث له ارتباط واضح بالعصبية والنسب. فالرجل هو امتداد للأسرة والقبيلة، كما أن له ارتباطاً بالوضع الاقتصادي، فالرجل يؤدي دورًا رئيسًا في الصيد والحروب(1)، فيما يتركز دور المرأة على تدبير شؤون البيت وتربية الأبناء. ومع ذلك فقد كان بعض الآباء يعطفون على بناتهم ويدللونهن. ولعل ذلك رحمة منهم لهن نتيجة لما ينسب لهن من الضعف، ولحنوهن على آبائهن، فقد كان معن بن أوس(٢) مئناثًا(٣)، وكان يحسن صحبة بناته وتربيتهن، وعندما ولد لأحد أفراد عشيرته بنت فكرهها وأظهر جزعًا من ذلك، قال معن:

رأيتُ رِجالاً يَكْرَهون بَنَاتِهم ... وفِيهنّ - لا تُكْذَبْ - نِساءٌ صَوالِحُ
وفيهنّ - والأيَّامُ تَعْثُر بالفتى- ... نَوادِبُ لا يَمْلَلْنَهُ ونَوائِحُ(٤)

كما كان لبيد بن ربيعة(٥) يشفق على ابنتيه أن تحزنا عليه بعد موته فيقول:

(1) Al. Hatimy, Said. A, Woman in Islam- Comparative Study (Ist, ed, Islamic Publications LTD, Iahore 1979) P. 17.

(٢) معن بن أوس بن نصر بن زياد بن أسعد بن أسحم بن ربيعة المزني. شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام، مات في المدينة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م. ابن حزم، ص٢٠٢. البغدادي، عبدالقادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج٣ (ط١، دار صادر، بيروت د. ت) ص٢٥٨. خير الدين الزركلي، ٧/٢٧٣.

(٣) مئناث أي لا يولد له إلا الإناث. ابن منظور، ١/١١١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٢١/٧١. الثعالبي، عبدالملك بن محمد، اللطائف والظرائف، (ط١، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص١٧٩. البغدادي، ٣/٢٥٨.

(٥) لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. كان من شعراء الجاهلية وفرسانهم، وفد على النبي ﷺ، يعد من المعمرين، توفي سنة ٤١هـ/٦٦١م. أبو حاتم السجستاني، ص٨٥. ابن قتيبة، الشعر، ص١٢٣. ابن حجر، الإصابة، ٣/٣٢٦.

تمنَّـى ابنتـــايَ أن يعيــشَ أبـوهـمـــا   وهَلْ أنـا إلا مـن ربيعـــةَ أو مُضَـــرْ؟

فـإنْ حـــانَ يـومًـا أن يمـوت أبـوكمـا   فلا تَخمِشا وَجْهًا ولا تحلِقَا شَعَرْ[1]

ويبلغ إعزاز بعض الآباء لبناتهم أنهم كانوا يكتنون بأسمائهن حتى وإن كان لهم أبناء ذكور. فقد كان ربيعة بن رياح[2] يكنى بأبي سُلْمى[3]، والنابغة الذبياني[4] يكنى بأبي أمامة[5]، وتميم الداري يكنى بأبي رقية حيث لم يولد له غيرها[6]. كما اشتهر بعضهم بكنيته حتى غلبت على اسمه، ومنهم أبو أَثِيلة السلمي[7]، وأبو بهية[8]، وأبو بُهيسة الفزاري[9]. إلا أن ذلك لا ينفي أن الغالب على الأسر تفضيل الذكور من الأبناء.

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٣٦٨/١٥.

(٢) ربيعة بن رياح وقيل قرط، اختلف في نسبته إلى مُزينة، وقيل: إنه من غطفان، هو والد الشاعر زُهير بن أبي سُلمى. ابن قتيبة، الشعر، ص٥١. البغدادي، ٣٧٥/١. خير الدين الزركلي، ٣٧٥/١.

(٣) البغدادي، ٣٧٥/١- ٣٧٦.

(٤) النابغة الذبياني هو: زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر، ينتهي نسبه إلى سعد بن ذبيان بن بغيض. أحد شعراء الجاهلية وفحولهم، عده الجمحي في الطبقة الأولى. ٥٦/١. ابن قتيبة، الشعر، ٦١، ٦٤- ٦٥. البغدادي، ٢٨٧/١.

(٥) البغدادي، ٢٨٧/١.

(٦) ابن عبدالبر، ١٨٤/١.

(٧) ابن الأثير، أسد، ٦/٦. وهو: أبو أثيلة بن راشد السلمي. له صحبة، ويعد من أهل الحجاز. ابن الأثير، أسد، ٦/٦.

(٨) ابن الأثير، أسد، ٣٩/٦. وأبو بهية هو عبدالله بن حريث البكري. صحابي، روى عن الرسول ﷺ. ابن الأثير، أسد، ٢١٤/٣. ابن حجر، الإصابة، ٢٩٧/٢.

(٩) ابن الأثير، أسد، ٣٩/٦. وأبو بهيسة لعله عمير أبو بهيسة الفزاري. صحابي، روى عن رسول الله ﷺ. ابن الأثير، أسد، ٢٨٦/٤.

يبدأ الاهتمام بالمولود قبل أن يُحمل به، ويتضح ذلك من خلال حرص أبويه على اختيار الوقت المناسب للحمل به[١]. وإذا حملت به قيل عنها امرأة جَامِع[٢]، أو امرأة حُبلى[٣]. وقد تلده في تمامه وعند ذلك يقال لها امرأة مُتِم[٤]، أو قد تلده لستة أشهر أو سبعة[٥] ويقال له مُسَبّع[٦]. ومن الاعتقادات السائدة عند العرب أن حمل بعض النساء قد يستمر أكثر من سنتين وهي حالات نادرة[٧]. وقد تتعرض المرأة لإسقاط مستمر فيطلق عليها امرأة مِقْلات[٨]، أو رَقُوب[٩]، أو امرأة مسقط[١٠]. وإذا تكرر حمل المرأة كل عام قيل عنها ولدت رأسًا على رأس[١١]، وإذا كثر ولدها قيل سَرأت المرأة[١٢]، أو

(١) ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ، تحقيق لويس شيخو، ج١ (د. ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة د.ت) ص٣٤٤. أبو سعيد السكري، ١٠٧٣/٣. البلاذري، أنساب، ٢٨٤/٣. الطبراني، الكبير، ٣٢/٦. ابن عساكر، تاريخ - السيرة - ٢٦٥/١.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ١٢٦٨/٣.

(٣) الثعالبي، فقه، ص١٦٧.

(٤) البخاري، صحيح، ٢١٦/٦. الزبير بن بكار، جمهرة، ٨٢/١، ٣٥٣. ابن دريد، جمهرة، ١٢٦٩/٣.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٩٥.

(٦) ابن منظور، ٨٩/٢.

(٧) ابن سعد، ٣٠٠/٦- ٣٠١. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، دراسة وتحقيق زياد منصور (ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) ص٤٣٤، ٣٥٥. ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٩٤- ٥٩٥.

(٨) ابن السكيت، ٣٤٣/١ - ٣٤٤. ابن دريد، جمهرة، ١٢٦٨/٣.

(٩) ابن السكيت، ٣٤٤/١. الميداني، ٣٦٩/٢. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، فضل الجَلَد عند فقد الولد، تحقيق محمد أبو عمة (ط١، دار الصحابة للتراث، طنطا ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص٣٢، ٤٥. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، فضل موت الأولاد، تحقيق خالد جمعة وعبدالقادر أحمد (ط١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص١٨، ٢٦.

(١٠) ابن دريد، جمهرة، ١٢٦٨/٣.

(١١) الميداني، مجمع، ٣٧٠/٢.

(١٢) ابن دريد، جمهرة، ١٠٩٩/٢.

امرأة ضَانئ[1]، أو ناتق[2]. وإذا كانت قليلة الولد سميت امرأة نَزور[3]. وإذا ولدت توأمًا قيل أتأمت المرأة[4]. وقد وردت إشارات كثيرة طوال مدة الدراسة عن ولادة توائم[5]. وكما قد تتقارب مدد الحمل فقد تتباعد أيضًا، وقد تبلغ المدة بين الولادتين أكثر من عشر سنين[6]. وكانوا يرون أن المرأة لا تلد بعد خمسين سنة[7]. ويطلقون على آخر الولد الزُّكْمة[8]. وكانوا يحرصون على إنجاب نسائهم ذكرًا[9]، وإن تكرر ذلك منها أُطلق عليها اسم امرأة مذكار، وإن أنجبت البنات سميت امرأة مئناثاً[10]. وترى إحدى الباحثات[11] أن المرأة يطلق عليها منجبة إن كان لها ثلاثة بنين. وإن صح هذا القول فما أكثر المنجبات في العرب! وبمراجعة المصدر الذي اعتمدت عليه وجدنا ابن حبيب[12] يعد

---

(١) ابن دريد، جمهرة، ٢/٩١٢، ١٠٧٨.

(٢) ابن السكيت، ١/٣٤٦. ابن دريد، جمهرة، ٢/٧٥٧.

(٣) ابن السكيت، ١/٣٤٣. ابن دريد، جمهرة، ٢/٧١١.

(٤) ابن دريد، الاشتقاق، ٢/٣٤٢. ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، ج١ (ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) ص١٧٨.

(٥) ابن سعد، ٥/٢٠٢، ٦/٣٩٦، ٧/٢٢٠، ٤٨٢. ابن سعد، (القسم المتمم) ص١٤٩. الأصفهاني، الأغاني، ١/٣٦٩. ابن حجر، الإصابة، ١/٣٥٧، ٤/٢٥٦.

(٦) حسان بن ثابت، ص٢٢٢، الكلبي، جمهرة، ص٣٠. أبو عبيد، النسب، ص١٩٧. ابن سعد، ١/٦٧، ١٢١- ١٢٢، ٤/٤٢. ابن حبيب، المنمق، ص٨٢. ابن قتيبة، المعارف، ص١٢٠. البلاذري، أنساب، ٢/٤٠، ٤١.

(٧) ابن قتيبة، عيون، ٢/٦٧.

(٨) ابن دريد، جمهرة، ٢/١١٥٥.

(٩) ابن الزبير، ص١١١.

(١٠) ابن السكيت، ١/٣٤٧. ابن دريد، جمهرة، ٣/١٢٦٨.

(١١) إلهام البابطين، ص ١٦٢.

(١٢) المحبر، ص ٤٥٥ - ٤٥٧.

المنجبة من لها ثلاثة بنين أشراف. وقد يطلق على المرأة منجبة حتى وإن لم يَشْرُف من أبنائها الثلاثة سوى واحد أو اثنين. قال ابن حبيب: "وسلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد النجارية ولدت (عبدالمطلب) سيد مضر في زمانه فأنجبت. ولها من أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبا الأوسي (عمرو) و(معبد) فكانت نجابتها بعبدالمطلب دون أخويه. ولو كان عبدالمطلب مثلهما لم تعد منجبة... وفاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف ولدت (طالبًا وعقيلاً وجعفرًا وعليًا) بني أبي طالب فأنجبت بجعفر وعلي دون أخويهما".

وبعد ولادة الأم تقدم التهاني لوالده، ففي الجاهلية إن كان المولود ذكرًا قيل له: "لِيَهْنِكَ الفارس"(١). وإن كانت أنثى قيل له: "لتهنئك النافجة"(٢). أما في الإسلام فقد هنأ علي بن أبي طالب ابن عمه عبدالله بن عباس بمولود ولد له فقال له: "شكرت الواهب وبورك في الموهوب"(٣). كما ورد ما يدل على استمرار تهاني الجاهلية(٤). وتخرس الأم بعد الولادة مباشرة بتقديم طعام لها يسمى الفريقة يصنع من تمر وبر أو لبن يطبخان بحلبة(٥). ويعتقد أن المرأة إن كانت بكرًا وأنجبت ذكرًا حظيت في نفاسها بعناية واهتمام أكثر ممن أنجبت أنثى(٦). قال الأعلم الهذلي(٧) يصف جدب الزمان وقلة المعيشة:

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٣٤.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ٤٨٩/١.

(٣) المبرد، الكامل، ١٥٧/٢.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص ٤٣٤.

(٥) الثعالبي، فقه، ص٢٤٥. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٢١/٢. ابن منظور، ٨١١/١، ١٠٨٧/٢.

(٦) ابن منظور، ٨١١/١.

(٧) الأعلم الهذلي هو: حبيب بن عبدالله أخو صخر الغيّ الهذلي ثم الخُثمي. أبو سعيد السكري، ٣١١/١.

إذا النُّفَسَاء لَمْ تُخَرَّسْ ببِكْرِهَا   غُلامًا وَلَمْ يُسْكَتْ بَحِتْرٍ[1] فطِيمُهَا[2]

ثم يحتفل بسلامة المرأة ويطلق على الوليمة المقامة لها الخُرْس[3] وتقدم الهدايا للمولود[4].

يرتبط بموضوع الإنجاب ظاهرة اجتماعية مهمة انتشرت بين بعض الأسر، ألا وهي ظاهرة الوأد التي كانت تمارس قبيل الإسلام بين بعض القبائل العربية[5] مثل: تميم[6]، وقيس[7]، وهذيل[8]، وأسد[9]، وبكر بن

(١) الحتر: الشيء القليل. أبو سعيد السكري، ١/٣٢٧. ابن منظور، ١/٨١١.

(٢) ابن السكيت، ١/٣٤٣. أبو سعيد السكري، ١/٣٢٧، ٣٧٦.

(٣) ابن السكيت، ١/٣٤٢. ابن دريد، جمهرة، ٣/١٢٧١. الثعالبي، فقه، ص٢٤٤. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٢/٢٢. ابن منظور، ١/٨١١.

(٤) النويري، ٣/١٤٣.

(٥) شكّكَ مرزوق بن تنباك في هذه الظاهرة ورأى أن المؤودة المشار إليها في القرآن الكريم هي النفس بشكل عام ذكرًا كانت أم أنثى، وأن العادة التي مارسها عرب الجاهلية تتعلق بالمولود الذي يولد من علاقة غير شرعية حيث كان مصيره الدفن حيًا منذ ولادته. إلا أن البحث لم ينشر حتى الآن مما يجعل من الصعب على الباحثة مناقشته. انظر: خالد الفرم، باحث سعودي يقدم تفسيرًا جديدًا لآية الوأد، جريدة الحياة، العدد ١٢٥٢٣، الجمعة، ٨ صفر ١٤١٨هـ/ ١٣ يونيو ١٩٩٧م.

(٦) ابن حبيب، أسماء، ص١٤٧. ابن شبة، ٢/٥٣٢. المبرد، الكامل، ٢/٦٧- ٦٩. الأصفهاني، الأغاني، ١٤/٧٠- ٧٢، ٢١/٢٨٢. حمزة الأصفهاني، ١/٢٧٩. الطبراني، الكبير، ١٨/٣٣٧. ابن عبدالبر، ٢/٤٣٦، وتميم قبيلة تنتسب إلى تميم بن مر بن إد بن طابخة. كانت منازلهم في أرض نجد، ثم تفرقوا في الحواضر. القلقشندي، نهاية، ص١٨٨.

(٧) لعلهم بنو قيس بطن من آل عامر بن صعصعة. القلقشندي، نهاية، ص ٤٠٣.

(٨) هم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس، قبيلة حجازية، ما زالت في مواطنها الأصلية، تنقسم قسمين: هذيل اليمن، وهذيل الشام، فكل ما هو جنوب جبل كبكب الواقع جنوب عرفات يسمى هذيل اليمن، وكل ما هو شماله يسمى هذيل الشام. القلقشندي، نهاية، ص٤٣٥. عاتق البلادي، قبائل، ص ٥٤٧، ٥٤٩.

(٩) لعلها أسد بن خزيمة.

وائل[١]، وقريش[٢]، وتغلب[٣]، وثقيف[٤]، وخزاعة[٥]، وجعفى[٦]، وكندة[٧]. إلا أنها لم تكن عامة، قال حمزة الأصفهاني[٨]: "كان يستعمله واحدٌ ويتركه عشرة". وإلا كيف نعلل نجاة آلاف النسوة اللاتي أدركن الإسلام؟! ويرى أحد الباحثين[٩] أن بقاءهن لا ينفي شعور آبائهن بالخزي والعار من وجودهن.

ربطت بعض المصادر بين ظاهرة الوأد وشخصية قيس بن عاصم[١٠] على أنه أول من ابتدع الوأد. فقد جاء في وفيات الأعيان[١١]: "وهذا قيس أول من

---

(١) المبرد، الكامل، ٢/٦٧- ٦٨. وهم بنو بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي ابن جديلة بن أسد بن ربيعة. كانت مساكنهم من اليمامة إلى البصرة. القلقشندي، قلائد، ص١٣٠- ١٣١. القلقشندي، نهاية، ص١٧٨.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٠/٢٨٤. ابن عبدالبر، ٢/٤٣٦. ابن حجر، الإصابة، ٢/٤٣٩.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١١/٥٤- ٥٥. وهم بنو تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة. كانت مساكنهم بالبحرين. القلقشندي، قلائد، ص١١٩. القلقشندي، نهاية، ص١٨٦، ٤٤٦.

(٤) ابن الأثير، أسد، ٢/٣٩٩. ابن حجر، الإصابة، ٤/٣٩٦.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ٤/٣٩٦.

(٦) الطبراني، الكبير، ٧/٣٩. وجعفى بطن من سعد العشيرة بن مالك وهو مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب، من قحطان. القلقشندي، نهاية، ٢١٦، ٢٩٠- ٢٩١.

(٧) محمود شكري الألوسي، ٣/٤٢. ولم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه. وكندة قبيلة من كهلان في بلاد اليمن. القلقشندي، نهاية، ص٤٠٩.

(٨) حمزة الأصفهاني،١/٢٧٩. وانظر أيضًا: الميداني، ١/٤٢٥. ويمكن العودة أيضًا لرأي جرجي زيدان في موضوع الوأد في كتابه: تاريخ التمدن الإسلامي، (د.ط، دار الهلال، مصر ١٩٥٨م) ص ٢٦١.

(9) Al- Hatimy, p.14.

(١٠) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد التميمي. وفد على الرسول ﷺ مع قومه تميم، وأسلم سنة ٩هـ/ ٦٣٠م، سماه عليه الصلاة والسلام سيد أهل الوبر. ابن الأثير، أسد، ٤/٤٣٢.

(١١) ابن خلكان، ١/١٨٤.

وأد البنات في الجاهلية للغيرة والأنفة من النكاح وتبعه الناس في ذلك إلى أن أبطله الإسلام". كما جاء في الإصابة[1]: "قال أبو بكر لقيس بن عاصم : ما حملك على أن وأدت؟ وكان أول من وأد ...". ويرى أحد الباحثين[2] أيضًا أن الوأد لم يستمر طويلاً بل ابتدأ قبيل الإسلام وانتهى بظهوره، واستند في رأيه ذلك على أن الشعر الجاهلي خلا من كلمة وأد، وأن القرآن الكريم وردت فيه هذه الكلمة مرة واحدة فقط، وهو بذلك يغفل الآيات الكريمة التي تحدثت عن قتل الأولاد. ويؤيد ما سبق أن ذكره ابن خلكان وابن حجر من كون الوأد لم يبدأ إلا في زمن قيس بن عاصم. إلا أن ما سبق قد لا يكون صحيحًا لعدة أسباب:

- أن قيس بن عاصم توفي حوالي سنة ٢٠هـ/٦٤٠م[3] حيث كان معاصرًا لخلافة عمر بن الخطاب، وهذا يدل على أنه عاش قبيل الإسلام، ومن ثم ليس من المنطقي أن يكون هو أول من وأد البنات وأن ينتشر الوأد بين القبائل بهذه السرعة.

- أن هناك من كان يرى بأن الوأد كان شائعًا بين القبائل العربية، وعند مجيء الإسلام كان قد قل استعماله فيها إلا في بني تميم فإنه تزايد فيهم بسبب ممارسته من قبل قيس بن عاصم[4].

---

(١) ابن حجر، ٢٥٣/٣.

(٢) حسين الحاج حسن، حضارة العرب في عصر الجاهلية (ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص ١٢٦- ١٢٧.

(٣) خير الدين الزركلي، ٢٠٦/٥.

(٤) حمزة الأصفهاني، ٢٧٩/١.

- أن المصادر التي ذكرت ارتباط الوأد بقيس بن عاصم ذكرت روايتين مختلفتين حول سبب وأده لبناته، وهذا يدل على ارتباك الرواة حول هذا الموضوع[1].

- أن رواية أخرى ربطت نشأة الوأد بقبيلة ربيعة[2]، وكانت شبيهة بالروايتين اللتين ذكرتا عن قيس بن عاصم مما يزيد من تضعيف ماذكر من أنه أول من ابتدع الوأد.

من خلال ما سبق نستطيع أن نُرجِّح مقولة بعض المصادر[3] من أن قيس ابن عاصم يعد محييًا لسنة جاهلية ذميمة كانت قد أوشكت على الاندثار وليس بمبتدع لها.

---

(١) وردت حول هذا الموضوع روايتان، جاء في الأولى: "أن سبب وأد قيس بناته أن المشمرج اليشكري أغار على بني سعد فسبى منهم نساءً واستاق أموالاً وكان في النساء امرأة خالها قيس بن عاصم وهي رميم بنت أحمر بن جندل السعدي وأمها أخت قيس. فرحل قيس إليهم يسألهم أن يهبوها له أو يفدوها فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه. فسأله فيها فقال: قد جعلت أمرها إليها فإن اختارتك فخذها. فخُيِّرت فاختارت عمرو بن المشمرج، فانصرف قيس فوأد كل بنت وجعل ذلك سُنَّة في كل بنت تولد له واقتدت به العرب في ذلك فكان كل سيد يولد له بنت يئدها خوفًا من الفضيحة". الأصفهاني، الأغاني، ٧٢/١٤. حمزة الأصفهاني، ٢٧٩/١. أما الرواية الثانية فهي شبيهة بالأولى مع اختلاف في بعض الأسماء، جاء فيها: "كان السبب في ذلك أنهم كانوا منعوا الملك ضريبة الإتاوة التي كانت عليهم فجرَّد عليهم النعمان أخاه الريّان مع دوسر... فاستاق نعمهم وسبى ذراريهم فوفدت وفود تميم على النعمان بن المنذر وكلموه في الذراري فحكم النعمان بأن يجعل الخيار في ذلك إلى النساء فأي امرأة اختارت زوجها رُدت عليه فاختلفن في الاختيار وكان فيهن بنت لقيس بن عاصم فاختارت سابيها على زوجها فنذر قيس بن عاصم أن يدس كل بنت تولد له في التراب". الميداني، ٤٢٥/١.

(٢) "رُوي أن أول قبيلة وأدت من العرب ربيعة وذلك أنهم أَغْيَرُ عليهن فنهبت بنت لأمير لهم فاستردها بعد الصلح فخيرت رضا منه بين أبيها ومن هي عنده، فاختارت من هي عنده وآثرته على أبيها، فغضب وسن لقومه الوأد ففعلوه غيرة منهم ومخافة أن يقع لهم بعد مثل ما وقع وشاع في العرب غيرهم". محمود شكري الألوسي، ٤٣/٣. ولم يذكر مصدره. وربيعة هنا غير محددة. وبالعودة إلى القلقشندي وجدنا حوالي خمس عشرة قبيلة باسم ربيعة. نهاية، ص٢٦٠ - ٢٦٢.

(٣) حمزة الأصفهاني، ٢٧٩/١. الميداني، ٤٢٥/١. محمود شكري الألوسي، ٤٣/٣.

ولكن هل كان الوأد قصرًا على البنات أم أن للبنين أيضًا نصيبًا منه؟

لفظ الوأد ارتبط دائمًا بالبنت حتى إن كتب اللغة ومعاجمها شرحت لفظ وأد بالآتي: "وُئِدَت إنما هو أُثْقِلت بالتراب"[1]. أو: "وأد ابنته: أثقلها بالتراب"[2]. أو "وأد ابنته يئدها وأدًا: دفنها في القبر وهي حية"[3]. ولعلّ ذلك كان بسبب ارتباط البنت عندهم بالعار، وما تسببه من الفضيحة لأهلها فيما لو سبيت أو تزوجت غير كفء، قال الفخر الرازي [4]:

"كانوا يخافون أن فقرها يُنفِّر كُفأها عن الرغبة فيها فيحتاجون إلى إنكاحها من غير الأكفاء، وفي ذلك عار شديد". إلا أن ذلك لا يعني أن العرب لم تكن تئد البنين، فقد ورد كثير من الإشارات التي تدل على وجود هذا النوع من الوأد[5] سواء في القرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو المصادر المختلفة. ففي القرآن الكريم وردت عدة آيات جاء فيها الوأد مقترنًا بكلمة الأولاد دون تمييز. قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**﴾ [6]. وقال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ [7]. وقوله تعالى أيضًا: ﴿**قَدْ خَسِرَ**

---

(١) المبرد، الكامل، ٢/٧٠.

(٢) الزمخشري، أساس، ص ٤٩٠.

(٣) ابن منظور، ٣/٨٦٣.

(٤) الفخر الرازي، تفسير، ٢٠/١٩٨.

(٥) يرى أحمد الحوفي أيضًا أن الوأد لم يكن يقتصر على الإناث دون الذكور إلا أنه يقول: "على أننا لم نعرف حادثًا للهمِّ بقتل الولد الذكر غير حادث عبدالمطلب". ص ٢٩٩.

(٦) سورة الإسراء، آية (٣١).

(٧) سورة الأنعام، آية (١٣٧).

الَّذينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ **... وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ ...** ﴾[٢]. كذلك ورد في الحديث الشريف: "الشهيد في الجنة والمولود في الجنة والوئيد في الجنة"[٣]. كما ورد في المصادر ما يدل على ذلك أيضًا. قالت كبيرة بنت أبي سفيان[٤] للرسول ﷺ وهي تبايعه: "يا رسول الله إني وأدت أربع بنين لي في الجاهلية ..." [٥]. كما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ حين توفي ابنه إبراهيم وعيناه تدمعان عليه، فقال له: "يا نبي الله تبكي على هذا السخل؟! والذي بعثك بالحق لقد دفنت اثني عشر ولدًا في الجاهلية كلهم أسف منه كلهم أدسُّهم في التراب أحياء"[٦]. كما أن همام بن مرة[٧] كان قد أنقذ ناشرة ابن أغواث[٨] بعد أن كادت أمه تئده لعجزها عن تربيته[٩].

---

(١) سورة الأنعام، آية (١٤٠).

(٢) سورة الأنعام، جزء من آية (١٥١).

(٣) أبو داود، ١٥/٣.

(٤) كبيرة بنت أبي سفيان، قيل بنت سفيان. اختلف في أمرها هل هي خزاعية أم ثقفية. كانت من المبايعات وروت عن رسول الله ﷺ. ابن الأثير، أسد، ٢٥٠/٧.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ٣٩٦/٤. وقد وردت في مصدر آخر أنها وأدت أربع بنات. انظر: ابن الأثير، أسد، ٣٢٣/١، ٣٩٩/٢.

(٦) الطبراني، الكبير، ٢٧٤/٨.

(٧) همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. من سادات بني شيبان، قتله ناشرة بن أغواث في أيام حرب البسوس. ابن حزم، ص٣٢١، ٣٢٤-٣٢٥.

(٨) ناشرة بن أغواث بن قُعين بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنم بن تغلب بن وائل. ابن حزم، ص٣٠٦.

(٩) ابن حبيب، أسماء، ١٤٧/٢. الميداني، ١٧٠٢/.

اختلفت المصادر في تعليل سبب الوأد، ويمكن إجمالها في الآتي:

- أرجع بعضهم الوأد إلى شعور العربي بالغَيْرة والخوف من أن تجلب بناته العار له، وهذا السبب لا شك يرتبط بالوضع الذي كان سائدًا في الجزيرة العربية والذي يغلب عليه الغزو وما يتبعه من تعرض النساء للسبي(١). والرواية التي سبق ذكرها عن سبب وأد قيس بن عاصم لبناته تدل على ذلك. كما أن ما قاله قيس بن عاصم في تعليله لسبب الوأد دليل وافٍ على ما سبق ذكره، قال: "كنت أخاف سوء الأُحدوثة والفضيحة في البنات"(٢). وقال أيضًا: "خشيت أن يخلف عليهن غير كفء"(٣). وربما كان يقصد بذلك بعد وقوعهن في الأسر أو إذا تزوجن بمن هو أقل منهن مكانة.

- كان بعضهم يئد بسبب الفقر أو خوفًا منه(٤). قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾(٥). وقال تعالى أيضًا: ﴿...وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ...﴾(٦). ويرى أحد الباحثين(٧) أن البدو كانوا يمارسون هذه العادة

---

(1) Smith , p.75.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٤/ ٧٠.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ٣/ ٢٥٣.

(٤) ابن حبيب، أسماء، ٢/ ١٤٧. الأصفهاني، الأغاني، ٢١/ ٢٧٩. الميداني، ٢/ ١٧٠. الفخر الرازي، ٧/ ٢١٦- ٢١٧.

(٥) سورة الإسراء، آية (٣١).

(٦) سورة الأنعام، جزء من آية (١٥١).

(٧) ناشد سيفين، وأد البنات والاشتراكية في النساء، مجلة المقتطف، م٧٧، ج٢، صفر ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، القاهرة، ص٢١٣. ناشد سيفين، الأمومة عند العرب، مجلة المقتطف، م٧٨، ج١، يناير - يوليو ١٩٣١م / ١٣٤٩هـ، القاهرة، ص٩٤. وانظر أيضًا: ي. أ. بلييايف، ص١٠٦.

في فصل الجفاف الذي تقلُّ فيه الأقوات والكلأ فيضطرون إلى الانتقال من مكانهم بحثًا عن المرعى مما يدفعهم إلى قتل أولادهم اقتصادًا للزاد. ويرى أنهم في الغالب يقتلون البنات دون الأولاد لأن هؤلاء أكثر نفعًا لقبائلهم. ويبدو أن النظرة الجاهلية السابقة بأن للأبناء أثرًا في الوضع الاقتصادي للأسرة قد استمرت في الإسلام، يدلنا على ذلك قول سعيد ابن المسيب: "قلة العيال أحد اليسارين"[1]. إلا أن ذلك لا يتعارض مع موقف الإسلام من الإنجاب وحثه على الإكثار منه.

- قد يئد بعضهم من البنات من كانت فيها صفات مَرَضية أو علامات قبيحة كان يُتشاءم منها. كأن تكون شيماء[2] أو برشاء[3] أو زرقاء[4] أو كسحاء[5]. إلا أن ذلك لم يكن منتشرًا بين قبائل العرب كثيرًا، وقليل من كان يأخذ بهذا الأمر[6]، ويبدو أنه كان معروفًا في قريش، ومن ذلك محاولة زهرة بن كلاب[7] وأد ابنته سودة لأنها كانت زرقاء شيماء[8].

- كان بعض القوم يقتل ابنته أو ابنه وفاء لنذر عليه، ومن ذلك ما ورد عن زهرة ابن كلاب من أنه ولد له ثلاثة ذكور ماتوا صغارًا فحلف إن ولدت له

(١) ابن سعد، ١٣٦/٥.

(٢) شيماء: أي سوداء اللون. ابن منظور، ٣٩٦/٢.

(٣) برشاء: يبدو أن المقصود بها برصاء. ابن منظور، ١٩٤/١.

(٤) زرقاء: يبدو أنها عاهة تصيب العين. ابن منظور، ٢١/٢.

(٥) كسحاء: أي مقعدة أو بها عرج. ابن منظور، ٢٥٥/٣.

(٦) محمود شكري الألوسي، ٤٤/٣.

(٧) زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. الزبيري، ص٢٥٧. ابن حزم، ص١٤.

(٨) السهيلي، ٣٢٤/٢.

جارية ليدفننها حية، فولدت له جارية فأمر بها أن تدفن[1]. كما أن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف[2] عندما رأى قلة أعوانه في حفر زمزم حيث لم يكن له سوى ابنه الحارث، نذر لئن أكمل الله له عشرة ذكور حتى يراهم أن يذبح أحدهم[3].

- يرى الزمخشري[4] أن العرب كانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله - تعالى الله عما يقولون - فألحقوا البنات به.

- يرجح أحد الباحثين[5] سببًا آخرًا لوأد البنات لا علاقة له بما سبق. فهو في رأيه نتاج عقيدة دينية قديمة عند بعض عرب الجاهلية مثل ربيعة وكندة وطيّئ وتميم وقريش فهم "يعتقدون أن البنت رجس من خلق الشيطان، أو من خلق إله غير آلهتهم، وأن مخلوقًا هذا شأنه ينبغي التخلص منه". ويرى أن أصل هذا أنهم كانوا يقسمون كل ما يملكونه من نتاج الأرض والأنعام قسمين: قسم طاهر زكي ينسبونه إلى آلهتهم مثل اللات والعزى ومناة وغيرها، وقسم مدنس بالرجس ينسبونه إلى الله تعالى ويعدونه من خلقه، ويرون أن واجبهم الديني يحتم عليهم التخلص منه أو تقديمه قربانًا لآلهتهم. ويرى أن هذا أيضًا يطبق على نتاج الإنسان فقسموا ما يولد للإنسان قسمين: قسم طاهر زكي من خلق آلهتهم وهو جنس الذكور، وقسم مدنس

(١) ابن حبيب، المنمق، ص٣٣٦.

(٢) عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة. الزبيري، ص١٤- ١٥.

(٣) ابن سعد، ١/٨٨.

(٤) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٤ (ط١، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة ١٣٥٤هـ) ص١٨٨.

(٥) عبدالواحد وافي، الأسرة، ص١٤٠- ١٤٣.

بالرجس من خلق الله وهو نوع الإناث فكانوا يحرمون بقاءه ويرون أن من الواجب التخلص منه فيؤثرون وأد البنات مباشرة. وقد اعتمد في رأيه هذا على عدد من الآيات القرآنية[١]. ويرى أن الآيتين[٢] اللتين جاء فيهما قتل الأولاد مقرونًا بخشية الإملاق لا تتحدثان عن النظام الذي يتحدث عنه، بل عن نظام آخر كان متبعًا عند بعض عشائر العرب يعتمد على قتل الأولاد دون تمييز تحت تأثير الفقر.

- كما يرى أحد الباحثين[٣] أيضًا أن قتل العرب لبناتهم ليس دلالة على كرههم لهن بل قد يكون مظهرًا من مظاهر حبهم لهن؛ ففي قتلهن حماية لهن من الفقر والعار. وهو بذلك يتعارض مع رأي باحث آخر[٤] يرى أن القبائل التي تئد كانت تكره البنات لأنهن لا يسهمن في كسب الرزق ولا في الدفاع عن القبيلة.

بعد استعراض أسباب الوأد نتساءل ما موقف الأم منه؟ من المرجح أن بعض الأمهات لم يكنَّ راضيات عن وأد أولادهن وكنَّ يحاولن قدر الإمكان الحيلولة دون ذلك فقد ورد أن قيس بن عاصم وُلِدت له بنت وهو في سفر فأرسلتها أمها إلى أخوالها لتقيم عندهم خوفًا عليها من الوأد، وأخبرته عند

---

(١) سورة النحل، الآيات من (٥٦ - ٥٩)؛ سورة الأنعام، الآيات من (١٣٦ - ١٤٠)؛ سورة الزخرف، الآيات من (١٥- ١٩)؛ سورة النجم، الآيات من (١٩- ٢٧)؛ سورة الصافات، الآيات من (١٤٩- ١٥٤)؛ سورة الإسراء، الآيتان (٣٩- ٤٠).

(٢) سورة الإسراء، آية (٣١)؛ سورة الأنعام، آية (١٥١).

(3) BRIFFAULT, ROBERT, The Mothers, Vol. I (Ifr, ed, Johnson Reprint Corporation , USA 1969) p. 130.

(٤) حسين الحاج حسن، الجاهلية، ص١٢٦.

عودته أنها ولدت ولدًا ميتًا[١]. كما أن المهلهل بن ربيعة[٢] ولدت له زوجته بنتًا فقال لها: اقتليها. فأمرت خادمًا لها أن تغيبها عنه[٣]. كما أن صعصعة بن ناجية[٤] كان قد مر برجل من قومه وهو يحفر بئرًا وامرأته تبكي فلما سألها صعصعة عن سبب بكائها أجابته بأن زوجها يريد أن يئد ابنتها[٥]. إلا أن المصادر في مقابل ذلك تورد لنا أمثلة عن وأد بعض الأمهات لأبنائهن وبناتهن، فقد كاد ناشرة بن أغواث أن يموت وأدًا بيد أمه لولا أن أنقذه همام بن مرة[٦]، كما أن كبيرة بنت أبي سفيان كانت قد وأدت أربعة بنين لها[٧]، ومليكة بنت الحلو[٨] كانت قد وأدت بُنية لها صغيرة[٩]. وكذلك كان حال أم عبيدالله بن أبي مليكة[١٠].

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٤/٧٠ - ٧١.

(٢) المهلهل بن ربيعة اسمه: عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة، شاعر من تغلب بن وائل. أحد أبطال العرب في الجاهلية، وعندما قتل أخوه كليب قامت بسبب رغبته في الثأر حرب بكر وتغلب التي دامت أربعين سنة. أبو زيد القرشي، ٢/١٠٧. ابن قتيبة، الشعر، ص١٣٤. خير الدين الزركلي، ٤/٢٢٠.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١١/٥٤- ٥٥.

(٤) صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد ... بن دارم التميمي. جد الشاعر الفرزدق، قدم على رسول الله ﷺ وأسلم. ابن عبدالبر، ٢/١٩٤. ابن حجر، الإصابة، ٢/١٨٦.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ١٢/٢٧٩.

(٦) ابن حبيب، أسماء، ٢/١٤٧. الميداني، ٢/١٧٠.

(٧) ابن الأثير، أسد، ١/٣٢٣، ٢/٣٩٩.

(٨) مليكة بنت الحلو بن مالك، من بني حريم بن جُعفي، ورد ذكرها عند حديث ابن سعد عن وفد جعفى على رسول الله ﷺ. ١/٣٢٥.

(٩) ابن سعد، ١/٣٢٥.

(١٠) ابن عبدالبر، ٢/٤٣٦. ابن حجر، الإصابة، ٢/٤٣٩. وهي أم عبيدالله بن عبدالله بن أبي مليكة زهير بن عبدالله بن جدعان التيمي القرشي. ابن عبدالبر، ٢/٤٣٦. ابن حجر، الإصابة، ٢/٤٣٩.

يتم وأد البنت أو الابن حسبما تذكر معظم المصادر[1] بعد الولادة مباشرة حيث تعمد الأم إلى حفر حفرة فإذا جاءها المخاض ولدت على رأس تلك الحفرة فإن كانت تريد وأد المولود رمت به فيها[2]. أو تأمر بدق عنقه مباشرة[3]. ويبدو أن ذلك كان شائعًا في البادية. أما أسر قريش فقد كانت تئد بناتها في جبل بأعلى مكة يدعى أبا دلامة[4]. وقد ذكر الزمخشري[5] أن بعض الآباء والأمهات قد يعمدون إلى إبقاء البنت حية حتى تبلغ ست سنين تقريبًا ثم يقول الأب للأم: "طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها". ويكون قد استعد لذلك بحفر بئر لها في الصحراء فيذهب بها إليه ويقول لها: "انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب". وقد ورد أيضًا أن رجلاً قال للرسول ﷺ: "والذي بعثك بالحق ما أجد حلاوة الإسلام منذ أسلمت، وقد كانت لي في الجاهلية بنت وأمرتُ امرأتي أن تزينها وأخرجتها فلما انتهيت إلى وادٍ بعيد القعر ألقيتها، فقالت: يا أبت قتلتني، فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء"[6].

---

(١) ابن حبيب، أسماء، ١٤٧/٢. المبرد، الكامل، ٦٩/٢ - ٧٠. الأصفهاني، الأغاني، ٥٤/١١ - ٥٥. ٧٢/١٤، ٢٧٩/٢١، ٢٨٢. حمزة الأصفهاني، ٢٧٩/١. الطبراني، الكبير، ٩١/٨- ٩٢. الميداني، ٤٢٥/١، ١٧٠/٢. ابن الأثير، أسد، ٢٢/٣- ٢٣.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ١٨٨/٤.

(٣) ابن حبيب، أسماء، ١٤٧/٢.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٢٨٤/١٠. وأبو دلامة جبل يطل على الحجون بمكة. ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد، المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات، تحقيق إبراهيم السامرائي (د.ط، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ص١٦٧. ياقوت، البلدان، ٤٥٩/١.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ١٨٨/٤. محمود شكري الألوسي، ٤٣/٣.

(٦) محمود شكري الألوسي، ٥٢/٣. ولم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه.

ولا شك أن إبقاء البنت حتى تكبر أمر يثير الاستغراب ويدفع إلى التساؤل. لماذا لم توأد بعد الولادة مباشرة؟ وما الذي جعل والديها يبقيانها إن كان في نيتهم وأدها مع ما يترتب على إبقائها من تكاليف مادية تتمثل في الإنفاق عليها، بالإضافة إلى الارتباط بها عاطفيًا؟ لتعليل هذا الوضع نميل إلى القول: إن من كان يئد ابنته في هذا السن إما أنه يئدها مخافة العار والفضيحة، فبلوغ البنت سن السادسة قد يؤدي إلى مثل هذا الأمر فيما لو سبيت أو تزوجت غير كفء في وقت كانت البنات يُزوجنَّ في سن الثامنة أو التاسعة، وهذا يتفق مع القول السابق أنه سيذهب بها إلى أحمائها. أو أنه نتيجة لانتشار الجدب في مكان ما وما يعقبه من جوع وفقر قد يجعل الأسرة تضحي ببناتها عن طريق الوأد، لتوفير العيش لبقية أفراد الأسرة، بخلاف الولد الذي غالبًا ما يكون له نفع في الحصول على الرزق والمعاش.

من الواضح أن ظاهرة الوأد لم تكن تحظى بتأييد من بعض سادات العرب، فقد وردت بعض الإشارات التي دلت على وجود من كان يحاول أن ينقذ الوئيد. فقد كان زيد بن عمرو بن نفيل[1] يقول للرجل إذا أراد وأد ابنته: "لا تقتلها فأنا أكفيك مؤونتها". فيأخذها ويربيها فإذا كبرت قال لأبيها: "إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها"[2]. كما كان صعصعة بن ناجية ممن كان يحيي

---

(١) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى القرشي، من بني عدي بن كعب. كان ممن ترك عبادة الأوثان في الجاهلية، ولا يأكل ما ذُبح لغير الله، مات قبل مبعث رسول الله ﷺ. الزبيري، ص٣٦٤. خير الدين الزركلي، ٣/٦٠.

(٢) ابن سعد، ٣/٣٨١. ابن حجر، الإصابة، ٢/١٨٦.

الموؤدات فقد أحيا ثلاث مئة وستين موؤدة تقريبًا، يشتري كل واحدة منهن بناقتين عُشراوين[١] وجمل[٢]. وقد افتخر الفرزدق[٣] بذلك فقال:

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الوَائِدات   وَأحْيَا الوَئِيدَ فَلَمْ يُوأدِ[٤]

وكانت بداية ذلك أنه أضاع ناقتين له فبينما هو يبحث عنهما وجد بيتًا فيه شيخ جالس بفنائه، فدله على ناقتيه، وبينما هو ينتظر إحضارهما إليه، إذ سمع امرأة تقول للشيخ إنها وضعت أنثى وهو يطلب منها أن تئدها، فسأله أن يبيعه روحها فوافق مقابل ناقتين وجمل، ففكر بأن هذه مكرمة لم يسبقه إليها أحد فصار ذلك سُنَّة له[٥]. كذلك ورد ذكر همام بن مرة بكونه أحد الأفراد الذين أسهموا في إنقاذ الوئيد إلا أن الفرق بينه وبين صعصعة بن ناجية وزيد ابن عمرو هو أنهما كانا يحييان الأنثى فيما عرف عنه إنقاذه لمولود ذكر[٦].

من خلال ما سبق يبرز لنا تساؤل: هل البنت التي تنقذ من الوأد هي من أريد وأدها للفقر أو مخافة منه؟ أو من أريد وأدها خوفًا من العار؟ أم للأمرين كليهما معًا؟

---

(١) عشراوان مثنى عُشراء، وهي كل ناقة مضى على حملها عشرة أشهر. ابن منظور، ٢/٧٨٤.

(٢) المبرد، الكامل، ٢/٧٠. الأصفهاني، الأغاني، ٢١/٢٧٩. الطبراني، الكبير، ٨/٩٢. ابن الأثير، أسد، ٣/٢٢ - ٢٣.

(٣) الفرزدق هو: همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع، من تميم. من الشعراء الإسلاميين، عاصر الدولة الأموية، توفي سنة ١١٠هـ/٧٢٨م. ابن قتيبة، الشعر، ص٢٣٥. خير الدين الزركلي، ٨/٩٣.

(٤) الفرزدق، همام بن غالب، ديوان الفرزدق (د. ط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م) ص١٧٣. وانظر أيضًا: ابن أبي الدنيا، الإشراف، ص ٢٥٠.

(٥) المبرد، الكامل، ٢/٦٩- ٧٠. الأصفهاني، الأغاني، ٢١/٢٧٩. الطبراني، الكبير، ٨/٩١- ٩٢. ابن الأثير، أسد، ٣/٢٢- ٢٣.

(٦) ابن حبيب، أسماء، ٢/١٧٤. الميداني، ٢/١٧٠.

ويبدو من الإشارات السابقة أن الموؤدة التي تحيا هي من أريد وأدها بسبب الفقر أو مخافة منه. فليس من المنطقي أن من أراد وأد ابنته خوفًا من العار أن يوافق على بيع روحها، فالمشكلة التي أراد أن يتخلص منها ستبقى، فما الفائدة من محاولة وأدها إذن؟! وهذا ما يجعلني أرجح عدم صحة الرواية التي أوردها ابن قتيبة(١) وتبعه في ذلك ابن خلكان(٢) من أن صعصعة بن ناجية كان قد اشترى إحدى بنات قيس بن عاصم الذي عرف عنه أنه يئد بناته خوفًا من العار والفضيحة(٣).

مع مجيء الإسلام انتهت هذه الظاهرة وبدأت الآيات القرآنية الكريمة تنزل في ذم قتل الأبناء والبنات(٤) بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الشريفة. فعن أحدهم أنه قال قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: "أن تجعل لله ندًا وهو خلقك ثم قال: ... أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك ..." (٥). وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعًا وهات ووأد البنات..." (٦)، وبلغ من شدة الرسول ﷺ على من مارس الوأد في الجاهلية أنه فرض على كل من جاءه معترفًا بالوأد أن يعتق عن كل وئيدة أو وئيد رقبة(٧)، أو ما يعادلها من الإبل إن كان الوائد صاحب إبل(٨)، وهو أمر جدير بالاهتمام

---

(١) ابن قتيبة، الشعر، ص ٢٣٥.

(٢) ابن خلكان، ٨٩/٦.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٧٠/١٤. ابن خلكان، ١٨٤/١. ابن حجر، الإصابة، ٢٥٣/٣.

(٤) انظر الآيات القرآنية الكريمة السابق ذكرها في موضوع الوأد.

(٥) البخاري، صحيح، ٧٥/٧.

(٦) السابق، ٧٠/٧.

(٧) ابن شبة، ٥٣٢/٢. ابن الأثير، أسد، ٣٢٣/١، ٣٩٩/٢. ابن حجر، الإصابة، ٢٥٣/٣، ٣٩٦/٤.

(٨) ابن شبة، ٥٣٢/٢. ابن حجر، الإصابة، ٢٥٣/٣.

فلم نسمع من قبل أن الرسول ﷺ طالب بكفارة على أمر من أمور الجاهلية. فالمعروف أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، وإن صحت هذه الروايات فهي دليل على ما يحمله الإسلام من الاحترام والتقدير للروح البشرية، ونقد كبير لهذا العمل الجاهلي الشائن مهما كان سببه، فحق إزهاق الروح بيد الله وحده فقط.

ثانياً - الاسترضاع والحضانة :

- **الاسترضاع :**

من حقوق الطفل على والديه بعد الولادة حق الإرضاع. فقد كان للبن الأم أهمية كبرى عند العرب، إذ يعتقدون أن له أثرًا في سلوكيات الولد المقبلة. فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "لا تسترضعوا الحمقى فإن اللبن يورث"[(١)]. لذلك كانوا حريصين على أن تكون الأم هي مرضعة الولد[(٢)]، إلا إذا تعذر ذلك بسبب مرضها أو موتها أو انقطاع لبنها. وقد انعكس هذا الاهتمام على الأم المرضع بالحرص على تغذيتها لصلة ذلك بما تدره من لبن[(٣)]. ففي البادية مثلاً يشتد هذا الاهتمام وقت الجدب فهم يقدمون المراضع على أنفسهم لحاجة الرُّضَّع لألبانهن، وقد كان هذا الفعل من الأمور التي يفخر بها العربي في الجاهلية والإسلام، قال الشاعر لبيد بن ربيعة يصف جزورًا له قد ذبحها:

أَدْعُو بهنَّ لعاقرٍ أو مُطْفلٍ[(٤)] بُذِلَتْ لجيرانِ الجميعِ لحِامُهَا[(٥)]

---

(١) السهيلي، ٢/١٦٧.

(٢) البلدي، أحمد بن محمد، تدبير الحُبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، تحقيق محمود محمد (ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧م) ص١٨٦. جواد علي، ٤/٦٤٣.

(٣) انظر ما ذكره البلدي حول هذا الموضوع ص ١٨٦- ٢٠١.

(٤) مطفل أي ذات الطفل من الإنسان والحيوان القريبة العهد بالولادة. ابن منظور ٢/٥٩٩.

(٥) أبو زيد القرشي، ١/٢٧٢.

وقال الفرزدق :

وَأَطْعَنَ فِي الهَيْجَا، وأَضْرَبَ فِي الوَغَى   وأَطْعَمَ إِن أَمْسَى المَراضِيعُ جُوَّعا[1]

وقيل لأعرابي: "أين تحب أن يكون طعامك؟ فقال: في بطن أم طفل راضع أو ابن سبيل شاسع..." [2].

من الواضح أن المرأة في العصر الجاهلي لم تكن ملزمة بإرضاع وليدها، لذلك شاع ما يسمى بالاسترضاع والمقصود به اتخاذ المرضعات[3]، وقد استمر هذا العرف في العصر الإسلامي أيضًا مؤيدًا بالآية الكريمة، قال تعالى: ﴿... وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[4].

ولكن ما الصفات الواجب توافرها في المرضع؟

يرى ابن الجزار[5] أن المرضع لا بد أن تتصف بصفات معينة لتتحقق المنفعة منها، قال في ذلك: "ينبغي أن تكون شابة غير مسنة.... حسنة القامة، جيدة البضعة، جيدة الذراعين والساقين، حسنة الوجه، حسنة الخلق لا تكاد تغضب سريعًا... قريبة لأم الصبي... سليمة غير سقيمة ... أن تختار المرضع من أهل بيت عقل وأدب وعفة وصحة وسخاء ونجدة... قد يعرض للطفل من

(١) الجمحي، ٢/٥٨٦.

(٢) حمزة الأصفهاني، ٢/٤٨٢.

(٣) ابن منظور، ١/١١٧٦.

(٤) سورة البقرة، جزء من آية (٢٣٣).

(٥) ابن الجزار، أحمد بن إبراهيم، سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة (د. ط، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٦٨م) ص٧٠- ٧١. وعلى الرغم من أن ابن الجزار توفي سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م إلا أن ما ذكره قد يعطي انطباعًا عما كان معروفًا في مدة الدراسة.

أهل بيت المرضع ما يعرض له من أهل بيت أبيه وأمه... وينبغي أن يكون صدرها واسعًا وثدياها وسطًا لا كبيرتين ولا صغيرتين ملستين غير رخوتين، وتكون حلمتاها لينتين واسعتي المري لا صغيرة ولا كبيرة... قد ولدت ولدين أو ثلاثة من غير وجع ولا إسقاط، وتكون قد ولدت مع أم الصبي الذي ترضعه". ويرى ابن الجزار أيضًا أنه إن كان ولد المرضع أنثى كان ذلك أفضل للصبي الذي ترضعه ولم يعلل سبب ذلك، كما يرى أيضًا أنه إذا نقص شيء مما سبق ذكره من وصف فبحسب ذلك تنقص فائدة لبن المرضع لجسم الصبي.

لم يتخذ الاسترضاع شكلاً واحدًا وإنما تعددت أنماطه باختلاف أماكن الاسترضاع التي يمكن تقسيمها حسبما وجدناه في المصادر إلى الآتي:

- استرضاع الحاضرة من البادية:

وضح هذا النوع من الاسترضاع بين الأسر المكية في الجاهلية والإسلام[1]، فالملحوظ أن المرضعات لمواليد هذه الأسر كن يُخترن من البادية. ولا شك أن هذا الأمر يثير التساؤل عن السبب الذي كان يدفع الأسر في مكة إلى اتخاذ المرضعات بشكل عام، والاعتماد على البادية بشكل خاص؟

ربما يكون ذلك عائدًا إلى عُرف شائع بينهم في العصر الجاهلي وهو أن المرأة الشريفة ذات اليسار ليس لمثلها أن ترضع، ويبدو أن هذا العرف استمر في العصر الإسلامي أيضًا[2]. أو قد يكون السبب الرغبة في تفريغ المرأة

(١) استمر استرضاع أهل مكة من البادية حتى عصور متأخرة فقد ورد في رحلة العياشي ما يدل على أنهم كانوا حتى العصر العثماني إذا ولد لهم مولود استرضع له عند العرب في البادية، ولا يعود لأهله حتى يقارب الحلم. العياشي، عبدالله بن محمد، المدينة المنورة في رحلة العياشي، تحقيق محمد أمحزون (ط١، دار الأرقم، الكويت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص٢٢٨.

(٢) سحنون، ٣/٤١٦.

لزوجها كما فعل عمّار بن ياسر[١] مع ابنة أم سلمة حين انتزعها منها قائلاً: "دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيت بها رسول الله ﷺ"[٢]. أو لرفض الأم إرضاعه إيذاءً لوالده إن كان طلقها، أو لمرضها أو انقطاع لبنها[٣]. أو لعله رغبة في حماية الصبي من وخامة الحاضرة والعيش في بيئة صحراوية نقية[٤] فقد جاء في الطبقات[٥] أن آمنة أم رسول الله ﷺ قالت لحليمة السعدية[٦] عندما قدمت به إليها: "ارجعي بابني فإني أخاف عليه وباء مكة". هذا بالإضافة إلى ما سيكتسبونه من فصاحة في الكلام عن طريق الاختلاط بالأعراب، فقد كان أبو بكر الصديق يقول لرسول الله ﷺ: "ما رأيت أفصح منك يا رسول الله. فقال: وما يمنعني وأنا من قريش وأُرْضِعت في بني سعد"[٧].

اشتهرت بعض القبائل العربية بامتهان نسائها لمهنة الرضاعة، ومن خلال بعض الأمثلة وجدنا أن الاسترضاع كان يمتهن تقريبًا في القبائل الآتية:

---

(١) عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصيف، من بني ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن يام العنسي. كان حليفًا لبني مخزوم، وأمه سُميّة مولاة لهم، يعد من السابقين إلى الإسلام هو وأبوه، وممن عُذِّبوا في الله وهو أخ لأم المؤمنين أم سلمة من الرضاعة، قُتِل بصفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م. ابن عبدالبر، ٣٢٠/٤. ابن حجر، الإصابة، ٢١٥/٢.

(٢) السهيلي، ١٦٧/٢. ومن المعروف أن زينب كانت ربيبة رسول الله ﷺ، ولعل ما فعله عمار بن ياسر كان في بداية زواج الرسول ﷺ من أم المؤمنين أم سلمة. ابن عبدالبر، ٣٢٠/٤.

(٣) الفخر الرازي، ٦/ ١٣٤.

(٤) السهيلي، ١٦٧/٢.

(٥) ابن سعد، ١١٢/١.

(٦) حليمة بنت أبي ذؤيب عبدالله بن الحارث بن شجنة، من بني سعد بن بكر من هوزان. ابن حجر، الإصابة، ٢٧٤/٤.

(٧) السهيلي، ١٦٧/٢. وانظر أيضًا رواية أخرى: ابن سعد، ١١٣/١.

- **هـوازن[١]**:

ومنهم بنو سعد بن بكر[٢] وقد كان الرسول ﷺ وحمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه[٣] مسترضعين فيهم[٤]، وبنو غاضرة[٥] وقد كان علي بن أبي العاص رضي الله عنه[٦] مسترضعًا فيهم[٧].

- **كنانة[٨]**:

ومنهم بنو شِجع بن عامر[٩]، وممن استرضع له فيهم المغيرة بن عبدالله

---

(١) هم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. القلقشندي، قلائد، ص١١٥. القلقشندي، نهاية، ص٤٤٢. عاتق البلادي، قبائل، ص ٥٥٥.

(٢) بنو سعد بن بكر بطن من هوازن، من قيس عيلان، ويرى القلقشندي أنهم "افترقوا في الإسلام ولم يبق لهم حي يطرق". نهاية، ص٢٩٠. أما عاتق البلادي فيدحض هذه الرواية معتمدًا على الواقع فما زالت بنو سعد في ديارها الأصلية في قرن المنازل وجنوب الطائف، وهي تنقسم حاليًا إلى الثبتة والبطنين. قبائل، ص٢١٨.

(٣) حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. عم رسول الله ﷺ قتل شهيدًا في غزوة أحد سنة ٣هـ/٦٢٤م. ابن سعد، ٨/٣.

(٤) ابن سعد، ١٠٩/١. البلاذري، أنساب، ٩٣/١- ٩٤. الأصفهاني، الأغاني، ٢٧٩/١٢. ابن عبدالبر، ١٧/١.

(٥) بنو غاضرة بن صعصعة بن معاوية، بطن من هوازن. القلقشندي، قلائد، ص١١٥.

(٦) علي بن أبي العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبدشمس بن عبدمناف القرشي. أمه زينب بنت رسول الله ﷺ. توفي في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام. ابن الأثير، أسد، ١٢٥/٤- ١٢٦. ابن عنبة، بحر، ورقة ٦ ب - ٧ أ.

(٧) ابن الأثير، أسد، ١٢٦/٤.

(٨) كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس. قبيلة عظيمة من العدنانية، ديارهم بجهات مكة. ظلت معروفة في المصادر إلى القرن الثامن الهجري، فقد روى ابن بطوطة أن لهم سلطاناً في حلي ابن يعقوب. وما زالت بقيتها توجد حتى اليوم. القلقشندي، قلائد، ص١٣٤. عاتق البلادي، قبائل، ص ٤٤٦- ٤٤٧.

(٩) بنو شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبدمناة بن كنانة بن خزيمة. القلقشندي، نهاية، ص٣٠٣. عاتق البلادي، قبائل، ص, ٢٤٣

المخزومي[1]، ومنهم بنو ليث بن بكر[2]، وممن استرضع له فيهم يحيى بن سعيد بن العاص[3].

- **هذيل :**

ومممن استرضع له فيهم ابنة لعمر بن ربيعة يقال لها أمة الله[4].

من المرجح أن اختيار المرضع عند بعض الأسر كان يُخطط له قبل الولادة، كما كانت تفعل السيدة خديجة بنت خويلد[5]. بينما هناك أسر أخرى كانت لا تختار المرضع إلا بعد ولادة المولود، مما يضطرهم إلى الاعتماد على بعض جواري الأسرة، فقد أرضع رسول الله ﷺ بلبن ثويبة مولاة أبي لهب[6] عم رسول الله عليه الصلاة والسلام قبل قدوم حليمة السعدية، كما أرضع بلبنها أيضًا حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه قبل أن يسترضع له في بني سعد بن بكر، وكذلك كان الحال مع أبي سلمة المخزومي[7]. ولعل هذا الأمر أقوى دليل على أن الأسر المكية لم تكن تهدف من الاسترضاع في البادية إلى إيجاد مصدر غذائي لصبيانها فقط وإنما كانت تطمح إلى فوائد أخرى صحية وثقافية.

---

(١) البلاذري، أنساب، ١٠/١٧٠. وهو المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي. البلاذري، أنساب، ١٠/١٧٠.

(٢) بنو ليث بن بكر بن عبدمناة بن كنانة. كانوا يستوطنون أسفل مَرِّ الظهران. القلقشندي، قلائد، ص١٣٥. عاتق البلادي، قبائل، ص ٤٥٧.

(٣) البلاذري، أنساب، ق٤، ١/٤٥١. وهو: يحيى بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية. كان مع عبدالله بن الزبير ضد عبدالملك بن مروان. الزبيري، ص١٨٠.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١/٧٩.

(٥) ابن سعد، ١/١٣٤، ٨/١٦. ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٨٢.

(٦) أبو لهب هو: عبدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. الزبيري، ص١٨.

(٧) ابن سعد، ١/١٠٨. اليعقوبي، تاريخ، ٢/٩. ابن عبدالبر، ١/١٦. ابن قدامة، التبيين، ص٥٧. ياسين الخطيب، ورقة ٥١ب.

لا يخلو الاسترضاع في البادية على الرغم من انتشاره من بعض المخاطر التي يتعرض لها الصبي خاصة في العصر الجاهلي نتيجة لما تتصف به طبيعة الحياة البدوية من غزوات متبادلة بين القبائل، فمن المرجح أن هؤلاء الصبية المسترضع لهم كانوا يتعرضون للقتل أو السبي بسبب تلك الغزوات، فقد كان آدم بن ربيعة[١] مسترضعًا له في هذيل فقتله بنو ليث بن بكر في حرب كانت بينهم وبين هذيل حين كان يحبو أمام البيوت[٢].

لا شك أن الحديث عن هذا النوع من الاسترضاع يطرح تساؤلاً مهمًا هو: هل الاسترضاع في البادية المقصود به بقاء الصبي حتى يفطم أم يستمر إلى ما بعد ذلك؟

على الرغم من ندرة المعلومات التي قد توضح لنا هذا الأمر إلا أنه من المرجح أن الاسترضاع في البادية لا يقصد به فقط إبقاء الصبي عند مرضعته حتى يُتِمَّ السنتين ويفطم، بل يستمر وجوده فيها حتى ما بعد هذه السن، ولعل في استرضاع الرسول ﷺ ما يدل على ذلك فقد جاء في الطبقات[٣]: "مكث عندهم سنتين حتى فُطِم... فقدموا به على أمه زائرين لها.. فقالت آمنة: ارجعي بابني فإني أخاف عليه وباء مكة فرجعت به ... فقدمت به إلى أمه لترده وهو ابن خمس سنين". وهذا دليل آخر بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أن الاسترضاع في البادية ليس الهدف منه الحصول على مصدر غذائي فقط.

(١) آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. الزبيري، ص ٨٧.

(٢) ابن سعد، ٤/٤٧. الزبيري، ص ٨٧- ٨٨. البلاذري، أنساب، ١/٣٦٤. الفاسي، العقد، ٤/٣٩٣.

(٣) ابن سعد، ١/١١٢.

- استرضاع الحاضرة من القرى:

ظهر هذا النوع من الاسترضاع بين الأسر في المدينة، وعلى الرغم من ندرة وجود ما يدل على معرفتهم له في العصر الجاهلي فلم ترد فيما اطلعت عليه من مصادر سوى إشارة واحدة ذكرها الواقدي[١] جاء فيها أن في خيبر[٢] امرأة يهودية أرضعت عبدالله بن عتيك[٣]، إلا أن المصادر التي تحدثت عن الفترة الإسلامية أشارت إلى بعض النماذج التي دلت على وجوده. ويبدو أنه عرف بشكل واسع مع قدوم الأسر المكية إلى المدينة بعد الهجرة، فهذه الأسر كانت قد تعوَّدت على الاسترضاع لصبيانها في البادية المحيطة بمكة، وعندما قدموا إلى المدينة كان لا بد من إيجاد بديل لذلك، فلم تعد البادية بعد ظهور الإسلام آمنة، فمعظم القبائل - إن لم يكن كلها - التي كانت الأسر في مكة تعتمد على الاسترضاع فيها أصبحت قبل اعتناقها الإسلام مصدر خطر على المسلمين، فكيف يأمن المسلمون على صبيانهم فيها؟! لذلك كان الاسترضاع في القرى المحيطة بالمدينة هو البديل للاسترضاع في البادية. ومن الإشارات التي ذكرت حول هذا النوع من الاسترضاع ما قام به عمار بن ياسر من الاسترضاع لابنة أم سلمة زوج رسول الله ﷺ في قباء[٤]. كما استرضع لإبراهيم ابن

---

(١) الواقدي، ١/٣٩١.

(٢) خيبر: تقع على بعد ثمانية برد (البريد = ستة أميال) من المدينة لمن يريد الشام، تشتمل على حصون ومزارع ونخل. ياقوت، البلدان، ٢/٤٠٩. جواد علي، ٧/٦٢٥. وهي اليوم تبعد عن المدينة حوالي (١٦٥) كيلاً شمالاً على طريق الشام. عاتق البلادي، المعالم، ص١١٨.

(٣) عبدالله بن عتيك بن قيس بن الأسود الخزرجي الأنصاري. شهد أحدًا وما بعدها، أرسله الرسول عليه الصلاة والسلام مع جماعة من أصحابه لقتل ابن أبي الحقيق، قتل يوم اليمامة شهيدًا سنة ١٢/٦٣٣م. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٤١.

(٤) ابن سعد، ٨/٩١.

رسول الله ﷺ في عوالي المدينة[١]. وكان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ابنة يسترضع لها في العَرْج[٢].

- استرضاع الحاضرة في الحاضرة:

هناك بعض الإشارات التي تدل على وجود مثل هذا النوع من الاسترضاع في العصر الجاهلي في مكة ويثرب. إلا أن هناك اختلافًا في نوعية المسترضع فيهم في كلا المدينتين. فالاسترضاع في مكة يبدو أنه كان قصرًا على بعض جواري الأسرة ولمدة محددة فقط تنتهي بمجرد الحصول على مرضع من البادية. ومثال ذلك إرضاع ثويبة مولاة أبي لهب للرسول ﷺ ولحمزة بن عبدالمطلب وغيرهما[٣]. أما في يثرب فلم تسعفنا المصادر في الحصول على إشارة تدلنا على حدوث مثل هذا الأمر فيها إلا أن لديهم نوعًا آخر من الاسترضاع كاسترضاع الأوس[٤] في يهود بني قريظة[٥]. فقد كان

(١) ابن سعد، ١٣٦/١- ١٣٧. أبو الشيخ الأصبهاني، ص٦٥. ابن حجر، الإصابة، ٩٥/١. وعوالي المدينة ضيعة بينها وبين المدينة حوالي أربعة أميال. ياقوت، البلدان، ١٦٦/٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ٤١/٢. والعرج قرية على بعد ثلاثة مراحل من المدينة في طريق مكة. السمهودي، علي بن عبدالله، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، (د. ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص ٥٨١. وتقع حاليًا جنوبي المدينة على بعد حوالي (١١٣) كيلاً. عاتق البلادي، المعالم، ص ٢٠٣.

(٣) ابن سعد، ١٣٤/١، ١٦/٨. ابن حجر، الإصابة، ٢٨٢/٤.

(٤) الأوس قبيلة تنتسب إلى أوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقياء بن مازن بن الأزد. سكنت المدينة بعد خروج الأزد من اليمن. القلقشندي، قلائد، ص٩٣.

(٥) بنو قريظة ينتسبون إلى الخزرج بن الصريح بن السبط بن اليسع ... بن هارون بن عمران. كانوا يسكنون منطقة العوالي في حرة واقم شرق يثرب. السمهودي، علي بن أحمد، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ج١ (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت) ص١٦١. خليل إبراهيم السامرائي وثائر حامد محمد، المظاهر الحضرية للمدينة المنورة في عصر النبوة (ط١، منشورات مكتبة بسام، الموصل ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) ص١٨.

أبو لبابة بن بشير[١] رضيعهم[٢]. وهذه الإشارة بالإضافة إلى ما سبق ذكره عن عبدالله بن عتيك تعطي دلالة أخرى وهي أن أهل المدينة كانوا يسترضعون اليهوديات.

أما في العصر الإسلامي فقد ظهر الاسترضاع بين نساء الأسر، فالحسين ابن علي بن أبي طالب أرضعته أم الفضل[٣] زوجة العباس بن عبدالمطلب[٤].

- **استرضاع البادية من البادية:**

لم أجد ما يشير إلى انتشار هذا النوع من الاسترضاع بين بادية الحجاز. ويبدو أنه كان معروفًا في غيرها من البوادي، يدلنا على ذلك نص ذكره الأصفهاني[٥] جاء فيه: "أن امرأ القيس[٦] لما قُتِل أبوه كان غلامًا قد ترعرع، وكان في بني حنظلة[٧] مقيمًا لأن ظئره[٨] كانت امرأة منهم. ويبدو أن بادية الحجاز اشتهرت بالاسترضاع من مكة أكثر من الاسترضاع فيما بينهم. كما أنه لا يوجد ما يُعلِّل

(١) أبو لبابة بن بشير بن عبدالمنذر بن رفاعة بن زيد، من بني عمرو بن عوف، من الأوس. شهد العقبة، وكان نقيبًا. ابن قدامة، الاستبصار، ص٢٧٦.

(٢) ابن قدامة، الاستبصار، ص٢٧٧.

(٣) أم الفضل هي لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية. قيل أسلمت قبل الهجرة وقيل بعدها، ماتت في خلافة عثمان بن عفان. ابن حجر، الإصابة، ٤/٤٨٣- ٤٨٤.

(٤) ابن عنبة، عمدة، ص١٩١. السيوطي، مسند فاطمة، ص٩٨.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٩/١٠٦.

(٦) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار بن معاوية بن ثور، من كندة. من أشهر شعراء العرب توفي نحو ٨٠ق. هـ. الأصفهاني، الأغاني، ٩/٩٣. خير الدين الزركلي، ٢/١١.

(٧) يبدو أنهم بنو حنظلة بن مالك، أكبر قبيلة في تميم، من مراكزهم القديمة الصمان. القلقشندي، نهاية، ص٢٣٨. عمر رضا كحالة، قبائل، ١/٣١٠.

(٨) الظِّئر هي: العاطفة على ولد غيرها المرضعة له من الناس وغيرهم. ابن منظور، ٢/٦٣٩. الزبيدي، ١٢/٤٦٠.

وجود استرضاع فيما بينهم كما هو بين الحاضرة والبادية، أما النساء الشريفات منهن فيستطعن الحصول على مرضعات من بين نسوة قبيلتهن.

بالإضافة إلى أنواع الاسترضاع الأربعة التي سبق ذكرها هناك أسلوب آخر للاسترضاع اشتهر في العصر الإسلامي، ولا شك أنه معروف في الجاهلية أيضًا، يعتمد على استخدام ألبان الشياه والنوق في تغذية الرضع. قال ابن سعد[١]: "ولد للمسيب[٢] ابن، قال فاشترى له خيثمة[٣] ظئرًا فبعث بها إليه". وقال أحدهم للحكم بن المطلب[٤]: "ولد لأخ لي مولود فلم تدر عليه أمه فطلبوا له شاة حلوبة فلم يجدوها فذكروا له شاة عندك يقال لها غراء"[٥]. كما أن كعب بن الحارث[٦] كانت امرأته قد مرضت فخلف لولده منها نعجة تكون ظئراً له[٧]. ويبقى تساؤل دون إجابة كيف يُرضَع المواليد لبن الشياه والنوق؟ فمن الصعب أن يسقى المولود الحليب كما يسقى الماء لكونه في حاجة إلى كمية كبيرة من الحليب في اليوم في حين لا يستدعي شربه للماء سوى جرعات قليلة.

تحصل المرضع مقابل استرضاعها على أجر يدفعه لها والد الصبي، لذلك كانت تحرص على عدم اختيار مولود يتيم الأب[٨]، ومن ذلك موقف نساء

---

(١) ٢٨٧/٦.

(٢) لعله المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح بن عوف الفزاري. كان مع علي بن أبي طالب في خلافه مع معاوية بن أبي سفيان، قتل يوم عين الوردة سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م. ابن سعد، ٢١٦/٦. الطبري، تاريخ، ٥٩٩/٥.

(٣) خيثمة بن عبدالرحمن بن أبي سبرة، من مذحج. ولد بالمدينة من التابعين. ابن سعد، ٢٨٦/٦– ٢٨٧.

(٤) لعله الحكم بن المطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنظب بن الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزوم. يعد من نساك قريش. الزبيري، نسب، ص٣٤٠. ابن حزم، ص١٤٢.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٣٨٨/٤.

(٦) كعب بن الحارث بن عامر بن عبدالقيس. ابن حبيب، أسماء، ١٣٩/٢.

(٧) ابن حبيب، أسماء، ١٣٩/٢– ١٤٠. وانظر أيضًا إشارة أخرى : ابن عساكر، تاريخ – السيرة ، ٧٥/١.

(٨) ابن سعد، ١٥١/١.

بني سعد بن بكر من الرسول ﷺ فقد كُنّ يقلن إذا علمن أنه يتيم: "وماذا عسى أن تصنع إلينا أمه؟! إنما نرجو المعروف من أب الولد"[١]. ولا يعوض وجود الجد عن وجود الأب، يدل على ذلك قولهن أيضًا: "وما عسى أن يكون من أمه وجده إلينا؟ إنما يكون الإحسان من الأب"[٢]. ويزيد الأمر سوءًا إن كان المولود اليتيم لا مال له فقد كن يقلن: "يتيم ولا مال له، وما عست أمه أن تفعل؟!"[٣].

لا تبين لنا المصادر ماهية هذا الأجر في العصر الجاهلي، هل كان نقدًا أم عينًا أم كان الاثنين معًا؟ ولا توضح لنا أيضًا متى يدفع هذا المقابل المادي؟ ولكن يبدو أن المرضع كانت تحصل على أجرتها كل عام، ولعل ذلك كان يتم عندما تقدم به لتزيره أهله فقد كان من المتعارف عليه أن يزور أهله كل عام[٤]. أما في العصر الإسلامي فقد وردت إشارة دلت على أن المرضع من الممكن أن تأخذ أجرها عينًا فقد منح الرسول ﷺ أم بردة[٥] مرضع ابنه قطعة من نخل[٦].

بالإضافة إلى أجرة المرضع كانت أسرة المسترضع له تحب أن تهب المرضع عند فطام الصبي شيئًا آخر كعبد أو أمة، ويعتقدون أن هذا الأمر يسقط عنهم حق المرضع وذمامها[٧]. ولا يوجد ما يدل على ممارسة هذا العرف في الجاهلية حيث إن أول إشارة إليه حسبما اطلعنا عليه من مصادر

(١) ابن الأثير، أسد، ٦٨/٧.

(٢) البلاذري، أنساب، ٩٣/١.

(٣) ابن سعد، ١١١/١. وانظر أيضًا: الطبراني، الكبير، ٢١٤/٤٢.

(٤) ابن سعد، ١٦٦/١.

(٥) أم بردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد، من بني النجار. ابن حجر، الإصابة، ٤٣٤/٤.

(٦) ابن عبدالبر ، ٤٣/١.

(٧) الصنعاني، ٤٧٨/٧ - ٤٧٩. "يقال: أَذهِب عنك مذمتهم بشيء ؛ أي أعطهم شيئًا فإن لهم ذمامًا... والذمام والمذمة: الحق والحُرمة". ابن منظور، ١٠٧٧/١.

كانت في عصر الرسول ﷺ فقد سأله حجاج بن مالك[1] قائلاً: "ما يُذهِب عني مذمة الرضاع؟ قال: غرةٌ، عبدٌ أو أمةٌ"[2].

أما عن كيفية فطم الصبي فتتخذ المرضع له عدة تدابير حيث تبدأ بإنقاص رضاعه تدريجيًا وتعويده على الطعام مثل الخبز المبلول بالماء، أو العسل، أو اللبن، ثم الخبز وحده، وتطعمه أيضًا الحبوب المطبوخة والحساء واللحم بعد أن تمضغه، ثم تضعه في فيه[3]. وقد تعمد إلى وضع الصَّبِر[4] أو التراب على ثديها لتنفيره من الرضاعة[5].

من الجدير بالذكر أن العلاقة بين المسترضع ومرضعته لا تنقطع بانتهاء مدة الاسترضاع، بل تستمر الصلات بينهما، فكثيرًا ما كانت المرضع أو أحد أبنائها يقدم على المسترضع ليطلب منه عونًا خاصة في سنوات الجدب، فحليمة مرضع رسول الله ﷺ كانت تقدم إلى مكة بعد زواج الرسول ﷺ من خديجة وتشتكي جدب البلاد وهلاك الماشية فتُقدّم لها المساعدة[6]، كما كان عليه الصلاة والسلام يصل مرضعته ثويبة حتى بعد أن هاجر إلى المدينة واستمر على ذلك حتى ماتت[7]. وعندما قدم على رسول الله ﷺ وفد هوازن بعد غزوة حنين[8] قام

(١) حجاج بن مالك بن عويمر بن أبي أسيد الأسلمي، من أهل المدينة، كان ينزل العرج. ابن الأثير، أسد، ١/٤٥٩.

(٢) الصنعاني، ٧/٤٧٨. ابن الأثير، أسد، ١/٤٥٩.

(٣) البلدي، ص ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠١. ابن الجزار، ص ٦٦- ٦٧.

(٤) المراد هنا عصارة نبات الصبر وهي مرة المذاق. ابن منظور، ٢/٤٠٥.

(٥) ابن ظفر الصقلي، ص٤٤ . ابن منظور ، ٢/٨٢١.

(٦) ابن سعد، ١/١١٣.

(٧) ابن عبدالبر، ١/١٦. ياسين الخطيب، ورقة ٥٢ ب.

(٨) حدثت غزوة حنين سنة ٨هـ/ ٦٢٩م. ابن سعد ، ٢/١٤٩.

رجل منهم من بني سعد بن بكر وقال للرسول ﷺ: "إنما في الحظائر[1] عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك". فأطلق لهم رسول الله ﷺ سباياهم إكرامًا لمرضعته حليمة السعدية[2]. كما قدم قوم من كنانة على يحيى بن سعيد بن العاص وكان مسترضعًا فيهم وطلبوا منه المساعدة فلم يصنع بهم خيرًا، فقال أحدهم:

وَربَّتْـكَ منـا كَهْلَـةٌ نَوفَلِيَّـةٌ   لها في بنـي الدِّيلِ الكِرامِ عُروقُ
رأَيْتُ أبا أَيّوبَ لِلصِّهْرِ مُنْكِرًا   وما أَنْتَ يا يحيى لِـذاكَ خَليـقُ
غَذَوناكَ يا يَحْيى فكان جَزَاءَنـا   لَكَ الخَيـرُ فيكُمْ جَفْوَةٌ وعُقـوقُ

فاعتذر مما بدر منه وقضى لهم حوائجهم[3].

قد تبلغ العلاقة بين المسترضع وظئره أو بينه وبين آظآره درجة من القرب تجعل المحيطين به ينسبونه إليهم، فقد كان بنو مالك بن لوذان[4] يدعون ببني الصماء نسبة إلى امرأة من مزينة أرضعت أباهم[5]. كذلك كان يقال لعمرو بن وقدان[6] "السعدي" لأنه استرضع له في بني سعد بن بكر[7].

---

(١) الحظائر: جمع حظيرة، وهي ما أحاط بالشيء من قصب وخشب. ابن منظور، ٦٦٦/١.

(٢) ابن هشام، ١٣٤/٤- ١٣٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الصغير، تحقيق محمود زايد، ج١ (ط١، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص٣١.

(٣) البلاذري، أنساب، ق٤، ٤٥١/١- ٤٥٢، ج٤، ١٤٦/٢.

(٤) بنو مالك بن لوذان بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس. سماهم الرسول ﷺ في الإسلام بني السميعة. ابن سعد، ٣٧٤/٤. ابن حزم، ص ٤٧٠.

(٥) ابن سعد، ٣٧٤/٤.

(٦) عمرو بن وقدان بن عبدشمس بن عبدوُدّ، القرشي العامري. له صحبة ورواية عن الرسول ﷺ، توفي سنة ٥٧هـ/ ٦٧٦م. البلاذري، أنساب، ٢١٩/١. ابن عبدالبر، ٣٥٠/٢. وسماه الفاسي قدامة بن وقدان. العقد، ١٦٧/٥- ١٦٨.

(٧) البلاذري، أنساب، ٢١٩/١. ابن عبدالبر، ٣٥٠/٢، ٣٨٤، ٣٩٠. الفاسي، العقد، ١٦٧/٥- ١٦٨.

- **الحضانة :**

من المرجح أن مرحلة الحضانة كانت تبدأ مع الرضاعة فقد كانت حليمة السعدية مرضع رسول الله ﷺ وابنتها حاضنة له[١]. وتكون مهمة الحاضنة في هذه المدة متعلقة بمراقبة المولود عند نومه وغسله وتنظيفه[٢]. وبعد انتهاء مدة الاسترضاع، وانتهاء مهمة المرضع والحاضنة في البادية وعودة الصبي إلى ذويه، يبدأ الأهل القادرون ماديًا باستخدام شخص آخر تقع عليه مهمة رعاية الطفل ومراقبته وتربيته قد يطلق عليه اسم حاضن أو حاضنة[٣]، وهو غالبًا ما يكون أحد عبيد الأسرة أو إمائها[٤]. وقد عرفت الأسر في حاضرة الحجاز هذا الأمر منذ العصر الجاهلي، فقد حضنت سعد بن لؤي بن غالب[٥] امرأة تدعى بُنانة[٦]. كما كانت أم أيمن حاضنة الرسول ﷺ[٧] وكان جده عبدالمطلب يقول لها: "يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريبًا من السدرة"[٨]. واستمر هذا الوضع في

(١) ابن عساكر، تاريخ - السيرة - ١/٧٢.

(٢) ابن الجزار، ص٦٢- ٦٣ .

(٣) ابن الأثير الجزري، النهاية، ١/٤٠١. ابن منظور، ١/٦٦١.

(٤) ابن الأثير الجزري، النهاية، ١/١٥.

(٥) سعد بن لؤي بن غالب بن فهر وهو قريش بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة. الزبيري، ص١٠-١٣.

(٦) "بُنانة من البنَّة. والبَنَّة: الرائحة الطيبة". ابن دريد، الاشتقاق، ١/١٠٧.

(٧) ابن سعد، ١/١١٨. البخاري، الصغير، ١/٨٨- ٨٩. ابن حجر، الإصابة، ١/٣١. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، رفع شأن الحبشان، تحقيق محمد عبدالوهاب فضل (د. ط، مطبعة كويك حمادة، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص ٣١٣. ابن عبدالباقي، محمد، الطراز المنقوش في محاسن الحبوش (مخطوطة مصورة برقم ١١٢٣/ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ٣١أ.

(٨) ابن سعد، ١/١١٨. ابن عساكر، تاريخ - السيرة - ١/٧٠- ٧١.

الإسلام فقد كان لعائشة بنت أبي بكر حاضنة تهتم بشؤونها وهي التي أصلحتها عندما أُدخلت على الرسول ﷺ[1]، ولإبراهيم ابن رسول الله ﷺ حاضنة تدعى سلامة[2]. وعندما مات أبو بكر الصديق وجد في ماله عبد نوبي كان يحمل صبيانه[3]. ولعل ذلك كان من مهمات الحاضن. كما كان لأولاد المغيرة ابن شعبة وابنه عروة[4] حاضنة تدعى ضبّة[5]. واستمر استخدام الحاضنة حتى نهاية القرن الأول الهجري. قال محمد بن عمر[6]: "حدثني أبي قال: ذهبت بي حاضنتي إلى أبي بكر بن حزم[7] فوضع في يدي دينارًا وأنا منفوس، ووُلِدت سنة المئة"[8]. كما ورد ما يدل على استمرار هذه الظاهرة في العصر العباسي فقد قال ابن جامع[9] للخليفة هارون الرشيد: "قد ظهرت نعمتك عليَّ وعلى أكابر ولدي... ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتخذ لهم خدمًا"[10]. ولعل

---

(١) ابن سعد، ٥٩/٨.

(٢) ابن الأثير، أسد، ١٤٤/٧.

(٣) ابن سعد، ١٩٢/٣. البلاذري، أنساب، (الشيخان)، ص٥٥. ابن حجر، فتح، ٣٠٤/٤.

(٤) عروة بن المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب، من ثقيف. ابن حزم، ص٢٦٧.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ١٠٩/٧.

(٦) محمد بن عمر بن واقد الأسلمي. مولى عبدالله بن بُريدة الأسلمي، كان من أهل المدينة، سكن بغداد سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م. ثم تولى قضاءها في عهد الخليفة المأمون. توفي سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م. ابن سعد، ٣٣٤/٧- ٣٣٥. الذهبي، ٤٥٤/٩، ٤٦٧.

(٧) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. والي المدينة في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز. خليفة ابن خياط، تاريخ، ٤٦٤/٢.

(٨) ابن سعد، ٣٤٦/٥. والمنفوس هو الطفل حين يولد. ابن منظور، ٦٩٠/٣.

(٩) ابن جامع هو: إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبدالله بن المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة ابن سعد بن سهم، من قريش. كان يسكن مكة المكرمة ثم انتقل إلى المدينة، توفي سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٨م. الأصفهاني، الأغاني، ٣٠٤/٦. خير الدين الزركلي، ٣١١/١.

(١٠) الأصفهاني، الأغاني، ٣٠٩/١٩.

المقصود بالخدم هنا الحواضن. كما كان لابنة الإمام مالك حاضنة بقيت معها حتى زوّجتها[1].

لا شك أن هذه الظاهرة كانت معروفة عند الأسر الغنية في بادية الحجاز في العصر الجاهلي، قال أبو عبيد[2]: "ولد زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة سعداً وحضنه عبد حبشي يقال له هذيم فغلب عليه". إلا أن استمراريتها في العصر الإسلامي موضع تساؤل، فلم نجد من خلال ما اعتمدنا عليه من مصادر ما يدل على ذلك. فإما يكون ذلك دلالة على انتهاء هذه الظاهرة، أو هو إغفال من المصادر لذلك.

ولكن ما الصفات الواجب توافرها في الحاضنة ؟

ذكر ابن الجزار[3] عدة صفات يرى أن من الواجب توافرها في الحاضنة لتتم المنفعة المرجوة منها. قال: "أن تكون مرضع قد طعنت في السن قليلاً وتكون فطنة معها تجربة وحرمة وتدبير وسياسة ورفق وتثبت لتشير بفضل ما معها... على مرضع الصبي أن تفعل ما ينبغي لها أن تفعله وتقدره لتنويم الصبي وإيقاظه".

من الملحوظ أيضًا أن العلاقة بالحاضن قد تصل إلى درجة أن الشخص قد ينسب إليه كما هو الحال مع المرضع. وفي النص السابق ذكره ما يفي بغرض الدلالة.

---

(١) ابن حبيب، أدب، ص١٩٤.

(٢) أبو عبيد، النسب، ص٣٧٢. وانظر أيضًا: السهيلي، ١٢٢/١. ابن حجر، الإصابة، ١٢٤/٢.

(٣) ابن الجزار، ص٧٢.

ثالثًا - اللباس والزينة :

- اللباس :

على الرغم من تعدد الدراسات الحديثة التي اهتمت باللباس في الجاهلية والإسلام، إلا أنني لم أجد من خصص جزءًا من دراسته لتحديد شكل لباس الصبيان، بل تركزت دراستهم في معظمها على شكل اللباس، والمادة الخام المستخدمة في نسجه، أو خياطته، وتحديد لابسيه من الرجال والنساء مع إشارات نادرة لبعض لباس الأولاد تدخل عرضًا في الموضوع، لا قصداً إليها. وليس ذلك تقصيرًا منهم بل هو عائد إلى طبيعة مصادرهم ومنهجيتهم في الدراسة[1].

لا شك أن محاولة عرض صورة واضحة لشكل لباس الصبيان في مدة الدراسة يكتنفها كثير من الصعوبات لعل أبرزها :

- قلة ما ورد في هذا الموضوع.
- تحديد المجال الجغرافي والمدة الزمنية التي ظهرت فيها بعض الألبسة خاصة ما ورد منها في معاجم اللغة.

(١) إبراهيم السامرائي، من معجم اللباس، مجلة التراث الشعبي، العدد ١١، ١٩٧٩م، بغداد، ص ٥ - ٣٢. محمد عبدالحكيم القاضي، اللباس والزينة من السنة المطهرة (ط٢، دار الحديث، القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص١٤- ٢١٦. محمد فارس الجميل، اللباس في عصر الرسول ﷺ حوليات كلية الآداب، الحولية الرابعة عشرة، الرسالة الحادية والتسعون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، الكويت، ص١١ - ١٤٣. مهدية شحادة الزميلي، لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي (ط٣، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمّان ١٩٨٧م) ص٩٥- ١٣٦. نوري حمودي القيسي، الملابس في معجم لسان العرب، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١، المجلد الثامن والثلاثون، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، بغداد، ص ٨٣ - ١١٩. يحيى الجبوري، الملابس العربية في الشعر الجاهلي (د. ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٩م) ص ١١ - ٣٥٨.

- رصد التطورات التي طرأت على اللباس خلال المدة المحددة للدراسة.

- التمييز بين لباس الصبيان في الحاضرة ولباس الصبيان في البادية.

- التمييز بين لباس البنين ولباس البنات.

وعلى ذلك وللصعوبات السابقة فسيُدرس هذا الموضوع دون تصنيف حسب الحروف الهجائية:

- **الإِزَار :**

وهو "ما يستر أسفل البدن ولا يكون مخيطًا"(١). ويمكن تصنيفه إلى عدة أنواع منه ما يتخذ من النسيج. فقد ورد في الحديث أن أم أنس بن مالك(٢) جاءت به إلى رسول الله ﷺ وقد أزَّرته بنصف خمارها(٣). كما تستخدم البُرْدَة أيضًا إزارًا(٤)، وهي كساء مربع أسود فيه صغر تنسج من الصوف، وقد يكون لها هُدْب(٥) كما قد ينسج في حاشيتها(٦). ويبدو أن الأعراب قد اشتهروا بلبسها(٧)، يقول عمرو بن سلمة الجَرْمي(٨): "فقدموني بين أيديهم فكنت

(١) الزبيدي، ٤٣/١٠.

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، من بني النجار. أمه أم سُليم بنت ملحان، خدم الرسول ﷺ وهو ابن ثمان سنين، توفي سنة ٩٣هـ/ ٧١١م . ابن سعد، ١٧/٧، ٢٦.

(٣) مسلم، ١٩٢٩/٤. والخمار غطاء الرأس للمرأة. ابن منظور، ٩٠٠/١.

(٤) البخاري، صحيح، ٤٠/٧. ابن منظور، ١٨٩/١.

(٥) ابن منظور، ١٨٩/١.

(٦) البخاري، صحيح، ٤٠/٧.

(٧) ابن منظور، ١٨٦/١.

(٨) عمرو بن سلمة بن قيس الجرمي. كان أكثر قومه حفظًا للقرآن الكريم على الرغم من صغر سنه. ابن سعد، ٣٣٦/١.

أصلي بهم وأنا ابن ست سنين، قال: وكان عليَّ بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني"[١]. ومن أُزُر الصبيان أيضًا الشَّمْلَة، فقد ورد أيضًا أن عمرو بن سلمة الجرمي كان يصلي بقومه وعليه شملة[٢]. ومن الواضح أن هناك شبهًا بين الشملة والبردة، والفرق الوحيد بينهما يتضح من خلال حديث سهل بن سعد[٣] قال: "جاءت امرأة ببردة قال سهل: هل تدري ما البردة؟ قال: نعم الشملة منسوج في حاشيتها"[٤]. أما الشملة فيكون لها هُدّب فقط[٥]. ومنه ما يتخذ من جلد وله أسماء عدة مثل: الجَدِيلة[٦] والحوّف أو الوَثْر، وهو قطعة واحدة تلفُّ على وسط الجسم[٧]، أو يشقق على هيئة سيور عرض السير أربع أصابع أو شبر[٨]. وقد يجعل على السيور شذر[٩]، ومن المرجح أن الجارية الصغيرة تلبسه فوق الثياب[١٠]. وقد ورد له ذكر في عصر الرسول ﷺ. قالت

---

(١) ابن سعد، ١/٣٣٧.

(٢) السابق، ١/٣٣٦.

(٣) سهل بن سعد بن مالك بن خالد، من بني ساعدة من الخزرج. آخر من مات بالمدينة من الصحابة، توفي حسبما ذكرته بعض المصادر سنة ٨٨هـ/ ٧٠٦م. ابن عبدالبر، ٢/٩٥- ٩٦. ابن حجر، الإصابة، ٢/٨٨.

(٤) البخاري، صحيح، ٧/٤٠.

(٥) ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، ج١٠ (د. ط، مكتبة الحلواني، دمشق ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص ٦٤٠.

(٦) ابن منظور، ١/٤٢١.

(٧) البلاذري، أنساب، ١/٤١١. ابن منظور، ١/٧٥٧. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٠٣٦.

(٨) الخطابي، حمد بن محمد، غريب الحديث، تحقيق عبدالكريم العزباوي، ج٢ (د. ط، دار الفكر، دمشق ١٤٠٢ـ/ ١٩٨٢م) ص٥٧٤. ابن منظور، ١/٧٥٧، ٣/٨٧٦.

(٩) الشذر قطع من خرز أو ذهب يُفصل بها النظم، أو هو اللؤلؤ الصغار. الفيروزآبادي، القاموس، ص٥٣١.

(١٠) الفيروزآبادي، القاموس، ص ٥٣١.

عائشة رضي الله عنها: "تزوجني رسول الله ﷺ وعليَّ حوف"[1]. ومن هذا النوع أيضًا الحَوَر[2]، والرَّهْط الذي يشبه في شكله الحوف إلا أنه يشقق من جوانبه فقط ليسهل المشي فيه[3]. ومنها ما لم يحدد نوعه مثل النِّفَاض[4].

- الخَمِيصَة :

وهي كساء أسود مربع له علمان[5]. وقد ورد ذكرها في حديث أم خالد بنت خالد[6] قالت: "أُتِي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال: من ترون نكسو هذه؟ فسكت القوم قال: ائتوني بأم خالد فأُتِيَ بها تُحمل فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: أَبْلِيِ وأَخْلِقِي وكان فيها عَلَمٌ أخضر أو أصفر.."[7].

- الــرِّدَاء :

الرداء من الملاحف[8] ويلبس عادة مع الإزار ويغطي الجزء الأعلى من الجسم، وقد ورد استخدامه في عصر الرسول ﷺ فعن أنس بن مالك أنه قال: "جاءت بي أمي... إلى رسول الله ﷺ. وقد أزَّرتني بنصف خمارها وردَّتني بنصفه..." [9].

---

(١) البلاذري، أنساب، ٤١١/١.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ٢٢٥/١.

(٣) ابن دريد، جمهرة، ٧٦١/٢. ابن منظور، ١٢٤١/١. الزبيدي، ٣١٣/١٩.

(٤) ابن منظور، ٩٦٢/٣. الزبيدي، ٨٥/١٩.

(٥) الثعالبي، فقه، ص٢٢٨، ابن منظور، ٩٠٤/١. وعلمان مثنى علم وهو رسم الثوب. ابن منظور، ٨٧١/٢.

(٦) أم خالد هي: أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس. تكنى بأم خالد، ولدت في الحبشة. ابن عبدالبر، ٢٤١/٤- ٢٤٢. ابن حجر، الإصابة، ٢٣٨/٤.

(٧) البخاري، صحيح، ٤٢/٧. وانظر أيضًا: ابن الأثير الجزري، جامع، ٦٧٦/١٠. السيوطي، الحبشان، ص١٣٩. ابن عبدالباقي، ورقة ١٣ب.

(٨) ابن منظور، ١١٥٦/١. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٦٦١.

(٩) مسلم، ١٩٢٩/٤.

- **العِلْقة :**

وهي ثوب صغير تلبسه البنات خاصة[١]، وقيل هي أول ثوب يلبسه المولود[٢].

- **العِمامة :**

وهي من لباس الرأس[٣]. ويبدو أن الصبيان كانوا يعممون، ولعل ذلك كان في أوائل القرن الثاني الهجري، نستدل على ذلك من قول إبراهيم بن سعد[٤] أن والده[٥] كان يعممه، وأن الصبيان في عهده كانوا يعممون[٦].

- **القُبَّعة :**

وهي أيضًا من لباس الصبيان وصفها ابن دريد[٧] بأنها "خِرقة تخاط كالبرنس"[٨]. ويسميها العامة القنبعة[٩].

- **القِماط :**

وهي خرقة عريضة تلف على الصبي وهو في المهد الغرض منها ضم يديه ورجله إلى جسده[١٠]. ولعلها تستخدم بعد إلباس الصبي العِلقة.

---

(١) الثعالبي، فقه، ص٢٢٧.

(٢) ابن منظور، ٨٦٥/٢. الفيروزآبادي، القاموس، ص١١٧٦. الزبيدي، ١٩٤/٢٦.

(٣) ابن منظور، ٨٨٩/٢.

(٤) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، من بني زهرة من قريش. توفي وعمره خمس وسبعون سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م. ابن سعد (القسم المتمم) ص ٤٥٦ - ٤٥٧.

(٥) توفي والده سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٤م. ابن سعد (القسم المتمم) ص٢٠٥.

(٦) ابن سعد (القسم المتمم) ص٢٠٥.

(٧) ابن دريد، جمهرة، ٣٦٥/١. وانظر أيضًا : ابن منظور، ٩/٣، ١٦٨.

(٨) البرنس هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به. ابن منظور، ٢٠٤/١.

(٩) ابن دريد، جمهرة، ٣٦٥/١ ، ١١٢٧/٢. ابن منظور، ٩/٣، ١٦٨.

(١٠) الزمخشري، أساس، ص٣٧٧. ابن منظور، ١٦٣/٣. الفيروزآبادي، القاموس، ص ٨٨٣.

- القَمِيص :

وغالبًا ما يصنع من القطن[١]، وقد كان من لباس الصبيان في عصر الرسول ﷺ حيث رُوِي أن الحسن والحسين وهما صغيران شوهد عليهما قميصان أحمران[٢]. وله أسماء عدة منها: البَقِيرة[٣] وهي إما خرقة يجعل لها جيب[٤]، أو هي ثوب ليس له كُمَّان[٥]، أو أن لا يكون لها جيب ولا كُمَّان إنما تشق من وسطها فقط وتلبس الصبي[٦]. وقد يطلق على البقيرة أيضًا الإصْدَة[٧] أو المُؤصَّد، والإتْب[٨]. قال الشاعر:

وعلِّقتُ ليلى وهي ذاتُ مؤصَّدٍ صبيًا ولمَّا يلبس الإتْبَ رِيدُها[٩]

كما قال أسماء بن خارجة[١٠]:

عَرفَ الحِسَانُ لها جُوَيْرِيَةً تَسْعَى معَ الأَتْرابِ في إتْبِ[١١]

---

(١) الفيروزآبادي، القاموس، ص ٨١١.

(٢) ابن ماجه، ٢/٢٩٨.

(٣) ابن دريد، الاشتقاق، ص٢٨٨.

(٤) ابن دريد، جمهرة، ١/٣٢٣.

(٥) ابن منظور، ١/٧٥٨.

(٦) السابق، ١/٢٤٢.

(٧) ابن دريد، جمهرة، ٢/١٠٩١- ١٠٩٢.

(٨) السابق، جمهرة، ٢/١٠١٦.

(٩) السابق، جمهرة، ٢/١٠٩٢. ثعلب، أحمد بن يحيى، مجالس ثعلب، تحقيق عبدالسلام هارون، ق٢ (ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص٥٣٢. والريد: اللدة والتِّرب أي من هو في مثل سنها. ابن دريد، جمهرة، ٢/١٠٩٢. ابن منظور، ١/١٠٨٩. الزبيدي، ٢/٦٧، ٨/١٣٠.

(١٠) أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري. من الطبقة الأولى من التابعين، اختلف حول سنة وفاته، قيل توفي سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م. الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، ج١ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م). ابن حجر، الإصابة، ١/١٠٤.

(١١) الأصمعي، ص٤٩.

كما يطلق على البقيرة أيضًا اسم بَدَنَة[١] وحَوْف[٢]. ومن أسماء القميص أيضًا المِجْوَل، وهو ثوب صغير تجول فيه الجارية يثنى ويخاط من أحد جنبيه ويجعل له جيب[٣]. وقد تصنع قمص الصبيان أيضًا من الجلود، ويطلق عليها السِّباح ومفردها السَّبّحة[٤].

- النُّقْبَة :

وهي تخاط من أعلى كالسراويل، أي لها حجزة مخيطة من غير نيفق[٥]، وتشد كما تشد حجزة السراويل، وشكلها من أسفل كالإزار[٦].

هذا مجمل ما توصلت إليه حول لباس الصبيان، والملحوظ أنه لم يرد فيما اطلعت عليه من المصادر ما يدل على استخدام لباس للقدمين مثل الجوارب والخفاف والنعال في القرن الأول الهجري، أما في القرن الثاني الهجري فقد ورد في كتاب الدراري[٧] قول لسفيان بن عيينة[٨] جاء فيه: "لقد رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار، ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار،

---

(١) ابن دريد، جمهرة، ١١١٨/٢.

(٢) ابن منظور، ٧٥٨/١.

(٣) الزمخشري، أساس، ص٧٠. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٣١٨/١. ابن منظور، ٥٣٦/١. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٢٦٧.

(٤) ابن منظور، ٨٣/١.

(٥) النيفق هو الموضع المتسع من السروال. ابن منظور، ٦٩٤/٣.

(٦) ابن دريد، جمهرة، ٣٧٤/١. الزمخشري، أساس، ص ٤٦٩.

(٧) ابن العديم، عمر بن هبة الله، الدراري في الذراري (د. ط، مطبعة الجوائب، قسطنطينية ١٢٩٨هـ) ص٢٨.

(٨) سفيان بن عيينة الهلالي. مولى امرأة من بني هلال، وقيل مولى بني هاشم، ولد في الكوفة ثم نقله أبوه إلى مكة حيث سكنها، يعد محدث الحرم المكي. توفي سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م. ابن خلكان، ٣٩١/٢، ٣٩٣. خير الدين الزركلي، ١٠٥/٣.

ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كآذان الفار...". ففي قوله هذا دلالة على انتعال الصبيان في الحجاز، ولا شك أنه كان معروفًا أيضًا قبل ذلك، إلا أن هناك تجاهلاً من المصادر لها لقلة أهميتها.

- الزينة :

لم يقتصر الاهتمام بالزينة في تلك المدة على النساء والرجال فقط. وإنما هناك اهتمام بزينة الصبيان أيضًا ابتداء من نظافتهم الشخصية إلى زينتهم الخارجية. وعلى الرغم من قلة ما ورد في المصادر حول هذا الموضوع إلا أنها تعطي مؤشرًا على ما هو موجود في ذلك الوقت.

- النظافة الشخصية :

ورد في عصر الرسول ﷺ بعض النصوص التي تدل على العناية بنظافة الصبيان، وعلى الرغم من قلّتها إلا أن فيها دلالة على اهتمام الأمهات في الحاضرة بنظافة صبيانهن، فعن أبي هريرة أنه قال: "خرج النبي ﷺ في طائفة النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى أتى سوق بني قينقاع[1] فجلس بفناء بيت فاطمة[2] فقال: أثمّ لُكَع؟![3] فحبسته شيئًا فظننت أنها تلبسه سِخابًا[4] وتغسله..." [5].

---

(١) بنو قينقاع من القبائل اليهودية القديمة. تعد أول قبيلة سكنت يثرب قبل بني النضير وبني قريظة، ينسب السوق إليهم. ابن حجر، فتح، ٢٩٠/٤. ياسين الغضبان، مدينة يثرب قبل الإسلام (ط١، دار البشير للنشر والتوزيع، عمّان ١٩٩٣م) ص١٠٦. ولتفصيلات عن سوق بني قينقاع انظر: خليل السامرائي، ٦٣- ٦٥.

(٢) سقط بعض الحديث عن الناقل لأن بيت فاطمة ليس في سوق بني قينقاع. ابن حجر، فتح، ٣٤١/٤.

(٣) لكع يقصد بها الصغير الذي لا يهتدي لمنطق، والمراد هنا الحسن بن علي. ابن حجر، فتح، ٣٤٢/٤.

(٤) السخاب نوع من أنواع القلائد.

(٥) البخاري، صحيح، ٢٠/٣. وانظر أيضًا: الطبراني، الكبير، ١٤٤/٢٤. ابن الأثير، أسد، ٣٤٣/١.

أما في البادية فلم أجد ما يدل على اهتمام الأمهات بنظافة الصبيان. وقد يكون ذلك عائدًا إلى قلة المياه وقصرهم استخدامها على الشرب، ولعل لعب الصبيان وسباحتهم في الغدران يعوضهم عن ذلك[1].

الزينة الخارجية:

- زينة الشعر:

وهي تشمل طرق تصفيفه والمواد المستخدمة في تزيينه وتطييبه، فقد اشتهر في الجاهلية طريقتان لتصفيف شعر الصبيان تعتمد الأولى على تضفير الشعر إما ضفيرة واحدة[2]، أو اثنتين[3] أو أكثر[4]، ويطلق عليها اسم ذُؤَابَة[5] أو قَرْن[6] وجمعها ذوائب[7] أو قرون[8]. وقد يكتفى بذلك أو يضاف إليها خصلة من الشعر تترك على رأس الصبي تسمى قُنْزُعَة[9]. أما الطريقة الثانية لتصفيف الشعر فتسمى القَزَع وهي أن يُحلق الصبي مع ترك بعض الشعر في ناصيته وجانبي رأسه[10].

مع مجيء الإسلام حدث تغيُّر في طرق ترجيل شعر الصبيان، فالرسول ﷺ كان ينهى عن القنزعة والقزع والذؤابة. وعندما جاءت أم جميل بنت

---

(١) المفضل الضبي، أمثال، ص٩١. الأصفهاني، الأغاني، ٢/٢٢٥، ١٧/٢٠٢.

(٢) الطبراني، الكبير، ٩/٧٠- ٧١.

(٣) السابق، ٩/٦٨.

(٤) ابن الأثير، أسد، ١/١٧٧.

(٥) أبو داود، ٤/٨٤. الطبراني، الكبير، ٩/٦٨، ٧٠، ٧١.

(٦) أبو داود، ٤/٨٤. ابن منظور، ٣/٧٣.

(٧) ابن الأثير، أسد، ١/١٧٧.

(٨) ابن منظور، ٣/٧٣، ٧٤.

(٩) ابن الأثير، أسد، ١/١٧٧. ابن منظور ، ٣/١٧٠.

(١٠) البخاري، صحيح، ٧/٦٠.

أوس[١] إلى الرسول ﷺ مع أبيها وعليها ذوائب وقنزعة، فقال الرسول ﷺ لأبيها: "احلق عنها زِيَّ الجاهلية وائتني بها"[٢]. كما رأى الرسول ﷺ صبيًا قد حلق بعض شعره وترك بعضه، فنهى عن ذلك وقال: "احلقوه كله أو اتركوه كله"[٣]. ويبدو أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يُفضِّل حلق شعر البنين، فبعد مقتل جعفر بن أبي طالب جيء بأبنائه إليه فقال: "ادعوا لي الحلاق". فأمر بحلق رؤوسهم[٤].

من الواضح أن بعض الأسر الغنية كانت تعتمد على امرأة للعناية بشعور صبيانها تدعى مُرَجِّلَة، فقد كان عمر بن عبدالعزيز قد أرسله أبوه إلى المدينة ليتعلم فتأخر يومًا على الصلاة وعندما سئل عن السبب قال: "كانت مُرجِّلتي تصلح شعري"[٥].

يستخدم في تزيين شعر الصبيان نوع من الدهن يسمى زيتاً، عرَّفه ابن منظور[٦] بأنه عصارة الزيتون. وقد عرف استخدامه في العصر الجاهلي[٧]، واستمر في عصر الرسول ﷺ، ومن ذلك أن الرسول ﷺ بعد مقتل جعفر بن أبي طالب دخل على أسماء بنت عميس[٨] زوج جعفر وكانت قد غسلت

(١) أم جميل بنت أوس المرئية، من بني امرئ القيس. ابن الأثير، أسد، ١/١٧٦-١٧٧. ابن حجر، الإصابة، ٤/٤٣٧.

(٢) ابن الأثير، أسد، ١/١٧٦- ١٧٧. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، ١/٨٨.

(٣) أبو داود، ٤/٨٣.

(٤) الطبراني، الكبير، ٢/١٠٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ٥/٦٢.

(٦) ابن منظور، ٢/٦٨.

(٧) ابن سعد، ١/١٢٠.

(٨) أسماء بنت عميس الخثعمية. أخت ميمونة بنت الحارث زوج رسول الله ﷺ لأمها. تزوجت بعد وفاة جعفر بن أبي طالب أبا بكر الصديق ثم علي بن أبي طالب. ابن عبدالبر، ٤/٢٣٤ - ٢٣٥، ابن حجر، الإصابة، ٢/٢٣١.

بنيها ودهنتهم ونظفتهم[١]. ومن المرجح أن استخدام الزيت لدهن الشعر قد قلَّ فيما بعد يدلنا على ذلك ما قاله عبدالله بن ثابت الأنصاري[٢] من أنه دعا بنيه وأمر بإحضار زيت فقال: "ادهنوا رؤوسكم. فقالوا: لا ندهن، فجعل يضربهم وقال: أترغبون عن دهن رسول الله ﷺ؟"[٣]. وبالإضافة إلى زيت الزيتون يُطيَّب شعر الصبيان بالخَلُوق، وقد ورد استخدامه في الجاهلية[٤] والإسلام[٥]، في البادية[٦] والحاضرة[٧]. ومن ذلك ما ورد عن أهل مكة بعد فتحها من أنهم كانوا يحضرون صبيانهم إلى الرسول ﷺ فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم فجيء بالوليد بن عقبة[٨]، وقد كانت أمه قد طيبته بالخلوق فلم يمسح رأسه من أجل ذلك[٩].

- **التزيين بالحُلِي[١٠]:**

تعددت أشكال الحلي التي استخدمت لتزيين الصبيان، وتنوعت أساليب التحلية. فمنها ما يستخدم لتزيين العنق، أو الأذن، أو العضد، أو الذراع، أو

---

(١) ابن الأثير، أسد، ٣٤٣/١.

(٢) عبدالله بن ثابت الأنصاري، خادم رسول الله ﷺ. ابن عبدالبر، ٢٧٠/٢- ٢٧١. ابن حجر، الإصابة، ٢٨٥/٢.

(٣) ابن الأثير، أسد، ١٨٩/٣. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، ٢٨٥/٢.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٧١/١٤.

(٥) الطبراني، الكبير، ١٥١/٢٢.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٧١/١٤.

(٧) الطبراني، الكبير، ١٥١/٢٢. ابن عبدالبر، ٦٣١/٣. ابن حجر، الإصابة، ٦٣٨/٣.

(٨) الوليد بن عقبة بن أبي معيط. أخو عثمان بن عفان لأمه، توفي سنة ٦١هـ/٦٨٠م. ابن عبدالبر، ٦٣١/٣. خير الدين الزركلي، ١٢٢/٨.

(٩) البخاري، الصغير، ١١٦/١. الطبراني، الكبير، ١٥١/٢٢. ابن عبدالبر، ٦٣١/٣. ابن حجر، الإصابة، ٦٣٨/٣.

(١٠) هو "ما تزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة". ابن منظور، ٧١١/١.

أصابع اليد. فيما يزين العنق بالقلادة[1]، وقد اختلفت أنواعها فمنها ما يسمى بالسِّخاب، قال أمية بن أبي الصلت[2]:

أحـلامُ صبيـانٍ إذا مـا قُلـدوا سُخُبًا فهم يعتلقون بمضغها[3].

وقد ورد ذكره في عصر الرسول ﷺ، فقد جاء في صحيح البخاري[4] أن الرسول ﷺ طلب رؤية الحسن بن علي "فقام الحسن بن علي يمشي وفي عنقه السخاب...". وقد اختلفت الروايات حول تحديد المادة التي كان يصنع منها السخاب، فمنهم من ذكر أنها قلادة من طيب ومسك[5] ليس فيها ذهب ولا فضة[6]. ومنهم من قال: إنه خيط ينظم فيه خرز[7]. وآخرون قالوا: إنها قلادة من مسك وقرنفل ومحلب[8] بلا جوهر[9]. ولعل اختلاف الروايات عائد إلى اختلاف أسلوب التصنيع من مكان لآخر. وقد استمر استخدام هذا النوع من

---

(١) ثابت بن أبي ثابت، خلق الإنسان، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (د. ط، وزارة الإرشاد والأبناء، الكويت ١٩٦٥م) ص٢٤٤. الثعالبي، فقه، ص ٢٣٠. ابن منظور، ١٤٨/٣.

(٢) أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عبدعوف، من قبيلة ثقيف. شاعر جاهلي، كان يُؤمِّل أن يكون النبي المنتظر، فلما بلغه خروج رسول الله ﷺ كفر به حسدًا له. مات مشركًا سنة ٥هـ/ ٦٢٦م. ابن قتيبة، الشعر، ص٢٢٧. خير الدين الزركلي، ٢٣/٢.

(٣) أمية بن أبي الصلت، ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب (د. ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٠م) ص ٥٢.

(٤) البخاري، صحيح، ٥٤/٧.

(٥) هو نوع من الطيب يُركَّب من مسك ومادة سوداء كالقار اسمها رامك. ابن منظور، ١٢٢٧/١، ١٧٣/٢.

(٦) ابن حجر، فتح، ٣٤٢/٤.

(٧) ابن الأثير الجزري، النهاية، ٣٤٩/٢. ابن منظور، ١١٣/٢.

(٨) هو شجر له حب يجعل في الطيب. ابن منظور، ٦٩٤/١.

(٩) الزمخشري، أساس، ص٢٥٠. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٣٤٩/٢.

القلائد للصبيان، فقد ورد له ذكر في حديث عبدالله بن الزبير[1] قال: "لقيني قوم ممن يطعن على عثمان فحاجُّوني فحدثتهم بسيرة أبي بكر وعمر وما كان منهما مما لم يُعب وعيب على عثمان فحججتهم حتى كأنهم صبيان يمضغون سخبهم"[2]. ومن أنواع قلائد الصبيان أيضًا الأطواق[3]، قال ابن قيس الرقيات:

حُيِّيتِ عَنَّا أُمَّ ذِي الوَدْعِ وَالطَّوْقِ والخَرَزاتِ والجَزْعِ[4]

والبلحيات وهي تصنع من البَلَح[5]. والمِعْقَاد وهو خيط ينظم فيه خرز[6]. والملحوظ في تلك القلائد أنها لا تخص الإناث دون الذكور من الصبيان بل يشترك فيها الاثنان. ومما يشتركان فيه أيضًا زينة الأذن وهي ما يعلق في شحمتها من حلي، وتسمى قُرْطاً[7]، أو رَعَثة[8]، أو تُومَة[9]. وتكون من الذهب،

(١) عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى القرشي. ولد عام الهجرة، بويع بالخلافة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، وقتل سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م. ابن سعد (الطبقة الخامسة) ٢/٣٠-٣١، ١١٧. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٠٩، ٣١١.

(٢) البلاذري، أنساب، ق ٤، ١/٤٩٢- ٤٩٣. وانظر أيضًا: ابن الأثير الجزري، النهاية، ٢/٣٤٩.

(٣) ابن منظور، ٢/٦٢٧.

(٤) ابن قيس الرقيات، عبيدالله، ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، تحقيق: محمد يوسف نجم (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م) ص ٦٥.

(٥) ابن عساكر، تاريخ -تراجم- ص٦٦. ابن منظور، ١/٢٥٣. الزبيدي، ٦/٣٢٠. والبلح هو: أول ما يرطب من البُسر أو هو ما كان بين الخَلال والبُسر من حمل النخل. ابن الأثير الجزري، النهاية، ١/١٥١. الزبيدي، ٦/٣١٨.

(٦) ابن دريد، جمهرة، ٢/٦٦١.

(٧) الثعالبي، فقه، ص ٢٣٠. ابن منظور، ٣/٦١.

(٨) الفيروزآبادي، القاموس، ص٢١٧.

(٩) الزمخشري، أساس، ص ٤٠. ابن منظور، ١/٣٣٨. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٤٠٠.

أو الفضة أو اللؤلؤ[١]. وقد كان الصبيان في عصر الرسول ﷺ يحلون به[٢]. كما قد يزين ذراع الصبي بسوار من فضة يسمى قُلْباً[٣]، فقد ورد أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت قد حَلَّت الحسن والحسين قُلبين من فضة[٤]، كما أن العضد أيضًا كان يزين بحليّ تسمى المِعْقَاد، وتصنع من خيط ينظم فيه خرزات، وهي شبيهة بالمعقاد الذي يزين به العنق[٥]. ولا تستثنى أصابع اليد من الزينة، إلا أنها على ما يبدو خاصة بالإناث دون الذكور من الصبيان، فقد كن يتحلين بالخواتم الذهب، ومن ذلك أن النجاشي[٦] أهدى للرسول ﷺ حلقة فيها خاتم ذهب فيه فص حبشي، فحلاه ابنة ابنته أمامة بنت أبي العاص[٧].

من خلال هذه الشواهد القليلة عن زينة الصبيان يتضح مدى الصعوبة التي تواجه الباحث في التمييز بين زينة صبيان الحاضرة وزينة صبيان البادية، بالإضافة إلى رصد التطورات التي صاحبتها خلال مدة الدراسة. فما هي إلا إشارات متناثرة حاولت من خلالها أن أعطي صورة تعد - كما ذكرت آنفًا - مؤشرًا على طبيعة زينة الصبيان في ذلك الوقت.

---

(١) ابن الأثير، أسد، ٧/٥٨- ٥٩. ابن منظور، ١/٢٣٨. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٤٠٠.

(٢) ابن الأثير، أسد، ٧/٥٨- ٥٩.

(٣) الثعالبي، فقه، ص ٢٣٠. ابن منظور، ٣/١٤٥.

(٤) الطبراني، الكبير، ٢/١٠١.

(٥) ابن دريد، جمهرة، ٢/٦٦١.

(٦) النجاشي هو: أصحمة بن أبحر، ملك الحبشة، توفي سنة ٩هـ/ ٦٣٠م. ابن حجر، الإصابة، ١/١٠٩.

(٧) ابن ماجه، ٢/٣٠٥. السيوطي، الحبشان، ص٢٢٣. ابن عبدالباقي، ورقة ٢٦ أ.

رابعًا - أغاني ترقيص الصبيان :

الغناء للصبيان هو الترنم بكلمات موزونة تصحبها عادة حركات تأتي بها الأم أو غيرها أثناء تلعيب الصبي أو تنويمه، ويطلق عليها أسماء عدة مثل: التَّرْقِيص[1]، أو التَّنْفِيز[2]، أو البَـأْبَأَة[3]، أو التَّنْزِية[4]، أو الهَدْهَدَة[5]، أو التَّزْفِين[6]. وقد وردت إشارات كثيرة عنها في المصادر شملت عصر الجاهلية وعصر الدراسة. وهذه الأغاني بالإضافة إلى كونها وسيلة لترقيص الطفل من خلالها، إلا أنها تعكس أيضًا مضامين عدة ذات علاقة بالقيم الاجتماعية السائدة في ذلك الوقت. ومنها:

- **الفخر بالنسب :**

فقد كانت ضباعة بنت عامر تُرقِّص ابنها سلمة بن هشام[7] قائلة:

نَمَى به إلى الذُّرَى هِشَامُ   قِدمًا وآباءٌ له كِرامُ
جَحَاجِحٌ[8] خَضَارِمٌ[9] عِظَامُ   من آل مَخْزوم همُ الأعلامُ
الهامَةُ العَلْياء والسَّنَامُ[10]

(١) الترقيص: الرقص في اللغة هو الارتفاع والانخفاض، والترقيص معناها رفع الولد وخفضه. ابن منظور، ١٢٠٧/٢. أحمد أبو سعد، أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، (ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٢م) ص٤٩.

(٢) التنفيز: قال ابن منظور: "المرأة تنفز ولدها أي ترقصه، ونفَّزته أي رقصته". ٦٨٨/٣.

(٣) البأبأة هي: ترقيص المرأة ولدها ومناغاته وهزه بين الذراعين وقول من يرقصه: بأبي أنت. ابن الأثير الجزري، النهاية، ١٩/١ - ٢٠. ابن منظور، ١٥٠/١- ١٥١. أحمد أبو سعد، ص٤٩.

(٤) التنزية هي: رفع الولد إلى فوق. ابن السكيت، ١/ ٣٤٠، الحاشية رقم ٢.

(٥) الهدهدة هي: تحريك الصبي في المهد لينام. ابن منظور، ٧٨٢/٣. الزبيدي، ٣٣٩/٩.

(٦) التزفين هي: كلمة مشتقة من المصدر زَفَن، والزَّفن شبيه بالرقص. ابن منظور، ٣٢/٢.

(٧) سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي، صحابي ومن السابقين إلى الإسلام، استشهد سنة ١٤هـ/٦٣٥م. ابن حجر، الإصابة، ٦٨/٢- ٦٩.

(٨) جحاجح مفردها: جَحْجَح، وهو السيد السمح أو الكريم. ابن منظور، ٤٠٣/١.

(٩) خضارم: مفردها خِضْرِم وهو "الجواد الكثير العطية". ابن منظور، ٨٤٩/١.

(١٠) ابن حبيب، المنمق، ص٣٥٢. البلاذري، أنساب، ١٨٣/١٠. أبو علي القالي، الأمالي، ١١٧/٢.

كما أن الزبير بن عبدالمطلب[1] كان يرقص ابنة له قائلاً:

إن ابنتـــي لحـــرةٌ ذات حَسَـــبْ   لا تمنع النار ولا فضل الحطبْ[2]

واستمر ذلك في العصر الإسلامي، فقد كان الزبير بن العوام يرقص ابنًا له من أسماء بنت أبي بكر قائلاً:

أبيـــضُ مـــن آل أبـــي عَتِيـــقِ   مبـــاركٌ مـــن ولـــد الصِّـــديـــقِ

ألَـــذُّه كمـــا أَلَـــذُّ رِيقـــي[3]

- **الصفات المرغوب في توافرها في الصبي :**

ومنها قول عبدالمطلب بن هاشم لابنه العباس:

ظنِّـــي بعبـــاسٍ بُنَيِّـــي إن كبـــر   أن يمنع القـوم إذا ضـاع الدبُّر

وينـزع السَّجـل[4] إذا اليـوم اقمطـرّ[5]   ويَسقي الحـاجَّ إذا الحـاجُّ كثُـر[6]

(١) الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم. أكبر أعمام النبي ﷺ، يعد من شعراء قريش إلا أن شعره قليل. أدركه النبي ﷺ في طفولته. الزبيري، ص١٧. خير الدين الزركلي، ٤٢/٣.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص٣٥١.

(٣) ابن قتيبة، عيون، ٩٥/٣. الجاحظ، عمرو بن بحر، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد موسى الخولي (ط ٥ ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ص١٩٥. الجاحظ، البيان، ١٢٤/١. ابن العديم، ص٣٥.

(٤) السجل هي: "الدلو الضخمة المملوءة ماءً". ابن منظور، ١٠١/٢.

(٥) "اقمطر يومنا: اشتد" ابن منظور، ١٦٣/٣.

(٦) البلاذري، أنساب، ٨٩/١.

وقول العاص بن وائل[1] وهو يرقص ولده عمرًا:

ظنـي بعمـرو أن يفـوق حِلمـا ويُنشـق الخصـمَ الألـدَّ رُغمـا[2]
وأن يسـود جُمَحًـا وسَـهْما وأن يقود الجيش مَجْرًا[3] دَهْما[4]
يُلْهِم أحشاء الأعـادي لهمـا[5]

كما كانت أم حكيم بنت عبدالمطلب[6] ترقص ابن ابنتها عثمان بن عفان قائلة:

ظَنّـي بـه صِـدقٌ وبَـرٌ يأمُـرُه ويَأتَمِـرٌ
مـن فِتيـةٍ بيـضٍ صُبُـرٌ يَحمـونَ عَـورات الدَّبَـرٌ[7]

وفي العصر الإسلامي رقَّصت أسماء بنت أبي بكر الصديق ابنها عبدالله ابن الزبير قائلة:

أبيض كالسيف الصقيـل الإبريقْ بين الحـواريّ وبين الصّديـقْ
ظنّـي بـه ورُبَّ ظَـنٍّ تحقيـقْ والله أهـلُ الفضـل أهـل التوفيـقْ
أن يُحكم الخطبـة يعيي المِسليق[8] ويفـرج الكـربة في سـاع الضيـق[9]

ولم أجد أغاني ترقيص للإناث بهذا المعنى فيما اطلعت عليه من مصادر.

---

(١) العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد السهمي القرشي. أدرك الإسلام وظل على شركه، توفي نحو ٣ ق. هـ/ ٦١٩م. الزبيري، ص ٤٠٨. خير الدين الزركلي، ٢٤٧/٣.

(٢) الرغم: الذل أو التراب. ابن منظور، ١١٩٢/٣.

(٣) المجْر هو: "الجيش العظيم المجتمع". ابن منظور، ٤٤١/٣.

(٤) الدّهْم: "الجماعة الكثيرة". ابن منظور، ١٠٢٧/١.

(٥) ابن ظفر الصقلي، ص١١٠.

(٦) أم حكيم بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. يقال لها "البيضاء" و"الحَصَان". توأمة أبي رسول الله ﷺ، تزوجت من كريز بن ربيعة من بني عبدشمس. الزبيري، ص١٧- ١٨.

(٧) ابن حبيب، المنمق، ص٣٥٢. البلاذري، أنساب، ق٤، ٤٨١/١، ٥/١.

(٨) المسليق: هو "النهاية في الخطابة". ابن منظور، ١٨٦/٢.

(٩) ابن ظفر الصقلي، ص١٠٧.

- المدح :

ومن الأهالي من كان يتوسم الخير في ولده فيمتدحونه بصفات يتوسمون أن تكون فيه، من ذلك ما قالته سلمى بنت عمرو وهي تزفن ابنها عبدالمطلب ابن هاشم:

إن بُنـيّ ليس فيـه لعثمَـة ... ولم يَلـده مـدّعٍ ولا أمَـة

يعرف فيه الخير من توسَّمَة ... أروع ضحّـاك بعيـد هَمَمَـة[1]

وقول ميسون بنت بحدل[2] وهي تزفن ابنها يزيد بن معاوية:

إن يزيد خيرُ شُبَّـان العـربْ ... أحلمهم عند الرضـا وفي الغضـب

يبدُر بالبذل وإن سِيّلَ وهـب ... تفديـه نفسـي ثـم أمـي وأب[3]

لم يقتصر الترقيص بهذا المعنى على الذكور فقط بل شمل الإناث أيضًا من الصبيان. قال الزبير بن عبدالمطلب يزفن ابنته ضباعة:

يـا حَبَّـذا ضُباعـة ... مُكرمـة مُطاعـة

لا تسـرقُ البضاعـة ... لا تعـرف الخلاعـة[4]

---

(١) ابن حبيب، المنمق، ص٣٤٦. وانظر أيضًا أمثلة أخرى: ابن حبيب، المنمق، ص ٣٤٧- ٣٥٠. أبو علي القالي، الأمالي، ١١٦/٢.

(٢) ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة بن جناب. زوجة معاوية بن أبي سفيان. الزبيري، ص٢١٧.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص٣٤٨- ٣٤٩.

(٤) السابق، ص٣٥٠.

وقوله يزفن ابنته أم الحكم[1]:

يا حَبَّـــذا أُمُّ الحَكَــم كأنهــا رِئْــمٌ أَحَــمّ
يا بَعْلَهـا مــاذا قَسَــمْ سَاهَــمَ فيهـا فَسَهَــمْ[2]

واستمر ذلك في مدة الدراسة فقد كان جعفر بن الزبير[3] يرقص ابنته أم عروة[4] بقوله:

يا حبّـذا عُـرْوَةُ[5] في الدَّمالِـج أَحَـبُّ كـلِّ داخـلٍ وخـارِجِ[6]

- **تحميل أغاني الترقيص بعض الآراء الخاصة :**

استخدم الترقيص أيضًا لإنشاد بعض الأغاني التي لا يقصد بها الصبي بحد ذاته، بل يهدف قائلها إلى طرح بعض آرائه الخاصة. مثال ذلك: التعريض بما في الزوج أو الزوجة من خصال ذميمة، فيقال: إن أعرابية من البادية كانت ترقص ولدها فقالت:

وُهِبْتُهُ من ذي ثفال[7] خَـبِّ[8] يقلب عينًا مثل عين الضَـبِّ
ليـس بمعشـوق ولا مُحَـبِّ

---

(١) أم الحكم بنت الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم. ابنة عم رسول الله ﷺ. روت عنه. ابن حجر، الإصابة، ٤/٤٤٢.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص٣٥٠. أبو علي القالي، الأمالي، ١١٦/٢.

(٣) جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى القرشي. عاصر الخليفة سليمان ابن عبدالملك. الزبيري، ص ٢٣٦. وانظر أخباره في : الأصفهاني، الأغاني، ١٠/٤- ١٠.

(٤) أم عروة بنت جعفر بن الزبير بن العوام. الزبيري، ص ٢٣٦.

(٥) المقصود به اسم الرجل الذي تحتويه كنيتها أي اسم ولدها المقبل. أحمد أبو السعد، ص٩٨.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٨/١٥.

(٧) الثفال: البطيء الثقيل الحركة. ابن منظور، ٣٦٢/١.

(٨) الخب: المخادع. ابن منظور، ٧٨٠/١.

فسمعها زوجها فأخذ ابنه يرقصه ويقول ردًا على ما قالته:

وُهِبْتُهُ من سَلفعٍ[1] أفوكِ[2] سرحٍ إلى جارتها ضحوكِ

ومن هِبَلٍّ[3] قد عسا حنيك[4] أشيب ذا رأس كرأس الديك[5]

كما كان لأعرابي امرأة سوداء دميمة الخلقة فكان يرقص ابنه قائلاً:

وُهِبْتُهُ من أَمَةٍ سوداء ليست بحسناءٍ ولا جملاء

كأنَّها خِلفَةُ خنفساء

فردت عليه زوجته وهي ترقص ابنها:

وُهِبْتُهُ من أشمط المفارق ليس بمعشوق ولا بعاشق

وليس إن فارقني بنافق[6]

كما قد تستخدم أغاني الترقيص لمعاتبة الزوج، فقد كان أحد الأعراب قد هجر خيمة امرأته عندما أنجبت له بنتًا فكانت ترقصها وتنشد قائلة:

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظلّ في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نَلِدَ البنينا تاالله ما ذلك في أيدينا[7]

(١) السلفع: "البذيئة الفحاشة القليلة الحياء". ابن منظور، ١٨٦/٢.

(٢) الأفوك: الكذابة. ابن منظور، ٧٥/١.

(٣) الهبل: الرجل الثقيل الكبير السن. ابن منظور، ٧٦٥/٣.

(٤) الحنيك: الشيخ. ابن منظور، ٧٤١/١.

(٥) ابن طيفور، ص١٤٨.

(٦) ابن طيفور، ص١٤٩.

(٧) الجاحظ، البيان، ١٢٧/١- ١٢٨. وانظر أيضًا: الخوئي، ص٥٥.

وقد تستغلها النساء لمعايرة بعضهن فقد كانت إحدى نساء الأعراب تعاير ضرتها لإنجابها بنتًا، فيما أنجبت هي مولودًا ذكرًا. فقالت وهي ترقص ابنها:

الحمد لله الحميد العالي ... أنقذني العام من الجواري
من كل شوهاء كَشَنٍّ[1] بالي ... لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها الأخرى فقالت وهي ترقص ابنتها:

وما عليَّ أن تكون جارية ... تكنس بيتي وتردُّ العارية
تمشط رأسي وتكون الفالية ... وترفع الساقط من خمارية
حتى إذا ما بلغت ثمانية ... أو تسعة من السنين وافية
أزَّرتها ببردة يمانية ... زوَّجتها مروان أو معاوية
أصهار صدق ومهور غالية[2]

- **تلعيب الولد ومفاكهته :**

هناك بعض أغاني الترقيص لا يقصد بها معنى خاصًا وإنما الهدف منها إضحاك الصغير، أو مداعبة أهله. مثال ذلك مداعبة عبدالمطلب بن هاشم لجاريته أم مغيث[3] عندما دخلت عليه وهو يرقص أولاده وأبناء أخيه، فطلبت منه أن يمدح ولدها مغيثًا فأخذه يرقصه قائلاً:

---

(١) الشن: "القربة الخلق". ابن منظور ٢/٣٧١.

(٢) البيهقي، المحاسن، ص ٥٦٠. الإبشيهي، ٢/١٢.

(٣) لم أجد لها ترجمة سوى ما سبق ذكره في المتن.

إنَّ ظنِّـــي بمُغيـــث إن كبـــرْ   يَسْـرِقُ الحَـجَّ إذا الحَـجُّ كثُـرْ
ويُوقِر[1] الأعْيارَ[2] من قِرْفِ الشَّجَرْ[3]   يأمـر العَبْـدَ بليـلٍ يَعْتَـذِرْ[4]

واستمر ذلك في عصر الرسول ﷺ فقد كانت هند بنت أبي سفيان[5] ترقص ابنها عبدالله بن الحارث[6] قائلة :

لأُنكحـــنَّ بَبّـــــةْ   جـاريـــة خِـدَبّـــــةْ[7]
مُكرَمَـــة مُحَبَّـــــةْ   تجـــبّ أهـــل الكعبـــةْ[8]

كما كان بعضهم يرقص ابنه قائلاً :

خِبَقَّــــةْ[9] خِبَقَّـــــةْ   تَـرَقَّ[10] عيـنَ بَقَّـــه[11]
أو : حُـــزُقَّـةْ[12] حُـــزُقَّـةْ   تَـــرَقَّ عيـــنَ بَقَّـــه

فكان الصبي يرقى حتى يضع قدمه على صدر مرقصه[13].

---

(١) الوقر: الثقل يحمل على ظهر البغال أو الحمير. ابن منظور، ٩٦٣/٣.
(٢) الأعيار جمع عير وهو الحمار. ابن منظور، ٩٣٩/٢.
(٣) القرف: لحاء الشجر. ابن منظور، ٦٧/٣.
(٤) أبو علي القالي، الأمالي، ١١٦/٢. ويعتذر: يصنع عذيرة وهي نوع من طعام الأعراب. أبو علي القالي، الأمالي، ١١٦/٢.
(٥) هند بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية. كانت زوجة الحارث بن نوفل بن عبدالمطلب. ابن حجر، الإصابة، ٤٢٤/٤.
(٦) عبدالله بن الحارث بن نوفل الهاشمي القرشي. ولد في عهد الرسول ﷺ، يُلقَّب ببة، مات سنة ٤٨هـ/ ٧٠٣م. ابن عبدالبر، ٢٨١/٢. ابن عنبة، بحر، ورقة ٨أ.
(٧) خدبة: ضخمة عظيمة. ابن منظور، ٧٩٥/١.
(٨) مؤرج، ص٢٤. ابن دريد، الاشتقاق، ٧٠/١. الذهبي، ٥٣٠/٣.
(٩) الخبقة: السريع. ابن دريد، جمهرة، ٢٩٢/١.
(١٠) ترق : أصعد. ابن منظور، ٦٢٥/١.
(١١) ابن دريد، جمهرة، ٢٩٢/١. ابن خلاد، ص١٣٢. وبقة اسم حصن والمقصود: "أصعد عين بقة أي اعلُها". ابن منظور ٢٤٥/١.
(١٢) الحزقة: "الضعيف الذي يقارب خطوه من ضعف"، ابن منظور، ٦٢٤/١.
(١٣) ابن خلاد، الحسن بن عبدالرحمن، أمثال الحديث، تحقيق أمة الكريم القرشية (د. ط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، د. ت) ص١٣٢. ابن منظور، ٦٢٤/١.

- **استحسان الأهل مشابهة الصبيان لهم أو لآبائهم خَلْقًا وخُلُقًا:**

فقد كانت سلمى بنت صخر[1] ترقص ابنها أبا بكر قائلة له:

يـا ربّ عبـد الكعبـة　　أمتـع بـه يا ربّـه

فهـو بصخـر أشـبه[2]

وفي عصر الرسول ﷺ كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ترقص الحسن قائلة:

وا بأبـي شِبْـهُ أبـي　　غيـر شبيـه بعلـي[3]

وعرف ذلك في البادية أيضًا فقد نظر أعرابي إلى ولده فرآه قد غلبت أمه على أشباهه فأخذ يرقصه قائلاً :

والله مـا أشبهني عصـامُ　　لا خُلُقٌ منـه ولا قـوامُ

نِمتُ وعرق الخـالِ لا ينـامُ[4]

- **إظهار الحب والتعلق بالأبناء :**

من ذلك قول امرأة من قريش وهي ترقص ولدها:

أحبـك والرّحمـنْ　　حُـبَّ قُريـش عُثمـان

إذا دعـا بالمِيـزان[5]

---

(١) سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب تكنى بأم الخير أم أبي بكر الصديق. الزبيري، ص٢٧٥.

(٢) ابن ظفر الصقلي، ص٦٦.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٤٦. البلاذري، أنساب، ٣/ ٥ - ٦. السيوطي، مسند فاطمة، ص١١٩.

(٤) المبرد، الكامل، ١/٧٩.

(٥) ابن قتيبة، المعارف، ص١٩٢.

وقول أعرابية أنجبت بعد طول انتظار وهي ترقص ابنها:

أُحِبُّـه حُـبَّ الشَّحيح مـالَهْ قد كان ذاقَ طَعْمَ الفقْر ثم نالَهْ

إذا أراد بَذْلَـهُ بَـدا لـهْ[1]

وقول أعرابية أخرى وهي ترقص ابنها:

يا حبـذا رِيـحُ الوَلَـدْ رِيـحُ الخُـزامـى في البَلَـدْ

أَهَكَـذا كُـلُّ وَلَـدْ أَمْ لـمْ يَلِـدْ قَبلي أَحـدْ؟[2]

- **الدعاء للصبي :**

ومن ذلك قول أم حبيب بنت العاص بن أمية[3] تزفن جبير بن مطعم[4]:

احفـظ جبيـرًا ربّ السرّيـهْ لا تُقعِـدنّي مقعـدًا شقيَّـهْ

وباركَـنْ يـا ربّ في بُنيّـهْ[5]

كما كان العباس بن عبدالمطلب يقول لابنه تمام[6] وهو يرقصه:

تمَّوا بتمّام فصاروا عَشَـرهْ يا ربّ فاجعلهم كـرامًا بـرره

واجعل لهم ذِكـرًا أتم الثمَـرهْ[7]

---

(١) ابن عبدربه، ٤٣٩/٢. أبو علي القالي، الأمالي، ٢٩٣/٢. الإبشيهي، ١٢/٢.

(٢) الثعالبي، اللطائف، ص١٧٥. البيهقي، ص ٥٤٦. ابن العديم، ص٢٦.

(٣) أم حبيب بنت العاص بن أمية بن عبدشمس القرشية. الزبيري، ص١٧٣.

(٤) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف القرشي. صحابي من علماء قريش وسادتهم، توفي في المدينة سنة ٥٩هـ/ ٦٧٨م. ابن حجر، الإصابة، ٢٢٥/١- ٢٢٦. خير الدين الزركلي، ١١٢/٢.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص٣٥١. وأم حبيب بنت العاص ليست أم جبير بن مطعم فأمه تدعى أم حبيب بنت سعيد بن عبدالله بن أبي قيس، من بني عامر بن لؤي. وقيل اسمها أم جميل أيضًا. الزبيري، ص٢٠١. ابن حجر، الإصابة، ٢٢٥/١.

(٦) تمام بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي. ابن عم رسول الله ﷺ. أصغر أبناء العباس. الزبيري، ص٢٧. ابن حجر، الإصابة، ١٨٦/١.

(٧) النويري ، ٢٢٠/١٨.

- **الخوف عليه من الحسد :**

كقول أم البنين[1] في تزفين ابنها العباس بن علي بن أبي طالب[2]:

أعيـــــــذه بالـواحـــــــدِ   مــن عيـــن كـــل حاســـد

قائمهـــــــم والقاعـــــــد   مســـلمهم والجـاحـــــد

صـــــادرهــــم والـــــوارد   مولـدهـــــم والـوالـــــد[3]

- **التفدية بالأب أو الأم أو الأسرة :**

كقول ميسون بنت بحدل وهي تزفن ابنها يزيد بن معاوية:

تفــديـــه نفســي ثم أمــي وأب   وأسرتي كلهـمُ مــن العطــب[4]

ومن خلال ما طرحناه من شواهد على أغاني ترقيص الصبيان وما تحمله من مضامين متعددة نخلص بالنتائج الآتية:

- أن الترقيص لا تختص به الأم فقط إنما قد يشاركها أفراد الأسرة وذوو القرابة والمعرفة.
- أن أغاني الترقيص حوت مجموعة من المبادئ والقيم التي كانت الأسر في ذلك العصر تحبذ أن يتحلى بها صبيانها. وهي في مجملها صفات أخلاقية

---

(١) أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة. الزبيري، ص٤٣.

(٢) العباس بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي. كان ولده يسمونه السقاء ويكنونه أبا قربة، شهد مع الحسين بن علي كربلاء، وقتل معه سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م. الزبيري، ص٤٣. الطبري، تاريخ، ٥/٤٦٨.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص٣٥١. وانظر أيضًا: ابن ظفر الصقلي، ص٢٤.

(٤) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٤٩.

مثل الكرم، والشجاعة، وطلاقة اللسان، والحلم والعفة والنجدة وغيرها من الصفات التي كانت تمثل في المجتمع العربي معيارًا للتفاضل ومقياسًا للفخر وسبيلاً إلى السؤدد.

- حوت تلك الأغاني إشارات إلى بعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي واستمرت في العصر الإسلامي مثل تفضيل إنجاب الذكور على الإناث، وتزويج البنت في سن الثامنة أو التاسعة، وتسمية الولد الذي يتمنون أن يكون الأخير باسم تمام.
- تشمل أغاني الترقيص بعض المعتقدات التي كانت شائعة في ذلك الوقت مثل الاعتقاد بالحسد والخوف منه، والاعتقاد بأن عرق الأخوال أقوى من عرق الآباء.

خامسًا - ألعاب الصبيان:

لا يمكن إغفال أهمية اللعب للصبيان فبالإضافة إلى كونه ترويحًا للنفس، ففيه رياضة للعقل والبدن وشغل لأوقات الفراغ.

تنوعت ألعاب الصبيان خلال مدة الدراسة، ويبدو أن تلك الألعاب التي عرفت كانت استمرارًا وتطويرًا لما هو معروف في العصر الجاهلي. إلا أن الباحث في هذا الموضوع تواجهه بعض الصعوبات المشابهة لما سبق ذكره في موضوع لباس الصبيان.

من الواضح أن ألعاب الصبيان كانت في معظمها ألعابًا جماعية إلا أنه من الصعب تحديد أعمار من يمارسها، ويمكن تصنيفها حسبما تتصف به إلى:

١ - اللعب بالتُّراب :

ويعد من الألعاب المفضلة لدى الصبيان بشكل عام، ففي الحاضرة كانوا

يلعبون به إما في البيت[١] أو في الطريق[٢]. أما صبيان البادية فلا شك أنهم خلال لعبهم كانوا لا يبعدون عن مرابع قبيلتهم. وقد ورد ذكر كثير من الألعاب التي يمكن تصنيفها تحت هذا العنوان.

- **الأُنْبُوثَة :**

وتعتمد على دفن شيء في الأرض، وعلى الصبيان محاولة الوصول إليه فمن استخرجه فقد غلب[٣].

- **البُحَيْثى أو البَحْثة :**

ويبدو أنها شبيهة بلعبة الأنبوثة فقد جاء في تاج العروس[٤]: "البَحْثُ: طلبك الشيء في التراب". ويسمى التراب الذي يبحث فيه عما يطلب بالبُحاثة[٥]، وقد ورد لها ذكر في عصر الرسول ﷺ[٦].

- **البُقَّيْرى[٧] أو التَبْقِير[٨] :**

وهذه اللعبة أيضًا شبيهة باللعبتين السابقتي الذكر، وتعتمد على إخفاء شيء في كومة من التراب حولها خطوط، ولعل الفرق الوحيد الذي يميز هذه اللعبة أن الباحثين عليهم الاعتماد على حاسة اللمس فقط دون الحفر ويسمى صاحب اللعبة المُبَقِّر[٩].

---

(١) الطبراني، الكبير، ٤٤٢/١٢.
(٢) السابق، ١٤٠/٦.
(٣) ابن دريد، جمهرة، ٢٦٢/١. ابن منظور، ٥٦٤/٣.
(٤) الزبيدي ، ١٦٣/٥.
(٥) ابن الأثير الجزري، النهاية، ٩٩/١.
(٦) ابن منظور، ١٦٣/١.
(٧) ابن دريد، جمهرة، ٣٢٣/١، ١٢٤٥/٣.
(٨) ابن دريد، الاشتقاق، ٢٨٨/٢.
(٩) السابق، ٢٨٨/٢. ابن دريد، جمهرة، ٣٢٣/١. ابن منظور، ٢٤٣/١.

- **البُقَّار :**

وهو تراب يجمع بالأيدي ويجعل كتلاً يلعب به(١).

- **الزُّحْلُوقة :**

وهي مكان منحدر من رمل أملس أو طين يتزلج الصبيان عليها(٢). وقد ورد ذكر لهذه اللعبة في مدد مختلفة مما يدل على انتشارها واستمراريتها(٣).

- **المُفَايَلَة أو الفِيَال أو الفَيَال :**

وهي لعبة اشتهر بها صبيان الأعراب، وتعتمد على دفن شيء في كومة من التراب ثم تقسم قسمين، ويقول المفايل لصاحبه: في أي القسمين هو؟ فإن أصاب ظفر وإن أخطأ خسر وقيل له: فال رأيك(٤).

٢ - اللعب بالمواد الخام :

- **الإِعْظَامة أو عَظْمُ وَضّاح :**

وهي لعبة تلعب ليلاً خاصة بصبيان الأعراب، ينقسم فيها اللاعبون إلى فريقين الأول يقوم بإلقاء قطعة عظم أبيض وينتشر الفريق الثاني للبحث عنه فإذا وجده واحد منهم غلب فريقهم وركبوا ظهور أصحاب الفريق الآخر من الموضع الذي يجدونه فيه إلى الموضع الذي رموا به منه وهم ينشدون:

عُظَيمَ وَضَّاح ضِحَنَّ الليلة   لا تَضِحَنَّ بعدها من ليلة(٥)

---

(١) ابن منظور، ١/٢٤٣.

(٢) ابن منظور، ٢/١٦. الزبيدي، ٢٣/٣٧٧.

(٣) البلاذري، أنساب، ق ٤، ١/٢٩. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٢٩١. الطبراني، الكبير، ٦/١٤٠، ٢٢/٤٤٢. ابن حجر، الإصابة، ٣/٢٩٦.

(٤) الأنباري، ص١٣٩. الزوزني، ص٦٣. ابن منظور، ٢/١١٥٧.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ٦/١٤٥. ابن دريد، جمهرة، ٢/٩٣١. ابن منظور، ٢/٨١٨.

وقد مارسها صبيان الحاضرة في الحجاز أيضًا فقد ورد أن الرسول ﷺ كان يلعب مع الصبيان في مكة بعظم وضاح(١).

- **البوصاء :**

وهي لعبة تعتمد على استخدام عود في رأسه نار فيديرونه على رؤوسهم(٢).

- **الجُمَّاح أو الجُمَّاخ :**

وهي اللعب بالكِعاب(٣)، ويستخدم فيها كعبان لكل لاعب. والهدف من ذلك أن يرمي كعبًا بكعب حتى يزيله عن موضعه(٤)، ويقال للصبيان إذا لعبوا بهذه اللعبة تجامح الصبيان بالكعاب(٥).

- **الخُذْروف أو الخَرَّارة :**

ويكون من مواد مختلفة، فمنه ما يصنع من اليرمع وهو حجارة رخوة بيضاء اللون(٦) يثقب وسطها فيجعل فيها خيط إذا مدّوه أحدث صوتًا يسمى الدرير(٧). ومنه ما يصنع من عود أو قصبة مشقوقة من وسطها تشد بخيط فإذا مدوه سمع له حنين(٨). ومنها ما يصنع من طين يعجن ويجعل شبيهًا بالسُّكرة(٩) وإن لم يحدد أسلوب اللعب به(١٠).

---

(١) ابن منظور، ٨١٨/٢.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ١١٨٨/٢.

(٣) ابن دريد، الاشتقاق، ١١٧/١، ٤٤١. حمزة الأصفهاني، ١٧٢/١. ابن منظور، ٤٩٣/١. والكعاب: جمع كعب وهو العظم الناشز عند ملتقى الساق بالقدم. ابن منظور، ٢٦٦/٣.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٣٨/٦. ابن منظور، ٤٩٣/١.

(٥) ابن دريد، جمهرة، ٤٤١/١.

(٦) العسكري، ٩١/٢، ١٣٦.

(٧) أبو زيد القرشي، ١٧٠/١. حمزة الأصفهاني، ٢٢٠/١. الميداني، ١٣٣/١، ٣٤٩. ابن منظور، ٨٠١/١، ٨١٠، ١٢٢٦.

(٨) ابن منظور، ٨٠١/١.

(٩) السكرة هي المريراء التي تكون في الحنطة. ابن منظور، ١٧١/٢.

(١٠) ابن دريد، جمهرة، ١١٤٤/٢. ابن منظور، ٨٠١/١.

- القُلَة :

وهي تتكون من خشبتين احداهما طولها ذراع تقريبًا والثانية أصغر من ذلك، تكون الأولى في يد اللاعب والأخرى على الأرض فيضرب بالأولى طرف الثانية حتى ترتفع ثم تضرب مرة أخرى. ويبدو أن الهدف منها هو إظهار مقدرة اللاعب ومهارته في دفع الخشبة إلى مسافات بعيدة[١].

- المِدْحاة :

تعتمد هذه اللعبة على حفر حفرة في الأرض تسمى العَقَّة[٢]، واستخدام شيء يسمى المداحي، وهي عبارة عن أحجار تشبه القِرصَة[٣] في حجمها أو جوز أو غيره. وتدفع هذه المداحي بخشبة تسمى المدحاة، فتمر على وجه الأرض فإذا وقع الحجر في الحفرة فقد غلب صاحبها، وتسمى عملية دفع الخشبة الدَّحو[٤]. وقد ورد ذكر لهذه اللعبة في المدينة ومكة خلال القرن الأول الهجري[٥].

- المِطَثَّة :

وهي لعبة شبيهة بلعبة القُلَة إلا أن الفرق بينهما يتمثل في كون المطثة تستخدم فيها خشبتان عريضتان[٦] أو خشبة مستديرة عريضة يُدقق أحد رأسيها[٧].

---

(١) ابن دريد، جمهرة، ١/١٦٤. ابن ظفر الصقلي، ص٧٦ - ٧٧.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ٢/٩٤٥.

(٣) ابن منظور، ١/٩٥٤، والقرصة جمع قُرص وهو: الرغيف. ابن منظور، ٣/٥٩.

(٤) الطبري، تهذيب (الجزء المفقود) ص٢٦٢. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٢/١٠٦. ابن منظور، ١/٩٥٤.

(٥) ابن أبي الدنيا، العيال، ٢/٧٩٣. الأصفهاني، الأغاني، ١/٢٧٠. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٢/١٠٦.

(٦) ابن دريد، جمهرة، ١/٨٣.

(٧) ابن منظور، ٢/٥٧٢.

- المِهـزام:

وتعتمد على استخدام عود يجعل في رأسه نار يلعب به الصبيان[١]، وربما تكون هي لعبة البوصاء السابق ذكرها.

٣ - ألعاب الحركة واستعراض القوة:

- التَّدْبيح:

وصفتُها أن يخفض أحدهم ظهره ليجيء الآخر يعدو من بعيد حتى يركبه[٢].

- الجِعِرَّي:

وهي من ألعاب صبيان الأعراب ويلعبها ثلاثة، يشبك اثنان كل منهما يديه بيدي الآخر ويحملان الثالث عليها[٣].

- الحَجُّورَة:

وتعتمد على القوة الجسدية، حيث يقوم الصبيان بعمل خط مستدير يقف في داخله أحدهم، وتكون مهمة الصبيان محاولة الفوز عن طريق سحب الصبي إلى خارج الدائرة[٤].

- الخِرَاج:

وهي لعبة لصبيان الأعراب، وصفتُها أن يمسك أحدهم شيئًا بيده ويقول لسائرهم: أخرجوا ما بيدي[٥].

---

(١) ابن دريد، جمهرة، ٢/ ٨٣٠.

(٢) ابن منظور، ١/ ٩٤٠. الزبيدي، ٦/ ٣٥٩.

(٣) ابن منظور، ١/ ٤٦٦. الزبيدي، ١٠/ ٤٤٢.

(٤) ابن دريد، جمهرة، ١/ ٤٣٧. ابن منظور ، ١/ ٥٧٣.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ٦/ ١٤٦. ابن دريد، جمهرة، ١/ ٤٤٣. ابن منظور، ١/ ٨٠٩.

- **الخَطْرَة:**

من لعب صبيان الأعراب، تعتمد على عمل فريقين من الصبيان. الفريق الأول يدير ظهره للفريق الثاني بحيث تكون بينهما مسافة ثم يعملون مِخْرَاقًا[1] يرمي به أحد أفراد الفريق الأول من خلفه إلى الفريق الآخر فإن عجز أفراد الفريق الثاني عن الإمساك به أخذوه ثم رموه للفريق الأول فإن تمكنوا من أخذه عاقبوا أفراد الفريق الثاني بأن يركبوا على ظهورهم[2].

- **الدِّرْكِلة أو الدِّرَكْلة:**

لعبة ذات أصل حبشي ثم عُرِّبت، وهي تعتمد على الرقص[3].

- **سَفْدُ اللِّقاح:**

وهي لعبة لصبيان الأعراب تتم عن طريق سير الصبيان بانتظام بعضهم إثر بعض كل واحد ممسك بوسط صاحبه[4].

- **الشَّحمة:**

هي لعبة لصبيان الأعراب تتم بعمل فريقين من الصبيان، وصَفَهَا الجاحظ[5] بقوله: "يمضي واحد من أحد الفريقين بغلام فيتنحون ناحية ثم يقبلون ويستقبلهم الآخرون فإن منعوا الغلام حتى يصيروا إلى الموضع الآخر

(١) المخراق عبارة عن ثوب أو منديل أو غيرهما من الخرق يلف ويلعب به الصبيان. ابن منظور، ٨٢٠/١.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ١٤٦/٦. ابن منظور، ٨٥٦/١.

(٣) ابن دريد، جمهرة، ١١٤٧/٢. ابن منظور، ٩٧٣/١.

(٤) ابن منظور، ٤٦٦/١. وهي شبيهة بما تسمى حاليًا بلعبة القطار.

(٥) الحيوان، ١٤٦/٦.

فقد غلبوهم عليه ويدفع الغلام إليهم وإن هم لم يمنعوه ركبوهم، وهذا كله يكون في ليالي الصيف عن غِبٍّ[1] ربيع مخصب".

- الطُّبْن أو الطِّبْن أو الطَّبْن:

وهي لعبة لصبيان الأعراب يخطون فيها خطًا على شكل دائري يلعب حوله الصبيان ويسمونه الرحى[2].

- اللعب بالمِخْراق:

وله عدة استخدامات فقد يلوى ويضرب به بعضهم بعضًا، أو يلف ويفزع به الصبيان[3].

- المَسَّة:

وهي لعبة لصبيان الأعراب يقال لها أيضًا الطريدة، ويبدو أنها تعتمد على هروب الصبيان ويقوم أحدهم باللحاق بهم فإذا مسه أو لمسه جاء الدور عليه ليلحق بالصبيان[4].

٤ - ألعاب التفكير:

- لعبة الضَّب:

وتتكون من فريقين وتعتمد على رسم ضب في الأرض ثم يحول أحد الفريقين ثم يضع أحد أفراد الفريق الآخر يده على شيء من الضب ويسأله

(١) غب: أي بعد. ابن منظور، ٢/٩٥١.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ١/٣٦١. ابن منظور، ٢/٥٧١.

(٣) ابن دريد، جمهرة، ١/٥٩٠. ابن منظور، ١/٨٢٠.

(٤) ابن منظور، ٢/٥٧٩.

عنه فيرد عليه بقوله مثلاً: أنف الضب، أو عين الضب، أو ذنب الضب، أو غير ذلك. فإن أخطأ في معرفة ما وضع عليه يده رُكب على ظهره ورُكبت ظهور أصحابه وإن أصاب انتقل اللعب له فيصير هو السائل وحل الآخر مكانه(١).

- القِرْق:

وتعتمد حسب وصف ابن منظور(٢) على رسم خط في الأرض وصفٌّ حصيات عليه، بينما فصَّل الزبيدي(٣) في وصفها فقال: "هو لصبيان الأعراب بالحجاز كانوا يخطون أربعة وعشرين خطًا، وهو خط(٤) مربع، في وسطه خط مربع في وسطه خط مربع(٥)، ثم يُخط من كل زاوية من الخط الأول إلى الخط الثالث(٦)، وبين كل زاويتين خط، فيصير أربعة وعشرين خطًا...، فيصفُّون فيه حصيات. وألحق الزبيدي بالوصف رسمًا هندسيًا يوضح شكل اللعبة إلا أن هذا الرسم لا يتطابق تمامًا مع شرح الزبيدي فلو جمعنا ما ذكره من خطوط لوجدناها عشرين فقط بينما الرسم الهندسي يشتمل فعلاً على أربعة وعشرين خطًا. وقد ورد لهذه اللعبة ذكر في العصر الجاهلي. قال أمية ابن أبي الصلت:

وأغلاط النجوم معلقاتٌ كحَبْل القِرْق غايتُها النِّصابُ(٧)

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ١٤٦/٦.

(٢) ابن منظور، ٦٩/٣.

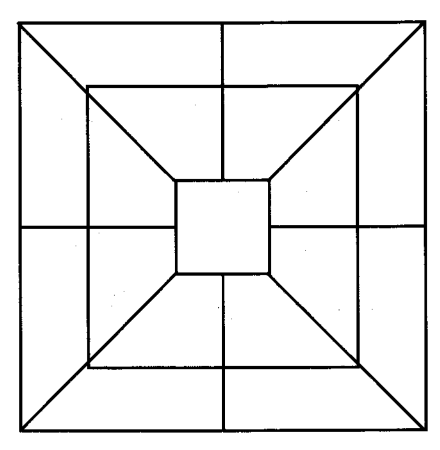
(٣) الزبيدي، ٣٣٨/٢٦.

(٤) المقصود به شكل.

(٥) يبدو أن النص هنا تنقصه عبارة رابعة: "في وسطه خط مربع" حسب الشكل المرفق.

(٦) يبدو أن المقصود هنا الخط الرابع وليس الثالث حسب الشكل المرفق.

(٧) أمية بن أبي الصلت، ص٢٢. ابن منظور ٦٩/٣. الزبيدي، ٣٣٨/٢٦. وأقرب لعبة لها يلعبها أطفال الحجاز حاليًا لعبة تسمى اصطفت. مختار سيدي الغوث، لغة قريش (ط١، النادي الأدبي، الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص٣٣٩.



- **المِهْزام أو العميضا[1]:**

ويتم خلالها تغطية رأس أحد الصبيان ثم يلطم ويسأل عمن لطمه[2].

٥ - ألعاب التدرب على الرماية والطعان:

- **لعبة الجُمَّاح:**

وهو عبارة عن سهم صغير[3] أو قصبة أو رأس خشبة أو رأس مِعْراض[4] مدور لا نَصْلَ له[5]، يجعلون في رأسه طينًا أو تمرًا معلوكاً، أو تمرًا مع رماد يُصلَّب ويجعل مثل حجم البندقة[6]، ويستخدم لرمي الطائر دون قتله حتى يأخذه راميه[7].

(١) لعل المقصود بها الغميضا فهي أقرب للمعنى الوارد للعبة حيث لا يوجد الجذر (عمض) في قواميس اللغة انظر: ابن منظور ٢/٨٨٨- ٨٩١. الزبيدي، ١٨/٤٤٦.

(٢) ابن منظور، ٣/٨٠٦.

(٣) العسكري، ١/٣٤٧.

(٤) المعراض "سهم يُرمى به بلا ريش ولا نصل يمضي عرضًا فيصيب بعرض العود لا بحدِّه". ابن منظور، ٢/٧٤٢.

(٥) ابن دريد، جمهرة، ١/٤٤١. حمزة الأصفهاني، ١/١٧٢. ابن منظور، ١/٤٩٣- ٤٩٤.

(٦) البندقة: مفرد بندق وهو نبات له حب يميل إلى الطول يؤكل لبه شبيه بالفستق ويسمى الجلوز. ابن منظور، ١/٢٦٧، ٤٨٣.

(٧) ابن دريد، جمهرة، ١/٤٤١. حمزة الأصفهاني، ١/١٧٢. ابن منظور، ١/٤٩٣- ٤٩٤.

- **لعبة الرِّمَايَةِ:**

وهي شبيهة إلى حد ما بلعبة الجماح ولكن لا تستخدم للصيد مثلها. وتعتمد على استخدام سهم صغير يسمى السروة. فمن يتمكن من الصبيان من إدخال سهامه كلها في مكان محدد فإنه يفوز(١). وقد عرفت هذه اللعبة في الجاهلية، فقد ورد أن عبدالمطلب بن عبدمناف عندما كان صغيرًا كان يمارس هذه اللعبة مع صبيان يثرب وكان ماهرًا فيها(٢).

- **اللعب بالرُّمَيْح:**

وهي عصا يتدرب عليها الصبيان على الطِّعان(٣).

٦ - ألعاب كلامية:

- **دِحِنْدِحٌ:**

وأسلوبها يتم بتشكيل مجموعة من الصبيان فيقولونها فمن أخطأ في نطقها عوقب بأن يحجل على إحدى رجليه سبع مرات(٤).

- **العَرْعَرَةُ أو عَرْعَارٌ:**

أُطلق هذا الاسم على هذه اللعبة لأن الصبي إذا لم يجد أحدًا من رفاقه رفع صوته فقال: عرعار، فإذا سمعوه خرجوا إليه ولعبوا معه تلك اللعبة(٥).

---

(١) ابن سعد، ٨٢/١. ابن دريد، الاشتقاق، ٧٠/١.

(٢) ابن سعد، ٨٢/١. البلاذري، أنساب، ٦٤/١.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٩٤/٣.

(٤) العسكري، ٢٩٠/٢. الزبيدي، ٣٦٠/٦.

(٥) ابن منظور، ٧٣٢/٢. الزبيدي، ١٤/١٣.

قال النابغة الذبياني:

مُتكنِّفي جنبَي عُكاظ كليهما　　　يدعو بها ولدانُهُم: عَرْعَارِ[1]

٧ - اللعب بالأَرَاجِيح:

ومفردها أُرْجُوحَةُ أو مَرْجُوحَةُ[2]، وقد يطلق عليها أيضًا اسم الدوادي[3]، وإن اشتهر هذا الاسم على آثارها بالذات[4]. كما تعرف أيضًا باسم المحُنَّيات[5]. ويبدو أن هذه اللعبة لها معنيان الأول: يدل على أنها لعبة تحتاج إلى لاعبين فهي عبارة عن خشبة تؤخذ ويوضع وسطها على شيء مرتفع كالتلة مثلاً يجلس الصبي على أحد طرفيها وصبي آخر على الطرف الثاني فترجح الخشبة بهما ويتحركان فيميل أحدهما بالآخر[6]. والمعنى الآخر يبدو أن المقصود به هو ما نعرفه في الوقت الحاضر بهذا الاسم وهي "حبل يعلق ويركبه الصبيان"[7] فيُرجح فيه ذهابًا وإيابًا. وقد ورد لها ذكر في عهد الرسول ﷺ قالت أم المؤمنين عائشة: "فجاءت إليَّ أمي[8] وإني لفي أرجوحة بين عذقين يُرَجّح بي فأنزلتني من الأرجوحة"[9].

---

(١) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق فوزي عطوي (د. ط، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت ١٩٦٩م) ص١٢٢.

(٢) ابن منظور، ١/١١٢٦.

(٣) المفضل الضبي، المفضليات، ص٢٢٦. ابن دريد، جمهرة، ١/٢٣٢.

(٤) ابن دريد، جمهرة، ١/٢٣٢- ٢٣٣.

(٥) أبو زيد القرشي ، ٢/٦٠.

(٦) ابن منظور، ١/١١٢٦. الزبيدي، ٦/٣٨٤.

(٧) ابن منظور، ١/١١٢٦. الزبيدي، ٦/٣٨٤- ٣٨٥.

(٨) أم رومان بنت عامر بن عويمر، من بني الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة. زوجة أبي بكر الصديق، توفيت في حياة النبي ﷺ . ابن حجر، الإصابة، ٤/٤٥٢.

(٩) ابن عساكر، تاريخ - السيرة ، ١/١٦٢. وانظر أيضًا: الطبري، السمط، ص٣٨.

قال قيس بن ذريح[1]:

كَأَنّي لها أُرْجُوحَـةٌ بين أَحْبُـــلٍ   إذا ذُكْرَةٌ منها عَلى القَلْبِ تَخْطُرُ[2]

وقد يطلق عليها أيضًا اسم الرُّجَّاحة، والنُّوَّاعَة، والنُّوَّاطَة، والطُّوَّاحَة[3].

٨ - تربية الطيور والحيوانات في المسكن:

مثل الحمام[4] والنُّغَر[5] والإوز[6] والشاة[7]. فقد كان الصبيان يتسلون بوجود هذه الطيور والحيوانات في مساكنهم.

أما صبيان الأعراب فقد كانوا يلعبون بدويبة يقال لها الطُّحَن أو أبو عوف[8]، فإذا رأوها قالوا لها: "اطحني لنا جرابنا فتطحن بنفسها في الأرض حتى تغيب"[9]. كما كانوا يلعبون بدويبة أخرى تدعى أم عويف وهي صغيرة الحجم، ضخمة الرأس، يميل لونها إلى الاخضرار، لها ذنب طويل وأربعة أجنحة ولكنها لا تطير[10].

---

(١) قيس بن ذريح الكناني. من العشاق المتيمين، يعد من شعراء العصر الأموي، كان رضيعًا للحسن ابن علي بن أبي طالب، توفي سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م. الكتبي، ٢٠٤/٣. خير الدين الزركلي، ٢٠٥/٥- ٢٠٦.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٢٣٨/٩.

(٣) ابن منظور، ١١٢٦/١. الزبيدي، ٣٨٥/٦.

(٤) البلاذري، أنساب، ق٤، ٤٩٢/١. ابن حجر، الإصابة، ٤٨٧/٤.

(٥) ابن سعد، ٤٢٧/٨. أبو الشيخ الأصبهاني، ص٣٢- ٣٣. ابن عبدالبر، ١٤٤/٤. والنغر: هي فراخ العصافير. وهو البلبل عند أهل المدينة. ابن منظور، ٦٨٠/٣. ويطلق عليه حاليًا: النغري. مختار سيدي الغوث، ص٣١٨.

(٦) ابن عنبة، عمدة ، ص٦١.

(٧) البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٣٠٨.

(٨) ابن الأثير الجزري، المرصع، ص ٢٤٢.

(٩) ابن منظور، ٥٧٤/٢.

(١٠) ابن الأثير الجزري، المرصع، ص٢٤٧.

٩ - السباحة في الغدران والآبار:

ولا تتم ممارسة السباحة إلا بعد إتقان العوم، ويشجع الصبيان على تعلمه[١]، وقد اشتهر صبيان البادية بممارسة السباحة في الغدران[٢]. وصبيان الحاضرة بممارسته في الآبار[٣].

١٠ - اللعب بالكَبَر والغِرْيال:

الكبر : هو الطبل الصغير الذي له وجه واحد أو وجهان[٤]. وقد ورد أن سعيد بن المسيب كان قد رخَّص لابنته في اللعب به[٥]. أما الغربال: فهو الدف[٦]، وقد ورد أن لابنة سالم بن عبدالله[٧] غربالاً صغيرًا تلعب به[٨].

١١ - اللعب بالأشكال المجسمة مثل البنات[٩] وأشكال الحيوانات:

وتصنع من العاج أو الخشب[١٠] أو الصوف المصبوغ[١١]، أو من بذور

---

(١) ابن أبي الدنيا، العيال، ٥٧٨/٢- ٥٧٩. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٢٥٤.

(٢) المفضل الضبي، الأمثال، ص٩١. الأصفهاني، الأغاني، ٢٢٥/٢، ٢٠٢/١٧.

(٣) ابن سعد، ١١٦/١.

(٤) الزبيدي، ١٠/١٤.

(٥) ابن سعد، ١٣٤/٥.

(٦) ابن منظور، ٩٧٠/٢.

(٧) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي. أحد فقهاء المدينة السبعة، توفي سنة ١٠٦هـ/ ٧٢٤م، في خلافة هشام بن عبدالملك. ابن سعد، ١٠٦/٥، ٢٠١. خير الدين الزركلي، ٧١/٣.

(٨) ابن سعد، ١٩٩/٥.

(٩) "التماثيل التي تلعب بها الصبايا". ابن الأثير الجزري، النهاية، ١٥٨/١.

(١٠) ابن منظور، ٢٣٩/٣.

(١١) البخاري، صحيح، ٢٤٢/٢. الطبراني، الكبير، ٢٧٥/٢٤. ابن حجر، فتح، ٢٠٠/٤- ٢٠١.

شجر الدوم أو ثماره[١]. ومن تلك الألعاب ما يسمى بخيل سليمان وهو فرس له جناحان[٢]. ويخصص لتلك الألعاب بيت تحفظ فيه، قال عمر بن أبي ربيعة:

وَهْيَ إذْ ذَاكَ عَلَيْهَا مِئْزَرٌ وَلَهَا بيت جَوَارٍ مِنْ لُعَبْ[٣]

تجتمع الجواري للعب بها في بيت إحداهن[٤]. وترى الصبية هذه اللعبة وكأنها ابنتها[٥].

وضح انتشار هذه اللعبة في عهد الرسول ﷺ [٦]، ولا شك أنها كانت معروفة في العصر الجاهلي أيضًا، وإن لم أصل إلى ما يدل على ذلك فيما اطلعت عليه من مصادر. إلا أن ذكرها في تلك المرحلة المتقدمة من العصر الإسلامي يعطي دلالة على أنها كانت معروفة من قبل. أما فيما بعد عصر الرسول ﷺ فيبدو أنه قد حصل جدل كبير حول مشروعيتها فقد حرَّمها بعض الفقهاء، فيما رأى فيها بعضهم الآخر أن فيها تدريبًا للبنات من صغرهن على تربية الأولاد وإدارة شؤون المنزل[٧]. ومع ذلك استمر اللعب بها وكانت تباع، فقد ورد أن الإمام مالك كان يكره أن يشتري الرجل لابنته الصور[٨]. كما كان سعيد بن المسيب يأذن لابنته في اللعب ببنات العاج[٩].

(١) الأزرقي، ٢٥٨/٢.
(٢) أبو عبيدة، أزواج، ص٦٣. ابن سعد، ١٣٤/٥، ٥٩/٨، ٦٢، ٦٥.
(٣) عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة (د. ط، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت ١٩٦٨م) ص٢٨.
(٤) ابن سعد، ٥٩/٨. البخاري، صحيح، ١٠٢/٧. البلاذري، أنساب، ٤١٠/١- ٤١١. النسائي، أحمد بن شعيب، عشرة النساء (ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص٦٤- ٦٥.
(٥) الأزرقي، ٢٥٨/٢.
(٦) البخاري، صحيح، ١٠٢/٧. النسائي، ص٦٤- ٥٦.
(٧) ابن حجر، فتح، ٥٢٧/١٠.
(٨) ابن حجر، فتح، ٥٢٧/١٠.
(٩) ابن سعد ، ١٣٤,/٥

وقد تأخذ أشكال الحيوانات المجسمة حجمًا أكبر بحيث يتمكن الصبي من امتطائها ومن ذلك الكُرَّج، وهو مهر خشبي[1].

بالإضافة إلى ما سبق، هناك بعض الألعاب التي نسبت إلى الصبيان دون أن تحدد صفتها من ذلك: الحَدَبْدبي[2]، الدُّحيرِجاء أو الدُّحْرُجاء[3]، عَيَاف[4]، الغراب[5]، قَلَوّبَع[6]، المِنْجار أو المِئْجار[7].

سادسًا - عادات أسرية خاصة بالصبيان:

سادت لدى الأسر في الحجاز حاضرته وباديته بعض العادات دأبت على ممارستها اعتقادًا منها أنها في مصلحة صبيانها، ومن ذلك:

- تغطية المولود:

وهي عادة جاهلية لم أجد ما يدل على استمرارها في الإسلام، وتعتمد على وضع المولود الذي يولد في الليل تحت قدر أو بُرْمة، فقد جاء في الطبقات[8]: "أن رسول الله ﷺ لما ولدته أمه وضعته تحت بُرمة". ولم أجد ما يوضح سبب فعلهم ذلك، ولعله يندرج تحت اعتقاد من اعتقادات الجاهلية.

---

(١) ابن منظور، ٣/٢٣٩.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ١/٢٧٣، ٣/١٢٢٨.

(٣) ابن دريد، الاشتقاق، ٢/٥٢٢.

(٤) ابن منظور، ٢/٩٤٤.

(٥) ابن سعد، ٤/٣٣٦. ابن قتيبة، المعارف، ص٢٧٨. وقد ورد ذكرها أيضًا باسم لعبة الأعراب. الذهبي، ٢/٦١٤.

(٦) ابن دريد، جمهرة، ٢/١١٨٨. ابن منظور، ٣/١٤٦.

(٧) ابن دريد، جمهرة، ١/٤٦٧. ابن منظور، ١/٢٤.

(٨) ابن سعد، ١/١٠٢. وانظر أيضًا: ابن دريد، الاشتقاق، ١/٨. ابن عساكر، تاريخ - السيرة - ١/٦٦- ٦٧.

- تحنيك المولود وتسميته وتكنيته والطواف به حول الكعبة:

والمراد بالتحنيك هو مضغ تمرة ثم تدليك حنك المولود بها من الداخل[1]، والمرجح أنها سنة إسلامية كان يقوم بها أهل المولود أو من يقوم مقامهم، فالمسلمون في المدينة يفضلون أن يُحنَّك مولودهم بريق الرسول ﷺ ويده[2]. وعندما فتحت مكة قدم أهلها بأبنائهم المواليد أو حتى من كان كبيرًا منهم فحنكهم الرسول ﷺ وتفل في أفواههم ومسح على رؤوسهم[3]. كما كانوا يستحبون أن يقوم أكبر القرابة مقامًا بتسمية أبنائهم وتكنيتهم. فعندما هنأ علي بن أبي طالب ابن عمه عبدالله بن عباس بمولوده قال له: "ما سميته؟ قال: أَوَ يجوز لي أن أسميه حتى تسميه؟ فأمر به فأخرج إليه فأخذه وحنكه ودعا له ثم رده إليه وقال خذه إليك... قد سميته عليًا وكنيته أبا الحسن"[4]. كما حرص أهل المولود في مكة بعد ولادته مباشرة أو بعد إتمامه أربعين يومًا على الطواف به حول الكعبة أو إدخاله فيها ووضح ذلك في الجاهلية والإسلام، فعندما ولد الرسول ﷺ أخذه جده عبدالمطلب وأدخله الكعبة وقال:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردانِ

أعيذه بالبيت ذي الأركان ... من كل ذي بغي وذي شنآن

وحاسد مضطرب العنان[5]

واستمر هذا الأمر حتى القرن الثالث الهجري[6].

---

(١) ابن منظور، ٧٤٠/١.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف ، ٣٧/٥. البخاري، صحيح، ٢١٦/٦.

(٣) ابن سعد، ٤٥/٥. البخاري، الصغير، ١١٦/١. الطبراني، الكبير، ١٥١/٢٢. ابن عبدالبر، ٦٣١/٣. ابن حجر، الإصابة، ٦٣٨/٣.

(٤) المبرد، الكامل، ١٥٧/٢.

(٥) البلاذري، أنساب، ٨١/١. وانظر أيضًا مع اختلاف في الأبيات: ابن سعد، ١٠٣/١. السهيلي، ١٥٧/٢.

(٦) الفاكهي، ٣٠٢/١.

- استحباب السُّمنة للصبيان:

يبدو أن السمنة للصبيان كانت أمرًا مرغوبًا فيه عند الأسر، حيث كان كل من الأم والأب يحرص على ذلك، ويبحث عن الطريقة المثلى لتحقيقه، ولا شك أن أساليب زيادة الوزن متعددة، يدلنا على ذلك قول عائشة أم المؤمنين عن أهلها: "سمنوني بكل شيء فلم أسمن"(١). وكان يسود لديهم اعتقاد بأن أكل القثاء(٢) والتمر أو الرطب في وجبة واحدة يساعد على السمنة، وهو الأسلوب الذي سمنت به السيدة عائشة قبيل زواجها(٣). كما كانوا يعتقدون أيضًا أن تناول السويق يزيد في الوزن(٤). قال الشاعر:

جَـــاريـــةٌ أَعْظَمُهـــا أجَمُّهـــا قد سَمَّنَتْها بالسَّويـق أُمُّهـا(٥)

كما كان بعضهم يجد في أكل الشحم وسيلة لزيادة الوزن، وهو ما اشتهر عند أهل البادية، فقد قال رجل لامرأته وقد رأى ابنه من غيرها ضئيلاً: "ما لابني سيئ الجسم؟ قالت: إني لأعطيه الشحم فيأباه، قال الابن: كلا ولكن لا أعطاه"(٦). ولكن كيف يستدل على النجاح السريع لأحد هذه الأساليب؟ يُعتقد أن الإشارة التي تدل على نجاح إحداها هو أن الصبي يصرب؛ أي يمكث أيامًا لا يُحدّث، أو لا يقضي حاجته إلا مرة واحدة في اليوم. فهو في نظرهم بداية انعقاد الشحم في بطنه(٧).

---

(١) الطبراني، الكبير، ٢٧/٢٣.
(٢) القثاء المقصود به الخيار. ابن منظور، ٢١/٣.
(٣) الطبراني، الكبير، ٢٧/٢٣.
(٤) ابن حبيب، أدب، ص ٢٤٠.
(٥) ابن دريد، جمهرة، ٦٥/١.
(٦) الميداني، ١٦٠/٢.
(٧) ثابت بن أبي ثابت، ص١٢. ابن دريد، جمهرة، ٣١٣/١. ابن منظور، ٤٢٥/٢.

من الواضح أن سمنة الصبي تعطي انطباعًا في ذلك الوقت على سعة عيش أهله فإذا أُحْسِن غذاؤه قيل عنه صبيٌ مُخَرْفَجٌ(1) أو مُسَرْهَدٌ(2) أو مُسَرْهَفٌ(3). وعلى الرغم من طرافة هذا الموضوع إلا أن الإشارات حوله قليلة، فليس من الواضح مدى استمرار هذه العادة خلال مدة الدراسة.

- **حماية الصبيان من الحسد والعين:**

عرف هذا الأمر في الجاهلية وشاع عند البادية بشكل خاص(4)، حيث حرصت الأسر على حماية صبيانها من الحسد والعين، فكانت تحاول وقايتهم منه بطرق مختلفة منها ما تُستخدم فيه أشياء مادية مثل التمائم.

يقول كثير عزة(5) :

وعُلّقتُها وَسْطَ الجواري غريرةً   وما قُلّدَتْ إلا التّميمَ المنظما(6)

وهي خرز تثقب ويجعل فيها سيور وخيوط تعلق على أعناق الصبيان(7). وقد يتسع هذا الاسم ليشمل جميع ما يعلق عليهم من العُوَذ(8). وقد يطلق على هذا الخرز اسم آخر مثل الكَحْلَة(9).

---

(1) ابن منظور، 1/819.
(2) السابق، 2/139.
(3) السابق، 2/139.
(4) السابق، 1/232.
(5) كُثيّر بن عبدالرحمن بن أبي جمعة، من خزاعة. شاعر أهل الحجاز في الإسلام، توفي بالمدينة سنة 105هـ/ 723م. ابن قتيبة، الشعر، ص254. ابن خلكان، 4/106، 113. خير الدين الزركلي، 5/219.
(6) كثير عزة، كثير بن عبدالرحمن، ديوان كثير عزة، تحقيق إحسان عباس (د. ط، دار الثقافة، بيروت 1391هـ/ 1971م) ص134.
(7) ابن منظور ، 1/332.
(8) الزمخشري، أساس، ص316. الأنباري، ص40. ابن منظور، 1/332.
(9) الفيروزآبادي، القاموس، ص1360.

استخدموا أيضًا للوقاية من العين والحسد خيطًا من الصوف مفتولاً بلونين أبيض وأسود يُشد على أَحق[١] الصبيان ويسمى البَريم[٢]. كما كانوا يعتقدون بدور صدف البحر في تحقيق الحماية لصبيانهم إذا عُلِّق عليهم[٣]، ويستخدمون لذلك صدفًا أبيض صغيرًا يسمى النَّباح[٤]. وبالإضافة إلى ما سبق كانوا يعلقون على الصبي سن ثعلب، أو سن هِرَّة، أو دُودَم السَّمُرةِ[٥]. ويعتقدون أن ذلك يحفظه من النظرة أو الخطفة[٦].

ومنها ما تُستخدم فيه الكلمات قراءة أو كتابة، وهي ما يطلق عليها الرقى أو التعاويذ، تقرأ على الصبي أو تكتب وتعلق على عنقه[٧]، من ذلك قول عوف ابن مالك الأشجعي[٨]: "كنا نرقي في الجاهلية"[٩].

ومع ظهور الإسلام حصل تغير في الطرق المستخدمة لحماية الصبيان من العين والحسد فلم يعد بالإمكان دينيًا تعليق أي شيء مادي له دلالة شركية، واكتُفي فقط بالتعاويذ والرقى الخالية من الشرك[١٠]. ومن ذلك أن أسماء بنت عميس استأذنت الرسول ﷺ في رقي أبنائها من العين وعرضت عليه

---

(١) الأحق: جمع حقو وهو الخصر. ابن منظور، ٦٨٦/١.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ٣٢٩/١. ابن منظور، ٢٠٣/١.

(٣) ابن قيس الرقيات، ص٦٥.

(٤) ابن دريد، جمهرة، ٢٨٥/١. ابن منظور، ٥٦٥/٣.

(٥) السمرة نوع من الأشجار يخرج منها سائل شبيه بالدم يسمى دودمًا. ابن منظور، ٧٧٠/١.

(٦) النويري، ١٢٤/٣.

(٧) ابن منظور، ٩٢٣/٢.

(٨) عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي. شهد خيبر مسلمًا وكانت أول مشاهده، توفي سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م. ابن عبدالبر، ١٣١/٣.

(٩) مسلم، ١٧٢٧/٤.

(١٠) السابق نفسه.

رُقيتها فأذن لها[١]. كما أن أم الشاعر ذي الرمة[٢] جاءت إلى الحصين بن عبدة[٣] وهو يُقرئ الأعراب في البادية وقالت له: إن ابنها يُروَّع بالليل وطلبت منه أن يكتب لها معاذة تعلقها على عنقه فكتب لها ذلك في قطعة جلد فعلقتها عليه[٤]. ومما يدل على استمرار استخدام التعاويذ للصبيان في الإسلام أن أبا جعفر محمد بن علي[٥] سُئل عن التعويذ يعلّق على الصبيان فأجازه بشرط أن يكون من كتاب الله عز وجل أو من كلام نبيه ﷺ[٦]، ولكن من غير المعلوم إلى أي مدى التزمت الأسر في الحجاز خلال القرنين الأول والثاني الهجريين بالتعاليم الدينية التي تنهي عن التمائم والرقي والتعاويذ الشركية.

- **أمراض الصبيان وكيفية علاج بعضها:**

تعددت الأمراض التي تصيب الصبيان، ومن أشهرها الحُمَاق وهو بثر مثل الجُدَرِي[٧]. وأمّ الصِّبيان وهي ريح[٨] تعتري الصبيان[٩]. والقُلاع وهو داء

---

(١) مسلم، ١٧٢٦/٤.

(٢) هو غيلان بن عقبة بن بُهيش، من بني صعب بن ملكان. أحد عُشاق العرب المشهورين، عاصر الأمويين، ومات في البادية سنة ١١٧هـ /٧٣٥م. ابن قتيبة، الشعر، ص٢٦٥- ٢٦٦. البقاعي، ورقة ٥٨ - ٥٩. خير الدين الزركلي، ١٢٤/٥.

(٣) الحصين بن عبده بن نعيم العدوي، لم أجد له ترجمة سوى ما ذكر عنه في المتن.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٦/١٨.

(٥) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. توفي بالمدينة سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م. ابن خلكان، ١٧٤/٤. خير الدين الزركلي، ٢٧٠/٦- ٢٧١.

(٦) ابن أبي الدنيا، العيال، ٨٦٣/٢.

(٧) ابن دريد، الاشتقاق، ٤٧٥/٢. الزمخشري، أساس، ص٩٥. ابن منظور، ٧٢١/١. الفيروزبادي، القاموس، ص١١٣٢. ولعله ما يسمى اليوم بجدري الماء. البلدي، ص٣٢٤، الحاشية رقم (٨٣).

(٨) قد يكون المقصود بها رجفة من الحمى، أو اهتزازات تشنجية.

(٩) الثعالبي، ثمار، ص٢٦١.

يصيب الصبيان في أفواههم[1]. وقد عرَّفه البلدي[2] بقوله: "اسم يدل على القروح العارضة في سطح الغشاء المحيط باللسان وما يغشى داخل الفم وخاصة إذا كان معها حرارة نارية محرقة". والعُذْرة وهو وجع في الحلق أو قرحة تظهر في المنطقة التي بين الحلق والأنف يعتقدون أنها تصيب الصبيان عند طلوع العُذرة[3]. وغالبًا ما ينتشر هذا المرض في منتصف فصل الصيف[4]. والرُّغام وهو ورم في داخل الحلق[5]. بالإضافة إلى بثور تظهر على شفة الصبي تسمى الحَلأ[6].

انتهجت الأسر بعض العادات في علاج صبيانها من الأمراض التي تصيبهم، مثال ذلك عند إصابتهم بالعذرة تعمد المرأة إلى خرقة فتفتلها[7] فتلاً شديدًا وتدخلها في أنف الصبي فتطعن موقع العذرة فينفجر منه دم داكن اللون ثم تعمد بعد ذلك إلى تعليق عِلاقًا عليه كالعوذة[8]، أو قد تعمد إلى غمز الحلق بإصبعها رغبة منها في رفع الورم[9]. وقد وردت إشارات إلى استخدام هذه الطريقة في عصر الرسول ﷺ، من ذلك أن أم قيس بنت محصن

(١) ابن دريد، جمهرة، ٢/٩٤٠.

(٢) البلدي، ص٢٧١. وانظر أيضًا: ابن الجزار، ص١٠٨.

(٣) العذرة: هي "عذرة الجوزاء، خمسة كواكب بيض أسفل من الشِّعرى... ويقال لها: "العذارى". ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، الأنواء في مواسم العرب (د.ط، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٩٥٦م) ص٤٨.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٧٣. ابن أبي الدنيا، العيال، ٢/٨٥٩. ابن منظور، ٢/٧٢٠.

(٥) الهجري، هارون بن زكريا، التعليقات والنوادر (دراسة ومختارات) تحقيق حمد الجاسر، ق٣ (ط١، العبيكان للطباعة والنشر، الرياض ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص١١٤١.

(٦) حمزة الأصفهاني، ٢/٥٦٠. النويري، ٣/١٢٥.

(٧) الفتل: ليُّ الشيء. ابن منظور، ٢/١٠٤٨.

(٨) ابن أبي شيبة، المصنف، ٥/٣٣. ابن منظور، ٢/٧٢٠.

(٩) ابن دريد، جمهرة، ٢/٦٣٣. ابن منظور، ١/٩٨٨.

الأسدية[1] جاءت إلى الرسول ﷺ ومعها ابن لها قد أعلقت عليه من العُذرة، ويبدو أن الرسول ﷺ لم يكن راضيًا عن هذا الأسلوب العلاجي لما فيه من تعذيب لهؤلاء الصبيان الصغار فقد كان يقول: "علام تدغُرن أولادكن بهذا العلاق؟!"[2]. وكان يرى أن الاستشفاء بالعود الهندي خير من ذلك[3]. أما الرغام فقد كانوا يعمدون إلى خيط من الصوف المنفوش فيعلقونه في حلق الصبي اعتقادًا منهم بأن ذلك ربما نفعه[4].

من عادات الأسر أيضًا في العلاج أنه إذا ظهرت في شفة الغلام بثور أو حلأ فإن عليه أن يأخذ منخلاً[5] ويضعه على رأسه ويمر بين بيوت الحي ينادي: الحلأ، الحلأ. فيُلقى في ذلك المنخل بعض الأطعمة مثل تمرة، أو كسرة خبز، أو قطعة لحم، فإذا امتلأ منخله نثره بين الكلاب. ويعتقدون أن ذلك يذهب عنه البثر[6].

كذلك كان من عاداتهم في علاج بعض الأمراض أن يُصهَّى الصبي؛ أي يدهن بالسمن ثم ينوّم في الشمس، وقد اشتهرت هذه العادة العلاجية في العصر الجاهلي[7]، ولا يوجد ما يشير إليها في العصر الإسلامي إلا أن ذلك لا يدل على انتهاء هذا الأسلوب العلاجي. ومن أساليب العلاج عندهم أيضًا

---

(١) أم قيس بنت محصن الأسدية. أخت الصحابي عكاشة بن محصن، أسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينة. ابن عبدالبر، ٤/٤٨٥. ابن حجر، الإصابة، ٤/٤٨٥- ٨٤٦.

(٢) البخاري، صحيح، ٧/١٨. وانظر أيضًا: الطبري، تهذيب، (الجزء المفقود) ص ٢٠٤.

(٣) السابقان.

(٤) الهجري، ٣/١١٤١.

(٥) المنخل: هو ما ينخل به الدقيق. ابن منظور، ٣/٦٠٤.

(٦) حمزة الأصفهاني، ٢/٥٦٠. النويري، ٣/١٢٥.

(٧) ابن دريد، جمهرة، ٢/١٠٧٧. ابن منظور، ٢/٤٨٨. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٦٨٢.

إطعام الصبي الفَصِيدة وهي تمر يعجن بدم[1]، وإن لم يتضح نوع المرض الذي يستخدم له هذا العلاج. ولا شك أن ذلك كان في العصر الجاهلي لتحريم الدم في الإسلام .

- **العقيقة[2]:**

وهي ما يذبح عن المولود[3]، وقد عرفت هذه العادة في الجاهلية، فقد كانت السيدة خديجة بنت خويلد تعق عن كل غلام شاتين وعن الجارية شاة[4]، كما كان بعضهم يعق عن الغلام بفرس[5]. وبعد أن تذبح العقيقة يعمد أهل المولود إلى تخضيب قطنة بدم العقيقة فإذا حلقوا رأسه وضعوها عليه[6].

ومع ظهور الإسلام استمرت هذه العادة الأسرية[7] بعد استئذان الرسول ﷺ فيها. فعن أم عجرد الخزاعية[8] أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت: "يا رسول الله أَمَرٌ كنا نفعله في الجاهلية ألا نفعله في الإسلام؟ قال: ما هو؟ قالت:

---

(١) الزبيدي، ٨/٥٠٠.

(٢) اختلف في أصل اشتقاق هذه التسمية، فقيل: إن أصلها الشعر الذي يظهر على رأس المولود، وسميت الشاة التي تذبح عنه عقيقة لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح. وقيل: هو اسم الشاة المذبوحة عن الولد، وسميت بذلك لأنها تُعق مذابحها أي تُشق وتُقطع. ابن منظور، ٨٤٤/٢. ابن حجر، فتح، ٥٨٦/٩. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، ج٢ (د. ط، دار الندوة الجديدة، بيروت د. ت) ص٤٥.

(٣) ابن دريد، جمهرة، ١٢٧١/٣. ابن حجر، فتح، ٥٨٦/٩.

(٤) ابن سعد، ١٣٣/١- ١٣٤.

(٥) ابن عبدالبر، ٣٦٩/٢.

(٦) ابن حجر، فتح، ٥٩٤/٩.

(٧) اختلف الفقهاء في العقيقة هل هي واجبة أم مستحبة، انظر في ذلك: مالك، ٣٢٨/١- ٣٢٩. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تحفة المودود بأحكام المولود (ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص٣٠- ٣٨. ابن حجر، فتح، ٤٩٤/٩.

(٨) لم يرد عنها شيء سوى ما ذكر في المتن. ابن الأثير، أسد، ٣٦٦/٧. ابن حجر، الإصابة، ٤٧٦/٤.

العقيقة، قال: فافعلوا، عن الغلام شاتان مكافئتان وعن الجارية شاة"[١]. إلا أن الرسول ﷺ نهى أن يمس رأس المولود بدم، وقال: "اجعلوا مكان الدم خلوقًا"[٢]. كما سن الرسول ﷺ وزن شعر المولود بعد حلقه والتصدق بزنته فضة ودفن الشعر في الأرض[٣]، وهي سنة لا نعرف لها سابقة في الجاهلية.

يسن في العقيقة إهداء جزء منها للقابلة، فقد ورد أن الرسول ﷺ عق عن الحسن والحسين وأمر بزنة شعورهما فضة فتصدق بها وأعطيت القابلة رِجْلَ العقيقة[٤]. كما يستحب أن يكون ذلك في اليوم السابع من الولادة[٥]. ومن الملحوظ عدم وجود ما يدل على دعوة آخرين إليها وإنما يسن الأكل منها والإهداء والتصدق[٦].

- **الإعذار:**

وهو الخِتان[٧] للغلام والخَفْض[٨] للجارية[٩]. وهو من العادات الجاهلية

(١) ابن عبدالبر، ٨٤١/٤. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، ٤٧٦/٤.

(٢) ابن حجر، فتح، ٥٩٤/٩.

(٣) ابن سعد، ١٣٥/١. الزبير بن بكار، أزواج، ص٥٩. الدولابي، الذرية، ص٨٦. السيوطي، مسند علي، ص ٥، ٤٠، ١٤٣.

(٤) الدولابي، الذرية، ص٨٦. السيوطي، مسند علي، ص١٤٣. السيوطي، نزهة، ص٩٩.

(٥) ابن سعد، ١٣٥/١. ابن عبدالبر، ٤١/١.

(٦) مالك، ٣٢٩/١. ابن قيم الجوزية، تحفة، ص٦١- ٦٢.

(٧) يطلق على صاحب هذه المهنة الخاتن. ابن منظور، ٧١٩/٢.

(٨) يطلق على صاحبة هذه المهنة الخافضة أو الخاتنة. ابن دريد، جمهرة، ٦٠٧/١. ابن منظور، ٨٦٧/١.

(٩) الأبهري، عبيدالله بن محمد، حدائق الآداب، تحقيق محمد السديس (ط٢، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ص٤٨٧. ابن منظور، ٧١٩/٢.

القديمة التي كانت الأسر في الحجاز تمارسها[1]. وعلل ابن عبدالبر[2] ممارستهم لها بأنها نتيجة لمجاورتهم لليهود الذين عرف بينهم هذا الأمر. وقد كانوا يختتون أبناءهم عند صنمهم هبل ويضربون القداح لذلك بعد أن يقدموا له مئة درهم ومئة جزور، فإن خرج لهم «نعم» ختنوه وإن خرج لهم « لا » أجلوا ذلك إلى وقت آخر[3].

استمرت هذه العادة وتأكدت بمجيء الإسلام، قال الرسول ﷺ: "خمس من الفطرة" وذكر منها الختان[4].

من الواضح أن هناك عدم اتفاق حول السن التي يتم فيها الإعذار فقد وردت بعض الإشارات في الجاهلية وعصر الرسول ﷺ دلت على أن اليوم السابع من ميلاد الصبي هو الوقت المستحب له، فقد خُتن الرسول ﷺ في يوم سابعه[5]، كما خَتن الرسول ﷺ الحسن والحسين في يوم سابعهما[6]. وعلل ابن حجر[7] ذلك بأنه نتيجة لقربهم من اليهود الذين اعتادوا على تختين صبيانهم في هذا السن. كما وردت إشارات أخرى دلت على أن المسلمين في عصر الرسول ﷺ كانوا يؤخرون الختان حتى يدرك الصبي فقد جاء في صحيح البخاري[8]

(١) ابن سعد، ١/٧٠. ابن حبيب، المحبر، ص٣٢٩. ابن حبيب، المنمق، ص٢٤٤. ابن قتيبة، المعارف، ص٣١٦- ٣١٧.

(٢) ٣٩/١.

(٣) ابن هشام، ١/١٦٤- ١٦٥. ابن الأثير، الكامل، ٦/٢.

(٤) البخاري، صحيح، ١٤٣/٧.

(٥) ابن عبدالبر، ٣٩/١.

(٦) ابن أبي الدنيا، العيال، ٧٨٣/٢. الدولابي، الذرية، ص٨٦.

(٧) ابن حجر، فتح، ٣٤٣/١٠.

(٨) البخاري، صحيح، ١٤٤/٧.

أن ابن عباس سُئل: "مثل من أنت حين قبض النبي ﷺ؟ قال: أنا يومئذ مختون[1]. قال وكانوا لا يختتون الرجل حتى يدرك". ويبدو أن الرسول ﷺ استحب فيما بعد مخالفة اليهود في وقت الاختتان. إلا أن عبارة ابن عباس الأخيرة تدل على أن هذا الأمر تغير فيما بعد. ولكن في أي سن أصبحوا يختتون؟ هذا ما لا نستطيع الإجابة عنه بشكل دقيق. وقد ناقش ابن حجر[2] هذه المسألة وأورد آراء الفقهاء حولها ورجّح أنها كانت بين سن السابعة والعاشرة وهي السن التي يؤمر فيها الصبيان بالصلاة.

جرت العادة عند أهل مكة بالذات أن يطاف بالصبي حول الكعبة قبل ختانه. قال الفاكهي[3]: "وأهل مكة على هذا إلى اليوم يطوفون بصبيانهم إذا نفسوا وإذا ختموا وإذا أرادوا أن يختتوا". مما يعطي دلالة على استمرار هذه العادة حتى القرن الثالث الهجري. أما مكان إجراء الختان فلم ترد فيه إشارات واضحة عدا ما ذكره ابن سعد[4] عن قريش في الجاهلية من أنه "لا يُعذر لهم غلام إلا في دار الندوة". ولم يرد شيء بشأن الجارية.

بعد إجراء الإعذار جرت العادة أن يقال للصبي: "سلم الخاتن والمختون"[5].

---

(١) توفي الرسول ﷺ وعُمُر عبدالله بن عباس ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة سنة. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٣٠. الكناني، علي بن محمد، نشر اللطائف في قطر الطائف، تحقيق عثمان الصيني (د. ط، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطائف ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص٦٢. العجيمي، حسن بن علي، إهداء اللطائف من أخبار الطائف، تحقيق يحيى ساعاتي (ط٢، دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص٦٢.

(٢) ابن حجر، فتح، ١٠/٣٤٣، ١١/٩٠.

(٣) الفاكهي، ١/٣٠٢.

(٤) ابن سعد، ١/٧٠.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٤/٢٧١.

ثم تقام وليمة يطلق عليها اسم إعذار أو عَذيرة(1) احتفالاً بطهر الصبي وسلامته، ومن المرجح أن هذا الأمر عرف في الجاهلية فقد ورد أن الرسول ﷺ عندما خُتن جُعلت له مأدبة(2). أما في عصر الرسول ﷺ فلم أجد إشارة تدل على ذلك ويبدو أنه كان أمرًا غير مألوف في ذلك الوقت فقد دعي عثمان ابن أبي العاص إلى ختانٍ فأبى أن يجيب فسئل عن السبب فقال: "كنا لا نأتي الختان على عهد رسول الله ﷺ ولا يُدعى إليه"(3). إلا أن ما جاء في بعض المصادر من روايات عن إعانة السيدة عائشة أم المؤمنين على إقامته(4) واحتفال آخرين به أمثال زيد بن ثابت الأنصاري(5)، وعبدالله بن عباس(6)، وعبدالله ابن عمر(7)، وواثلة بن الأسقع(8)، إن صحت ففيها دلالة على جوازه. ولعل عدم وجود ما يدل على الاحتفال بالإعذار في عهد الرسول ﷺ عائد إلى ضعف الموارد المالية للأسر في ذلك الوقت(9).

---

(1) ابن دريد، جمهرة، ٣/١٢٧١. الزمخشري، أساس، ص٢٩٦. العكبري، عبدالله بن الحسين، المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، تحقيق ياسين محمد السواس، ج١ (د. ط، دار الفكر، دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص٥٢٩. المرتضى، ١/٣٥٥- ٣٥٦.

(2) ابن عبدالبر، ١/٣٩. وقد ضعَّف بعضهم هذا الحديث. ابن عبدالبر، ١/٣٩.

(3) الطبراني، الكبير، ٩/٤٨.

(4) ابن أبي الدنيا، العيال، ٢/٧٨٧.

(5) الأصفهاني، الأغاني، ٧١/١٦٧- ١٦٨.

(6) ابن قتيبة، عيون، ١/٣٢٢. ابن أبي الدنيا، العيال، ٢/٧٨٨.

(7) ابن أبي الدنيا، العيال، ٢/٧٨٥.

(8) ابن أبي الدنيا، العيال، ٢/٧٩٠. وهو واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، من بني ليث بن عبدمناة. كان من أهل الصفة ثم نزل الشام، شهد فتح دمشق وحمص وغيرها. مات سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م. ابن حجر، الإصابة، ٣/٦٢٦. وانظر أيضًا إشارات أخرى: الفاكهي، ٣/٢٢- ٢٣.

(9) انظر فصل الحياة المعيشية، فقرة الموارد المالية للأسرة.

من الملحوظ أن وليمة الإعذار كان يضاف إليها الرجال والنساء، سواء كان المختون غلامًا أم جارية، فقد دعا زيد بن ثابت المهاجرين والأنصار في ختان ابنته[١]. كما قال ابن سريج[٢] لزوجة مولاه عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي حسين[٣] في ختان ابنها: "خفِّضي عليك بعض الغُرْم والكلفة فوالله لألهين نساءك حتى لا يدرين ما جئت به ولا ما عزمت عليه"[٤].

اختلف مستوى الاحتفال بالإعذار باختلاف المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، فالوليمة التي أقامها زيد بن ثابت لابنته بمناسبة ختانها اجتمع فيها المهاجرون والأنصار وعامة أهل المدينة، مما يدل على أنها كانت وليمة كبيرة تعددت فيها أصناف الطعام فكان مما قدم فيها الثريد والشواء[٥]. كما يحبذ بعضهم بالإضافة إلى صنع الوليمة أن يعرض على ضيوفه بعض أنواع اللعب والغناء فقد دعا عبدالله بن عباس في ختان بعض بنيه اللعابين فلعبوا وأعطاهم أربعة دراهم[٦]. وغنى ابن سريج في ختان ابن مولاه عبدالله ابن عبدالرحمن[٧].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٧/١٦٧- ١٦٨.

(٢) عبيد بن سُريج ، مولى لبني نوفل بن عبدمناف. من مغني مكة. الأصفهاني، الأغاني، ٢٤٣/١، ٢٤٦.

(٣) عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن نوفل بن عبدمناف. الأصفهاني، الأغاني، ص٢٤٣.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٢٤٦/١.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ١٧/١٦٧- ١٦٨.

(٦) ابن قتيبة، عيون، ٣٢٢/١. ابن أبي الدنيا، العيال، ٧٨٨/٢.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ٢٤٦/١.

من الواضح أن الولائم التي كانت تصنع في الإعذار كانت تكلف الكثير، يدلنا على ذلك قول ابن سريج السابق لمولاته[1]. كما ذُكر أيضًا أن عائشة أم المؤمنين أرسلت إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر[2] مئة درهم مساعدة منها له في صنع وليمة ختان ابنه[3]. وقد يبالغ في الصرف على تلك الولائم حتى بلغت تكاليف إحداها خمس مئة دينار[4]. ولا شك أن هذا هو ما دفع بعض الأسر إلى تختين عدد من صبيانهم في وقت واحد وعمل وليمة واحدة لهم جميعًا[5] لتخفيض بعض التكاليف المادية عنهم.

كانت بعض ولائم الإعذار تستمر أكثر من يوم واحد فقد ورد أن زياد بن عبيدالله الحارثي[6] أولم وليمة لطهر بعض أبنائه فجعل الناس يترددون على مائدته ثلاثة أيام حتى انتهت الوليمة[7]. ولا يمكن القول: إن ذلك كان لوضع خاص فقط وهو كون زياد كان واليًا على المدينة، فقد عرف عنه البخل[8]، ولا

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٢٤٦/١.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ولد فيها، وكانت وفاته بقديد، اختلف في سنة وفاته، قيل سنة ١٠٨هـ/ ٧٢٦م. ابن خلكان، ٥٩/٤. خير الدين الزركلي، ١٨١/٥.

(٣) ابن أبي الدنيا، العيال، ٧٨٧/٢.

(٤) السابق ، ٧٨٩/٢.

(٥) ابن قتيبة، عيون، ٣٢٢/١. ابن أبي الدنيا، العيال، ٧٨٨/٢. الأصفهاني، الأغاني، ١٨٧/١٩.

(٦) زياد بن عبدالله الحارثي. تولى إمارة المدينة في عهد الخليفتين أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور في مدد مختلفة ما بين سنتي ١٣٣هـ/ ٧٥٠م، و١٤١هـ/ ٧٥٨م. خليفة بن خياط، تاريخ، ٦٣١/٢، ٦٧٢.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٨٧/١٩.

(٨) السابق.

يمكن أن يقدم على مثل هذا الفعل إلا إذا كان عمله عادة معروفة بين الناس في وقته. ولا شك أن استمرار الوليمة مدة ثلاثة أيام كان شيئًا مستحدثًا في الحجاز ويعد من التطورات التي صاحبت وليمة الإعذار فلم يسبق أن جاء ما يشير إلى ذلك في العصر الأموي وما قبله.

من الملحوظ أن الحديث عن وليمة ختان الجارية كان قليلاً جدًا فلم أجد سوى إشارات معدودة تدل عليه، ويبدو أن ذلك عائد إلى ما كان شائعًا في ذلك الوقت من أن إظهار ختان الغلام وإخفاء ختان الجارية سُنَّة(١). ولعل هذا يوضح لنا سبب رفض عثمان بن أبي العاص طعام ختان عندما عرف أنه لجارية(٢).

- **الاحتفال بختم القرآن:**

حرصت الأسر الحجازية على تعليم صبيانها فكان الصبي يلتحق بالكُتَّاب في سن مبكرة، قال البلاذري(٣): "أسلم زياد(٤) بالطائف وهو ابن خمس سنين في كُتَّاب جبير بن حية الثقفي(٥)". فإذا كان هذا وضعهم في الجاهلية فهم في الإسلام أحرص على تعليم صبيانهم القرآن الكريم قراءة وكتابة، وقد وردت إشارات كثيرة دلت على اهتمام بعض الأسر

(١) ابن حجر، فتح، ١٠/٣٤٣.

(٢) الطبراني، الكبير، ٩/٤٨ - ٤٩.

(٣) البلاذري، أنساب، ق ٤، ١/١٩٣.

(٤) أي : زياد بن أبي سفيان.

(٥) جبير بن حية بن مسعود الثقفي. ابن عم المغيرة بن شعبة، كان يسكن الطائف، شهد الفتوح في عهد عمر بن الخطاب. ولاه زياد بن أبي سفيان أصبهان، مات في خلافة عبدالملك بن مروان. ابن حجر، الإصابة، ١/٢٢٥.

بإرسال صبيانها الذكور إلى الكتاب[١]. أما البنات فلم يرد فيما اطلعت عليه من مصادر ما يدل على اهتمام الأسرة بتعليمهن القراءة والكتابة سوى إشارة واحدة عن صبية هذلية كانت تقرأ في الكتاب مع الصبيان الذكور[٢] إلا أنه من المرجح أن بعض الأسر كانت تهتم بتعليم بناتها القراءة والكتابة اعتمادًا على وجود قلة من النساء كن يُتقنَّ ذلك في الجاهلية[٣] والإسلام[٤].

بعد أن يختم الصبي القرآن يقال عنه قد حَذَق[٥]، ويحتفل بيوم حِذاقِه[٦] في المدينة بنحر جزور وصنع طعام للناس[٧]. أما أهل مكة فقد كانوا يطوفون بصبيانهم حول الكعبة ثم يحمل على دابة ويطاف به في السكك [٨]. ومن الراجح أن أقصى سن لحِذاقة الصبي هي الخامسة عشر[٩].

(١) حسان بن ثابت، ص١٧٩. سحنون، ٣/٣٥٦. ابن قتيبة، المعارف، ص٥٤٨. ابن أبي الدنيا، العيال، ١/٤٨٩، ٥٣٥. الفاسي، العقد، ٤/٥٤.

(٢) ابن قتيبة، عيون ، ٤/١٠٣.

(٣) البلاذري، أنساب ، ١/٨١. البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ص٥٨٠ - ٥٨١. ابن عبدالبر، ٤/٣٤٠. الفاسي، العقد، ٨/٢٥٣.

(٤) البلاذري، فتوح ، ص٥٨١.

(٥) ابن أبي الدنيا، العيال، ١/٤٨٩.

(٦) ابن منظور، ١/٥٩٢.

(٧) ابن أبي الدنيا، العيال، ١/٤٨٩.

(٨) الفاكهي، ٢/٣٠٢.

(٩) ابن أبي الدنيا، العيال، ١/٥٣٥.



الفصل الثالث

الحياة المعيشية

أولاً : الحياة اليومية

ثانياً : العلاقات الأسرية

ثالثاً : العلاقات بالأخوال والأعمام

رابعاً : استقبال الضيوف

خامساً : الاحتفال بالمناسبات

سادساً : الاستعداد للمواسم

سابعاً : الموارد المالية للأسرة

أولاً - الحياة اليومية :

ويقصد بها الممارسات اليومية لأفراد الأسرة التي تبدأ عادة في حاضرة الحجاز بالقيام لصلاة الفجر، ثم قد يتبع ذلك عودة للنوم مرة أخرى وهي ما يطلق عليها الصُّبْحة أو نوم الضحى[1]. وغالبًا ما يعرف ذلك عند نساء الأسر الغنية التي لديها من يكفيها مؤونة الخدمة في المسكن، لذلك كثيرًا ما يطلق الشعراء صفة: نؤوم الضحى، أو مِكْسَال الضُّحى على المرأة المخدومة[2]، كقول عمر بن أبي ربيعة:

رَبْعَــــةٌ أو فُوَيْــقَ ذَاكَ قليـــلاً ... وَنـؤومُ الضُّحـى وَحَـقٌّ كَسُــولِ[3]

وقوله أيضًا:

وغَضِيضِ الطَّرْفِ مِكْسَالِ الضُّحَى ... أَحْــوَرِ المُقْـلَةِ كَالرِّيـمِ الأَغَــنّْ[4]

أما الرجال فالغالب ممارستهم لهذه العادة قبل الإسلام، أما بعد الإسلام فكانوا يُفضِّلون البقاء بعد الصلاة في المسجد حتى وقت الضحى. قال عبدالله بن مسعود: "ما نمت الضحى منذ أسلمت"[5] . كما كان عبدالله بن عمر يبقى في المسجد حتى وقت الضحى ثم ينطلق إلى السوق لقضاء حوائجه ثم يعود لمسكنه[6].

---

(١) المدائني، ص٨٤. ابن سعد، ٣/١٥٥. ابن أبي خيثمة، ص٢٥٣. الميداني، ١/١٨٠.

(٢) الأنباري، ص٦٥. الزوزني، ص٣١.

(٣) محمد محيي الدين عبدالحميد، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة (ط١، مطبعة السعادة، مصر ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) ص٣٣٠.

(٤) عمر بن أبي ربيعة، ص٢٤١. الحصري، إبراهيم بن علي، المصون في سر الهوى المكنون، تحقيق النبوي عبدالواحد شعلان (د. ط، دار العرب للبستاني، القاهرة، د. ت) ص١٤١. "والأغن من الغزلان وغيرها: الذي في صوته غنة". ابن منظور، ٢/١٠٢٣.

(٥) ابن سعد، ٣/١٥٥.

(٦) السابق، ٤/١٤٧.

يبدأ العمل المنزلي لدى الأسر المتوسطة الحال والفقيرة باكرًا حيث تنشغل ربة البيت[١] بذلك مرتديةً اللباس المناسب له وهو ما يطلق عليه اسم المِبْذَل[٢] أو المِعْوز[٣]، وقد تشده من الوسط بنطاق ليرتفع عن الأرض فتسهل عليها الحركة[٤]، أو أن تقي ثيابها بلبس مئزر يخاط طرفاه ويلبس كالسراويل يسمى نُقْبَة[٥]. ثم تمارس الأعمال المنزلية المعتادة في ذلك الوقت مثل الطحن، والعجن، والخبز، والكنس، والغسل وغير ذلك، بالإضافة إلى معاونة زوجها. ولعل فيما قالته أسماء بنت أبي بكر ما يوضح طبيعة تلك الأعمال في عصر الرسول ﷺ، وصورة معاونتها لزوجها قالت: "تزوجني الزبير[٦] وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، فكنت أعلفه، وأكفيه مؤنته، وأسوسه، وأدق النوى لناضحه[٧]، وأعلفه، وأستقي الماء، وأخرز غَرْبَه[٨]، وأعجن ولم أكن أحسن الخبز فكنّ جاراتي من الأنصار يخبزن لي وكنت أنقل النوى من أرض الزبير..." [٩]. أما في البادية فيرى أحد الباحثين[١٠] أن المرأة كانت مجبرة بالإضافة إلى ممارسة الشؤون المنزلية المعتادة على الاعتناء بفرس

---

(١) ابن عساكر، تاريخ - السيرة - ١/١٤٣.

(٢) ثعلب، ١/٣٠٤. ابن دريد، الاشتقاق، ٢/٤٥٠. ابن دريد، جمهرة، ١/٣٠٥.

(٣) ابن دريد، جمهرة، ٢/٨١٨.

(٤) ابن حجر، فتح، ٦/١٢٩.

(٥) ابن ظفر الصقلي، ص١١٥.

(٦) المراد به الزبير بن العوام.

(٧) "الناضح: البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء". ابن منظور، ٣/٦٥٥.

(٨) الغرب: الدلو. ابن منظور، ٢/٩٧٠.

(٩) البلاذري، أنساب، ٩/٤٢٨. وانظر أيضًا: النسائي، عشرة، ص١٦٧. ابن عساكر، تاريخ - تراجم، ص١٥- ١٦. وانظر إشارات أخرى: السيوطي، مسند علي، ص٦، ٣٣، ٧٩، ١٦٠، ١٨٩. السيوطي، مسند فاطمة، ص ٥٨، ١١٠. السيوطي، نزهة، ص٦٥، ٧٢.

(10) William Alexander, M.D, The History of Women From Earliest Antiquity, To The Present time, vol. 1 (I, fr, ed, J.H. Dobel, Bower, Philadelphia 1796)p.184.

زوجها بإطعامه وإلجامه وسرجه، وإن لم أجد ما يدل على ذلك فيما اطلعت عليه من مصادر. يضاف إلى ما سبق تهيئة المسكن مستخدمة في ذلك مكنسة(١)، ونظافة الملبس باستخدام بعض مواد التنظيف مثل الصابون(٢) ونبات الأُشْنان(٣)، وقد تستعين في تنظيف الملابس بعصا صغيرة تضرب بها الثياب تسمى المِحْضَجَة(٤). ومن البديهي أن الأسر التي تسكن في بيوت(٥) كانت تفضل غسل ملابسها خارجه لما يتطلبه ذلك من استهلاك كمية من المياه، ففي المدينة مثلاً كن يغسلن الملابس في مكان يسمى المَغْسِلَة أو الغُسيلة يقع على أطراف المدينة(٦)، وفي مكة تستفيد ربات البيوت من مستنقع ماء يقع في أصل جبل أبي قبيس(٧). أما ساكنات الدور(٨) فمن المرجح أنهن كن يستفدن من البئر الموجودة في وسط الدار لغسل الملابس. وفي البادية كن يفردن لهذا الأمر بيتًا قديمًا عندهن(٩)، أو قد يعتمدن على بعض الأودية الجارية مثل وادي الدَّوم(١٠).

(١) ابن دريد، الاشتقاق، ١٦٧/١. ابن دريد، جمهرة، ٥٦٢/١. ابن الأثير، أسد، ٤٤٥/٥.
(٢) ابن شبة، ١٢٤٣/٤. وعرفه ابن منظور بقوله: "الصابون: الذي تغسل به الثياب، معروف" ٤٠٧/٢.
(٣) ابن سعد، (القسم المتمم) ص١٧٧. وعرفه ابن منظور بقوله: "الأشْنان والإشْنان من الحمض: معروف الذي يغسل به الأيدي". ٦٦/١، وإن ورد ما يدل على استخدامه في غسل الملابس.
(٤) ابن دريد، جمهرة، ٤٣٩/١.
(٥) انظر الفصل الخامس.
(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٥٢/١. ياقوت، البلدان، ١٦١/٥. ابن فضل الله العمري، ٥٨/١٠.
(٧) ابن دريد، جمهرة، ٤٩٢/١. وجبل أبي قبيس يشرف على مكة من الجهة الشرقية لها. ياقوت، البلدان، ٨٠/١.
(٨) انظر الفصل الخامس.
(٩) الأصفهاني، الأغاني، ١٥/١٨.
(١٠) الجاحظ، المحاسن، ص٣١٧. البكري، ٥٦٣/٢. ابن عساكر، تاريخ - تراجم، ص٦٧. ووادي الدوم: يقع في ديار بني ضمرة. البكري، ٥٦٣/٢. حدد ياقوت موقعه بقوله: "هو واد معترض من شمالي خيبر إلى قبليها، أوله من الشمال غمرة ومن القبلة القُصيبة، وهذا الوادي يفصل بين خيبر والعُوارض". البلدان، ٣٤٣/٥. ولا يزال معروفًا حتى اليوم فيه نخل ومياه وقرية يمر الطريق إلى تيماء بقربها. حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة (ط٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص٥٧٠.

قال كثير يخاطب عزة[1]:

وآخِـرُ عَهْـدٍ منـكِ يـوم لقيتنِـي بِأسْفَلِ وادي الدَّوْمِ والثَّوبُ يُغْسَلُ[2]

يضاف إلى المهمات اليومية لربة البيت مسؤولية إعداد الطعام والشراب[3] اللذين تعددت أصنافهما وطرق إعدادهما والأواني المستخدمة في تقديمهما[4] خلال مدة الدراسة.

تنشغل ربة البيت بإعداد الطعام مرتين في اليوم، للغداء والعشاء، حيث من المرجح أنهما الوجبتان الرئيستان للأسرة، أما الصباح فيبدو أن أفراد الأسرة لا يتناولون فيه الشيء الكثير، فقد يقتصر على شرب الصبوح وهو اللبن وقد يسبقه أكل بعض التمرات امتثالاً لقول رسول الله ﷺ: "من تصبح سبع تمرات

---

(١) عزة بنت جُمَيِّل الضمرية. صاحبة كثير السابق الذكر، سافرت من المدينة إلى مصر، وتوفيت هناك سنة ٨٥/ ٧٠٤م. ابن خلكان، ٤/١٠٧، ١١٢. خير الدين الزركلي، ٤/٢٢٩- ٢٣٠. وانظر أخبارها مع كثير: البقاعي، ورقة ٥٩ - ٦٤أ.

(٢) كثيرة عزة، ص٤٥٢. وانظر أيضًا: البكري، ٢/٥٦٣. ابن عساكر، تاريخ، -تراجم-، ص٦٧.

(٣) لتفصيلات أكثر في أنواع الأطعمة والأشربة المعروفة في القرن الأول الهجري، انظر: إلهام البابطين، ٢٠٧- ٢١٩. بشير إبراهيم بشير، الطعام في الحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) الندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، ج٢ (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص٢٥١- ٢٧٧. محمد فارس الجميل، الأطعمة والأشربة في عصر الرسول ﷺ، حوليات كلية الآداب، الحولية السابعة عشرة، الرسالة الرابعة عشرة بعد المئة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، الكويت ، ص١٣- ١٣٨.

(٤) لتفصيلات أكثر في أنواع الأواني المستخدمة في الطعام والشراب خلال القرن الأول الهجري انظر: إلهام البابطين، ص١٩٨- ٢٠٢. بشير محمد بشير، ص٢٥١- ٢٧٧. محمد فارس الجميل، الآنية والأوعية المستخدمة في العهد النبوي، دراسة مستمدة من كتب الحديث الشريف، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني عشر، جمادى الآخرة ١٤١٥هـ/ نوفمبر ١٩٩٤م، الرياض، ص٩٦- ١٩٣.

عجوة ..." [١]. وهي ما يطلق عليها الصُّبْحة[٢]. ويرى ابن دريد[٣] أن الصبوح هو الأكل والشرب في أول النهار أو صبحًا. بينما يرى ابن منظور[٤] أن الأصل في الصبوح هو الشرب، وإن أُطلق على الأكل فيقصد به الغداء. ويبدو لي أن ما ذكره ابن منظور أقرب للصحة نظرًا للإشارات الكثيرة التي تدل على أن الصبوح هو شراب، وأن الوجبتين الرئيستين هما الغداء والعشاء. قال المفضل الضبي[٥]: "فإن العرب يدعون شراب الليل الغبوق وشراب النهار الصبوح". وقال الشاعر:

فيُغْبَقْنَ أَحْلابًا ويُصْبَحْنَ مِثْلَها ... فَهُنَّ منَ التَّعْدَاءِ[٦] قُبٌّ[٧] شَوَازِبُ[٨]

ويقال في الأمثال: "ابنك ابن بُوحك[٩] يشرب من صبوحك"[١٠]. وقيل أيضًا: "هُريق صبوحهم على غبوقهم"[١١]. ولا يراق إلا الشراب. كما "نزل ركب

(١) البخاري، صحيح، ٣١/٧.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ٢٧٩/١.

(٣) ابن دريد، الاشتقاق، ٦٦/١. ابن دريد، جمهرة، ٢٧٩/١.

(٤) ابن منظور، ٤٠٣/٢.

(٥) المفضل الضبي، أمثال، ص١٢٦.

(٦) التعداء: العدو. ابن منظور، ٧١٠/٢.

(٧) قُب: جمع أقب، وهو الضامر. ابن منظور ٤/٣.

(٨) المفضل الضبي، المفضليات، ص٢٠٦. وشوازب: جمع شازب، وهي الضامر من الخيل في غير هزال. ابن منظور، ٣١٠/٢.

(٩) البوح: "اسم من باح بالشيء إذا أظهره، أي ابنك من بحت بكونه ولدًا لك". الميداني، ١٠١/١.

(١٠) ابن دريد، جمهرة، ٢٨٥/١. الميداني ، ١٠١/١. وانظر أيضًا: الخويِّي، ص٣٥٩.

(١١) الميداني، ٣٣٦/٢.

بأبي خرقاء العامرية[1]، فأمر لهم بلبن فَسُقُوه وقصَّر عن شاب منهم فأعطته خرقاء صبوحها"[2]. أما ما يدل على أن الغداء والعشاء هما الوجبتان الرئيستان للأسرة فيظهر في عدة نصوص منها: قول السيدة عائشة أم المؤمنين: "والله ما شبع رسول الله ﷺ من غداء وعشاء حتى لقي الله"[3]. كما قالت فاطمة بنت رسول الله ﷺ لزوجها علي: "لم نتعش البارحة ولم نتغد اليوم وليس عندنا عشاء"[4]. ورُوِي أن وفد محارب[5] قدم على رسول الله ﷺ "وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء"[6]. كما سئل الرسول ﷺ عن الأعناب فقال: "زببوها. فقالوا له: وما نصنع بالزبيب؟ قال: انتبذوه على عشائكم واشربوه على غدائكم"[7]. كما أعطى الرسول ﷺ لأحدهم تمرًا وقال له: "فتغد بتمرة وتعش بأخرى"[8]. كما سُئل الرسول ﷺ ما ظَهْرُ الغنى؟ قال: "أن يعلم أن عند أهله ما يغديهم أو يعشيهم"[9]. ويقال: إن عمر بن الخطاب بعد توليه الخلافة

---

(١) خرقاء العامرية هي: إحدى نساء بني عامر بن ربيعة. يقال كانت كحالة فداوت عين ذي الرمة من رمد كان بها فشبب بها من غير هوى مكافأة لها على ذلك. الأصفهاني، الأغاني، ١٨/٤١.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٨/٤٢، ٤٤.

(٣) الطبراني، الكبير، ١٨/١٣٩. وانظر أيضًا: أبو الشيخ الأصبهاني، ص٢٧٨.

(٤) ابن سعد، ١/١٨٦- ١٨٧.

(٥) محارب: قبيلة من قيس عيلان، ينتسبون إلى محارب بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد. كانت ديارهم شرق المدينة بين سليم وغطفان. غزاهم الرسول ﷺ غزوة ذي أمر "غطفان" سنة ٣هـ/ ٦٢٤م، وقدم وفدهم سنة ١٠هـ/ ٦٣١م. وليس لمحارب ذكر اليوم في بلادهم. ابن سعد، ١/٢٩٩، ٢/٣٤. ابن حزم، ص٢٥٩. عاتق البلادي، قبائل، ص٤٦٨.

(٦) ابن سعد، ١/٢٩٩.

(٧) ابن الأثير، أسد، ٢/١٣٤.

(٨) ابن أبي الدنيا، العيال، ٢/٨٢٩.

(٩) الطبري، محمد بن جرير، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار (مسند عمر بن الخطاب) تحقيق محمود محمد شاكر، ج١ (د. ط، مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص٢٥.

سأل الصحابة حول ما يحق له من بيت المال، فقال له علي بن أبي طالب: "غداء وعشاء"(١). كما وُصِف أبو جحيفة(٢) بأنه إذا تعشى لا يتغدى وإذا تغدى لا يتعشى(٣). وجاء في نسب قريش(٤): "حضرت عبدالله بن عروة بن الزبير يدخل الناس في مربد تمره طرفي النهار: غدوة فيتغدون، وعشية فيتعشون فما زال كذلك حتى أحيا الناس". وهذا مما يدل على استمرار هذا الوضع حتى القرن الثاني الهجري كما جاء في الأمثال: "خير الغداء بواكره وخير العشاء بواصره"(٥). ومن ذلك يتضح أن الغداء والعشاء هما الوجبتان الرئيستان، أما الصبوح فما هو إلا شراب من اللبن قد يُسبق بتناول بعض التمر فيسمى صبحة.

غالبًا ما تفضل الأسر الحضرية في الحجاز تناول أطعمة مطبوخة في الغداء أو العشاء، إلا أن ذلك لم يكن متوافرًا كثيرًا في عهد الرسول ﷺ، فعن جابر بن عبدالله أنه قال عندما سئل عن الوضوء مما مست النار: "قد كنا زمان النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك من الطعام إلا قليلاً"(٦). وإن وُجدت فلا شك أن أنواعها تتفاوت حسب المستوى الاقتصادي للأسرة، حيث يعتمد طعام الأسرة الفقيرة في أغلبه على خبز من دقيق غير منخول وعلى التمر(٧). وتُرجِّح إحدى

(١) ابن سعد، ٣/٣٠٧. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٢٥٨.

(٢) أبو جحيفة هو: وهب بن عبدالله، من بني عامر بن صعصعة. كان من صغار الصحابة، توفي الرسول ﷺ وهو لم يبلغ الحلم. توفي سنة ٧٦هـ/ ٦٩٥م. ابن الأثير، أسد، ٦/٤٨- ٤٩.

(٣) ابن عبدالبر، ٤/٣٧. ابن الأثير، أسد، ٦/٤٩.

(٤) الزبيري، ص٢٤٦.

(٥) الميداني، ١/٢٤٤.

(٦) البخاري، صحيح، ٦/٢١٤. وانظر أيضًا: الطبري، تهذيب (الجزء المفقود) ص١٢٠.

(٧) ابن سعد، ١/٣٩١، ٣٩٣- ٣٩٤، ٤٠١، ٤٠٨، ٨/٤١٥. ابن أبي شيبة، مسند، ١/٩٨. البخاري، صحيح، ٣/١٣، ١١٥، ٥/٤٥. ابن شبة، ٢/٤٠٩. ابن قتيبة، عيون، ٣/٢٠١. ابن أبي الدنيا، العيال، ٢/٥٥٥. الطبراني، الكبير، ٦/١٤٦، ٢٣/ ٣٢٩، ٢٤/ ٢٢٩. ابن حجر، فتح، ٥/١٤١.

الباحثات أن سبب اعتمادهم على التمر هو ما يحتويه من قيمة غذائية كبيرة[١]. إلا أننا لا يمكن أن نغفل السبب الحقيقي وراء ذلك وهو توافره بكثرة في المدينة لكونها مدينة نخل. قال اليعقوبي[٢]: "وأكثر أموال أهلها النخل ومنه معاشهم وأقواتهم". أما الأسر الغنية فتتمكن من تناول خبز من دقيق منخول بالإضافة إلى اللحم والسمن[٣]. بينما كان غالب طعام الأسر في البادية السمن والأقط واللحم، ومنه لحم الضب[٤].

من الأواني المستخدمة في طبخ تلك الأطعمة البُرَم[٥] والقُدُور[٦]

(١) نورة عبدالملك آل الشيخ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام (ط١، دار العلم للطباعة والنشر، جدة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص١١١.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، البلدان (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص٧٧.

(٣) ابن سعد، ٣٩٣/١، ٤٠٣- ٤٠٤، ٢٨٠/٣، ٦١٤، ١٦٥/٤. البخاري، صحيح، ١٠١/٣. ابن شبة، ٢٩٥/٢ - ٢٩٦، ٨٠٢/٣، ٨٣١- ٨٣٢. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص ١٨٤، ١٨٦. أبو علي القالي، ذيل، ص١٩٩. ابن الأثير، أسد، ٢٢٦/٥. ابن حجر، الإصابة، ١٠٢/٤. ابن حجر، فتح، ٥٣١/٩.

(٤) ابن سعد، ٣٩٥/١ - ٣٩٦. الميداني، ٥٦/٢، ١٠٦. الأبهري، ص٢٠٩.

(٥) البخاري، صحيح، ١٤٠/٦. مسلم، ١١٤٤/٢، ١١٣٩/٣- ١١٤٠. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، مسانيد أمهات المؤمنين رضي الله عنهنّ، تحقيق محمد غوث الندوي (ط١، الدار السلفية، بومباي ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ٨٥. والبُرَم: جمع بُرْمَة، وهي قدور من حجارة تقتلع من جبال في اليمن والحجاز. الجاحظ، البيان، ١٧/١. ابن دريد، جمهرة، ٣٢٩/١. ابن منظور، ٢٠٣/١. مختار سيدي الغوث، ص٢٣٠.

(٦) أمية بن أبي الصلت، ص٣٨. ابن سعد، ١٨٧/١، ٣٩٢. سحنون، ٤١٦/٤. والقدور: جمع قِدْر، ولم تقدم معاجم اللغة وصفًا لها وذكرتها على أنها من الأسماء المعروفة. انظر: ابن دريد، جمهرة، ٦٣٥/٢. الفيروزآبادي، القاموس، ص٥٩١. الزبيدي، ٣٧٥/١٣. وترى إحدى الدراسات الحديثة - وأتفق معها في ذلك - أن القدر قد لا يكون شيئًا مخصوصًا بعينه بل ربما كان كل ما يُطبخ فيه. محمد الجميل، الآنية، ص١٠٢. ولعل ما يؤيد هذا الرأي هو تعريف معاجم اللغة للبرمة والمرجل بأنها قدر ثم تحدد المادة المصنوعة منها إما من حجارة، أو نحاس، أو غير ذلك.

والمَراجِل[١]، وذلك بوضعها على الأثافي[٢]. أو يستخدمون التنور للخبز والشواء[٣]. وقد عرف ذلك في عصر الرسول ﷺ، وهذا يدل على استخدام الأسر له في العصر الجاهلي، ولا شك أنه استمر بعد ذلك.

أما في الأكل فكانت ربة البيت تغرف الطعام المطبوخ في الجِفَان[٤] أو الصِّحاف[٥] أو القِصَاع[٦]. أما الثمار وما في حكمها من الأطعمة غير المطبوخة فتقدم في آنية تسمى الأَطْبَاق[٧]، وأخرى تسمى الأَقْنَاع[٨].

---

(١) ابن ماجه، ٩/١، مسلم، ١٩٦/١. والمراجل: جمع مِرْجَل، وهو القدر أو الإناء الذي يغلي فيه الماء. ويصنع من الحديد، والنحاس، والصُّفْر، والخَزَف. ابن منظور، ٤٦٢/٣. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٢٩٨.

(٢) البخاري، صحيح، ٤٦/٥. والأثافي: جمع أُثْفِية، وهي الحجارة التي تنصب وتجعل القدور عليها. ابن منظور، ٢١/١.

(٣) الطبراني، الكبير، ١٤٢/٥٢. سحنون، ٥١٦/٤.

(٤) أمية بن أبي الصلت، ص٢٥. ابن قيس الرقيات، ص١٨. ابن سعد، ٣٩٦/١، ٤٠٣. سحنون، ٤١٦/٤. الزبير بن بكار، أزواج، ص٣٥. البلاذري، أنساب، ٤٦٣/١. أبو علي القالي، ذيل، ٦١٤/٣. ابن ظفر الصقلي، ص٧٩. والجفان: جمع جَفْنَة، وهي أعظم ما يكون من القِصَاع تشبع أكثر من عشرة أشخاص. ابن منظور، ٤٧٤/١، ٤١٢/٢. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٥٣١.

(٥) ابن سعد، ٣٩٣/١. سحنون ٤١٦/٤. ابن الأثير الجزري، جامع، ٣٨٨/٧. ابن فضل الله العمري، ٢١/١٠- ٢٢. والصحاف جمع صَحْفَة، وهي كالقصعة عريضة تشبع حوالي خمسة أشخاص. ابن منظور، ٤١٢/٢.

(٦) ابن سعد، ١٢٢/٨. الدورقي، ١١١/٢. البخاري، صحيح، ١٣/٣. والقِصَاع: جمع قَصْعَة، وهي تلي الجفنة في الحجم تشبع عشرة أشخاص. ابن الأثير الجزري، جامع، ٣٨٩/٧. ابن منظور، ٤١٢/٢، ١٠٣/٣.

(٧) ابن ماجه، ٢٣٥/٢. والأطباق: جمع طَبَق، وهو الذي يؤكل عليه أو فيه. ابن منظور، ٥٦٨/٢.

(٨) ابن سعد، ٣٩٤/١. ابن منظور، ١٧٤/٣. والأقناع: جمع قِنَاع، وهو الطبق المصنوع من عُسُب النخل. ابن منظور، ١٧٤/٣.

غالبًا ما يكون أكلهم على الأرض مستخدمين في ذلك السُّفَر[١]، وقد يأكل بعضهم - وخاصة الأسر الغنية - على مائدة يطلق عليها خُوان[٢]. ومن الواضح أنها كانت معروفة في عصر الرسول ﷺ [٣] إلا أنه على ما يبدو لم يكن يستخدمها تواضعًا منه، فعن أنس بن مالك أنه قال: "ما رأيت رسول الله ﷺ أكل على الخوان حتى مات"[٤].

من المرجح أن التبكير في وقت الغداء كان مفضلاً ولعله يأتي بعد صلاة الظهر مباشرة فقد جاء في صحيح البخاري[٥] عن سهل بن سعد[٦]: "ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة". ويبدو أن ما يطبق في يوم الجمعة يطبق في سائر الأيام خاصة وأنه لم يرد ما يدل على وجود وجبة إفطار رسمية كالغداء والعشاء، مما يجعل التبكير فيه أمرًا محتملاً. ولعل ما قيل في الأمثال يعطي دلالة على ذلك. قالوا: "خير الغداء بواكره وخير العشاء بواصره"[٧]. وبعد الغداء

(١) البخاري، صحيح، ١٩٩/٦. والسفر: جمع سُفْرَة، وهي التي يؤكل عليها، سميت بذلك لأنها تبسط عند الأكل. ابن منظور، ١٥٥/٢.

(٢) البخاري، صحيح، ١٩٩/٦. والخوان: المائدة التي يوضع عليها الطعام عند الأكل. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٨٩/٢. ابن منظور، ٩٢٤/١.

(٣) ابن سعد، ٣٩٦/١. الطبري، تهذيب (مسند عمر)، ١٥٥/١. ابن عبدالبر، ١٩٩/١. ابن العربي، ٢٠٩/١- ٢١١.

(٤) ابن ماجه، ٢٣٨/٢. وانظر أيضًا: أبو الشيخ الأصبهاني، ص٦٧- ١٩٩.

(٥) البخاري، صحيح، ٢٢٥/١.

(٦) سهل بن سعد بن مالك الخزرجي الأنصاري. رأى النبي ﷺ وسمع منه، وروى عنه أبو هريرة، وسعيد بن المسيب وغيرهم، توفي في المدينة سنة ٩١هـ/ ٧٠٩م. ابن الأثير، أسد، ٤٧٢/٢.

(٧) الميداني، ٢٤٤/١.

يفضل أفراد الأسرة الخلود إلى النوم وهو ما يسمى بالقائلة[١] أو القيلولة[٢]، وقد جاء في الحديث: "استعينوا بقائلة النهار على قيام الليل ..." [٣].

أما العَشَاء فغالبًا ما يكون بعد صلاة المغرب، فقد جاء في الطبقات[٤]: "فلما غابت الشمس وصلى رسول الله ﷺ المغرب بالناس... قال رسول الله ﷺ: ادنوا فتعشوا". وعن عبدالله بن عباس أنه قال : "... فجاء رسول الله ﷺ بعدما أغسق[٥] فوُضع العشاء ..."[٦].

عادة ما تجتمع الأسرة كلها عند تناول الطعام، ولم أجد ما يدل على فصل رجال الأسرة عن نسائها بل كل الشواهد تشير إلى اجتماعهم حول سفرة واحدة، ومن ذلك ما ورد في الطبقات[٧]: "نزل حجاب نساء رسول الله ﷺ في عمر، أكل مع النبي ﷺ طعامًا فأصابت يده بعض أيدي نساء النبي ﷺ فأُمر بالحجاب". كما كان ابن عمر يجمع أهل بيته على طعامه كل ليلة[٨]. وقيل لعلي بن الحسين: "أنت أبر الناس ولا نراك تؤاكل أمك، قال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون عققتها"[٩]. وجاء في الأغاني[١٠]:

---

(١) ابن سعد، ٤٥٦/٨. ابن شبة، ٤٨٢/٢. الأصفهاني، الأغاني، ١٥٧/٩١.

(٢) ابن منظور، ٢٠٢/٣.

(٣) الطبراني، الكبير، ٢٤٥/١١.

(٤) ابن سعد، ٢٠٢/٢. وانظر أيضًا: ابن شبة، ٣٩/١. السيوطي، مسند علي، ص٧٨.

(٥) أغسق: من غسق الليل وهو أول ظلمته. ابن منظور، ٩٨٧/٢.

(٦) الطبري، تهذيب (مسند عمر)، ١٥٨/١.

(٧) ابن سعد ، ١٧٥/٨. وانظر أيضًا: الطبراني، الكبير، ٢٤٥/٢١.

(٨) ابن سعد، ١٦٥/٤. وانظر أيضًا رواية أخرى: الطبري، تهذيب (مسند عمر)، ١٥٥/١.

(٩) ابن قتيبة، عيون، ٩٧/٣.

(١٠) الأصفهاني ، ٢٩٢/١٩.

"بينما أشعب[١] يتغدى إذ دخلت جارة له ومع أشعب امرأته تأكل". وعلى الرغم من أن جميع الشواهد السابقة تعطي صورة واضحة عن الوضع في المدينة واستمراره حتى تقريبًا منتصف القرن الثاني الهجري إلا أن الدلائل تُقصِّر عن توضيح الصورة في باقي مناطق الحجاز الحضرية بالإضافة إلى باديته. ولكن من المرجح أن الوضع لا يبعد كثيرًا عما هو سائد في المدينة لتشابه العادات. كما أنه من المعروف أن نساء البادية لا يتحرجن من محادثة الرجال ومجالستهم وإن كانوا أغرابًا[٢]، فلا يستبعد أن تشارك نساء الأسرة رجالها في تناول الطعام.

يبدو أن أفراد الأسرة لم يتعودوا مسح أيديهم بالمناديل أو غسلها بالماء بعد الأكل دائمًا، وقد وردت عدة إشارات دلت على استخدامهم للجدران والسواعد والأقدام والنعال وسيلة لمسح أيديهم، فقد شوهد الرسول ﷺ يأكل طعامًا فعندما فرغ مسح أصابعه في الجدار[٣]. كما سئل جابر بن عبدالله عن الوضوء مما مست النار فقال: ".. قد كنا زمان النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك من الطعام إلا قليلاً فإذا نحن وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا..." [٤]. وكما جاء في الطبقات[٥]: "ربما تعشيت عند عمر بن الخطاب فيأكل الخبز واللحم ثم يمسح يده على قدمه ثم يقول: "هذا منديل عمر وآل عمر". وعرف ذلك أيضًا في البادية فقد كانوا لا يغسلون أيديهم بعد الطعام

(١) أشعب بن جبير المدني. يضرب به المثل في الطمع، قيل هو من موالي عثمان بن عفان، توفي سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م. الكتبي، ١/١٩٩- ٢٠٠. خير الدين الزركلي، ١/٣٣٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٢/٤١ ، ٨/٣٢٥.

(٣) الطبراني، الكبير، ٤/٢٩٢.

(٤) البخاري، صحيح، ٦/٢١٤.

(٥) ابن سعد ، ٣/٣١٨. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٣١٧.

ويرون أن فَقْدَ زُهُومة[1] الطعام أشد عليهم من ريحها[2]. إلا أن الرسول ﷺ كان حريصًا على ألا يبيت المسلم وفي يديه ريح طعام قال ﷺ: "إن الشيطان حسَّاسٌ لحَّاسٌ فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده ريح غَمَر[3] فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه"[4]. أما في العصر الأموي فقد ورد ما يدل على غسلهم لأيديهم بعد تناول الطعام[5].

تعددت أنواع الأشربة التي كانت تتناولها الأسرة، فبالإضافة إلى الصبوح الذي سبق ذكره، كانوا يشربون وقت الظهيرة لبنًا يطلق عليه القَيْل[6]. وآخر يسمى الغبوق يشربونه بعد تناول طعام العشاء ويبدو أنه آخر عهدهم بالشرب قبل النوم[7]. أما إذا كانت الأسرة فقيرة فقد تقتصر على شراب واحد فقط. فإما يكون صبوحًا أو غبوقاً[8]. وخلال تناول الأسرة للغداء والعشاء يشربون أنواعًا أخرى من الأشربة[9] مثل نبيذ الزبيب والتمر[10]، والعسل المضروب بالماء

---

(١) زهومة أي: رائحة الشحم أو دسم الطعام. ابن منظور، ٢/٥٨.

(٢) المرتضى، ١/٣٩٥.

(٣) الغمر: ريح اللحم وزُهومته. ابن الأثير الجزري، جامع، ٧/٤٠٣.

(٤) ابن الأثير الجزري، جامع، ٧/٤٠٢. وانظر أيضًا: السيوطي، مسند فاطمة، ص ١٠٠.

(٥) ابن فضل الله العمري، ١٠/٢٦.

(٦) ابن دريد، جمهرة، ٢/٩٧٧.

(٧) ابن قيس الرقيات، ص٨٠. البخاري، صحيح، ٣/٥١. البلاذري، أنساب (الشيخان)، ص٢٧٤. الأصفهاني، الأغاني، ١٨/٤٤. الميداني، ١/٢٠٧، ٢١٠، ٢/٣٨٦.

(٨) الميداني، ١/٢١٠.

(٩) ابن قتيبة، الأشربة، ص ٥٩، ٨٤.

(١٠) ابن سعد، ٨/١٢٥. ابن شبة، ٣/٩٨٨. البلاذري، أنساب، ق٤،١/٨٣. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٣١٧. أبوالشيخ الأصبهاني، ص٢١١. وطريقته تتم بنقع الزبيب أو التمر في تَوْرٍ من حجارة، أو برمة، من الليل إلى الصباح ثم يشرب. ابن سعد، ٨/١٢٥.

أو ما يسمى الحَلْواء[1]، وسويق اللوز[2]، والفَضِيخ[3]، والمريس[4]، والسُّلْت[5] وقد تصفى وتبرد قبل شربها[6].

ومن الأواني المستخدمة في شرب تلك الأنواع من الأشربة الأَقْدَاح[7] والقِعَاب[8] والعِسَاس[9]. كما ورد في القرن الثاني الهجري ما يدل على

(١) ابن قتيبة، عيون، ٣/٢٠٥. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٣١٨. أبو الشيخ الأصبهاني، ص٢١١.

(٢) ابن سعد، ١/٣٩٥. وسويق اللوز: يبدو أنه مدقوق اللوز مضاف إليه الماء وقد سماه الرسول ﷺ شراب المترفين. ابن سعد، ١/٣٩٥.

(٣) ابن دريد، جمهرة، ١/٦٠٧. الطبراني، الكبير، ١٢/٤٠٤. الأصفهاني، الأغاني، ٦/٣١١. ابن منظور، ٢/١١٠٤. والفضيخ: هو عصير العنب أو رُطب يُشدخ بحجر يسمى المِفضخة ثم ينتبذ في آنية تسمى المفاضخ. وقد يضاف له التمر. وهو شراب قد نُهِي عنه. ابن دريد، جمهرة، ١/٦٠٧. الطبراني، الكبير، ١٢/٤٠٤.

(٤) ابن دريد، جمهرة، ٢/٧٢١. والمريس هو: مرس التمر في اللبن أو الماء ثم شربه. ابن دريد، جمهرة، ٢/٧٢١.

(٥) ابن فضل الله العمري، ١٠/٥٩. والسلت: نوع من أنواع الشعير لا قشر له يشبه الحنطة يزرع في الحجاز ويتبردون بسويقه في الصيف. ابن منظور، ٢/١٧٨- ١٧٩.

(٦) الطبراني، الكبير، ٦/٢٤٨.

(٧) ابن سعد، ١/٤٨٤، ٤/١٥٥. مسلم، ٣/١٥٩٣. ابن ماجه، ١/٢٩٧، ٢/١٥، ٢٦٤. ابن قتيبة، الأشربة، ص ٤٧. والأقداح: مفردها قَدَح وهي آنية تُرْوي الرجلين تصنع من الخشب أو الزجاج. وقد تكون مفضضة أو مضببة بنحاس. ابن سعد، ١/٤٨٤، ٤/١٥٥. الطبراني، الكبير، ٢٠/٥٥. الثعالبي، فقه، ص ٢٤١. ابن فضل الله العمري، ١٠/٢٢. ابن منظور، ٣/٢٧. الفيروزآبادي، القاموس، ص٣٠١.

(٨) أمية بن أبي الصلت، ص٦٦. ابن سعد، ٢/١٣٨، ٨/٤٦٠. والقعاب: جمع قَعْب وهي "القدح الضخم، الغليظ، الجافي، وقيل: قدح من خشب مقعر". والراجح أنه أصغر من القدح فهو يُرْوي رجلاً واحدًا. الثعالبي، فقه، ص٢٤١. ابن منظور، ٣/١٢٥.

(٩) ابن سعد، ٢/١٨٢. ابن ظفر الصقلي، ص٧٠. والعساس: جمع عُسّ، وهو القدح الضخم. الأبهري، ص٢٠٩. ابن منظور، ٢/٧٧٦.

استخدامهم أثناء شربهم من تلك الأواني نوع من أنواع القصب يسمى اليراع[١] يبدو أنه مجوف[٢] وهو مشابه لما هو معروف حاليًا عند شرب المرطبات.

بالإضافة إلى ما سبق، تعتمد الأسر الفقيرة على الزوجة في غزل الثياب ونسجها لتأمين الكساء لأفرادها[٣].

تمارس ربة البيت الأعمال السابقة إن كانت تعيش في أسرة نووية[٤]، أما إذا كان المسكن يشتمل على نساء أخريات مثل أم الزوج أو أخته أو زوجة أخرى فمن البديهي أن الأعمال المنزلية تقسم بينهن، فعن علي بن أبي طالب أنه قال لأمه فاطمة بنت أسد[٥] بعد أن تزوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ: "اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك خدمة الداخل الطحن والعجن"[٦]. وعدم تقسيم العمل يؤدي إلى التهاون في فعله، فقد أمر الزبير بن العوام زوجته أسماء بنت أبي بكر وامرأة له أخرى أن تكنسا ما تحت فراشه ثم خرج، وبعد عودته وجد العمل لم يتم[٧].

لا تقتصر الأعمال المنزلية في الأسرة على المرأة فقط، بل لرب الأسرة دور في بيته، ولا شك أنه يرتدي لذلك لباسًا خاصًا يختلف عن لباس الزينة قد

---

(١) الزبير بن بكار، جمهرة، ٢/٢٩٢.

(٢) ابن منظور، ٣/١٠٠٨- ١٠٠٩.

(٣) ابن أبي شيبة، مسند، ١/٩٧. ابن حبيب، أدب، ص٢٨١- ٢٨٢. أبو الشيخ الأصبهاني، ص١٢٣.

(٤) Nuclear Family. وتتكون من زوج واحد وزوجة واحدة وأطفالهما. عاطف وصفي، الأنثروبولوجيا الاجتماعية (د. ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت د.ت) ص٩١.

(٥) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف القرشية. هاجرت إلى المدينة وتوفيت في حياة الرسول ﷺ. ابن الأثير، أسد، ٧/٢١٧.

(٦) الطبراني، الكبير، ٢٤/٣٥٣. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، ٤/٣٨٠.

(٧) ابن حبيب، أدب، ص ٢٥٠ - ٢٥١.

يطلق عليه اسم مِبذَلة[١]، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب لأحد أبنائه بعد أن رآه لبس حلة جديدة وألقى الثياب التي عليه: "يا بني خذ ثيابك هذه لتكون لمهنة أهلك وتكون هذه لزينتك"[٢]. أما طبيعة هذا العمل فقد أوضحته عائشة أم المؤمنين عندما سئلت عن عمل الرسول ﷺ فقالت: "كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما تعمل الرجال في بيوتهم"[٣]. ويضاف إلى مهمات رب الأسرة شراء احتياجات الأسرة اليومية[٤]، أو الموسمية، وإن كان مقتدرًا كلف بعمله هذا أحد الأشخاص[٥]. ومن الأعمال الأخرى التي يمارسها الرجل الاهتمام بالدواب، فقد كان رسول الله ﷺ يطلي أباعر له بالقطران ويَسِمُهَا بنفسه[٦]، كما كان عمر بن الخطاب يحمل قربة الماء على ظهره لأهله[٧]، وعبيدالله بن العباس[٨] كان يعتني بغنم له في مسكنه[٩]. أما عمل الرجل في خارج البيت فيرتبط بتأمين قوت العيش[١٠]. وقد يمارس بعضهم ذلك في بيته وخاصة أصحاب الصناعات[١١].

(١) الثعالبي، فقه، ص ٢٢٦.

(٢) البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٢٨٦.

(٣) ابن سعد، ٣٦٦/١. وانظر أيضًا: البخاري، صحيح، ١٦٤/١. ابن شبة، ٦٣٧/٢. البلاذري، أنساب، ٥٠٨/١. أبو الشيخ الأصبهاني، ص٢١، ٦٢. الطبري، السمط، ص ١٢.

(٤) البلاذري، أنساب، ٨/٥.

(٥) ابن سعد، ٤٣٢/٥.

(٦) ابن سعد، ٧٥/٥، ٤٣٣/٨. ابن شبة، ٧١٠/٢.

(٧) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد (ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٠م)، ص١١.

(٨) عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. كان سخيًا جوادًا، استعمله علي ابن أبي طالب على اليمن، مات في المدينة سنة ٨٧هـ/ ٧٠٥م. الزبيري، ص٢٧. خير الدين الزركلي، ١٩٤/٤.

(٩) ابن حبيب، المحبر، ص١٤٦.

(١٠) سنتحدث عن ذلك من خلال موضوع الموارد المالية للأسرة.

(١١) البخاري، صحيح، ٢٠٦/٦. مسلم، ١٨٠٧/٤.

أما في البادية فيعتمد عمل الرجل على رعي إبله أو أغنامه والإشراف عليها وحلبها، فقد كان من العار عندهم أن تحلب النساء[1]. ومن الواضح أن ممارسته لتلك الأعمال تتم إن كان غير قادر على استئجار من ينوب عنه. أما الأغنياء فلديهم من يكفيهم ذلك، لذلك يقضون وقتهم جلوسًا بغير عمل[2].

تستخدم كثير من الأسر الخدم في تسيير شؤون الحياة اليومية، ويحرص الأب أو رب الأسرة على توفيرهم لأهله، فعندما شارك حماس بن قيس[3] في حرب المسلمين خلال فتح مكة[4] قال لامرأته: "إني لأرجو أن يُخدِمك الله منهم فإنك محتاجة إلى خادم"[5]. كما رُوِي أن علي بن أبي طالب توفي ولم يترك إلا ثمان مئة درهم أو أقل كان قد أعدها ليشتري بها خادمًا لأهله[6]. وبينما ترك نساء الأسر الغنية إلى الراحة معتمدات على وجود من يكفيهن مهمة الخدمة في المسكن، فإن نساء الأسر المتوسطة الحال كن يشاركنهم العمل فقد أخدم الرسول ﷺ ابنته فاطمة جارية فكانت تشاطرها الخدمة، تعجن وفاطمة تخبز[7]، كما أرسل أبو بكر الصديق إلى ابنته أسماء خادمة فكفتها سياسة الفرس[8].

---

(١) الميداني، ٢/٤١٤.

(٢) جواد علي، ٤/٦٠٦.

(٣) حماس بن قيس وقيل حماس بن خالد بن مالك الدُئلي. كان بمكة يوم الفتح، ابن الأثير، الكامل، ٢/٢٤٦. ابن حجر، الإصابة، ١/٣٥٢.

(٤) فتحت مكة في سنة ٨هـ/ ٦٢٩م. الطبري، تاريخ، ٣/٤٢.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ١/٣٥٢.

(٦) ابن سعد، ٣/٣٨. ابن عبدالبر، ٣/٤٨.

(٧) ابن حجر، الإصابة، ٤/٣٨٧.

(٨) السابق، ٤/٢٣٠.

ولا شك أن هذا الوضع استمر طيلة مدة الدراسة بدلالة استمراره حتى الوقت الحاضر.

أما أطفال الأسرة فقد سبق أن تطرقت الدراسة إلى حياتهم اليومية عند الحديث عن الاحتفال بختم القرآن. هذا بالإضافة إلى قضاء أوقات فراغهم إما في مساعدة أهلهم أو في اللعب.

هذه هي أهم الملامح التي قد تصور لنا طبيعة الحياة اليومية لأفراد الأسرة التي لا شك أنها تختلف باختلاف المستوى المعيشي.

ثانياً - العلاقات الأسرية:

يترتب على قيام الكيان الأسري ظهور علاقات بين أفراده، وبناءً عليه تتضح طبيعة الحياة الأسرية، ومدى استقرارها، ولا شك أن تلك العلاقات تتنوع بتنوع القرابة. لذلك يمكن تصنيفها إلى الآتي:

- العلاقة بين الزوجين:

تعد المودة والمحبة المعيار الأساس الذي يتحكم في العلاقة بين الزوجين، فقد يرتفع هذا المعيار وقد ينخفض ولكل منهما مظاهره الدالة عليه. وللإحاطة بمعظم مظاهر تلك العلاقة لا بد من الإجابة عن عدة تساؤلات: ما مظاهر العلاقة الودية بين الطرفين ؟ وما طبيعة معاملة الزوج لزوجته؟ وما الظروف التي تساعد على ظهور غَيْرة الزوج؟ وهل لسوء خلق الزوجة أثر في علاقتها بزوجها؟ وهل كانت كل الأسر في الحجاز أسرًا نموذجية أم عانت بعضها من الخيانة الزوجية؟

تميزت بعض العلاقات الزوجية بالتقدير والرعاية والمحبة بين الطرفين، واتضح ذلك من خلال أشكال عدة كان الزوج أو الزوجة يُعبِّران من خلالها عن

مشاعرهما تجاه بعضهما، ومن ذلك حسن استقبال الزوجة لزوجها عند عودته من الخارج، فكانت تحرص على ترتيب فراشه قبل عودته، وتستقبله عند الباب، وتأخذ منه رداءه، ثم إذا قعد على فراشه تخلع نعليه، ثم تقدم له الطعام(1). كما وضحت تلك المشاعر أيضًا باستخدام الشِّعر، وهي ظاهرة عرفت في مدة الدراسة، وتعد استمرارًا لما كان موجودًا في العصر الجاهلي. فقد كان أبو العاص بن الربيع محبًا لزوجته زينب بنت رسول الله ﷺ محسنًا لها(2) فكان يقول:

ذَكرتُ زَينبَ لمّا وَرّكتُ(3) إِرَمًا(4) فقلتُ: سَقيًا لشخصٍ يسكنُ الحرَما

بنتَ الأمينِ جزاها الله صالحةً وكلُّ بعلٍ سيُثني بالذي علما(5)

ووضحت محبة أبي العاص لها في أعظم صورها برفضه طلب قريش منه أن يفارقها بعد بعثة الرسول ﷺ، ولم تنس زينب محبة زوجها لها بعد إسلامها، فلم تتردد في الوقوف إلى جانبه عندما أُسِر في سنة ٦هـ/ ٦٢٧م(6). كما كان حسان ابن ثابت يُشبِّب بزوجته الشعثاء(7) في قصائده(8). واستمر هذا المظهر في العصر الأموي، ومن ذلك ما أنشده الحسين بن علي في زوجته الرباب وابنته سكينة:

---

(1) ابن حبيب، أدب، ١٦٢.

(2) ابن قدامة، التبيين، ص ٨٨.

(3) "ورك بالمكان وروكًا: أقام، وكذلك تورك به". ابن منظور، ٩١٥/٣.

(4) إرم: اسم جبل في ديار جُذام بين أيلة وتيه بني إسرائيل. ياقوت، البلدان، ١٥٤/١- ١٥٥.

(5) ابن سعد، ٣٢/٨. ابن عبدالبر، ٣١٢/٤. ابن عساكر، تاريخ - السيرة - ١٠٤/١.

(6) الطبراني، الكبير، ٤٢٧/٢٢.

(7) الشعثاء بنت سالم الأسلمية، وقيل بنت هلال الخزاعية. حسان بن ثابت، ص١٣٢. ابن حجر، الإصابة، ٣٤١/٤.

(8) حسان بن ثابت، ص٧١.

لعَمْــرُكَ إنَّنِــي لأُحِــبُّ دَارًا ... تُضَيِّفُهــا سُكَيْنَــةُ وَالرَّبــابُ
أُحِبُّهُمَــا وأَبْــذُل بَعْــدُ مَالِي ... وَليْسَ لِلائِمِـي فِيهــا عِتَــابُ
وَلَسْتُ لَهُمْ وإنْ عَتِبُـوا مُطِيعًــا ... حَيَاتِــي أَوْ يُغَيِّبَـنِي التُّــرابُ[1]

وقد وفت الرباب لزوجها الحسين فلم تتزوج بعده[2]. كما شبَّب الحارث ابن خالد المخزومي[3] بزوجته أم عبدالملك بنت عبدالله[4] قائلاً:

يَا أُمَّ عِمْرانَ ما زالَتْ وما بَرِحَتْ ... بنَا الصَّبَابَةُ حتَّى شَفَّنَا الشَّفَــقُ
والقَلْبُ تاق إلَيْكُمْ كَيْ يُلاقِيَكُمْ ... كَمَا يَتُوق إلى مَنْجَاتِـهِ الغَــرِقُ[5]

كما وضحت هذه الظاهرة في البادية أيضًا منذ العصر الجاهلي، فقد شبب النمر بن تولب[6] بزوجته دعد[7] في قوله:

---

(١) الزبيري، ص٥٩. ابن قتيبة، المعارف، ص٢١٣. الأصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر (د. ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) ص٩٠. ابن الفرضي، ص ٨٩. الكسائي، ورقة ٦٢.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٣٩٧.

(٣) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم. أحد شعراء قريش المعدودين في الغزل، ولاه عبدالملك بن مروان مكة، توفي حوالي سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م. الزبيري، ص ١٩٢، ٣١٣. الأصفهاني، الأغاني، ٣/٣٠٨- ٣٠٩. خير الدين الزركلي، ١/١٥٤.

(٤) أم عبدالملك بنت عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية. تكنى بأم عمران، كانت قد تزوجت قبله عبدالله بن مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة، من بني عدي بن كعب. الزبيري، ص ١٩٢، ٣٨٥.

(٥) الزبيري، ص١٩٢. ابن الفرضي، ص٩٠. الحصري، المصون، ص ٤٢.

(٦) النمر بن تولب بن زهير بن أقيش بن عبد بن كعب... العكلي. كان شاعرًا مخضرمًا وفد على النبي ﷺ، يعد من المعمرين، توفي نحو سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م. أبو حاتم السجستاني، ص ٨٧. الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/٢٧٤. ابن حجر، الإصابة، ٣/٥٧٢- ٥٧٣. خير الدين الزركلي، ٨/٤٨.

(٧) دعد من بني عكل من فخذ النمر بن تولب الأدنين. امرأة وصفت بالجمال والصلاح، تزوجها النمر بن تولب بعد وفاة امرأته الأسدية فشغلته عن ذكرها. الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/٢٨٠.

أهِيمُ بِدَعْدٍ ما حِيِيتُ فإنْ أمُتْ   أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ من يَهيمُ بها بَعْدِي[1]

كما قال محمد بن بشير الخارجي مادحًا زوجته عندما اشترطت عليه إحداهن طلاقها إن أراد الزواج بها:

أأطلب الحُسْن في أخرى وأتركها   فذاك حين تركتُ الدِّين والحسبا

هي الضَّعينةُ لا يُرْمى برُمَّتها   ولا يُفجِّعها ابن العم ما اصطحبا

فما خلوت بها يومًا فتعجبني   إلا غدا أكثر اليومين لي عجبا[2]

وتتساءل إحدى الباحثات[3] عن البواعث التي تدفع الزوج للزواج بأخرى إن كانت الزوجة على هذا المستوى الرفيع من الصفات؟!

بلغت محبة الزوجين لبعضهما أنهما كانا يحرصان على أخذ المواثيق والعهود بعدم زواج أحدهما بعد وفاة الآخر. وقد عرف ذلك في الحاضرة والبادية، ولكن يبدو أن هذا العهد بين الزوجين وإن كان ذا دلالة على ما بينهما من محبة إلا أن الوفاء به أمر يصعب على بعض الأزواج والزوجات. وقد علَّل أحدهم عدم وفائه بما عاهد به زوجته بقوله:

خَطَبْتُ، كما لو كُنتُ قد مُتُّ قبلها   لكانت - بلا شك - لأول خاطبِ

إذا غاب بعلٌ كان بعلٌ مكانه   ولا بدّ من آتٍ وآخر ذاهبِ[4]

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/٢٨٠.

(٢) السابق، ١٦/١٢٠.

(٣) رجاء عودة، شعر الأسرة في العصر الأموي (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٦هـ) ص ٢١٤.

(٤) الوشاء، ١/١٤٣.

كما عللت إحداهن عدم وفائها لما عاهدت به زوجها بقولها:

لقد كـان حُبّي ذاكَ حُبـًا مُبرِّحًـا وحُبِّـي لـذا إذ مـاتَ ذاكَ شـديـدُ

وكانـت حياتـي عنـدَ ذلكَ جَنَّـةً وحُبِّـي لـذا طـولَ الحيـاةِ يَزيـدُ

فلمَّا مضَى عـادَت لهـذا مَوَدَّتـي كذاك الهَوى بعـدَ الممـاتِ يبيـدُ[1]

قد تبلغ أنانيـة الحب عند بعض الأزواج منتهاهـا حين يتدخلون وهم على وشك الموت في مستقبل زوجاتهم كما فعل عبدالله بن أبي بكـر الصديق[2] مع زوجته عـاتكة بنت زيد عندما طلب منها عهدًا بعدم الزواج من بعده محـاولاً إغـراءهـا بقبـول ذلك عن طريق منحهـا بستـانًا له[3]. كمـا اضطرت امـرأة عبدالرحمن بن الحـارث المخزومي[4] أن تحلف له بأنهـا لن تتزوج بعده وذلك بعد أن قال قبيل موته: "وما موتي بأشد عليَّ من تمتع أم هشام[5]، أخاف أن تتزوج"[6]. إلا أنه غالبًا ما تنكث المرأة بعهدها بعد وفاة الزوج حيث يبدو أن عهدها لم يكن إلا لتطييب نفس الزوج قبيل وفاته، فقد تزوجت عاتكة بنت زيد

---

(١) الوشاء، ١/١٤١- ١٤٢. ابن الجوزي، أخبار، ص١٣١.

(٢) عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله بن عثمان بن عامر التيمي القرشي. هو الذي كان يأتي النبي ﷺ وأباه أبا بكر بالطعام وبأخبار قريش إذ هما في الغار. شهد الطائف مع رسول الله ﷺ، مات سنة ١١هـ/ ٦٣٢م. ابن الأثير، أسد، ٣/٢٩٩.

(٣) المدائني، ١/٦٩. ابن سعد، ٨/٢٦٥. البخاري، الصغير، ١/٦٢. الفاسي، العقد، ٨/٢٧٥- ٢٧٦.

(٤) نسبت هذه الرواية أيضًا لعبدالرحمن بن عمرو بن سهل. البلاذري، أنساب، ٨/٢٠٠. ولعبدالرحمن بن سهيل بن عمرو. الأصفهاني، الأغاني،١٣/٤٣. كما نسبت لعبدالرحمن بن هشام. ابن الجوزي، أخبار، ص١٣١. وما أثبتناه في المتن كان اعتمادًا على أقدم المصادر التي ذكرت هذه الرواية. ابن قتيبة، عيون، ٤/١١٧- ١١٨.

(٥) أم هشام بنت عبدالله بن عمر بن الخطاب. الأصفهاني، الأغاني، ١٣/٤٣.

(٦) ابن قتيبة، عيون، ٤/١١٧- ١١٨. وانظر أيضًا إشارة أخرى: البلاذري، أنساب، ٩/٤٤٩، ١٠/١٥٠. ابن الجوزي، ذم، ص ٦٤٩- ٦٥٠.

من عمر بن الخطاب[١]، وتزوجت أم هشام من عمر بن عبدالعزيز[٢]. وقد يظهر تدخل الزوج عن طريق حرصه على أن لا تتزوج زوجته بعد وفاته من شخص بعينه يحدده بالاسم، أو قد يصفه بصفات، فعلي بن أبي طالب لما حضرته الوفاة أوصى زوجته أمامة بنت أبي العاص إن كان لها رغبة في الزواج من بعده أن لا تقبل بمعاوية بن أبي سفيان زوجًا لها[٣]. كما أن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان حريصًا على أخذ العهد من زوجته[٤] بأن لا تتزوج بعد وفاته من عبدالله بن عمرو بن عثمان[٥]. كما اضطرت زوجة حمزة بن عبدالله بن الزبير أن تحلف له عند وفاته بأنها لن تتزوج من طلحة ابن عمر[٦] بسبب قوله لها: "كأني بك قد تزوجت طلحة بن عمر"[٧]. أما حسان بن ثابت فقد حدد صفاتٍ بعينها نهى زوجته أن تختار من يتصف بها زوجًا لها بعد وفاته، قال:

فإمَّا هلكتُ فلا تَنْكِحِي ... خذولَ العَشِيرةِ حَسَّادَها
يَرى مدْحَةً شَتْمَ أَعْرَاضِها ... سَفاهًا ويُبغِضُ مَنْ سَادَها[٨]

---

(١) المدائني، ١/ ٧٠. الأصفهاني، الأغاني، ١٨/٦٦.

(٢) البلاذري، أنساب، ٨/٢٠٠. الأصفهاني، الأغاني، ١٣/٤٣. ابن الجوزي، أخبار، ص١٣١.

(٣) الزبير بن بكار، أزواج، ص ٢٩. ابن عبدالبر، ٤/٢٤٦- ٢٤٧. ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٣٧.

(٤) هي فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب. الزبيري، ص ٥١.

(٥) الزبيري، ص٥١- ٥٢. البلاذري، أنساب، ق٤، ١/٦٠٥، ٥/١١٠. الوشاء، ١/١٤٢. ابن عساكر، تاريخ - تراجم - ص٢٧٩. ابن الجوزي، ذم، ص ٦٤٨- ٦٤٩. ابن أحمد بن هشام، ورقة ٥٤- ٥٥. الكسائي، ورقة ٦٤- ٦٥. البقاعي، ورقة ٢٣١أ.

(٦) طلحة بن عمر بن عبيدالله بن معمر التيمي. الزبيري، ص٢٨٩.

(٧) الزبير بن بكار، جمهرة، ٢/١٢٩أ. وانظر أيضًا: البقاعي، ورقة ٢٣٠ب.

(٨) حسان بن ثابت، ص١٠٣، وانظر أيضًا برواية أخرى: المبرد، الكامل، ١/١٤٢- ١٤٣.

كما اشترط هدبة بن خشرم[1] على زوجته وهو على وشك أن يقتل أن لا تتزوج من وصفه بقوله:

فلا تنْكِحِي إنْ فَرَّق الدَّهرُ بيننا أغمَّ القَفا والوجهِ[2] ليس بأنْزَعا[3]

وكُوني حَبِيسًا[4] أو لأروعَ ماجدٍ إذا ضَنّ أعشاشُ الرِّجال[5] تبرَّعا[6]

وقد يحدد بعضهم لزوجته شخصًا ليكون زوجًا لها بعد وفاته حرصًا منه عليها كما فعل الحسن بن علي بن أبي طالب الذي أمر أخاه الحسين أن يتزوج زوجته أم إسحاق بنت طلحة[7]. وقد توصي الزوجة بمثل ذلك أيضًا حيث قيل: إن علي بن أبي طالب تزوج من أمامة بنت أبي العاص بوصية من خالتها فاطمة بنت رسول الله ﷺ[8].

لا شك أن فقد المرأة لزوجها يعد من أعظم المصائب عليها، ويرى أحمد الحوفي[9] أن الزوجة "كانت تعظُم فجيعتها في زوجها أكثر من فجيعتها في

---

(١) هدبة بن خشرم العُذري. من أهل بادية الحجاز، شاعر فصيح، عاصر ولاية سعيد بن العاص على المدينة، قتل قَوَدًا حوالي سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م. ابن قتيبة، الشعر، ص٣٥٣- ٣٥٤. خير الدين الزركلي، ٧٨/٨.

(٢) الغمم: أن يسيل الشعر حتى يضيق الوجه والقفا. ابن منظور، ١٠٢٠/٢.

(٣) النزع: انحسار مقدم شعر الرأس عن جانبي الجبهة والعرب تحب ذلك، وتتيمن بالأنزع، وتذم الغمم وتتشاءم بالأغم وترى أن أغم القفا والجبين لا يكون إلا لئيمًا. ابن منظور، ٦١٧/٣.

(٤) حبيسًا: أي تتمنع عن الزواج. ابن منظور، ٥٥١/١.

(٥) أعشاش الرجال: قليلو المعروف، من عش المعروف يعشه عشًا، إذا قلله. الزبيدي، ٢٦٣/١٧.

(٦) ابن قتيبة، الشعر، ص٣٥٥. الأصفهاني، الأغاني، ٢٧١/٢١- ٢٧٢. وتبرع: أي أعطى من غير سؤال أو تفضل بما لا يجب عليه. ابن منظور، ١٩٦/١.

(٧) المدائني، ١/ ٧٦.

(٨) ابن عنبة، بحر، ورقة ٧أ.

(٩) أحمد الحوفي، ص٢١٥.

أخيها وخالها". وكأنه يدلل بذلك على تفوق مكانة الزوج على مكانة الأخ والخال، واستدل على رأيه ذلك بموقف حمنة بنت جحش[1] التي نعى لها الرسول ﷺ أخاها[2] وخالها[3]، فما كان منها إلا أن استرجعت ثم استغفرت لهما، وعندما نعى لها زوجها مصعب بن عمير[4] صاحت وولولت فعلق ﷺ على هذا الموقف منها بقوله: "إن زوج المرأة منها بمكان"[5]. إلا أن ما ذكره أحمد الحوفي لا يمكن أن يتخذ قاعدة عامة، كما أن ما ذكره الواقدي[6] يفسر لنا موقف حمنة من وفاة زوجها، فعندما سألها الرسول ﷺ عن سبب موقفها ذلك وكأنه استنكره منها، ردت عليه قائلة: "يا رسول الله ذكرت يُتْمَ بنيه فراعني".

حرصت بعض الزوجات على إظهار الوفاء لأزواجهن بعد وفاتهم بامتناعهن عن الزواج، وقد وضح ذلك في الجاهلية والإسلام، ومن ذلك أن إحدى نساء بني عامر بن صعصعة[7] توفي عنها زوجها وحاول ابنا عمها أن يرغماها عن

---

(١) حمنة بنت جحش بن رباب بن يعمر، من بني أسد بن خزيمة. أمها عمة رسول الله ﷺ، كانت من المهاجرات وشهدت أحدًا، وروت عن النبي ﷺ. ابن الأثير، أسد، ٦٩/٧- ٧٠.

(٢) أخوها عبدالله بن جحش. ابن هشام، ٥٠/٣.

(٣) خالها حمزة بن عبدالمطلب. ابن هشام، ٥٠/٣.

(٤) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار بن قصي. أسلم في دار الأرقم بن الأرقم وكتم إسلامه، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الأولى ثم عاد مع المسلمين حين رجعوا ثم هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة. استشهد في غزوة أحد سنة ٣هـ/ ٦٢٤م. ابن سعد، ١١٦/٣- ١١٧.

(٥) ابن هشام ٥٠/٣. الطبري، تاريخ، ٥٣٢/٢. ابن المرزبان، أحمد بن خلف، من توفي عنها زوجها فأظهرت الغُموم وباحت بالمكتوم، تحقيق عبدالعزيز المانع، مجلة كلية الآداب، المجلد الثامن، ١٩٨١م، الرياض، ص١٤٧.

(٦) ٢٩٢/١.

(٧) بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. كانت ديارهم تمتد من الطائف شرقًا إلى جنوب نجد. القلقشندي، قلائد، ص١١٥. عاتق البلادي، قبائل، ص٢٩٧.

طريق أحد شيوخهم على اختيار أحدهما زوجًا لها خوفًا عليها من القالة وهي لا تزال شابة وكان زوجها قد دفن بمقبرة تدعى حَوضى، فعندما عُرض عليها هذا الأمر قالت:

فإن تَسألاني عن هَواي فإنَّه رهينٌ بحَوضَى أيّها الفَتيانِ
وإن تَسألاني عن هَواي فإنَّه رهينٌ له بالحبِّ يا رَجُلانِ
وإني لأستحييه والموت دوننا كما كنت أستحييه حين يراني
أهابُكَ إجلالاً وإنْ كُنتَ في الثَّرى لِوجهكَ يومًا إن يَسُؤْكَ مكاني[1]

كما وفت نائلة بنت الفرافصة[2] لزوجها عثمان بن عفان بعد وفاته، وعندما خطبها معاوية ابن أبي سفيان، وألح في ذلك قلعت ثنيتيها وبعثت بهما إليه فتوقف عن إلحاحه[3]. وكذلك كان موقف الرباب بنت امرئ القيس وكانت زوجة للحسين بن علي، فعندما قُتل وخُطبت قالت: "والله لا اتَّخذتُ حموًا بعد رسول الله ﷺ"[4] . كما خطب معاوية بن أبي سفيان أم الدرداء[5] بعد وفاة زوجها، فقالت: "ما كنت لأختار على أبي الدرداء[6] وقد قال رسول الله ﷺ: إذا اجتمعت المرأة وزوجاها في الجنة كانت لآخرهما"[7]. ومن المظاهر الدالة

(١) الوشاء، ١/١٥١.
(٢) نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث من بني كلب. الزبيري، ص ١٠٥.
(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٣٩٦. ابن المرزبان، ص١٤٨- ١٤٩. الوشاء، ١/١٤٦.
(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٩٦- ٣٩٧.
(٥) هي أم الدرداء الصغرى، قيل اسمها هجيمة أو جهيمة، وقيل: إن أبا الدرداء تزوجها بعد وفاة أم الدرداء الكبرى وبعد وفاة الرسول ﷺ، ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٩٥.
(٦) أبو الدرداء هو: عويمر وقيل عامر واختلف في اسم أبيه أيضًا، يصل نسبه إلى قيس بن أمية ابن عامر الخزرجي الأنصاري. أسلم يوم بدر قيل: إنه مات سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م. ابن حجر، الإصابة، ٣/٤٦- ٤٧.
(٧) ابن حبيب، المحبر، ص٣٩٧.

على عدم رغبة المرأة في الزواج بعد موت زوجها أن تنوح عليه قائمة كما فعلت عائشة بنت طلحة بعد وفاة زوجها عمر بن عبيدالله بن معمر(١).

يعد رثاء الزوج بعد موته إحدى الإشارات الدالة على علاقة المحبة التي كانت تربط بين الاثنين، ففي العهد الجاهلي رثت آمنة بنت وهب زوجها عبدالله بن عبدالمطلب(٢). واستمر رثاء الأزواج في الإسلام، فقد رثت عاتكة بنت زيد كل من استشهد من أزواجها(٣)، وكذلك فعلت نائلة بنت الفرافصة بعد مقتل زوجها عثمان بن عفان(٤). وعلى الرغم من أن الرثاء قد اشتهر بين النساء بكونه مظهرًا من مظاهر حب الزوج إلا أن رثاء الرجال لزوجاتهم كان نادرًا في الجاهلية وصدر الإسلام، ومنه قول يعلى بن مُنية(٥) يرثي زوجته زينب بنت الزبير(٦):

بوجهك عن مَسِّ التُّرابِ مَضِنَّة　　　فلا تَبْعدِي فكلُّ حيٍّ سيذهبُ

---

(١) المدائني، ٨٤/١. البلاذري، أنساب، ١٤١/١٠- ١٤٢. الأصفهاني، الأغاني، ٣٧٤/٢. ابن عساكر، تاريخ - تراجم - ص٢١٢. ابن فضل الله العمري، ١٧/١٠.

(٢) ابن سعد، ١٠٠/١.

(٣) ابن سعد، ١١٢/٣. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٣٦٤. ابن شبة، ٩٤٨/٣. الوشاء، ١٤٠/١- ١٤١.

(٤) الزبيري، ص١٠٥. البلاذري، أنساب، ق٤، ٤٩٦/١. الوشاء، ١٤٦/١. وانظر أيضًا إشارات أخرى عن رثاء النساء لأزواجهن : ابن المرزبان، ص ١٤٨- ١٥٤.

(٥) يعلى بن مُنية أو يعلى بن أمية، ينسب إلى أمه منية بنت جابر من بني مازن بن منصور، وأحيانًا إلى أبيه أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحارث التميمي الحنظلي. حليف لبني نوفل بن عبدمناف، أسلم يوم الفتح، وقتل سنة ٣٨هـ/ ٦٥٨م. ابن سعد، ٥٤٦/٥. ابن الكلبي، هشام بن محمد، جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن (ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م) ص ٢١٢. ابن الأثير، أسد، ٥٢٣/٥.

(٦) زينب بنت الزبير بن العوام بن خويلد. كانت قبله عند عنبسة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية. الزبيري، ص٢٣٦.

تنكَّرتِ الأبـوابُ لمَّـا دخلتُهـا وقالـوا ألا قد بانـت اليـومَ زَينـبُ
أأذهـبُ قد خلّيت زينبَ طائعًا ونَفسي معي لم أَلقها حيث أذهبُ[١]

ويبدو أن ذلك عائد لإنكار العرب على الرجل إظهار حزنه على زوجته، فعندما جزع أسيد بن الحضير[٢] على وفاة زوجته وبكى قيل له : "غفر الله لك أنت صاحب رسول الله ﷺ ولك من السابقة والقدم ما لك وأنت تبكي امرأة؟"[٣]. وعندما ماتت امرأة بكر بن عبدالله المزني[٤] واشتد حزنه عليها، نهاه الحسن البصري[٥] عن ذلك[٦].

أما عن طبيعة معاملة الزوج لزوجته فيتضح من خلال بعض الإشارات أن معاملة أهل مكة لزوجاتهم كانت تختلف عن معاملة أهل المدينة لهن وخاصة في العصر الجاهلي وبعد الهجرة، يتضح ذلك من قولٍ لعمر بن الخطاب جاء فيه: "كنا - معشر قريش - نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قومٌ تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار"[٧].

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٧٦.

(٢) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد، من بني عبدالأشهل، من الأوس. من السابقين إلى الإسلام وهو أحد النقباء ليلة العقبة، توفي حوالي سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م. ابن حجر، الإصابة، ٤٩/١.

(٣) ابن سعد، ٤٣٤/٣.

(٤) بكر بن عبدالله المزني. كان فقيهًا ثقة ثبتًا كثير الحديث، توفي حوالي سنة ١٠٨هـ/٧٢٦م. ابن سعد، ٢٠٩/٧، ٢١١.

(٥) الحسن البصري هو: الحسن بن أبي الحسن يسار، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، ويسار أبوه من سبي ميسان، سكن المدينة ثم أعتق، وتزوج مولاة لأم سلمة أم المؤمنين فولد له الحسن فكان سيد أهل زمانه علمًا وعملاً. توفي سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م. الذهبي، ٥٦٣/٤- ٥٦٥، ٥٨٧.

(٦) المبرد، محمد بن يزيد، التعازي والمراثي، تحقيق محمد الديباجي (ط٢، دار صادر، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص١٣٨.

(٧) ابن سعد، ١٨٢/٨. النسائي، عشرة، ص١٥٩.

من الواضح أن ضرب النساء كان شيئًا معروفًا في العصر الإسلامي، ولا شك أنه من موروثات العصر الجاهلي فقد كان حنظلة بن عثمان[1] له زوجة هي ابنة عم له، وله منها أولاد صغار، فغضب عليها ذات مرة فضربها فدخلت عليها إحدى جاراتها وهي تبكي فسألتها عن السبب فقالت: "هذا الخبيث يضربني ويسيء صحبتي"[2]. وعلى الرغم من أن الرسول ﷺ حاول أن يمنع الصحابة من ضرب زوجاتهم بقوله عليه الصلاة والسلام: "لا تضربوا إماء الله"[3]. إلا أنه ما لبث أن رخّص في ضربهن بعد أن أتاه عمر بن الخطاب قائلاً: "يا رسول الله ذَئِر النساء[4] وساءت أخلاقهن على أزواجهن منذ نهيت عن ضربهن". إلا أنه مع ذلك كان يرى أن خيار الأزواج من امتنعوا عن ضرب نسائهم، ووضح ذلك في قوله بعد الترخيص بضربهن: "لقد أطاف بآل محمد الليلة سبعون امرأة كلهن يشتكين من الضرب، وأيم الله لا تجدون أولئك خياركم"[5]. بالإضافة إلى ذلك كان بعض الأزواج يرفض أن تتدخل المرأة في شيء من الأمر ومن ذلك قول عمر بن الخطاب: "كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئًا، فلما جاء الإسلام وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقًا من غير أن نُدخلهن في شيء من أمورنا"[6]. وتطبيقًا لقوله السابق عندما حاولت

---

(١) حنظلة بن عثمان بن عمرو بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد. ابن حبيب، المحبر، ص٢٠١.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٢٠١. وانظر أيضًا إشارة أخرى: ابن ظفر الصقلي، ص١١٣- ١١٤.

(٣) الشافعي، محمد بن إدريس، مسند الإمام الشافعي (قسم المعاملات) ترتيب محمد عابد سندي (د.ط، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥١م) ص٢١٨. ابن ماجه ٣٦٦/١. الطبري، تهذيب (مسند عمر)، ٤١٦/١.

(٤) ذئر النساء: أي نَفَرْنَ ونَشَزْنَ واجترأن وتغير خلقهن. ابن منظور، ١٠٥٣/١.

(٥) الطبراني، الكبير، ٢٧٠/١. وانظر أيضًا: ابن حبيب، أدب، ص ٢٤٨- ٢٥١. ابن أبي الدنيا، العيال، ٦٧١/٢. النسائي، عشرة، ص١٦٥- ١٦٦. ابن الأثير، أسد، ١٨٣/١.

(٦) البخاري، صحيح، ٤٦/٧.

زوجته[١] أن تبدي رأيها، قال لها: "ما أنت وهذا؟! إنما أنتنّ لُعَب، فأقبلي على مغزلك ولا تعرضي فيما ليس من شأنك"[٢]. وفي المقابل نجد بعض الروايات التي تدل على أن الزوج كان يستمع لنصح زوجته في الحاضرة والبادية، وقد يسمح لها بطرح رأيها ويناقشها فيه كما كان يفعل عبدالله بن عمر مع زوجته صفية بنت أبي عبيد[٣]. كما استجاب أحدهم لرأي زوجته حين أشارت عليه لفك أزمته المالية أن يستعين بالأمير سعيد بن العاص[٤]. وفي البادية كانت الخنساء تشير على زوجها ويستجيب لرأيها[٥]. كما أشارت زوجة جبهاء الأشجعي[٦] عليه بقولها: "لو هاجرت بنا إلى المدينة وبعت إبلك وافترضت في العطاء كان خيرًا لك. قال: أفعل"[٧].

تعد غيرة الزوج صورة من صور العلاقة بين الزوجين، فعندما قدم الرسول ﷺ إلى زوجته ميمونة بنت الحارث[٨] وجد عندها ابن أختها وهو يومئذ شاب

(١) لم تُحَدد شخصية الزوجة في المصادر التي أوردت الرواية.

(٢) البلاذري، أنساب (الشيخان) ص١٨٩. وانظر أيضًا: ابن شبة، ٨١٨/٣.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٢٧/١ - ٢٨. وهي: صفية بنت أبي عبيد بن مسعود بن عمرو، من ثقيف. الزبيري، ص٣٥٧.

(٤) ابن قدامة، التبيين، ص١٩٦.

(٥) المبرد، التعازي، ص٤٨.

(٦) جبهاء لقب غلب عليه واسمه يزيد بن عبيد، من أشجع. شاعر بدوي عاصر خلافة بني أمية، يعد من المقلين. الأصفهاني، الأغاني، ١٠٠/١٨.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٠٢/١٨.

(٨) ميمونة بنت الحارث كان اسمها برة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم الهلالية. تزوجها الرسول ﷺ سنة ٧هـ/ ٦٢٨م. وسماها ميمونة، توفيت سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م. أبو عبيدة، أزواج، ص٧٥- ٧٦. ابن عساكر، عبدالرحمن بن محمد، الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، تحقيق محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير (ط١، دار الفكر، دمشق ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص٤٦.

فلم يعرفه رسول الله ﷺ وغضب ورجع فقالت: "يا رسول الله هذا ابن أختي" فدخل عليها[1]. كما أهدى أبو موسى الأشعري[2] لعاتكة بنت زيد امرأة عمر بن الخطاب طِنْفِسَة[3] فلما رآها عمر وعرف مصدرها ضرب بها رأسها وأرسل إلى أبي موسى يُؤَنِّبه قائلاً: "ما يحملك أن تهدي لنسائي؟ ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه وقال: "خذها فلا حاجة لنا فيها"[4]. وعندما رأى معاذ بن جبل[5] زوجته تنظر من خرق في قُبَّتِه[6] لم يتمالك نفسه فضربها من غَيْرته عليها[7]. وكما وضح ذلك في الحاضرة وفي أزمنة مختلفة، وضح أيضًا في البادية، فقد مر عاصم بن عمر بخيمة لرجل أعرابي وهو غائب فأمرته زوجته أن يتحول منها خوفًا عليه وعليها من غَيْرة زوجها التي اشتهر بها، حتى إنه ضربها مرة وترك بها ندوبًا وكسر ثنيتها[8]. اشتهرت بعض النسوة بسوء الخُلق مع أزواجهن إلا أن ما اتصفن به من جمال كان يشفع

---

(١) ابن سعد، ٣٠٩/١.

(٢) أبو موسى الأشعري هو: عبدالله بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب ... بن الجماهر بن الأشعر. مشهور بكنيته. أسلم مبكرًا وقدم المدينة بعد فتح خيبر، كان عاملاً للرسول ﷺ وعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان، وأحد الحكمين بصفين، توفي حوالي سنة ٤٤هـ/٦٦٤م. ابن حجر، الإصابة، ٣٥٩/٢- ٣٦٠.

(٣) تعرف أيضًا بالطُّنْفُسة وهي البساط الذي له خمل رقيق، وقيل هي النمرقة فوق الرحل. ابن منظور، ٦١٨/٢. وانظر أيضًا: الفصل الخامس عن أثاث مسكن الحاضرة.

(٤) ابن سعد، ٣٠٨/٣.

(٥) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الخزرجي الأنصاري. أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م. ابن الأثير، أسد، ١٩٤/٥، ١٩٧.

(٦) القبة: نوع من أنواع الخيام، وهو بيت مستدير من بيوت العرب. ابن منظور ٤/٣. وانظر أيضًا: الفصل الخامس ما يخص مسكن البادية.

(٧) ابن سعد، ٥٨٦/٣. وانظر أيضًا رواية أخرى عن غيرة معاذ بن جبل : ابن حبيب، أدب، ص ٢٧٥.

(٨) الزبيري، ص٣٥٣- ٣٥٤. ابن الجوزي، أخبار، ص١٠١.

لهن، فقد كانت عائشة بنت طلحة سيئة الخلق مع زوجها عمر بن عبيدالله بن معمر، وعلى الرغم من ذلك كان يحاول إرضاءها بأغلى الأثمان[1]. كما كانت أم سلمة بنت محمد بن طلحة[2] تقسو على زوجها عبدالله بن الحسن[3] وتغلظ له، وكان يخاف منها ولا يخالف لها أمرًا[4]. إلا أن سوء خلق بعضهن قد وصل بهن إلى حد هجاء الزوج كما فعلت هند بنت النعمان[5] بزوجها روح ابن زنباع[6] حين قالت فيه:

وما هند إلا مهرةٌ عربيةٌ سليلة أفراس تجلَّلها بغلُ

فإن ولدت مُهْرًا كريمًا فَبِالحَرَى وإن يكُ إقرافٌ[7] فما أنجب الفحلُ

فطلقها لقولها ذلك[8]. وقد وضح هذا الأمر في البادية أيضًا، فقد كان محمد بن بشير الخارجي محبًا لزوجته سُعدى على الرغم مما كانت تتصف به

---

(١) البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٩٨- ٩٩.

(٢) قد تكون أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبيدالله بن عثمان... بن تيم بن مرة، من قريش. الزبيري، ص٢٨٣. فقد ذكرها الأصفهاني بأنها من نساء قريش التيميات. الأغاني، ١٢٥/٢١.

(٣) عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. تابعي من أهل المدينة، كان شيخ بني هاشم والمقدم فيهم، صاحب فضل وعلم وكرم، قتل في سجنه بالهاشمية سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م. الأصفهاني، الأغاني، ١٢٥/٢١، ١٢٨. الأصفهاني، مقاتل، ص١٧٩- ١٨٤. خير الدين الزركلي، ٧٨/٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٢٥/٢١.

(٥) هند بنت النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة، أنصارية من الخزرج. كانت امرأة فصيحة أديبة، برزة. ابن الجوزي، أخبار، ٩٩- ١٠٠. ابن قدامة، الاستبصار، ص١٢٣.

(٦) روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجذامي. عاصر عبدالملك بن مروان، وله معه أخبار، مات سنة ٨٤هـ/ ٧٠٣م. ابن حجر، الإصابة، ٥٢٤/١.

(٧) الإقراف: من القِرفة وهي الهجنة، والمقصود به من كانت أمه عربية وأبوه ليس كذلك. ابن منظور، ٦٨/٣.

(٨) ابن الجوزي، أخبار، ص١٠٠. ابن قدامة، الاستبصار، ص١٢٣.

من سوء الخلق وما كان يعانيه من شدتها وعَنَتِها، وعلى الرغم من أنه كان يغضب منها ويعتزلها وينتقل إلى زوجته الأخرى إلا أنه ما يلبث أن يشتاق لها ويتذكرها ويفضل الرجوع إليها[١].

لم تكن كل الأسر في الحجاز أسرًا نموذجية، فمن خلال العلاقة بين الزوجين يتضح أن بعض تلك الأسر كانت لا تسلم من الخيانة الزوجية أحيانًا، وقد وضح ذلك في مدد زمنية مختلفة في الحاضرة والبادية. ولعل في حادثة عويمر بن الحارث[٢] وزوجته التي حصلت في عصر الرسول ﷺ دلالة على ذلك[٣]. وفي خلافة عمر بن الخطاب جاءه رجل وذكر له "أنه وجد مع امرأته رجلاً فقتلهما... فكتب عمر إلى عامله في العلانية أن يُقاد منه، وكتب إليه في السِّر أن يأخذوا الدية"[٤]. وكما حدث ذلك في الحاضرة وجدناه في البادية أيضًا، ففي الجاهلية كانت زوجة مرثد بن سعد[٥] تهوى ابن أخيه عمرو بن قميئة[٦].

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٣٨/١٦.

(٢) هو عويمر بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد العجلاني. يعرف أيضًا بعويمر بن أبيض وهو لقب لأحد آبائه، هو الذي رمى زوجته بشريك بن سحماء فلاعن الرسول ﷺ بينهما وذلك سنة ٩هـ/ ٦٣٠م. ابن الأثير، أسد، ٣١٧/٤. ابن حجر، الإصابة، ٤٥/٣.

(٣) البخاري، صحيح، ٣/٦، ١٨١. ابن شبة، ٣٨٨/٢. ابن قتيبة، المعارف، ص٣٣٦. الطبراني، الكبير. ٨٠/٦.

(٤) ابن سعد، ١٥٥/٦.

(٥) مرثد بن سعد بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة. الأصفهاني، الأغاني، ١٤٣/١٨.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ١٤٤/١٨. وعمرو بن قميئة هو : عمرو بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة. من قدماء الشعراء في الجاهلية، مات أبوه وهو صغير، فكفله عمه مرثد بن سعد. صاحب امرئ القيس إلى بلاد الروم، ومات في الطريق. ابن قتيبة، الشعر، ص١٧٩. الأصفهاني، الأغاني، ١٤٣/١٨- ١٤٤.

وفي الإسلام كانت زوجة ابن الدُّمينة(١) تخون زوجها مع رجل من أخواله فقتله ثم قتلها(٢).

ساعد على ظهور بعض حالات الخيانة الزوجية في الإسلام عند بعض النساء ضعيفات الإيمان انشغال المسلمين بالجهاد، لذلك كان الرسول ﷺ يحرص على نهي الصحابة أن يأتوا أهلهم في الليل، قال ﷺ: "إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً"(٣). ولم يستمع رجلان لقول الرسول ﷺ فأتيا أهليهما ليلاً بعد سفر فوجد كل واحد منهما مع أهله رجلاً(٤). كما جاءت آمنة بنت خلف الأسلمية(٥) إلى الرسول ﷺ فقالت: "يا رسول الله إني امرأة محصنة وزوجي غازٍ وإني أصبت الفاحشة فطهِّرني"(٦). واستمر هذا الأمر، ففي خلافة عمر بن الخطاب غزا رجل من الأنصار وله جار يهودي فخانته زوجته معه(٧). لذلك حاول عمر بن الخطاب أن يقلل من مدة غياب الزوج فحددها بستة أشهر يقفُل بعدها راجعًا إلى أهله(٨).

---

(١) ابن الدمينة هو: عبدالله بن عبيدالله أحد بني عامر بن تيم الله. ينسب إلى أمه الدمينة. الأصفهاني، الأغاني، ١٧/٩٨.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٧/٩٨- ١٠٢.

(٣) البخاري، صحيح، ٦/١٦١. والمقصود هنا في المقام الأول "أن يجد أهله على غير أهبة من التنظف والتزين المطلوب من المرأة فيكون ذلك سبب النفرة بينهما". ابن حجر، فتح، ٩/٣٤٠.

(٤) الطبراني، الكبير، ١١/٢٤٥. ابن حجر، فتح، ٩/٣٤٠- ٣٤١.

(٥) لا توجد لها ترجمة أكثر مما ذكر عنها في المتن.

(٦) ابن الأثير، أسد، ٥/٣٩٠. ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٢٤.

(٧) الجاحظ، المحاسن، ص٢٧٩. ابن قيم الجوزية، روضة، ص٣٠١. السراج، جعفر بن أحمد، مصارع العُشاق، ج١ (ط٢، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ص ٢٧٨- ٢٧٩.

(٨) الجاحظ، المحاسن، ص٢٧٨- ٢٧٩. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٢١٥- ٢١٦. ابن أبي الدنيا، الإشراف، ص٢٢٣. ابن أبي الدنيا، العيال، ٢/٦٨٥.

هذه هي أهم مظاهر العلاقة بين الزوجين التي تمثلت بأنماط متعددة، وإن برز بشكل واضح مظهر العلاقة الودية بين الطرفين.

- العلاقة بين الوالدين وأولادهما[١]:

إن العلاقة المثالية بين الوالدين وأولادهما تبنى على عدة أسس من أهمها: التسوية في المعاملة من جانب الوالدين، والبر بهما من جانب الأولاد، ويمكن جعل هذين الأمرين من الثوابت في العلاقة بين الطرفين إلا أن مدى تطبيقهما يختلف حسب اختلاف الطبائع البشرية.

ترتبط الأم بأولادها ارتباطًا قويًا منذ حملها بهم ويزداد بعد ولادتها لهم، ويتمثل هذا الارتباط في عمق محبتها لهم، حتى إن بعضهن كن يفضلن بعد وفاة أزواجهن أن يقصرن حياتهن على تربية أولادهن، ويرفضن الزواج مرة أخرى محبة لهم وخوفًا عليهم، ويطلق على هذا النوع من النساء: الحانية، لأنها تحنو على ولدها ولا تتزوج، ورمز ذلك عندهن أن تبتعد عن الزينة ومنها خضاب اليدين[٢].

من مظاهر محبة الأم لأبنائها فخرها بهم، وقد تتمثل في ذلك رَجَزًا كقول صفية بنت عبدالمطلب[٣] لأحد الأعراب حين شتم ابنها الزبير بن العوام فرد عليه بضربة حتى لم يستطع أن يقوم إلا محمولاً:

---

(١) الأولاد جمع ولد وهو: "ما ولد أيًا كان، وهو يقع على الواحد والجمع، والذكر والأنثى". ابن منظور، ٣/٩٨٠.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ١/٢٧٣. الميداني، ١/١٩٩.

(٣) صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، عمة رسول الله ﷺ، تزوجت قبل العوام بن خويلد الحارث بن حرب بن أمية وأنجبت منه، توفيت سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م. ابن الأثير، أسد، ٧/١٧٢- ١٧٣. ابن المبرد، ص ٧٢.

كيــــف رأيــــت زبـــــرا[١] أأَقِطًــــــا[٢] أم تمــــــــرا

أم حضرميًـــــا[٣] مـــــــرا[٤]

يظهر خوف الأم على ابنها وتعلقها به عند تعرضه للخطر فقد كانت أم محمد بن طلحة[٥] تمنع ابنها من الذهاب للجهاد خوفًا عليه، وقد كانت تستعين بالخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان لتحقيق ذلك[٦].

إلا أن أبلغ مظاهر عمق محبة الأم لابنها تتضح بعد وفاته. فرثاء الأمهات لأبنائهن يعد بحق أصدق صور الرثاء، فالأم تبكي في ابنها أمومتها وسندها عند الكبر، لذلك يزداد صوت الحرقة في شِعْرها، وهذا النوع من الرثاء كثير في الشعر الجاهلي، كما أنه يبرز في صدر الإسلام[٧]، ومنه رثاء زينب بنت العوام بن خويلد[٨] لابنها عبدالله بن حكيم[٩]، تقول:

---

(١) تقصد ابنها الزبير بن العوام.

(٢) الأقط: طعام يتخذ من اللبن المخيض المطبوخ. ابن منظور، ٧٦/١.

(٣) جاء في الحاشية رقم (٦) من كتاب المنمق: "بهامش الأصل: تريد الصبر (كنمر) الحضرمي ويكون في غاية المرارة" ابن حبيب، ص٣٣٢.

(٤) ابن حبيب، المنمق، ص٣٣٢. البلاذري، أنساب، ٤٢٢/٩.

(٥) هي : حمنة بنت جحش بن رئاب، وهو: محمد بن طلحة بن عبيدالله بن عثمان، من تيم بن مرة من قريش. الزبيري، ص٢٨٠- ٢٨١.

(٦) ابن شبة، ٩٨٩/٣.

(٧) حسين جمعة، الرثاء في الجاهلية والإسلام (ط١، دار معد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩١م) ص٧٣.

(٨) زينب بنت العوام بن خويلد، من أسد بن عبدالعزى من قريش. أخت الزبير بن العوام. ابن حجر، الإصابة، ٣١٨/٤.

(٩) عبدالله بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى. قتل يوم الجمل سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م. الزبيري، ص٢٣٥.

أَعَيْنَيَّ جُودا بالدُّمُوعِ فَأَفْرِغا ... على رَجُلٍ طَلْقِ اليَدَيْنِ كَرِيمِ[1]

كما رثت امرأة من هذيل ابنًا لها قائلة:

ألا تلك المَسَرَّةُ لا تدُومُ ... ولا يَبْقَى على الدَّهْرِ النَّعِيمُ

ولا يَبْقى على الحَدَثانِ[2] عُفْرٌ[3] ... بِشَاهِقَةٍ لَهُ أُمٌّ رؤُومُ[4]

كما رثت أعرابية ابنها بقولها:

مَنْ شاءَ بعدكَ فَلْيَمُتْ ... فعليكَ كُنْتُ أُحاذِرُ

كُنْتَ السَّوادَ لناظري ... فَعَمِي عليكَ الناظِرُ[5]

ولا شك أن الأم تمثل أيضًا للابن رمزًا للعاطفة والتضحية، لذلك يتضح تعلقه بها منذ صغره، وعندما يكبر يفخر الابن بأمه كقول معاوية بن أبي سفيان: "أنا ابن هند"[6]. وكقول شبيب بن برصاء[7]:

أنَا ابنُ بَرْصَاءَ بها أُجِيبُ! ... هَلْ في هِجَانِ اللَّونِ مَا تَعِيبُ؟[8]

---

(١) الزبيري، ص ٢٣٢.

(٢) الحدثان: من الدهر: نُوَبُه. الزبيدي، ٢٠٦/٥.

(٣) العُفر: ابن الأُرْوية وهي الأنثى من الوعول. ابن منظور، ١٢٦٣/١، ١٠٠١/٢.

(٤) ابن عبدربه، ٢٦٠/٣.

(٥) السابق، ٢٥٤/٣. وانظر أيضًا شواهد أخرى : السيوطي، فضل الجلد، ص٦٦- ٧١.

(٦) البلاذري، أنساب، ق ٤، ٦٩/١.

(٧) شبيب بن برصاء هو: شبيب بن يزيد بن جمرة بن عوف بن أبي حارثة بن مُرة بن نُشبة. من شعراء الدولة الأموية، عده الجمحي من الطبقة الثامنة. وهو شاعر بدوي ينسب لأمه البرصاء بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة. الجمحي، ٧٠٩/٢. خير الدين الزركلي، ١٥٧/٣.

(٨) الجمحي، ٧٢٧/٢.

يُعد البِرُّ بالأم أسمى مظاهر العلاقة الودية بين الطرفين، وقد وردت في المصادر عدة إشارات في مدد زمنية مختلفة تصور لنا مدى مبلغ ذلك البر عند بعض الأبناء، فأسامة بن زيد كان ممن اشتهر ببره بوالدته حتى إنه عمد إلى نخلة له يبلغ ثمنها ألف درهم فاستخرج جُمَّارها[1] وأطعمه لأمه، فقالوا له: "ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إن أمي سألتنيه ولا تسألني شيئًا أقدر عليه إلا أعطيتها"[2]. وممن عُرف ببره بأمه عبدالله بن الزبير فقد كان يبيت عند أمه ليلة وعند أهله ليلة[3]، ومنهم أيضًا محمد بن الحنفية[4] الذي عرف عنه أنه كان يخضبها ويمشطها ويضفر ذوائبها[5]. وكذلك كان علي بن الحسين الذي سئل مرة عن سبب عدم مؤاكلته لأمه على الرغم مما عرف عنه من البر، فقال: "أخاف أن تسبق يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه فأكون عققتها"[6]. ويقارن محمد بن المنكدر[7] بينه وبين أخيه عمر[8] بقوله: "بات عمر يصلي وبت أغمز رجليّ أمي، وما أحب

(١) "جمارة النخل: شحمته التي في قمة رأسه، تقطع قمته ثم تكشف عن جمارة في جوفها بيضاء كأنها قطعة سنام ضخمة، وهي رَخْصةٌ تؤكل بالعسل". ابن منظور، ٤٩٦/١.

(٢) ابن سعد، ٧١/٤.

(٣) الزبير بن بكار، جمهرة، ٢٦٤/١.

(٤) محمد بن الحنفية هو: محمد بن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي. كان ينسب لأمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة، كان واسع العلم، تسميه الشيعة المهدي، مولده ووفاته بالمدينة، توفي سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م. الزبيري، ص٤١. خير الدين الزركلي ٢٧٠/٦.

(٥) ابن سعد، ١١٤/٥- ١١٥. ابن منظور، ١٠٨٣/١.

(٦) ابن قتيبة، عيون، ٩٧/٣.

(٧) محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير بن عبدالعزى، من تيم بن مرة من قريش. أمه أم ولد، يعد من تابعي أهل المدينة. ابن سعد (القسم المتمم) ص١٨٨.

(٨) عمر بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير بن عبدالعزى، من تيم بن مرة من قريش. أمه أم ولد، يعد من تابعي أهل المدينة، ابن سعد (القسم المتمم) ص ١٩٨.

أن ليلتي بليلتـه"[١]. وكـان يضـع خـده علـى الأرض ثم يطلب من أمـه أن تضع قدمها عليها[٢]. كما اعتذر يحيى بن الزبير[٣] عن شرف مصاحبته للخليفة المهدي خوفًا أن تموت أمه وهو غائب، وعندما اقترح عليه الخليفة أن يصحبها معه قال له: "أخرجها على الكِبَر من بلد رسول الله ﷺ فتموت بغيرها إني إذن لولد سوء لها" فتركه[٤].

وفي المقابل هنـاك بعض الأحداث التي دلت على أن العـلاقة بين الطرفين لم تكن عند بعضهم صفاءً دائمًا، فقد يحدث من الابن أو الأم ما يعكر صفو تلك العلاقة، فالأم مثلاً قد تعتب على ابنها إن أساء إليها كعتب صفية بنت عبدالمطلب على ابنها السائب[٥] وقد تمثلته رجزًا في قولها:

يَسُبُّني السَّائبُ مِنْ خَلْفِ الجُدُرْ   لكِنْ أبُو الطاهِر[٦] زَبَّارٌ[٧] أَمِرْ[٨]

مُبَـذِّرٌ لمالِـهِ بَرٌّ غَفِرْ[٩]

---

(١) ابن سعد (القسم المتمم) ص١٩١- ١٩٢.

(٢) السابق، ص١٩١.

(٣) يحيى بن الزبير بن عباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير. شيخ آل الزبير ووالي صدقتهم، له فضل وسخاء. الزبير بن بكار، نسب، ٦٩/١.

(٤) الزبير بن بكار، نسب، ٦٩/١.

(٥) السائب بن العوام بن خويلد، من أسد بن عبدالعزى من قريش. أخو الزبير بن العوام، قتل يوم اليمامة شهيدًا سنة ١١هـ/٦٣٢م. الزبيري، ص٢٣٥- ٢٣٦. ابن حجر، الإصابة، ١١/٢- ١٢.

(٦) أبو الطاهر كنية الزبير بن العوام. الزبيري، ص٢٣٦.

(٧) الزبار: الشديد القوي. ابن منظور، ٧/٢.

(٨) أمر: أي رجل ميمون يقبل عليه المال. الزبيدي، ٧٣/١٠.

(٩) الزبيري، ص٢٣٦.

وكقول الحطيئة[١] يهجو أمه وكانت قد فرَّقت في المعاملة بينه وبين أخ له:

جـزاكِ اللّه شَـرًا مـن عجـوزٍ   ولقَّـاك العُقـوقَ مـن البنينـا
تنحَّـي فاقعُـدِي عنَّـا بعيـدًا   أراحَ اللّـهُ منـكِ العالمينـا[٢]

كما أن زواج الأم الأرملة أو المطلقة بعد كبر سن أولادها يجلب نقمة بنيها عليها لاعتقادهم أنهم سيصبحون حديث الناس بسبب فعلها. ومن ذلك ما فعله ابن لامرأة من أهل المدينة تدعى حُبَّى[٣] كانت قد تزوجت وهي كبيرة في السن من فتى صغير، فاشتكاها ابنها للوالي مروان بن الحكم قائلاً: "إن أمي السفيهة على كبر سنها وسني تزوجت شابًا مقتبل الشباب حديث السن فصيَّرتني ونفسها حديثًا"[٤]. وعندما خطب عبدالرحمن بن الحارث بن هشام سعدى بنت عوف[٥] كره بنوها زواجها وقد صاروا رجالاً[٦].

لا شك أن للأم دورًا في رفع المكانة الاجتماعية للابن أو خفضها، وقد استغل الشعراء هذا الأمر في مدحهم وذمهم لبعض الأشخاص، ومن ذلك قول حسان بن ثابت يمدح الرسول ﷺ ويهجو أبا سفيان بن الحارث[٧]:

---

(١) الحطيئة هو: جرول بن أوس، من بني قُطيعة من عبس. لقب بالحطيئة لقصره. شاعر مخضرم وصفه ابن قتيبة بأنه "رقيق الإسلام، لئيم الطبع". كان هجَّاءً عنيفًا هجا أمه وأباه ونفسه، توفي نحو ٤٥هـ/٦٦٥م. الشعر، ص١٤٨. خير الدين الزركلي، ١/١١٨.

(٢) أبو عبيدة، معمر بن المثنى، العقة والبررة، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون، ج١ (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص ٣٩٤.

(٣) امرأة مدنية كانت مزواجًا. العسكري، ١/٤٦١. ولعلها الخاطبة حبى المدينية السابق ذكرها.

(٤) حمزة الأصفهاني، ١/٢٥٦. العسكري، ١/٤٦١.

(٥) سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان بن أبي خارجة.... ابن لأم الطائي، الأصفهاني، الأغاني، ١٦/٢٩٤.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/٢٩٤.

(٧) أبو سفيان هو: المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، عُرِف بهجاء الرسول ﷺ. الزبيري، ص٨٥. ابن الأثير، أسد، ٥/٢. ابن عنبة، بحر، ورقة ٧ب.

وإنَّ سَنَام المجـــد من آل هاشــمٍ بنو بنتِ مخزُومٍ[١] ووالدُك العَبْدُ[٢]

وقوله يذمه أيضًا:

وإنَّ امــرأً كانت سُـمَيَّةُ[٣] أمَّـــه وسمراءُ[٤] مغمـوز إذا بلغ الجهدُ[٥]

من الملحوظ طوال مدة الدراسة أن عددًا من الرجال في مجتمع حاضرة الحجاز وباديته كانوا يُنسَبون إلى أمهاتهم، ولا شك أن هذا الأمر يدفعنا للتساؤل عن السبب في شيوع تلك الظاهرة التي لا شك أن لها جذورًا تصل إلى العصر الجاهلي، فقد وضحت في إقليم شبه الجزيرة العربية كله، وناقشها كثير من الباحثين[٦].

يبدو أن شيوع هذا الأمر في مجتمع الحجاز حاضرته وباديته له أسباب عدة، فتعدد الزوجات، وشيوع التَّسَرِّي أدى إلى زيادة عدد الأبناء، وللتمييز بينهم يُنسب بعضهم إلى أمهاتهم، من ذلك أن عبدشمس بن عبدمناف[٧] له عدد من الأبناء من زوجات شتى، منهم ثلاثة يُسمون العبلات نسبة إلى أمهم عبلة بنت عبيد[٨]. وقال أبو عبيد[٩] في نسب هوازن: "فولد صعصعة: عامرًا،

---

(١) فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. الزبيري، ص١٧.

(٢) ابن الأثير، أسد، ٢/٥.

(٣) ذكر ابن الأثير أن سمية هي أم أبي سفيان، أسد، ٢/٦. بينما ذكر الزبيري أن أمه اسمها عدية بنت قيس بن طريف ... ابن الحارث بن فهر. ص ٨٥- ٨٦.

(٤) ذكر ابن الأثير أن سمراء هي أم أبيه الحارث. أسد، ٢/٦. بينما جاء في كتب النسب أن أمه اسمها صفية بنت جندب، من بني عامر بن صعصعة. الزبيري، ص١٨. ابن حزم، ص١٥.

(٥) ابن الأثير، أسد، ٢/٥.

(٦) انظر ما أورده جواد علي حول هذا الموضوع، ١/٥٢١- ٥٢٥.

(٧) عبدشمس بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة. الزبيري، ص١٤.

(٨) أبو عبيد، النسب، ص١٩٨- ١٩٩. ابن قتيبة، المعارف، ص٧٢. وهي عبلة بنت عبيد بن جاذل ابن قيس بن حنظلة، من تميم. الزبيري ، ص٩٨.

(٩) أبو عبيد، النسب، ص ٢٥٨- ٢٥٩.

ومازنًا، وعائذًا، ووائلاً، وأمهم عمرة بنت عامر بن الظرب، وغالبًا وأمه غاضرة بها يعرف، وقيسًا وعوفًا ... وأمهم عُدية بها يعرفون، وكبيرًا وعمرًا ... وأمهم واثلة بها يعرفون، وعبدالله والحارث وأمهم عادية بها يعرفون، وربيعة وأمه عُويضرة بها يعرف". وتكرر ذلك في نسب فزارة وثقيف والخزرج[١] وسليم[٢].

قد ينسب الابن لأمه أيضًا لاتصافها بصفة مميزة مثل كونها سَبِيَّة ومن هؤلاء خفاف بن ندبة فقد كانت أمُّه أمةً سوداء سبية من بني الحارث بن كعب[٣]. وقد تكون النسبة لصفة جمالية في الأم مثل سهل وسهيل وصفوان أبناء وهب بن ربيعة[٤] فقد كانوا ينسبون إلى أمهم البيضاء[٥]، وشبيب بن يزيد كان ينسب إلى أمه[٦]، فيقال شبيب بن البرصاء لبياضها[٧]. أو لكونه ابن أم ولد فقد كان موسى بن جرير[٨] إذا أنشد لأخيه بلال بن جرير[٩]، نسبه إلى أمه لأنه ابن أم ولد فيقول: قال ابن أم حكيم فرد عليه بلال بقوله:

---

(١) الخزرج: بطن من مزيقياء من الأزد، غلب عليهم اسم أبيهم، منهم بنو الخزرج الأكبر بن حارثة ابن ثعلبة بن مزيقياء. القلقشندي، نهاية، ص٥٢. عاتق البلادي، قبائل، ص١٤٠- ١٤١.

(٢) أبو عبيد، النسب، ص ٢٥٤.

(٣) الخنساء، ص٤٢٢. ابن سعد، ٢٧٥/٤. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص١٠٧- ١٠٨. وبنو الحارث بن كعب هم بنو عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد. ديارهم في نواحي نجران. ابن حزم، ص ٤١٦ القلقشندي، نهاية، ص٤٨.

(٤) وهب بن ربيعة بن هلال بن أُهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر. أبو عبيد، النسب، ص٢٢٠.

(٥) أبو عبيد، النسب، ص٢٢٠. والبيضاء هي دعد بنت جحدم بن عمرو بن عائش بن ضرب بن الحارث بن فهر. أبو عبيد، النسب، ص٢٢٠.

(٦) هي أمامة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة. أبو عبيد، النسب، ص٢٤٥.

(٧) أبو عبيد، النسب، ص٢٤٦.

(٨) موسى بن جرير بن عطية بن حُذيفة الخطفى. ابن قتيبة، الشعر، ص٢٣٠.

(٩) بلال بن جرير بن عطية بن حذيفة الخطفى. كان أفضل إخوته وأشعرهم، توفي حوالي سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م. ابن قتيبة، الشعر، ص ٢٣٠. خير الدين الزركلي، ٧٢/١.

يا رُبَّ خـــالٍ لـي أَغـــرَّ أبْلجَـــا مـن آلِ كسْـرى يَغْتَـــدِي مُتَـوَّجـــا

ليْس كخالٍ لك يُدعى عشْنجا(١)

كما قد تكون أمه جارية سوداء مثل أم السليك بن السلكة(٢)، أو آمةً عاهرًا مثل أم زياد بن سمية(٣) قبل أن يستلحقه معاوية بن أبي سفيان بنسبه(٤)، أو للاختلاف حول نسبه كون أمه جارية بيعت قبل التأكد من براءة رحمها، فسهية كانت أمة لضرار بن الأزور، ثم باعها إلى زفر بن عبدالله المزني(٥) فجاءت بأرطأة(٦) على فراشه فادعاه ضرار في الجاهلية فأعطاه إياه زفر ثم انتزعه قومه منه، لذلك غلبت عليه النسبة إلى أمه(٧). أو لكون أمه غريبة مثل بشير بن الخصاصية(٨)، كانت أمه من الأزد(٩)، ومحمد بن الحنفية، كانت أمه من بني حنيفة(١٠). وقد ينسب الابن لأمه لاشتهارها بمهنة معينة،

---

(١) المبرد، الكامل، ٩٤/٢. والعشنج: "المنقبض الوجه السيئ المنظر". المبرد، الكامل، ٩٤/٢.

(٢) المبرد، الكامل، ٩٢/٢. وهو: السليك بن عمير السعدي، شاعر جاهلي، يعد من غربان العرب. المبرد، الكامل، ٩٢/٢. خير الدين الزركلي، ١١٥/٣.

(٣) البلاذري، أنساب، ق٤، ١٢١/١، ٢٥٦. وسمية جارية الحارث بن كلدة الطبيب الثقفي، زوّجها من غلامه الرومي عبيد، فولدت زيادًا على فراشه. ابن الأثير، الكامل، ٤٤٣/٣.

(٤) ابن الأثير، أسد، ٢٧١/٢.

(٥) زفر بن عبدالله بن مالك بن سواد بن ضمرة المزني. شاعر جاهلي مشهور. ابن حجر، الإصابة، ١٠١/١.

(٦) أرطأة بن زفر بن عبدالله. ينسب لأمه سهية، أدرك الجاهلية وعاش إلى خلافة عبدالملك بن مروان. ابن حجر، الإصابة، ١٠١/١.

(٧) ابن حجر، الإصابة، ١٠١/١- ١٠٢.

(٨) بشير بن الخصاصية هو بشير بن معبد بن شراحيل السدوسي. الفيروزآبادي، تحفة، ١١٥/١. ابن حجر، الإصابة، ١٥٩/١.

(٩) الفيروزآبادي، تحفة، ١١٥/١.

(١٠) الزبيري، ص٤١.

فيزيد بن ضبة[١] كان مولى لثقيف واسم أبيه مِقسم، وإنما ينسب لأمه لأن أباه مات وهو صغير فكانت أمه تحضن أولاد المغيرة بن شعبة ثم أولاد ابنه عروة فكان ينسب إليها لشهرتها بكونها حاضنة[٢].

كما أن محمد بن عائشة[٣] كان ينسب لأمه لكونها ماشطة فكان يذهب معها فإذا دخل إلى مكان قالوا: ارفعوا هذا لابن عائشة. فغلبت على نسبه[٤]. وقد ينسب إلى الأم لكرامتها فقد كان علي بن عبدالله[٥] ينسب إلى أمه زينب بنت علي[٦] فيقال له: علي الزينبي[٧]. كما كان عبدالرحمن بن عبدالله الثقفي ينسب إلى أمه أم الحكم بنت أبي سفيان فيقال: عبدالرحمن بن أم الحكم[٨].

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من أسباب فقد وردت إشارات كثيرة عن النسبة إلى الأم في المجتمع الحجازي في الجاهلية والإسلام دون سبب ظاهر في المصادر، إنما قد يندرج تحت ما ذكرناه أو غيره مما لم نصل إليه.

---

(١) يزيد بن ضبة هو يزيد بن مقسم الثقفي. شاعر كبير من أهل الطائف، توفي سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م. الأصفهاني، الأغاني، ١٠٩/٧. خير الدين الزركلي، ١٨٩/٨.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٠٩/٧.

(٣) محمد بن عائشة. كان يزعم أن اسم أبيه جعفر، وأمه عائشة كانت مولاة لكثير بن الصلت الكندي حليف قريش. يعد ابن عائشة من المقدمين في صناعة الغناء ووضع الألحان، توفي نحو ١٠٠هـ/ ٧١٨م. الأصفهاني، الأغاني، ١٩٥/٢. خير الدين الزركلي، ١٧٩/٦.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٩٥/٢- ١٩٦. ابن فضل الله العمري، ٤/١٠.

(٥) علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي. الزبيري، ص ٨٢. ابن حزم، ص ٦٨.

(٦) زينب بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ. الزبيري، ص ٨٣. ابن حزم، ص ٦٨.

(٧) ابن عنبة ، عمدة، ص٣٨.

(٨) البلاذري، أنساب، ٤٤١/١.

أما عن علاقة الأم ببناتها فعلى الرغم من ندرة الإشارات التي تتصل بهذا الموضوع إلا أنها لن تخرج عن المألوف من حب الأم الفطري لهن، والتصاق البنات بأمهاتهن. فهي لا شك تحرص على إعدادهن ليكنَّ زوجات وأمهات صالحات. والإسلام يحث على البر بالأمهات حتى وإن كن مشركات، فقد قدمت أم أسماء بنت أبي بكر[(١)] إلى المدينة فاستأذنت أسماء رسول الله ﷺ في صلتها فأذن لها[(٢)].

إلا أنه من الملحوظ أن الرثاء الذي يمثل مظهرًا من مظاهر العلاقة الودية بين الطرفين غير واضح، فمن النادر رثاء البنات لأمهاتهن في العصرين الجاهلي والإسلامي على الرغم من وضوحه في علاقتهن بآبائهن[(٣)]. ولا أجد سببًا واضحًا لذلك، يقول حسين جمعة [(٤)]: "... ويحاول المرء أن يجد تفسيرًا لندرة رثاء الأولاد لأمهاتهم ولا سيما البنات فلا يحظى بما يفيد، علمًا أن كثيرًا من الظواهر الأدبية وُجدت ولم يُوجد تفسير لها". وفي المقابل فعلى الرغم من غزارة رثاء الأمهات للأبناء إلا أنه يندر رثاؤهن للبنات، ولعل هذا يدخل أيضًا ضمن الظواهر الأدبية التي لا يوجد لها تفسير.

أما عن نسبة البنات إلى أمهاتهن فيبدو أنه لم يكن أمرًا شائعًا، أو أن المصادر لم تهتم به فلم أجد سوى إشارات قليلة في بعض كتب الطبقات، أما كتب النسب فلعل سبب إغفال مؤلفيها لهذا الأمر يعود للسياسة العامة لهم في إغفال ذكر البنات في معظم الأحيان. وعدم ذكر أخبارهن. وممن

(١) أم أسماء بنت أبي بكر تدعى قتيلة بنت عبدالعزى بن عبد أسعد بن نصر بن مالك بن حسل. الزبيري، ص٢٧٦.

(٢) الطبراني، الكبير، ٧٨/٢٤. ابن عساكر، تاريخ - تراجم، ص ٦، ١٧.

(٣) سيرد هذا الموضوع بتفصيل أكثر.

(٤) حسين جمعة، ص ٦٩.

كانت تنسب لأمها خادمة رسول الله ﷺ أمة الله فقد كانت تدعى أمة الله بنت رزينة[١]. وأميمة بنت عبدبجاد[٢] فقد كان يقال لها أميمة بنت رقيقة. ولعل السبب في ذلك شهرة أمها رقيقة التي كانت أخت السيدة خديجة أم المؤمنين[٣]. ومنهن أيضًا ابنتها حكيمة فقد كانت تسمى حكيمة بنت أميمة[٤].

هذا مجمل العلاقة التي ربطت بين الأم وأولادها من بنين وبنات، وهي أيضًا كالعلاقة بين الزوجين يتضح فيها الجانب الودي بشكل كبير.

أما عن علاقة الأب بأولاده من بنين وبنات فيمكن الوصول إليها من خلال استعراض بعض الإشارات التي حفلت بها المصادر. فمعروف حب الأب لأبنائه دون تمييز بينهم إلا أن هناك بعض الإشارات الدالة على وجود حالات استثنائية، فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يُشهده على عطاءٍ نَحَلَه لأحد أبنائه فقال له ﷺ: "أكُلَّ ولدك نحلت مثله؟ قال: لا، قال: فأرجعه"[٥]. كما عرف عن العباس بن عبدالمطلب أنه كان يُفضِّل ابنه عبيدالله على قُثم[٦]، كما كان

(١) ابن الأثير، أسد، ٢٣/٧. ابن حجر، الإصابة، ٣٠٢/٤.

(٢) أميمة بنت عبدبجاد بن عمير بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة. ابن عبدالبر، ٢٤٠/٤. ابن الأثير، أسد، ٢٧/٧.

(٣) ابن عبدالبر، ٢٣٩/٤. ابن الأثير، أسد، ٢٧/٧.

(٤) ابن عبدالبر، ٢٤٠/٤. ابن الأثير، أسد، ٢٧/٧.

(٥) البخاري، صحيح، ١٣٤/٣. وانظر أيضًا : ابن الأثير، أسد، ٢٣١/١.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ٤٣٨/٢، ٢٢٧/٣. وهو: قُثم بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم. كان يشبه النبي ﷺ ولد في آخر عهد الرسول عليه الصلاة والسلام. تولى مكة لعلي بن أبي طالب، خرج في خلافة معاوية بن أبي سفيان إلى سمرقند واستشهد هناك سنة ٥٧هـ/ ٦٧٦م. ابن حجر، الإصابة، ٢٢٦/٣- ٢٢٧. خير الدين الزركلي، ١٩٠/٥.

جعفر الصادق[1] يحب ولده إسماعيل[2] أكثر من إخوته[3]، وكذلك المطلب بن عبدالله[4] فقد كان يفضل ابنه الحارث[5] على غيره من بنيه حتى إنه لم يتمكن من العيش بعد وفاته لمدة طويلة لحزنه عليه[6]. وهنا يبرز تساؤل مهم، ما الذي يجعل الوالد يفضل أحد أبنائه على الآخر؟ يبدو أن ذلك يعود إلى عدة أسباب منها: تفضيله لأمه إن كان له عدة زوجات، أو اتصافه بصفات خُلقية وخَلقية تميزه عن غيره، أو لكونه أكبر أبنائه أو أصغرهم أو أبرَّهم به أو غير ذلك من الأمور.

إن بر الوالدين من المسلمات التي تحكم العلاقة بين الأبناء ووالدهم، وممن شهد له ببر والده: كلاب بن أمية[7]، فقد سأله عمر بن الخطاب قائلاً: "ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أُؤثره وأكفيه أمره، وكنت أعتمد إذا أردت أن أحلب

---

(١) جعفر الصادق هو: جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي. سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، لقب بالصادق لصدقه في مقالته، كان من سادات أهل البيت، توفي سنة ١٤٨هـ /٧٦٥م. أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبدالله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٣ (د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت) ص١٩٢- ٢٠٦. ابن خلكان، ٣٢٧/١- ٣٢٨. خير الدين الزركلي، ١٢٦/٢.

(٢) إسماعيل بن جعفر الصادق. إليه تنتسب الإسماعيلية، مات في حياة أبيه سنة ١٤٣هـ/ ٧٦٠م. ابن حزم، ص٥٩. خير الدين الزركلي، ٣١١/١.

(٣) ابن عنبة، عمدة، ص٢٣٣.

(٤) المطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنطب بن الحارث المخزومي. كان من سادة قريش ووجوهها. الزبيري، ص٣٣٨- ٣٣٩.

(٥) الحارث بن المطلب بن عبدالله المخزومي. الزبيري، ص٣٤٠.

(٦) الزبيري، ص ٣٤٠- ٣٤٢. ابن قتيبة، عيون، ٢٧٤/٣. البقاعي، ورقة ٧٣ب. وانظر أيضًا إشارات أخرى في: ابن ظفر الصقلي، ص١١٢، ١١٨، ١٣٥.

(٧) كلاب بن أمية بن حُرثان بن الأسكر بن عبدالله، من بني كنانة بن خزيمة. هاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب. الأصفهاني، الأغاني، ١٤/١٢، ١٥.

له لبناً أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحها وأتركها حتى تستقر ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحتلب له فأسقيه"[1]. ومنهم أيضًا الحكم بن المطلب الذي كان يصر على تنفيذ كل طلب يطلبه منه مهما كان ضرره عليه[2]. كما اشتهر بذلك أيضًا محمد بن عبدالرحمن[3] ووصف ابن سعد[4] بره بوالده فقال: "وكان أبوه يكون في الحلقة وهو متأخر عنها فيقول أبوه: يا محمد فلا يجيبه حتى يثب فيقوم على رأسه فيلبيه فيأمر بحاجته فلا يستثبته هيبة له حتى يسأل من فهم ذلك عن أبيه فيخبره".

من مظاهر العلاقة الودية بين الأب وأبنائه الاهتمام بتعويدهم على ممارسة العمل وغرس حب العلم في نفوسهم وتعليمهم العادات الحسنة. فقد كان عوف بن عبدعوف[5] وعفان بن أبي العاص[6] يخرجان تجارًا إلى اليمن ومعهما ابناهما عبدالرحمن وعثمان[7]. ومن وصاياهم لأبنائهم في الحث على طلب العلم قول الحسن بن علي لأبنائه: "يا بَنِيَّ.... إنكم صغار قوم، وتوشكون أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه ويجعله في بيته"[8]. وفي مجال تعويدهم على العادات الحسنة

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٧/٢١. وانظر أيضًا: البيهقي، ص٥٥٠.

(٢) الزبيري، ص٣٤٠- ٣٤٢. ابن قتيبة، عيون، ٢٧٤/٣. البلاذري، أنساب، ٢٢٧/١٠- ٢٢٨.

(٣) محمد بن عبدالرحمن بن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان. كان عالمًا بالحديث، توفي سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م. ابن سعد، ٤١٥/٥- ٤١٨.

(٤) ابن سعد، ٤١٨/٥.

(٥) عوف بن عبدعوف بن عبد بن الحارث بن زهرة. الزبيري، ص٢٦٥.

(٦) عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. الزبيري، ص١٠٠.

(٧) ابن حبيب، المنمق، ص١٤٣.

(٨) اليعقوبي، تاريخ ، ٢٢٧/٢.

قال سعد بن أبي وقاص[١] لابنه: "يا بني إذا طلبت الغنى فاطلب القناعة فإن لم تك لك قناعة فليس يغنيك المال"[٢].

تستمر العلاقة الودية بين الأب وأبنائه حتى بعد أن يتزوجوا أو يبتعدوا عنه لظروف عملهم فقد ساعد عمر بن الخطاب ابنه عبدالله بعد زواجه بالإنفاق عليه مدة شهر ثم أعانه بتمر له ليبيعه ويتّجر بثمنه ويستعين به في النفقة على أهله[٣]. كما أن أمية بن الأسكر[٤] وزوجته كانا يتناوبان زيارة ابنهما كلاب في كل سنة وذلك بعد أن عينه عمر بن الخطاب على الأُبُلَّة[٥]، وكان علي بن أبي طالب يفطر في رمضان يومًا عند الحسن ويومًا عند الحسين[٦]. ولا يتخلى الأبناء عن أبيهم بعد أن يكبر في السن بل ينتقل للعيش عند أحدهم، كما فعل أبناء عمرو بن حممة الدوسي[٧] مع أبيهم[٨].

---

(١) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب القرشي. أحد العشرة المبشرين بالجنة، ولي الكوفة لعمر بن الخطاب، واعتزل الفتنة، مات حوالي سنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٣.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ٣/١٨٥.

(٣) ابن شبة، ٢/٦٩٩.

(٤) أمية بن الأسكر هو أمية بن حرثان بن الأسكر بن عبدالله، من بني كنانة بن خزيمة. شاعر وفارس، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، يعد من المعمرين عاش حتى خلافة عمر بن الخطاب. أبو حاتم السجستاني، ص٩٢. الأصفهاني، الأغاني، ٢١/١٤. ابن الأثير، أسد، ١/١٣٨.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٢١/١٤. والأبلة بلدة على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم منها. ياقوت، البلدان، ١/٧٧.

(٦) ابن عنبة، ص٦٠.

(٧) عمرو بن حممة الدوسي، كان أحد حكام العرب في الجاهلية. ابن حجر، الإصابة، ١/٢٤٩، ٢/٥١٣.

(٨) ابن حجر، الإصابة، ١/٢٤٩، ٢/٥١٣.

من مظاهر تلك العلاقة أيضًا عدم التخلي عن الأب في الشدة، فقد رفض عيسى بن مصعب[1] دعوة أبيه له للّحاق بعمه عبدالله وفضّل البقاء معه في محنته حيث قتل معه[2].

يتجلى عمق محبة الأب لأبنائه وتعلقه بهم عند سفرهم عنه، فقد كان أمية ابن الأسكر شيخًا كبيرًا أثر في نفسه تخلي ابنيه عنه في هذا السن وذهابهما إلى الجهاد فأنشد يقول:

يا ابني أُمَيَّة إني عَنْكُما غَاني ... وما الغِنى غَيْر أنّي مُرْعَشٌ فاني

يا ابني أمية إن لا تَشْهَدَا كِبَري ... فإن نَأْيكما والثُّكْل مِثْلان[3]

من مظاهر العلاقة الودية بين الطرفين: الرثاء، إلا أنه من الملحوظ أن رثاء الآباء للأبناء يقل في العصر الجاهلي ولكنه يزداد في عصر صدر الإسلام، ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي[4] في أولاد له سبعة ماتوا كلهم إلا طفلاً:

أَوْدَى بَنِيَّ وأَعْقَبُونِي حَسْرَةً ... بعد الرُّقَادِ وعَبْرَةً ما تُقْلِعُ

....

ولَقَدْ حَرَصْتُ بأنْ أُدافِعَ عَنْهُمُ ... وإذَا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ

وإذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أظْفَارَهَا ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ[5]

---

(١) عيسى بن مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى. الزبيري، ص٢٤٩.

(٢) مؤرج، ص٥٨. الزبيري، ص ٢٤٩.

(٣) أبو علي القالي، ذيل، ص١٠٨.

(٤) أبو ذؤيب الهذلي هو: خويلد بن خالد بن محرث بن مضر، من بني هذيل بن مدركة. شاعر فحل مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، سكن المدينة وشارك في الفتوح، توفي حوالي سنة ٢٧هـ/ ٦٤٧م. أبو سعيد السكري، ١/٣. ابن قتيبة، الشعر، ص٣٣٠. خير الدين الزركلي، ٢/٣٢٥.

(٥) أبو سعيد السكري، ١/٦، ٨. ابن عبدربه، ٣/٢٥٣.

كما خرج عمر بن الخطاب يومًا إلى بقيع الغرقد[١] فوجد أعرابيًا يندب ابنه قائلاً:

يا غائبًا ما يؤوب من سَفَره عاجَله موتُه على صِغَره

يا قُرّة العَيْن كُنْتَ لي سَكنًا في طُولِ لَيْلي نَعم وفي قِصَره[٢]

وفي المقابل هناك قلة في رثاء الأبناء لآبائهم ، ويعلل حسين جمعة[٣] ذلك بقوله:

"ولعل مرد هذا إلى ما ورثه العرب من جاهليتهم فكان الرجل منهم ليصاب بأخيه وأبيه وابنه فلا يعرف ذلك فيه". إلا أننا أيضًا يجب أن لا ننكر أن عاطفة الأبوة أقوى بكثير من عاطفة البنوة.

وفي مقابل هذه العلاقة الودية هناك نماذج لأشخاص اشتهروا بعَقّ الأب، ومنهم مُنازل السعدي[٤] الذي قال والده فرعان بن الأعرف[٥] لعمر بن الخطاب في عقوقه:

وما كُنْتُ أَخْشَى أَنْ يَكُونَ مُنَازِلٌ عَدُوّي وأَدنَى شانئٍ أنا رَاهِبُه

حَمَلْتُ على ظَهْري وقَرَّبْتُ شَخْصَهُ صَغيرًا إلى أن أَمْكَنَ الطَّرَّ شَارِبُه

(١) بقيع الغرقد هو: مقبرة أهل المدينة، فيه دفن زوجات رسول الله ﷺ، ومعظم الصحابة. ويقع داخل المدينة. ياقوت، البلدان، ٤٧٣/١. عاتق البلادي، المعالم، ص٤٨.

(٢) ابن عبدربه، ٢٥٥/٣. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، تسلية الآباء بفقدان الأبناء المسمى التعلل والإطفا لنار لا تطفى، تحقيق مشهور سلمان (ط١، مكتبة المنار للنشر والتوزيع، الأردن ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ص٩٧- ٩٨.

(٣) حسين جمعة، ص٦٩.

(٤) منازل السعدي هو: منازل بن أبي منازل، فرعان بن الأعرف التميمي. ابن حجر، الإصابة، ٥٠٢/٣.

(٥) فرعان بن الأعرف التميمي شاعر مخضرم. ابن حجر، الإصابة، ٢١٢/٣، ٥٠٢.

وأَطْعَمْتُه حَتَّى إذا صَارَ شَيْظَمًا[1] يَكادُ يُساوي غَارِبَ[2] الفَحْلِ غَارِبُه
تَخَــوَّن مَالِي ظالمًــا ولَــوى يَــدي لَوى يَدَهُ اللهُ الــذي هُوَ غَالِبُــه[3]

كما قُتل أحدهم في المدينة على يد غلمان له بأمر ابن له سفيه طمعًا في الميراث وذلك في خلافة أبي جعفر المنصور[4]. ونتيجة لهذا العقوق يفقد الأب أمله ليس في ابنه فقط وإنما في نسل ذلك الابن أيضًا، فقد بُشِّر أحدهم بولد لابن له عاق فقال: "تبشرني بغلام أعيا أبوه؟"[5]. ويقول الشاعر في ذلك:

تَرْجُـو الوليـدَ وقد أعيــاكَ والـدُه وما رَجَـاؤُكَ بعدَ الوالِدِ الوَلَدَا[6]

أما علاقة الأب ببناته فتتمثل في عدة مظاهر منها: الحرص عليهن وهن ما زلن في كنفه وتحت رعايته، فقد كان عبدالله بن عمرو[7] يحرص على إبقاء ابنه جابر في المدينة عند مصاحبته رسول الله ﷺ في غزواته خوفًا على بناته[8]. وإن لم يجد الأب ذا قرابة يوكل له أمر بناته عند سفره فإنه كان يحرص على تكليف من يهتم بهن من جيرانه، فعندما سافر معن بن أوس إلى الشام خلَّف ابنته في حماية جارين له وهما: عمر بن أبي سلمة[9]، وعاصم بن عمر بن

(١) الشيظم: الطويل الجسم. ابن منظور، ٢/٣١٨.
(٢) الغارب: أعلى مقدم السنام، وغارب كل شيء أعلاه. ابن منظور، ٢/٩٦٨.
(٣) ابن حجر، الإصابة، ٣/٢١٢.
(٤) ابن سعد (القسم المتمم) ص ٤٥٣، ٤٥٤.
(٥) الميداني، ١/١٣٢.
(٦) السابق نفسه.
(٧) عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الأنصاري الخزرجي. من أهل العقبة وبدر، استشهد بأحد سنة ٣هـ/ ٦٢٤م. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٥٠.
(٨) ابن سعد، ٢/٤٩.
(٩) عمر بن أبي سلمة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال، من بني مخزوم. أمه أم المؤمنين أم سلمة. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٣٥.

الخطاب. ورد على من سأله: "على من خلفت ابنتك ليلى بالحجاز وهي صبية ليس لها من يكفلها؟" بقوله:

لَعَمْـرُكَ مـا ليلَى بَـدارِ مَضيعـةٍ ... وما شَـيْخُها إن غَاب عنها بخـائِف

وإنّ لهـا جـارَيْن لـن يَغْـدِرا بها ... ربيبَ النبيّ وابنَ خيْر الخلائِف[1]

ويستمر حرص الأب على بناته حتى وقت مماته فقد أوصى عبدالله بن عمرو ابنه جابرًا ببناته قبل ذهابه في إحدى الغزوات لإحساسه بدنوِّ أجله[2]. كما أوصى العاص بن الربيع بابنته أمامة إلى الزبير بن العوام، فكان هو من تولى تزويجها من علي بن أبي طالب[3].

قد يستمع الأب لعتب ابنته خاصة إذا كانت مُفضَّلة لديه فقد كانت أم حكيم أحب ولد عبدالله بن الزبير إليه، فعاتبته على تفضيله للأبناء عليهن في الأمور المالية وقالت له: "لِمَ تؤثر بنيك بالنخل علينا وبناتك أحق بالأثرة لضعفهن؟ أترى بنيك يؤثروننا على نسائهم؟ فقال لها: "لا أفعل بعدها"[4].

وتستمر علاقة الأب ببناته بعد زواجهن فها هو سعيد بن المسيب وعلى الرغم مما عرف عنه بأنه لا يزور أحدًا، إلا أنه لم يكن يستغني عن زيارة ابنة له يقول في ذلك: "ما أظلني بيت بالمدينة بعد منزلي إلا أني آتي ابنة لي فأُسلِّم عليها أحيانًا"[5]. كما يحرص بعض الآباء على تأمين مستقبل بناتهم على

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٢/٧٦.

(٢) ابن سعد، ٣/٥٦٣.

(٣) ابن عبدالبر، ٤/٢٣٦- ٢٣٧. ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٤٦.

(٤) الزبير بن بكار، جمهرة، ١/٢٦٥.

(٥) ابن سعد، ٥/١٣١.

الرغم من زواجهن، فقد جاء في صحيح البخاري[١]: "تصدق الزبير[٢] بدُوره وقال للمردودة[٣] من بناته أن تسكن غير مضرة ولا مُضر بها فإن استغنت بزوج فليس لها حق". كما تصدق سعد بن أبي وقاص لابنته حفصة[٤] وابنتيها بالمسكن الذي يسكنه على أنه لا يحق لهن بيعه أو وراثته، وليس هبة منه لهن، وإنما هي دار صدقة لمن هجر منهن أو ظلم[٥].

وتتمثل عمق علاقة الابنة بأبيها في رثائها له بعد وفاته، وقد وضح ذلك بكثرة في الجاهلية والإسلام وهو ما افتقدناه في رثاء الأبناء لآبائهم. ومن أمثلة ذلك الرثاء ما قالته تخمر بنت قصي[٦] في أبيها بعد وفاته:

طَرَقَ النَّعيُّ بُعيدَ نَوْم الهُجّدِ   فنعى قصيًا ذا النَدى وَالسُّؤدَدِ[٧]

كما رثت خالدة بنت هاشم[٨] أباها في قولها:

(١) البخاري، صحيح، ١٩٧/٣– ١٩٨. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ٤٢٥/٩. ابن منظور، ١١٥٠/١.

(٢) أي الزبير بن العوام. ابن حجر، فتح، ٤٠٧/٥.

(٣) المردودة أي المطلقة. الهجري، ١١٢٣/٣. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٢١٣/٢. ابن منظور، ١١٥٠/١.

(٤) حفصة بنت سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبدمناف بن زهرة. ابن شبة، ٢٣٨/١. ابن حزم، ص١٢٩.

(٥) ابن شبة، ٢٣٨/١ – ٢٣٩. وانظر أيضًا في علاقة الأب بابنته ما سبق ذكره في الفصل الثاني.

(٦) تخمر بنت قصي بن كلاب بن مرة، تزوجت من عمران بن مخزوم وأنجبت منه. الزبيري، ص١٤.

(٧) ابن سعد، ٧٣/١.

(٨) خالدة بنت هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة. تزوجت من أسد بن عبدالعزى، وأنجبت منه. الزبيري، ص ١٧.

بكَرَ النَّعِيُّ بخيْـرِ مَنْ وَطِئَ الحَصَى ذي المَكْرُمات وَذي الفَعالِ الفَاضِلِ[1]

كما أورد البلاذري[2] رثاء بنات عبدالمطلب بن هاشم لأبيهن، ومن ذلك قول عاتكة بنت عبدالمطلب[3]:

أَعَيْنَـــيَّ جُـــودا ولاَ تَبْخَـــلا بِدَمْعِكُمـا بَعْـدَ نَـوْم النِّيَـامْ

....

عَلَى شَـيْبَـةِ الحمْـدِ والمكْـرَمـاتِ ومُـرْدِي المُخاصِمِ يـومَ الخِصَامْ[4]

وفي الإسلام تمثلت عائشة أم المؤمنين بشعر أبي طالب بن عبدالمطلب حين أوشك أبوها على الموت فقالت:

وأَبْيَضُ يُسْتَسقَى الغمامُ بوجهه ربيع اليتَامى عِصْمَة للأَرامِلِ[5]

وفي المقابل نرى قلة في رثاء الآباء لبناتهم وهو ما لم نجده في رثاء الآباء للأبناء. ولعل مرجع ذلك إحساس الأب بفقده لولده، فقده لسنده في كبره، ومحيي ذكره بعد وفاته، بالإضافة إلى ما عرف عن العربي من حبه لإنجاب الذكور على الإناث. وممن رثى ابنته حسان بن ثابت قال:

---

(١) ابن سعد، ١/٨٠، ٨١.

(٢) البلاذري، أنساب، ١/٨٥.

(٣) عاتكة بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة. تزوجت من أبي أمية بن المُغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وأنجبت منه. الزبيري، ص١٨.

(٤) البلاذري، أنساب، ١/٨٥.

(٥) البلاذري، أنساب (الشيخان) ص ٦٧.

عَلِمْتُكِ واللّه الحَسِيبُ عفيفةً ... من المُؤْمِنَات غَيْرَ ذَات غَوائِلِ[1]

حَصَانًا رزَانَ الرِّجْلِ يَشْبَعُ جَارُهَا ... وتُصْبِحُ غَرثَى[2] مِن لحُومِ الغَوافِلِ

وما قلتُ في مَالٍ تُريدين أَخْذَهُ ... بُنَيَّةُ مَهْلاً إنَّنِي غَيْرُ فَاعِلِ[3]

هذه هي أهم الملامح التي ترسم العلاقة بين الأب وأولاده من بنين وبنات، وهي لا تخرج عن المألوف والمتعارف عليه حتى وقتنا الحاضر، من حب الأب لأولاده، وبرِّهم به. وبعض الحالات الاستثنائية من جانب الآباء والأبناء.

- **العلاقة بين الإخوة:**

تعد العلاقة بين الإخوة المرآة التي من خلالها نتعرف على طبيعة وضع الأسرة. فما دور الوالدين في تشكيل تلك العلاقة؟ وما مدى تأثرها باختلاف شكل الأخوة؟

لا شك أن الوالدين لهما دور كبير في تشكيل تلك العلاقة من خلال أسلوب معاملتهما لأبنائهما، فالتفرقة بين الأبناء في المعاملة تُولِّد البغضاء في النفوس، ومن ذلك قول الحارث بن المطلب لأبيه عندما طلب من ابنه الحكم أن ينزل لأخيه عن جارية كان قد اشتراها لنفسه: "لِمَ تُكدِّر على أخي وتفسد قلبه عليَّ؟!"[4]. أما إذا زرعوا في نفوس أبنائهما المحبة فلا شك أن ذلك سيثمر حبًا

(١) الغوائل: الدواهي. ابن منظور، ٢/١٠٣٨.

(٢) غرثى: جوعى. ابن منظور، ٢/٩٧٠.

(٣) حسان بن ثابت، ص٢٤٢.

(٤) الزبيري، ص٣٤٠- ٣٤١.

وإعزازًا لبعضهم. ويتمثل ذلك الحب والإعزاز بين الإخوة في عدة مظاهر، فمن ذلك أن الأخت قد تميل مع أخيها ضد زوجها، كما فعلت سودة بنت الزبير بن العوام[١] فقد كان أخوها عمرو بن الزبير[٢] قد ضرب زوجها عبدالرحمن بن الأسود[٣] فيمن ضرب بالمدينة من بني أسد بن عبدالعزى[٤]، فلما أُسِر عمرو بن الزبير في مكة استقاد منه عبدالرحمن بن الأسود فحنقت زوجته عليه لفعله السابق بأخيها حتى كادت تقتله وهو نائم، فطلقها[٥]. وكما حدث في الحاضرة، نجده في البادية أيضًا، فقد مالت سلمى بنت خشرم[٦] مع أخيها ضد زوجها في رهان بينهما[٧]. ومن مظاهر الود أيضًا اشتراك الأخ مع أخيه في عمل واحد وتعاونهما على أدائه، فقد كان خالد وعمرو ابنا سعيد ابن العاص[٨] شريكين في تجارتهما يتعاونان على تصريف أمورها، فيسافر أحدهما في كل عام[٩]. كما أن احترام الأخ الأكبر دلالة على ما تربى عليه

---

(١) سودة بنت الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب. الزبيري، ص٢١٤- ٢٣٦.

(٢) عمرو بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب. الزبيري، ص٢٣٦.

(٣) عبدالرحمن بن الأسود بن أبي البَخْتَري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى. الزبيري، ص٢١٤.

(٤) بنو أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب. حي من قريش. الزبيري، ص ٤١. عاتق البلادي، قبائل، ص١٨.

(٥) الزبيري، ص٢١٤- ٢١٥.

(٦) سلمى بنت خشرم بن أبي حيّة بن سلمة بن أسحم، من سعد بن هذيم من قضاعة. أخت الشاعر الحجازي هُدبة بن خشرم. الأصفهاني، الأغاني، ٢١/٢٥٧، ٢٥٩.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ٢١/٢٥٩.

(٨) خالد وعمرو ابنا سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس، كانا ممن أسلم مبكرًا وهاجرا إلى الحبشة. الزبيري، ص١٧٤- ١٧٥.

(٩) ابن حبيب، المنمق، ص ٢٩٢.

الإخوة من محبة بعضهم بعضًا، فقد كان الرسول ﷺ يقول: "الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب"[(١)]. فعندما توفي العباس بن عبدالمطلب أراد ابناه عبدالله وعبيدالله أن يقتسما ميراثهما بمكة فدُعي القاسم ليقسم بينهما دارًا فقال له عبدالله: "أتم المطمر" يعني الحبل يمد فقال له عبيدالله: يا أخي الدار دارك، لا يُمدُّ والله فيها اليوم مطمر"[(٢)]. كما كان أبناء علي بن عبدالله بن العباس[(٣)] يكرمون أختهم فاطمة[(٤)] لسنِّها وفضلها وكرمها[(٥)].

تتمثل العلاقة الودية بين الإخوة أيضًا في لوعتهم على فقد إخوتهم، ومنهم عمر بن الخطاب الذي حزن على أخيه زيد[(٦)] حزنًا شديدًا وكان يقول: "ما هَبَّتِ الصَّبا إلا أتتني بريح زيد"[(٧)]. وعندما مات عباد بن أبي صالح[(٨)]

---

(١) الطبراني، الكبير، ١٩/٢٠٠.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ١/٣٣٤. وانظر أيضًا: ثعلب، ١/١٦٧.

(٣) أبناء علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف، منهم داود، وعيسى، وسليمان، وصالح، وغيرهم. الزبيري، ص٢٩.

(٤) فاطمة بنت علي بن عبدالله بن العباس. أمها أم ولد. الزبيري، ص٢٩- ٣٠.

(٥) الزبيري، ص٣٠.

(٦) زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح، من بني عدي بن كعب من قريش. شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. قتل شهيدًا سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م. الزبيري، ص٣٤٨، ٣٤٩. ابن الأثير، أسد، ٢/٢٨٥- ٢٨٦.

(٧) الزبيري، ص ٣٤٨. ابن الأثير، أسد، ٢/٢٨٦.

(٨) عباد بن أبي صالح ذكوان السمان. عده ابن سعد من الطبقة الخامسة من تابعي أهل المدينة، وُصِف بأنه منكر الحديث، يسمى أيضًا عباد بن رقية، توفي في خلافة مروان بن محمد (القسم المتمم) ص٣٤٤. السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج٢ (د. ط، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص٣١٨.

وجد عليه أخوه سهيل[١] وجدًا شديدًا حتى حدَّث نفسه[٢]. وقد يتمثل حزن بعضهم برثاء إخوتهم شعرًا، ووضح ذلك بكثرة في العصر الجاهلي واستمر في الإسلام، من ذلك رثاء الخنساء لأخويها في الجاهلية، كقولها في رثاء أخيها صخر[٣]:

أعَيْنَيَّ جُودَا ولا تَجْمُدا ... ألا تَبْكِيَان لِصَخْر النَّدَى؟

ألاَ تَبْكِيانِ الجَرِيءِ الجميلَ ... ألا تَبْكِيَانِ الفَتَى السَّيِّدا؟![٤]

ومن رثاء الإخوة في العصر الإسلامي رثاء أبي العيال الهذلي[٥] لأخيه لأمه في قوله:

أَلا للَّه دَرُّكَ مِنْ ... فَتَى قَومٍ إذا رَهِبُوا

وقالوا: من فَتًى للحَرْ ... بِ يَرقُبنا ويَرْتقِبُ

فكنتَ فتَاهُمُ فيها ... إذا يُدعَى لها يَثِبُ[٦]

---

(١) سهيل بن أبي صالح ذكوان السمان. عده ابن سعد من الطبقة الخامسة من تابعي أهل المدينة، مولى جويرية بنت الأحمس الغطفانية، مات حوالي سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م (القسم المتمم) ص٣٤٥. السخاوي ٢/٢٠٤ – ٢٠٥.

(٢) ابن سعد، (القسم المتمم) ص٣٤٥.

(٣) صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي، من بني سُليم بن منصور، أخو الخنساء الشاعرة المشهورة، من فرسان بني سليم. ابن حزم ، ص١٧٢. خير الدين الزركلي، ٣/٢٠١.

(٤) المبرد، التعازي، ص٩٠. ابن عبدربه، ٣/٢٦٨.

(٥) أبو العيال الهذلي هو: أبو العيال بن أبي عنترة أو ابن أبي غثير، أحد بني خناعة بن سعد بن هذيل. من شعراء هذيل، مخضرم عاش حتى خلافة معاوية بن أبي سفيان. أبو سعيد السكري، ١/٤٠٧. الأصفهاني، الأغاني، ٢٤/١٦٢.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٤٢/١٦٠، ١٦٢.

إلا أن هذا الرثاء الذي وجدناه بين الأخت وأخيها والأخ وأخيه، نفتقر فيه إلى رثاء الأخ لأخته وهو استمرار لظاهرة تجاهل رثاء ذوات النسب من أمهات وبنات وأخوات وندرة رثاء الزوجات. ومن الراجح أن رثاء المرأة أمر غير مستحب في الجاهلية، واستمر هذا الوضع في الإسلام.

من خلال استعراض العلاقة بين الإخوة لا بد من الإجابة عن التساؤل الذي طرحناه في البداية حول مدى تأثر تلك العلاقة باختلاف شكل الأخوة، فهناك الإخوة الأشقاء ويطلق عليهم الأعيان، والإخوة لأم وهم الأقران أو الأخياف، والإخوة لأب وهم بنو العَلات[1]. ومن الواضح أن الإخوة الأشقاء والإخوة لأم أكثر ترابطًا من الإخوة لأب، ولعل مرجع ذلك أن الأم تحرص على التقريب بين أبنائها، ولالتصاق الأبناء بها أكثر من الأب تنجح غالبًا في ذلك، فيما قد يفشل الأب في التقريب بين أبنائه من زوجات شتى لانشغاله عنهم، بالإضافة إلى الدور الذي تمارسه غالبًا زوجات الأب في إثارة عوامل الغيرة والتنافس بين الإخوة. لذلك غالبًا ما نجد الشعراء يُعبِّرون عن الإخوة الأشقاء بأنهم بنو أمّ كقول حسان بن ثابت وهو يعير الحارث بن هشام لفراره يوم بدر وتركه أخاه الشقيق أبا جهل:

هلا عَطفْتَ على ابن أُمِّكَ إذ ثَوَى[2] قَعِصَ[3] الأَسِنَّة ضَائعَ الأَسْلابِ[4]

(١) الخنساء، ص٣١٠- ٣١١. الهجري، ١٢٠٥/٣. ابن الأثير الجزري، ص٢٤٩- ٢٥٠. والسيوطي، مسند علي، ص ٣٢. السيوطي، مسند فاطمة، ص٥٥. العلات جمع علة وهي الضرة. ابن منظور ٨٦٨/٢.

(٢) ثوى: قُتِل. ابن منظور، ٣٨٧/١.

(٣) "القعص: أن يضرب الرجل بالسلاح أو بغيره فيموت مكانه قبل أن يريمه". ابن منظور، ١٣١/٣.

(٤) حسان بن ثابت، ص٣٣١. والأسلاب ما يكون مع القتيل من ثياب وسلاح ودابة. ابن منظور، ١٧٧/٢.

وقول متمم بن نويرة في رثائه لأخيه مالك:

وفَقْــدُ بني أُمٍّ تَـوَلَّــوْا ولـم أكُــنْ   خــلافَهُـمُ أَنْ أَسْـتَكِنَّ فأَخْضَعَــا(١)

ومن مظاهر التآزر بين الإخوة لأم أو الإخوة الأشقاء الاستعانة بهم وقت الشدة، والوقوف معهم في الأزمات. فقصي بن كلاب(٢) حينما أراد نقل أمر مكة والبيت من خزاعة إلى قريش استعان بأخيه لأمه رزاح بن ربيعة(٣)، كما بايع زيد بن الحسن(٤) بعد مقتل عمه الحسين، عبدالله بن الزبير، وبخلاف الدوافع السياسية إن وجدت يرى ابن عنبة(٥) أن ذلك بسبب أن أخته الشقيقة كانت زوجة لعبدالله. وعندما تنازع عتبة(٦) وعنبسة(٧) ابنا أبي سفيان وقد كان عتبة ابن هند بنت عتبة وشقيق معاوية، وأم عنبسة بنت أبي أزيهر الدوسي، وقف معاوية إلى جانب أخيه عتبة وأغلظ لعنبسة القول، وعندما أنكر عليه عتبة موقفه قال له: "يا عنبسة إن عتبة ابن هند"(٨).

---

(١) أبو زيد القرشي، ٢/٢٤٠.

(٢) قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. الجد السادس للرسول ﷺ. الزبيري، ص١٤.

(٣) ابن سعد، ١/٦٨، ٦٩. ورزاح هو: زراح بن ربيعة بن حرام العذري. ابن سعد، ٧/١٦.

(٤) زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان يتولى صدقات الرسول ﷺ. كان جوادًا ممدوحًا، مات وله من العمر خمس وتسعون سنة تقريباً. الزبيري، ص٤٩. ابن عنبة، عمدة، ص٦٩.

(٥) ابن عنبة، عمدة، ص٦٩.

(٦) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس القرشي، ولاه عمر بن الخطاب الطائف، وقيل: إن معاوية هو من ولاه، مات بالإسكندرية. ابن حجر، الإصابة، ٣/٧٨.

(٧) عنبسة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس القرشي. ولي مكة لأخيه معاوية. ابن حجر، الإصابة، ٣/٨٢- ٨٣.

(٨) الطبري، تاريخ، ٥/٣٣٣.

وتمتد علاقة المحبة إلى أبناء الأخ الشقيق أو الأخ لأم فها هما أبو طالب والزبير ابنا عبدالمطلب يحرصان على كفالة محمد ﷺ لكونه ابن أخيهما الشقيق عبدالله ويقترعان لذلك[(١)]. كما قرَّب زياد بن أبيه أولاد أخيه لأمه: أبي بكرة[(٢)]، وولاهم الولايات[(٣)].

أما العلاقة مع الإخوة لأب فقد يشوبها بعض الفتور، والسبب في ذلك يرجع إلى موقف الضرائر من بعضهن فينعكس سلبًا على أبنائهن بإثارتهن الحسد والضغائن والغيرة بينهم. ومن ذلك موقف هند بنت عتبة من ابن زوجها عنبسة بن أبي سفيان فقد كانت تُحرِّض ابنها معاوية عليه بينما تقرب بينه وبين أخيه الشقيق عتبة. جاء في أنساب الأشراف[(٤)]: "شَخَصَ أبو سفيان إلى معاوية وهو على الشام بعد يزيد أخيه ومعه عتبة وعنبسة، فكتبت هند إليه: قد قدم عليك أبوك وأخوك، فاحمل أباك على فرس وأعطه أربعة آلاف درهم، واحمل عتبة على بغل وأعطه ألفي درهم، واحمل عنبسة على حمار وأعطه ألف درهم، ففعل فقال أبو سفيان: "أشهد أن هذا رأي هند". ومع شكِّنا في صحة هذه القصة؛ لأن من كان مثل معاوية في رجاحة عقله وقوة شخصيته ليس بحاجة إلى أن تبعث إليه أمه لتوجهه كيف يتصرف مع أبيه وإخوته، إلا أنها لا تخلو من دلالة على موقف زوجة الأب من أبناء زوجها ودوره

---

(١) البلاذري، أنساب، ١/ ٨٥.

(٢) أبو بكرة هو: نفيع بن مسروق. أمه سمية، كان عبدًا بالطائف، فلما حاصرها الرسول ﷺ قال: "أيما عبد نزل إلينا فهو حر". فنزل إليهم متدليًا في بكرة فكنوه بها، توفي سنة ٥٢هـ/ ٦٧٢م، ابن سعد، ٧/١٥. السيوطي، الحبشان، ص٢٩٤- ٢٩٨. خير الدين الزركلي، ٨/٤٤.

(٣) ابن سعد، ٧/١٦.

(٤) البلاذري، أنساب، ق ٤، ١/١١- ١٢.

في التفريق بين الإخوة. كما عزل معاوية أخاه عنبسة عن ولاية الطائف وولاها لأخيه عتبة فقال عنبسة موضحًا دور هند زوجة أبيه في التفريق بينه وبين إخوته:

كُنَّا لِحَرْبٍ صَالِحًا ذَاتُ بَيْنِنَا جَمِيعًا فَأَضْحَتْ فَرَّقَتْ بَيْنَنا هِنْدُ[(١)]

ومن الدلائل التي تشير إلى أن هناك فرقًا في العلاقة بين الإخوة الأشقاء والإخوة لأب ما قاله هشام بن الوليد[(٢)] لأخيه خالد[(٣)] عندما استكثر مبلغ فداء أخيه الوليد[(٤)] الذي أُسِر في بدر[(٥)] قال: "إنه ليس بابن أمك، والله لو أَبَى[(٦)] إلا كذا وكذا لفعلت"[(٧)].

يضاف إلى ذلك أيضًا ما سبق أن قاله معاوية لأخيه عنبسة. وعرف

---

(١) أبو عبيد، النسب، ص٢٠١. الزبيري، ص ١٢٥. البلاذري، أنساب، ق٤، ١/٣٩- ٤٠. ابن عساكر، تاريخ -تراجم- ص ٤٥٨. وانظر بيت الشعر هذا أيضًا في مناسبة مختلفة: الطبري، تاريخ، ٥/٣٣٣.

(٢) هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي. الزبيري، ص٣٢٣.

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، هاجر بعد صلح الحديبية هو وعمرو بن العاص وعثمان ابن طلحة، شارك في فتح مكة، كان أثيرًا عند أبي بكر الصديق، شارك في حروب الردة وفتوحات العراق والشام، توفي سنة ٢١هـ/ ٦٤١م. الزبيري، ص٣٢٠. ابن حجر، الإصابة، ١/٤١٣. خير الدين الزركلي، ٢/٣٠٠.

(٤) الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، أسلم بعد افتدائه فاستنكروا فعله. فقال: "كرهت أن تظنوا أني جزعت من الإسار". الزبيري، ص٣٢٣- ٣٢٤.

(٥) غزوة بدر حدثت سنة ٢هـ/ ٦٢٣م. الطبري، تاريخ، ٢/٤٢١.

(٦) المراد به عبدالله بن جحش الأسدي الذي كان الوليد أسيرًا عنده. الفاسي، العقد، ٧/٤١١.

(٧) الفاسي، العقد، ٧/٤١١.

ذلك أيضًا في العصر الأموي فقد كان يحيى بن محمد[1] يفخر على إخوته لأبيه لكون أمه هاشمية[2].

وقد يبرز التنافس أيضًا بين الإخوة غير الأشقاء، سواء كانوا إخوة لأم أو إخوة لأب. فقد كان عثمان بن عبدالله[3] يترفع على إخوته لأبيه لكون جده لأمه الخليفة عثمان بن عفان[4]، كما كان كلٌّ من محمد بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن أبي بكر الصديق[5] يتفاخر كل منهما على الآخر لكونهما أخوين لأم[6] فيقول كل منهما لأخيه: "أنا أكرم منك، وأبي خير من أبيك"[7].

من هذه الإشارات لمسنا علاقة الأخ بأخيه والأخ بأخته إلا أننا افتقدنا موقف الأخت من أختها على اختلاف شكل الأُخوَّة. ولعل ذلك عائد إلى صمت المصادر التي اطلعت عليها عن التعرض لمثل هذه العلاقة، إلا أنها لن تخرج عن الإطار الذي وضحت من خلاله علاقة الإخوة الذكور.

---

(١) يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب. الزبيري، ص٣٠.

(٢) مؤلف مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبدالعزيز الدوري وعبدالجبار مطلبي (د. ط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧١م) ص ٢٢٨. وأمه أم الحكم بنت عبدالله بن الحارث بن نوفل بن عبدالمطلب. الزبيري، ص, ٣٠

(٣) عثمان بن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص القرشي. أمه أم عثمان بنت عثمان بن عفان. الزبيري، ص١١٢.

(٤) ابن شبة، ٣/١٠٢٢.

(٥) محمد بن أبي بكر الصديق عبدالله بن عثمان، من تيم من قريش. شهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب ثم أرسله إلى مصر أميرًا سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م، وقتل سنة ٣٨هـ/٦٥٨م. ابن حجر، الإصابة، ٣/٤٧٢.

(٦) أمهما أسماء بنت عميس. الزبيري، ص٨١، ٢٧٧.

(٧) ابن سعد، ٤/٤١، ٨/٢٨٥.

ثالثًا - العلاقة بالأخوال[1] والأعمام:

للأخوال والأعمام مكانة كبيرة عند أفراد الأسرة فغالبًا ما يذكرونهم في معرض فخرهم بأنفسهم، أو مدحهم لغيرهم، ومن ذلك قول معقل بن خويلد الهذلي[2] في الجاهلية:

بَنُو فالِجٍ قَوْمِي وَهُمْ وَلَدُوا أبي ... وخَالِي ثِمَالُ الضَّيفِ مِن آل فَاتِكِ

....

كأنَّ امْرَأً كانُوا هُمُ أَهْلَ أمّه ... نَمَى رَحْلُهُ عِنْدَ النُّجُومِ الشَّوابكِ[3]

كما قال حسان بن ثابت:

سَألتْ حَسَّانَ مَنْ أَخْوالُه ... إنَّما يُسأل بالشَّيءِ الغُمُرْ

قُلتُ أَخْوالي بَنُو كَعْب إذَا ... أَسْلَمَ الأبْطالُ عَوْراتِ الدُّبُرْ

رُبَّ خَالٍ ليَ لو أبْصرتِه ... سَبِط المِشْيَةِ في اليَوم الخَصِرْ[4]

---

(١) انظر في العلاقة بالأخوال: أحمد الحوفي، ص١٣١- ١٤٣. محمد سليمان السديس، الخؤولة في الشعر العربي حتى أواخر العصر الأموي، مجلة كلية الآداب، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، ١٩٨٦م، الرياض، ص٢٥- ٥٩. عبدالرحمن إبراهيم الدباسي، الخؤولة عند العرب، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السابع، ربيع الآخر ١٤١٣هـ/ أكتوبر ١٩٩٢م، الرياض، ص٣٠٦- ٣٣٣.

(٢) معقل بن خويلد بن واثلة بن مطحل الهذلي. شاعر جاهلي. أبو سعيد السكري، ١/ ٤٧٣.

(٣) أبو سعيد السكري، ١/ ٤٠٠. والشوابك أي: المتداخلة. ابن منظور، ٢/ ٢٦٤.

(٤) حسان بن ثابت، ص١٩٢. ابن منظور، ١/ ٨٤١. واليوم الخصر: أي اليوم الشديد البرودة. ابن منظور، ١/ ٨٤١.

وقال جعدة بن هبيرة[١] يفخر بخاليه علي وعقيل ابني أبي طالب:

أبي كان مِنْ مَخْزُومٍ إن كُنْتَ سَائِلاً ومن هَاشِمٍ أمِّي لخَيْرُ قَبَيل

وَمَنْ ذا الذي يَبأى عليَّ بِخَالِه وخالي عليٌّ ذو النَّدى وَعَقيل[٢]

وفاخر ابن أم الحكم ابن خاله يزيد بن أبي سفيان قائلاً له: "خالي من قريش وخالك من كلب"[٣]. وقال الوليد بن يزيد[٤] يفخر على أخيه هشام[٥]:

إني لَفي الذِّروة العُليا إذا انتسبوا مُقَابَلٌ بين أخوالي وأعمامي[٦]

كما مدح الحجاج بن علاط السلمي[٧] علي بن أبي طالب بقوله:

لِلَّهِ أَيُّ مُذَبِّبٍ عَنْ حُرْمَةٍ أَعْنِي ابْنَ فَاطِمَةَ[٨] المُعِمَّ المُخْوِلا[٩]

---

(١) جعدة بن هبيرة بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. ولاه خاله علي بن أبي طالب على خراسان. الزبيري، ص٣٤٤.

(٢) الزبيري، ص٣٤٤. ابن عبدالبر، ١/٢٤٠. ابن الأثير، أسد، ١/٣٤٠. الفاسي، العقد، ٣/٤١٣.

(٣) البلاذري، أنساب، ق٤، ١/٥٢.

(٤) الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم. تولى الخلافة ما بين ١٢٥ - ١٢٦هـ/ ٧٤٢ - ٧٤٣م. الطبري، تاريخ، ٧/٢٠٩، ٢٣١.

(٥) هشام بن يزيد بن عبدالملك. كانت أمه أم ولد. الزبيري، ص١٦٧.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٧/١٦.

(٧) الحجاج بن عِلاط بن خالد بن ثويرة بن هلال السلمي ثم الفهري. من سكان مكة، قدم على الرسول ﷺ وهو بخيبر وأسلم، وسكن المدينة، مات في أول خلافة عمر بن الخطاب. ابن حجر، الإصابة، ١/٣١٣.

(٨) المراد هنا فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف. الزبيري، ص٤٠.

(٩) ابن هشام، ٣/١٢٥. وانظر أيضًا: كثير عزة، ص٥٣٧.

وفي البادية يقول أمية بن أبي عائذ[1]:

وأَنْتَ امْـرُؤٌ سَالَمْتَ فِي عَصْرِ مَا خَلا   وَأَنْتَ مُعَمٌّ في بَنِـي الحَـرْبِ مُخْوَلُ[2]

ولكن ما طبيعة العلاقة بالطرفين؟ يبدو أن مكانة الخال كانت أقرب إلى أفراد الأسرة من العم، فكثيرًا ما يرد أن الخال بمنزلة الوالد[3]، والخالة بمنزلة الأم[4]، واستمر هذا الوصف حتى وقتنا الحاضر. ويرى كريم حسام الدين[5] أن النزعة العصبية للخؤولة نتجت عن ظاهرة الانتساب للأم والافتخار بذلك. يضاف إلى ذلك أنها ظاهرة عمت ولا تزال تعم المجتمع العربي بأسره.

يسود في المجتمع العربي الشعور بشكل عام سواء في الماضي أم الحاضر أن للخال تأثيرًا في ابن أخته في الصفات الخَلْقية والخُلُقية[6]، إن سلبًا أو إيجابًا، لذلك قالوا: "عرق الخال لا ينام"[7]، ولهذا اهتموا بانتقاء أمهات أولادهم فعن الرسول ﷺ أنه قال: "تخيروا لنطفكم وأَنْكِحُوا الأكفاء"[8]. كما رُوي عن أبي بكر الصديق أنه قال: "من أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها

(١) أمية بن أبي عائذ العمري الهذلي، من بني عمرو بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل. شاعر إسلامي، يعد من شعراء الدولة الأموية، توفي حوالي سنة ٧٥هـ/ ٦٩٤م. أبو سعيد السكري، ٤٨٧/٢. البغدادي، ٤٢١/١- ٤٢٢. خير الدين الزركلي، ٢٢/٢.

(٢) أبو سعيد السكري، ٥٣٨/٢.

(٣) البلاذري، أنساب، ٢٢٠/٨. ابن الأثير، أسد، ١٠٧/١.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ٢٣٥/٤. السيوطي، مسند علي، ص ٦٥، ١١٨. السيوطي، مسند فاطمة، ص ١٣.

(٥) كريم حسام الدين، ص١١٨.

(٦) الثعالبي، ثمار، ص٣٤٣- ٣٤٦. جواد علي، ٥٢٧/١.

(٧) الثعالبي، ثمار، ص ٣٤٣.

(٨) ابن ماجه، ٣٦٢/١.

أو أخيها فإنما تأتيه بأحدهما"[1]. وكان عبدالله بن عمر يقول: "جاءتنا الأُدْمَة[2] من قبل أخوالي[3]، والخال أنزع شيء". وقال حسان بن ثابت وكان قد تزوج امرأة من أسلم فولدت له غلامًا:

غُلامٌ أَتَاهُ اللُّؤْمُ من نَحْو خَالِهِ لَهُ جَانِبٌ وَافٍ وآخَرُ أَكْشَمُ[4]

وجاء في الكامل[5] قول أحدهم في ابنه:

والله ما أشبهني عصامُ لا خُلُقٌ منه ولا قوامُ

نِمْتُ وعرق الخال لا ينامُ

من الواضح أن مصطلح الأخوال في مدة الدراسة وغيرها لا يقصد به إخوة الأم أو أخواتها فقط، بل قد يمتد هذا المصطلح ليشمل عشيرة الأم كلها، فبنو النجار[6] كان يطلق عليهم أخوال عبدالمطلب بن هاشم[7]، وبنو زهرة كانوا يقولون: نحن أخوال النبي ﷺ، على الرغم من أنه لم يكن لآمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ أخ فيكون خالاً له، إنما لكون أمه منهم فقط[8]. كما

---

(١) الفاسي، العقد، ١٥٦/٥.

(٢) الأدمة: السمرة. ابن منظور، ٣٥/١.

(٣) أمه زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح. الزبيري، ص٣٤٨- ٣٤٩.

(٤) حسان بن ثابت، ص٢٥٥. ابن منظور، ٢٦٣/٣. والأكشم: الناقص الحسب. ابن منظور، ٢٦٣/٣.

(٥) المبرد، ٩٥/١.

(٦) بنو النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو. بطن من الخزرج من الأزد من القحطانية. القلقشندي، نهاية، ص٧٦.

(٧) البلاذري، أنساب، ٩٤/١. ابن الأثير، أسد، ٢١١/٣.

(٨) ابن قتيبة، المعارف، ص١٢٩، ١٦٦.

كان الرسول ﷺ يقول عن سعد بن أبي وقاص: "هذا خالي فليرني امرؤ خاله"[١]. لكون سعد من بني زهرة[٢]. ويُعرَف بنو كعب[٣] بأنهم أخوال حسان ابن ثابت، وجاء في نسب قريش[٤]: "حين أخذ داود بن علي[٥] وزيد بن علي[٦] بمكة ... والذي أخذ مع داود... محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب[٧] وأيوب ابن سلمة[٨] فتجاوز هشام[٩] عن أيوب لخؤولته". فقد كانت أم هشام[١٠] من بني مخزوم وأيوب منهم.

كما يمتد مصطلح الأخوال ليشمل أخوال الأب أو الأم أو الجد أو بمعنى أعم عشيرة إحدى أمهات أبيه أو أمه، فقد كان بنو النجار يعرفون بأنهم أخوال عبدالله بن عبدالمطلب وهم في الحقيقة أخوال أبيه[١١]، كما كانوا أيضًا

(١) ابن سعد ١٣٧/٣. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، ٣٣/٢.

(٢) الزبيري، ص٢٦٣.

(٣) بنو كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء من الأزد من القحطانية. ابن حزم، ص ٣٦٥- ٣٦٦.

(٤) الزبيري ، ص٦٠.

(٥) داود بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي. الزبيري، ص٦١.

(٦) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي. قتل بالكوفة سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م في خلافة هشام بن عبدالملك. الزبيري، ص٦٠- ٦١.

(٧) محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي. الزبيري، ص٨٠.

(٨) أيوب بن سلمة بن عبدالله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وصفه الزبيري بأنه من "جِلَّة قريش وشيوخها" ص٣٣٠.

(٩) أي الخليفة هشام بن عبدالملك.

(١٠) أمه تدعى أم هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. الزبيري، ص١٦٤.

(١١) ابن سعد، ٩٩/١.

يعرفون بأنهم أخوال الرسول ﷺ وهم أخوال جده[١]. ويفخر الوليد بن يزيد بن عبدالملك بأن الرسول ﷺ خاله لكون أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأمها أم كلثوم بنت عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن كريز، وأم عبدالله بن عامر: أم حكيم البيضاء بنت عبدالمطلب بن هاشم[٢].

وتتخذ الخؤولة معيارًا عند العرب لمدح الفرد[٣] أو ذمه فقد مدح حسان ابن ثابت ربيعة بن عامر بن مالك[٤] في قوله:

أَبوك أَبُو الفُضُولِ أبو بَراءٍ ... وخالُكَ ماجِدٌ حَكَمُ بن سَعْدِ[٥]

كما هجا أسيد بن أبي العيص[٦] بقوله:

أَلا أَبْلِغَا عَنِّي أسَيْدًا رِسَالةً ... فَخَالُك عَبْدٌ بالسراةِ مُجَرَّبُ

كما عيرت عمرة بنت صامت[٧] زوجها حسان بن ثابت بأخواله، وكان يحبها فغضب لهم فطلقها[٨]. كما قال عمر بن عبدالعزيز لرجل من قريش كان خاله عقيل بن علفة: "قبحك الله أشبهت خالك في الجفاء"[٩].

---

(١) ابن سعد، ١/١١٦. ابن شبة، ١/١١٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٥/٧. وورد في كتب النسب أن أم حكيم كانت زوجة كريز بن ربيعة وأم عامر بن كريز الزبيري، ص١٨. ابن حزم، ص٧٤- ٧٥.

(٣) انظر ما سبق ذكره في بداية الحديث عن العلاقة بالأخوال والأعمام.

(٤) ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري. والده يلقب بملاعب الأسنة. حسان بن ثابت، ص٢٣١. خير الدين الزركلي، ٣/٢٥٥.

(٥) حسان بن ثابت، ص ٢٣٢.

(٦) أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبدشمس. ابن حزم، ص١١٣.

(٧) عمرة بنت صامت بن خالد بن عطية بن حبيب بن عمرو بن عوف، من الأوس. حسان بن ثابت، ص١٩١.

(٨) حسان بن ثابت، ص١٩١.

(٩) الأصفهاني، الأغاني، ٣/١٦- ١٧.

اختلفت صور العلاقة بين العربي وأخواله فقد يسودها الحب والود، وقد تتصف بالخصومة والعداوة، وهذا الاختلاف تتحكم فيه الظروف الاجتماعية المحيطة بالطرفين، إلا أن الغالب عليها العلاقة الودية.

ومن صور تلك العلاقة استعانة أحدهما بالآخر عند الشدائد. فكثيرًا ما يهبُّ الأخوال لمساندة ابن أختهم فيما يمر به من أزمات، وقد وضح ذلك في الجاهلية والإسلام، فعندما ظلم نوفل بن عبدمناف[1] ابن أخيه عبدالمطلب بن هاشم، واستولى على ساحات كانت له، استنصر عليه أخواله بني النجار، فلما قدموا إليه ورأى عددهم وقوتهم خافهم وردَّ الساحات إلى عبدالمطلب[2]، وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

لَعَمْرِي لأَخْوَالُ الأَغرِّ ابن هاشم   مِنَ اعْمامِهِ الأدْنِينَ أحنَى وأوصلُ

أجابوا على نأيٍ دعاءَ ابنِ أُخْتِهِم   وقد نَالَه بالظُّلْمِ والغدْرِ نَوفلُ[3]

كما استنجد أبو سلمة بن عبدالأسد بخاله أبي طالب ليمنعه بعد أن أخذت قريش في الانتقام ممن أسلم، وعندما اعترضت قريش على موقفه قال: "أمنع ابن أختي مما أمنع منه ابن أخي"[4]. وعرف هذا الأمر في العصر الأموي أيضًا فقد مال عمرو بن الزبير إلى أخواله[5] ضد أخيه عبدالله بن

---

(١) نوفل بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة. الزبيري، ص١٤- ١٥.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ٨٣ - ٨٥. البلاذري، أنساب، ١/٧٠. الطبري، تاريخ، ٢/٢٤٨- ٢٥١.

(٣) البلاذري، أنساب، ١/٧٠. وانظر أيضًا مع اختلاف في الرواية: الطبري، تاريخ، ٢/٢٤٩.

(٤) ابن الأثير، أسد، ٣/٢٩٥.

(٥) أمه: أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص من بني أمية من قريش. الزبيري، ص ٢٣٦.

الزبير[١]. ووقف بنو وليعة[٢] في وجه مسلم بن عقبة المري[٣] عندما حاول إكراه ابن أختهم علي بن عبدالله بن عباس[٤] على مبايعة يزيد بن معاوية، وفي ذلك يقول علي يمدح أخواله:

أبي العبَّاس قـرمُ بنـي قصـيٍّ   وأخْوَالـي المُلـوك بنـو وَليعـةْ
هُمُ منعوا ذِمَـارِي يـوم جَـاءت   كتائـبُ مُسـرفٍ وبنـو اللكيعـةْ[٥]
أراد بـيَ التـي لا عِـزَّ فِيهـا   فحالـتْ دُونَـه أيدٍ مَنيعـةْ[٦]

تتمثل تلك العلاقة أيضًا في البر بالأخوال إما عن طريق زيارتهم ومن ذلك حرص عبدالمطلب بن هاشم على زيارة أخواله من بني النجار في المدينة[٧]، واستمرار علاقة التواصل هذه مع ابنه عبدالله[٨]، وابن ابنه الرسول عليه الصلاة والسلام[٩]. أو بالحرص على إرسال الهدايا لهم كما كانت تفعل سكينة بنت الحسين[١٠].

---

(١) البلاذري، أنساب، ق٤، ٢٨/٢.
(٢) بنو وليعة بن شراحبيل بن معاوية بن حُجر القود بن الحارث، من كندة. الزبيري، ص٢٨- ٢٩.
(٣) مسلم بن عقبة بن رياح بن أسد بن ربيعة بن عامر ... بن مرة بن عوف. صاحب يوم الحرة، ويسميه أهل الحجاز مسرفًا. ابن حزم، ص٢٥٤.
(٤) علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب. جد الخلفاء العباسيين، غلب عليه لقب السجاد، مات سنة ١١٨هـ /٧٣٦م. ابن سعد ، ٣١٢/٥- ٣١٤. الزبيري، ص٢٨. مؤلف مجهول، ص٢٧٣. خير الدين الزركلي، ٣٠٢/٤- ٣٠٣.
(٥) اللكيعة: أي الأمة اللئيمة. ابن منظور، ٣٩١/٣.
(٦) المبرد، الكامل، ١٧٦/١- ١٧٧.
(٧) البلاذري، أنساب، ٦٥/١، ٩٤.
(٨) ابن سعد، ٩٩/١. البلاذري، أنساب، ٩٢/١، ٩٣.
(٩) ابن سعد، ١١٦/١. ابن شبة، ١١٧/١. ابن عبدالبر، ١٧/١.
(١٠) الأصفهاني، الأغاني، ١٥٢/١٦.

وليست العلاقة بالأخوال كلها ذات وجه واحد، إنما قد يصيبها التوتر نتيجة لعوامل عدة، لذلك كان هناك من يجهر بعداوتهم كالنمر بن تولب الذي هجا أخواله بقوله:

إذا كنتَ في سعدٍ[1] وأمُّكَ مِنْهُمُ غريبًا فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ من سعدِ

فإن ابن أُخْتِ القَوْمِ مُصغىً إنَاؤه إذَا لم يُزَاحِمْ خالَهُ بأبٍ جَلْدِ[2]

وقول ابن ميادة[3]:

إن تكُ خالنا فقُبِحْتَ خالاً فأنت الخال تنقُص لا تزيدُ[4]

ومنهم من يراعي صلة القرابة ويبدل العداوة بالعتب كقول أحدهم في الجاهلية:

فلو غَيرُ أَخْوالي أرادوا نقيصتي جَعلتُ لهم فوقَ العَرانين ميسمَا

وما كنتُ إلا مثلَ قاطع كفِّه بكفٍّ له أُخرى فأَصْبَح أجذما[5]

---

(١) هم بنو سعد بن زيد بن مناة بن تميم. حمزة الأصفهاني، ٣٢٤/١. القلقشندي، نهاية، ص ٢٨٥.

(٢) المبرد، الكامل، ١٣٥/٢. وانظر أيضًا مع اختلاف في الرواية: الجاحظ، الحيوان، ١٣٧/٣. حمزة الأصفهاني، ٣٢٤/١.

(٣) ابن ميادة شاعر فصيح مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية، ينسب إلى أمه ميادة، وهي أَمَة صقلبية وقيل بربرية، وإن كان يدَّعي بأنها فارسية، اسمه الرماح بن أبرد بن ثوبان ابن سراقة، من بني سعد بن ذبيان من غطفان. توفي سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م. الأصفهاني، الأغاني، ٢٥٦/٢- ٢٥٧. خير الدين الزركلي، ٣١/٣.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٢٦٣/٢. وهو هنا يتحدث عن أحد أخوال أبيه.

(٥) الأصمعي، ص٢٤٥. وقائل هذين البيتين هو الشاعر المتلمس جرير بن عبدالمسيح، من بني ضبيعة وأخواله هم بنو يشكر. ابن قتيبة، الشعر، ص٧٣.

وقول ابن ميادة في أحد أخوال أبيه:

ولقد حلفتُ بربٍّ مكةَ صادقًا   لولا قرابةُ نِسوةٍ بالحاجرِ
لكسوتُ عُقْبَةَ كسْوةً مشهورةً   تَرِدُ المَنَاهِلَ من كلامٍ عاثرِ[1]

وقبل ختم الحديث عن العلاقة بالأخوال يتبادر إلى الذهن تساؤل حول وضع أبناء أمهات الولد في مثل هذا المجتمع الذي ترتفع فيه مكانة الفرد وتنخفض بارتفاع مكانة أخواله وانخفاضها. ولعل ما جاء عن سعيد بن المسيب وحواره مع أحد رجال قريش ما يدل على عظم معاناة هؤلاء، فقد سأله سعيد ابن المسيب عن أخواله، فقال له: إن أمه فتاة فلحظ أنه نقص في عينه[2]. وكثيرًا ما كانوا يتعرضون لهجاء الشعراء كقول أحدهم يذم رجلاً هجينًا:

وخالُكَ أصهب السَّبَلات[3] عِلْجٌ   وعِرْقُ الخالِ يَنمي بعَد دَهْرِ[4]

لذلك يحرص بعضهم على الفخر بأخوالهم العجم لمواجهة هذا الضغط النفسي، كقول بلال بن جرير يرد على أخيه لأبيه وقد عيره لكون أمه أعجمية فارسية:

يا رُبَّ خالٍ لي أَغرَّ أبْلَجا   من آل كِسْرى يَغْتَدِي مُتَوَّجا
لَيْس كخالٍ لك يُدعى عشْنجا[5]

كما دافعت امرأة أعرابية عن أخوالها الفرس بعد أن كثر تعيير بني عمها لها بقولها:

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٢/٢٦٣.

(٢) المبرد، الكامل، ٢/٩٣.

(٣) "السبلة عند العرب مقدم اللحية وما أسبل منها على الصدر". ابن منظور، ٢/٩٢.

(٤) الثعالبي، ثمار، ص٣٤٥.

(٥) المبرد، الكامل، ٢/٩٤.

مـن آل فـارسَ أخْـوالي أسـاورةٌ	هُـمُ الملـوكُ وقـومي سـادةُ العَـربِ
وجـدَّتي تلبـسُ الدِّيبـاجَ مِلْحفَـةً[١]	من الفِرنْد[٢]، ولم تقعُد على قَتَبِ[٣]
ولـم تُكِـبَّ علـى الأبْـرادِ تَنْسِـجُهـا	معاذ ربي ولم تَشْرَبْ مـن العُلَـبِ[٤]

أما عن العلاقة بالأعمام فلا تخرج عن المألوف فالعم في مكان الأب من ناحية رابطة النسب لقول الرسول ﷺ : "إن عم الرجل صِنْوُ أبيه"[٥]. أي مثله ونظيره فأصلهما واحد[٦].

كما عرف عند العرب نسبة ولد الأخ إلى عمه إن كان أشهر من أبيه، ومن ذلك أن عمرو بن أخطب[٧] كان يقال له أنصاري على الرغم من أنه لم يكن من الأوس والخزرج، وإنما قيل له ذلك لأنه من ولد أخيهما[٨] عدي بن حارثة[٩].

---

(١) الملحفة: اللباس الذي فوق سائر اللباس. ابن منظور، ٣/٣٥٠.

(٢) الفرند: الثوب المنسوج من حرير. الزبيري، ٨/٤٩٣.

(٣) القتب: رحل صغير على قدر سنام البعير. ابن منظور، ٣/١٥.

(٤) النهشلي، عبدالكريم بن إبراهيم، اختيار الممتع في علم الشعر وعمله، تحقيق محمود شاكر القطان، ج٢ (ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م) ص٥٣٠. والعلب: جمع علبة وهي قدح ضخم من خشب أو من جلود الإبل يحلب فيها. ابن منظور، ٢/٨٥٧.

(٥) الدورقي، ٣/١٨١. وانظر أيضًا: مسلم، ٢/٦٧٧. السيوطي، مسند علي، ص٥٩.

(٦) ابن منظور، ٢/٤٨٥.

(٧) عمرو بن أخطب بن رفاعة بن محمود بن بشر، من بني عدي بن حارثة. له صحبة ورواية. ابن الأثير، أسد، ٦/١٢٨ - ١٢٩.

(٨) عدي بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة. القرطبي، أحمد بن محمد، التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، تحقيق سعد عبدالمقصود ظلام (د. ط، دار المنار، القاهرة ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م) ص١٧١.

(٩) ابن الأثير، أسد، ٦/١٢٨- ١٢٩. ولم أجد في كتب النسب ما يدل على أن لأوس وخزرج أخاً يدعى عديًا. ابن الكلبي، نسب، ١/٣٦٤. أبو عبيدة ، النسب، ص٢٧٠. ابن حزم، ص٣٣٢. ولعله عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة. أبو عبيد، النسب، ص ٤٣٩.

ومن مظاهر العلاقة الودية بين الطرفين الوقوف إلى جانب بعضهما في الشدائد؛ فالرسول ﷺ وقف إلى جانب عمه أبي طالب في أزمة شديدة أصابت قريشًا وأعانه على تربية ابنه علي(١). كما وقف أبو طالب إلى جانب الرسول ﷺ في وجه قريش وإيذائهم له(٢). وكذلك الحرص على صلة الرحم فقد كان علي بن أبي طالب يحرص في رمضان على الإفطار عند الحسن ليلة وعند الحسين ليلة وعند ابن أخيه عبدالله بن جعفر ليلة(٣). والعناية بأبناء الأخ مثلما فعل المطلب بن عبدمناف مع ابن أخيه عبدالمطلب بن هاشم الذي توفي أبوه وعاش مع أمه في المدينة فلما بلغ سبع أو ثماني سنين أخذه وتولى كفالته(٤). كما أوصى محمد بن مسلم بن جماز(٥) بثلث ماله لبنات أخيه لكون أبناء أخيه هم الورثة له(٦).

إن العلاقة بالعم كالعلاقة بالخال ليست كلها ذات مظهر واحد فقد تتخذ العلاقة بينهما مظهرًا عدائيًا، كعلاقة عبدالمطلب بن هاشم بعمه نوفل بن عبدمناف الذي استغل وفاة أخيه المطلب واستولى على ساحات لعبدالمطلب مما اضطره للاستعانة بأخواله(٧).

---

(١) ابن عبدالبر، ١/٢٥.

(٢) ابن هشام، ١/٢٧٨.

(٣) ابن الأثير، أسد، ٤/٣٥. ابن عنبة، عمدة، ص٦٠.

(٤) البلاذري، أنساب، ١/٦٤، ٦٥.

(٥) محمد بن مسلم بن جماز. مولى لبني تيم بن مرة، له دراية بالأحاديث، مات سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م في خلافة هارون الرشيد. ابن سعد، ٥/٤١٩.

(٦) ابن سعد، ٥/٤٢٠.

(٧) ابن حبيب، المنمق، ص٨٣- ٨٥.

من الواضح أن مصطلح أبناء العم[1] لا يقصد به المعنى القريب فقط، أي أنهم أبناء أخي الأب، بل يشمل كل فرد في عشيرته أو قبيلته، ويمكن التمييز بينهما بوصف ابن العم القريب بقولنا "ابن عمٍ لحًا". وابن العم البعيد بقولنا "ابن عمٍ كلالةً"[2].

لا شك أن العلاقة بأبناء العم لا تأخذ شكلاً واحدًا كغيرها من العلاقات. فها هو أحمد بن حفص بن المغيرة[3] يغضب لعزل ابن عمه خالد بن الوليد ويقول لعمر بن الخطاب: "والله ما عدلتِ يا عمر! قد نزعت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ وغمدت سيفًا سلَّه رسول الله ﷺ ...". فرد عليه عمر قائلاً: "إنك قريب القرابة، حديث السن، مغضب في ابن عمك..."[4]. فيما نجد ذا الإصبع العدواني[5] يقابل عداء ابن عمه له بالتهديد والوعيد والهجاء والتعريض، يقول في ذلك:

يا عَمْروُ إن لا تَدَعْ شَتْمي وَمَنْقصتَي ... أضْرِبْكَ حتى تَقُولَ الهامَةُ اسْقُونِي

لاهِ ابنُ عَمِّكَ لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ ... عَنِّي، ولا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي

ولا تقُوتُ عِيالِي يَومَ مَسْغَبَةٍ ... ولا بِنَفْسِكَ في العَزَّاءِ[6] تَكْفِينِي[7]

(١) انظر في موضوع أبناء العم مقالة د. محمد سليمان السديس، منزلة ابن العم عند العرب في ضوء الشعر العربي حتى أواخر العصر الأموي، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الثامن، الآداب (١) ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، الرياض، ص٣- ٣٤.

(٢) ابن منظور، ٢٨٨/٣، ٣٤٧.

(٣) أحمد بن حفص بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. سكن المدينة، ثم خرج مع علي بن أبي طالب إلى اليمن في عهد الرسول ﷺ، قيل مات هناك. وقيل عاش حتى شهد فتوح الشام. ابن الأثير، أسد، ٦٦/١. ابن حجر، الإصابة، ١٣٩/٤.

(٤) ابن الأثير، أسد، ٦٦/١.

(٥) هو حرثان بن مُحَرّث، من عدوان بن عمرو بن قيس عيلان. شاعر جاهلي سُمِّي ذا الإصبع لأن حية نهشته في إصبعه فقطعها، يعد من المعمرين. أبو حاتم السجستاني، ص١٢٣. ابن قتيبة، الشعر، ص٣٦٤.

(٦) العزاء: الشدة. ابن منظور، ٧٦٦/٢.

(٧) المفضل الضبي، المفضليات، ص١٦٠. وانظر البيتين الأخيرين في ديوان: خفاف بن ندبة، ص١١٩.

أما العلاقة بالخالات والعمات، فقد سبق القول: إن الخالة بمنزلة الأم في حنانها على أبناء أختها، إلا أنه قيل أيضًا: إن العمة خير للولد من الخالة في حرصها على تأديب أولاد أخيها، وقد عرف ذلك من خلال عدة أمثال تداولها العرب فيما بينهم منها قولهم: "أمر مُبْكِياتك لا أمر مُضْحِكاتك"[1]. فقد جاء في مجمع الأمثال[2]: "أن فتاة من العرب كانت لها خالات وعمات، فكانت إذا زارت خالاتها ألهينها وأضحكنها وإذا زارت عماتها أدّبنها وأخذن عليها فقالت لأبيها: إن خالاتي يلطفنني وإن عماتي يبكينني فقال أبوها.... أمر مبكياتك أي: الزمي واقبلي أمر مبكياتك... أي: أمر مبكياتك أولى بالقبول والاتباع من غيره". ويقال في الرواية السابقة نفسها: "تباعدت العمة من الخالة"[3]. أما إذا وقفت المرأة في موقف التفضيل بين أبناء الأخت وأبناء الأخ ، فمن المرجح أنها تميل إلى أبناء أختها، ومن ذلك ما جاء في مجمع الأمثال[4]: "أن امرأة زارتها بنت أخيها وبنت أختها فأحسنت تزويرهما فلما كان عند رجوعهما قالت لابنة أخيها: جفَّ حِجْرُك وطاب نَشْرُك، فسُرَّت الجارية بما قالت لها عمتها، وقالت لابنة أختها: أكلتِ دَهَشًا وحطبتِ قِمْشًا، فَوَجَدَتْ بذلك الصبية وشق عليها ما قالت لها خالتها، فانطلقت بنت الأخ إلى أمها مسرورة فقالت لها أمها: ما قالت لك عمتك؟ فقالت: قالت لي خيرًا ودعت لي... فقالت: أي بنية، ما دعت لك بخير، ولكن دعت بأن لا تشمي ولدًا أبدًا فيبلّ حجرك ويغير نشرك، وانطلقت الأخرى إلى أمها فقالت لها أمها: ما قالت لك خالتك؟ قالت

---

(١) الميداني، ١/٣٠. الخويِّي، ص٤٢.

(٢) الميداني، ١/٣٠.

(٣) الميداني، ١/١٣١. الخويِّي، ص١١٣.

(٤) الميداني، ١/١٧٣. وانظر أيضًا : الأبهري، ص٤١٧.

ومـا عسى أن تقول لي؟ دعت الله عليّ،... قـالت: بل دعت الله لك يا بنيـة أن يكثر ولدك فينازعوك في المال ويقمشوك[1] حطبًا".

هذه هي أهم مظاهر العلاقات الأسرية التي من خلالها نستنتج أنه من غير المنطقي محاولة رصد أي تطورات فيها، فهي علاقات إنسانية كانت وما زالت عرضة للتقلبات العاطفية.

رابعًا - استقبال الضيوف :

تحتم طبيعة العلاقات الاجتماعية استمرار التواصل بين الناس، لذلك كان من الطبيعي أن تُضيف الأسرة سواء في الحاضرة أو البادية أفرادًا من المجتمع قد يكونون ذوي قربى، أو أصدقاء، أو حتى غرباء. فما موقفهم من ذلك؟ وأين يُستقبلون؟ وما مظاهر الترحيب بهم؟ وما قواعد استقبالهم ومدة إضافتهم؟ وماذا يقدم لهم من طعام وشراب؟ وكيف يكون وداعهم لهم؟

تعد إضافة الضيف من العادات المفضلة فقد كانت مجالاً للتفاخر بين الأسر فأنشدها الشعراء في العصر الجاهلي وما بعده، وفي ذلك قال أمية بن أبي الصلت واصفًا عبدالله بن جدعان:

لـهُ داعٍ بِمَكَّـة مُشْمَعِـلٌّ[2] وآخـرُ فـوقَ دارَتِـه[3] يُنـادِي[4]

(١) يقمشوك أي يحتطبوا لك. الأبهري، ص٤١٧. الزبيدي، ١٧/٤٦٦.

(٢) المشمعل: السريع الحركة. ابن منظور، ٢/٣٦٠.

(٣) الدار: المحل يجمع البناء والعرصة. ابن منظور، ١/١٠٣٢. وانظر فيما يخص الدار: الفصل الخامس، ويقصد بها هنا دار الندوة التي يقال بأنها كانت لعبدالله بن جدعان. ابن حوقل، محمد بن علي، صورة الأرض (د. ط، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م) ص٣٦.

(٤) أمية بن أبي الصلت، ص٣٣. ابن حوقل، ص٣٦. الثعالبي، ثمار، ص٦٠٩.

كما قال حسان بن ثابت:

وما ضَيْفُنَـا عِنْدَ القِـرَى بِمُدَفَّـع   ولا جَارُنَا فِي النَّائِبَـاتِ بِمُسْلَـمِ[١]

وقال ابن قيس الرقيات:

وَكَـانَ أبـو أوْفَـى إذا الضَّيْـفُ نَابَـهُ   تُشَـبُّ لـه نَـارٌ وتُنْضَـى لـه قِـدْرُ

فيُمسي ويضحي الضَّيْفُ شبْعانَ والقِرَى   حَميدٌ وَيبْقى بَعْدَها الحَمْدُ والذِّكْرُ[٢]

ويزداد التفاخر بإضافة الضيف في وقت الجدب والشدة، وفي ذلك قال الشاعر مادحًا أحدهم:

أخـو شَـتَواتٍ[٣] يَعْـلَمُ الضَّيفُ أنـه   سَـيَكْثُـرُ ما فـي قِـدْرِهِ ويَطِيـبُ[٤]

تحرص الأسر على حسن استقبال الضيف فهم يرون أن بشاشة اللقاء أهم من إطعام الضيف، قال المتنخل الهذلي[٥]:

سَـأَبْدَؤُهُم بِمَشْـمَعَـةٍ[٦]، وأَثْنِـي   بِجُهْـدِي مِـن طَعَـامٍ أو بِسـاطِ[٧]

---

(١) حسان بن ثابت، ص١٨٣. وانظر أيضًا: الجمحي، ٢/٧٣٢.

(٢) ابن قيس الرقيات، ص١٦٨.

(٣) كانت العرب تسمى القحط شتاء لأن أكثر ما تصيبهم المجاعات فيه. ابن منظور، ٢/٢٦٩.

(٤) الأصمعي، ص ٩٦.

(٥) المتنخل الهذلي هو: مالك بن عمرو بن عثم بن سويد بن حنش بن خناعة، من لحيان. من شعراء هذيل. ابن قتيبة، الشعر، ص٣٣٣. خير الدين الزركلي، ٥/٢٦٤.

(٦) بمشمعة: أي بمزاح ولعب ومضاحكة. أبو سعيد السكري، ٣/١٢٦٩. ابن منظور، ٢/٣٦٠.

(٧) أبو سعيد السكري، ٣/, ١٢٦٩

وقال آخر:

أُضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَال رحْلِهِ وَيُخْصِبُ عِنْدي والمَحَلُّ جَدِيبُ

وَمَا الخصْبُ للأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُر القِرى ولَكِنَّما وَجْهُ الكَرِيم خَصِيْبُ[1]

وقد يكون موقفهم ذلك دلالة على رغبتهم في إضافة الضيف قال المرتضى[2]: "سُنَّة الأعراب أنهم إذا حدَّثوا الرجل الغريب وهشوا إليه ومازحوه أيقن بالقرى، وإذا أعرضوا عنه عرف الحرمان".

تستقبل الأسرة في حاضرة الحجاز ضيفها، إما في مسكنها[3]: فإن كانت دارًا فمن المرجح أنها تستقبله في أحد بيوته[4] ويطلق عليه الثوى[5]. وإن كان بيتًا فيبدو أنها تفرد له ناحية منه[6]. أو في مكان خارج المسكن: كبيت بارز أو دار خاصة يطلق عليها دار ضيافة، فقد كان للفاكه بن المغيرة[7] في العصر الجاهلي بيت للضيافة[8]، كما كان لأحد رجال قريش في العصر الأموي دار ضيافة[9]. ولا شك أن ذلك يرتبط بالوضع الاقتصادي للأسرة.

(١) حاتم الطائي، ص٣٠٩. ولمزيد من الشواهد انظر: طه هاشم، الضيف مراسيم الحب والإكرام العربية له، مجلة التراث الشعبي، العدد السادس والسابع، ١٩٨١م بغداد، ص٤٦. مرزوق بن تنباك، الضيافة وآدابها (ط٢، دار المعارف، مصر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ص٤٨.

(٢) المرتضى، ١/٤٩٤.

(٣) انظر الفصل الخامس لتوضيح الفرق بين الدار والبيت في الحاضرة.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٢/٥٣.

(٥) ابن منظور، ١/٣٨٧.

(٦) ابن سعد، ٢/٢٣٢- ٢٣٣.

(٧) الفاكه بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي. الزبيري، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٨) ابن حبيب، المنمق، ص١٠٩. الطبراني، الكبير، ٢٥/٦٩.

(٩) الأصفهاني، الأغاني، ٩/٢٤١.

أما في البادية فتحرص الأسر الكريمة على بناء بيتها على الروابي، وقد ترفع عليه رايات[١] ليستدل عليه المسافرون فيقصدونهم لإضافتهم، كما يُستدل على البيوت الكريمة بإيقاد النيران[٢] أو نباح كلابها[٣]، وكان من عاداتهم إذا اشتد البرد وهبت الرياح وتعذَّر إيقاد النيران أن يفرقوا الكلاب حوالي الحي ويربطوها إلى العَمَد حتى تستوحش فتنبح فيأتي على أصواتها الأضياف[٤].

فإذا قدم الضيف واستقبل بالأسلوب السابق الذكر فإنها تحفظ رحاله ولا يبقى معه إلا سلاحه خوفًا عليه من الغارات الليلية وهم نيام، وفي ذلك قال أحدهم مخاطبًا امرأته: "ضُمِّي إليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم فإنهم عندي في عزٍّ وأمن من الغارات والبيات فليسوا ممن يحتاج أن يبيت لابسًا سلاحه"[٥]. ومن ذلك يتضح أيضًا أن مهمة حفظ الرحال كانت موكلة إلى نساء الأسرة.

لا فرق فيمن يضيف الضيف في البادية في العصر الجاهلي، فقد يكون الرجل أو المرأة، جاء في الأغاني[٦]: "أقفر أبو خراش الهذلي[٧] من الزاد أيامًا ثم مر بامرأة من هذيل جزلة شريفة فأمرت له بشاة فذبحت وشويت". واستمر

---

(١) الفرزدق، ١/١٦.

(٢) النويري، ١/١١٣.

(٣) الأصمعي، ص٦٤.

(٤) الإبشيهي، ١/١٧١.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/٣٢٣.

(٦) الأصفهاني، ٢١/٢١٩. وانظر أيضًا إشارة أخرى : ابن عساكر، تاريخ -السيرة- ١/٢٧١.

(٧) أبو خراش الهذلي هو: خويلد بن مرة، أحد بني قرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل. شاعر فحل من شعراء هذيل، مخضرم، أسلم، ومات في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م. ابن قتيبة، الشعر، ص٣٣٥. الأصفهاني، الأغاني، ٢١/٢١١. خير الدين الزركلي، ٢/٣٢٥.

هذا الوضع في الإسلام. قال الجاحظ[1]: "أخبرني رجل من بني أسد أنه خرج في طلب إبل قد ضلَّت فبينما هو يسير في بلاء وتعب وقد أمسى في عشية باردة إذ رُفِعت له أعلام، قال: فقصدت بيتًا منها فإذا أنا بامرأة جميلة ذات جزالة فسلمت فردت عليَّ السلام ثم قالت: ادخل فدخلت فبسطت لي وهيأت". إلا أن مبيت الضيف عند المرأة الوحيدة كان أمرًا محرمًا في الإسلام، فقد كان محمد بن بشير الخارجي يتحدث إلى عبدة بنت حسان[2]، ويقيل عندها أحيانًا، وقد يبيت عندها ضيفًا لإعجابه بحديثها فنهاها قومها عنه، وقالوا لها: "ما مبيت رجل بامرأة أيِّم؟! فجاءها ذات يوم فلم تدخله خباءها وقالت له: قد نهاني قومي عنك، وكان قد أمسى، فمنعته المبيت، وقالت: لا تبت عندنا فيُظن بي وبك شرٌّ"[3].

وبعد وصول الضيف واستقباله يهيأ له مكان الجلوس فإن كان في الحاضرة أكرم بإجلاسه على وسادة[4] تسمى المنبذة[5]، وإن كان في البادية بُسط له ومُهِّد[6].

يتضح كرم الضيافة فيما يقدم للضيف من طعام وشراب وهو ما يسمى بالقِرى[7] الذي يتفاوت مستواه بتفاوت المستوى الاجتماعي للأسرة. فعبدالله

---

(١) الجاحظ، المحاسن، ص٣٣٠. وانظر أيضًا إشارة أخرى: ابن ظفر الصقلي، ص١٦٤.

(٢) عبدة بنت حسان المزنية. من ربات الفصاحة والبلاغة. الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١٢٤. عمر رضا كحالة، أعلام، ٣/٢٣٨.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١٢٤.

(٤) ابن سعد، ٢/٢٣٢- ٢٣٣، ٣/٧٢، ٥/٤٣٢. ابن شبة، ٢/٥٣٩، ٦٨٢، ٧٥٥. الأصفهاني، الأغاني، ٢/٥٣- ٥٤، ٩/٢٦. أبو الشيخ الأصبهاني، ص ٢٤٧. الميداني، ٢/٢٢٥.

(٥) الثعالبي، فقه، ص٢٢٩.

(٦) الجاحظ، المحاسن، ص٣٣٠. الوشاء، ١/١١٨.

(٧) حسان بن ثابت، ص١٨٣. المفضل الضبي، المفضليات، ص١٧٢. الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/٢٨١، ٢٤/٢٢. العسكري، ٢/١١٤.

ابن جدعان اشتهر بأنه أول من عمل الفالوذج[1] للأضياف، وهو من الأطعمة المشهورة لدى الأسر الغنية فقط.

ويبدأ إكرام الضيف بمجرد وصوله وذلك بتقديم وجبة خفيفة تسبق الوجبه الرئيسة يطلق عليها اللُّهْنَة أو السُّلْفَة يتعلل بها الضيف قبل الطعام[2]. فعندما أضاف أحد الصحابة رسول الله ﷺ قدّم له رطبًا ثم ذبح له شاة وطبخها وأطعمه إياها[3]. وقد يقدم له التمر أو التمر والزبد[4]. أو الرطب واللبن[5]. كما تحرص بعض الأسر على الاحتفاظ ببعض الأطعمة الخاصة ولعلها أطعمة نادرة لتقديمها للضيف يطلق عليها اسم اللَّويَّة[6]. أو القفيَّة[7]، ثم تقدم له وجبة الضيافة، وأبلغ دليل على إكرام الضيف نحر ناقة[8]، أو ذبح شاة له[9]. وقد يحتفظ بعضهم بإبل خاصة للأضياف، فقد كان لأحد أهل البادية حظيرة فيها مئة من الإبل خصصت للأضياف فقط، إذا نحر ناقة وَضَعَ بدلاً عنها أخرى[10]. ومن حرصهم على سرعة إضافة

---

(١) الفالوذج: يطلق عليها أيضًا الفالوذ والفالوذق وهو من الحلواء، يصنع من لُب الحنطة، وهو فارسي معرب. ابن منظور، ١١٢٧/٢.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ٩٨٩/٢، ٨٤٧/٥. الأصفهاني، الأغاني، ٣٤٠/٢١. المرتضى، ٣٥٦/١. الأبهري، ص٤٢٦.

(٣) الطبراني، الكبير، ٢٥٥/١٩.

(٤) الطبراني، الكبير، ٢١٥/١٩. الأصفهاني، الأغاني، ٣٤٠/٢١.

(٥) الهجري، ١٤٢٢/٣.

(٦) ابن دريد، جمهرة، ٩٩٠/٢.

(٧) ابن منظور، ١٤٣/٣.

(٨) الجاحظ، المحاسن، ص٢٠٦. الأصفهاني، الأغاني، ٣٨٦/١٧، ٥٦/٢٤.

(٩) الطبراني، الكبير، ٢٥٥/١٩، ٢١٩/٢١. الأصفهاني، الأغاني، ٣٦٣/٤.

(١٠) الأصفهاني، الأغاني، ٥٦/٢٤.

الضيف أن اللحم كان يقدم قبل إنضاجه جيدًا[١]. كما يقدم للضيف بالإضافة إلى الأطعمة الصبوح والغبوق من اللبن[٢]، ويضاف إلى ذلك في الحاضرة بعض الأشربة الأخرى مثل شراب السويق[٣]. وغالبًا ما يقدم قِرى الضيفان من طعام وشراب في قصاع أو جفان أو عسس يطلق عليها المَقَارِي[٤]. ومن مظاهر الاحتفاء بالضيف أيضًا تقديم الطيب أو البخور له[٥].

يتفاوت إكرام الضيف عند بعض الأسر بتفاوت مكانة الضيف لدى مضيفه من حيث القرابة أو الصداقة أو منزلته الاجتماعية. ويتمثل هذا الأمر في نوع القرى الذي يقدم له، فقد نزل ابن هرمة[٦] ضيفًا على رجل من أسلم، فعندما سأله عن اسمه قال له: "رجل من قريش"، فذبح له شاة وخَبَزَ له خبزًا وأكرمه، وعندما خرج أبلغه قومه أنه دعِيٌّ في قريش وليس منهم، وعندما قدم عليه ثانية، قدَّم له لبنًا وتمرًا، فلما خرج أبلغه قومه أنه دعيٌّ أدعياء قريش، وعندما قدم عليه ثالثة، قدم له لبنًا حامضًا[٧]. ولكن تبقى بعض التساؤلات دون إجابة وهي: هل هذا الوضع عُرِف في الحاضرة أيضًا؟ وهل هو عُرفٌ طُبِّق في الجاهلية واستمر طوال مدة الدراسة؟ أم هو تصرف مارسه بعض القوم فقط ولا يتخذ صفة العرف؟

---

(١) المبرد، الكامل، ٢/١١١.

(٢) المفضل الضبي، المفضليات، ص١٢٧- ١٢٨. الميداني، ٢/٢١.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٧/٢٧.

(٤) ابن منظور، ٣/٨٠.

(٥) البخاري، صحيح، ٣/١٣٣. الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/١٩٨.

(٦) ابن هرمة هو: إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن الهذيل، قيل: إنه من بني الحارث بن فهر. شاعر غزلي من سكان المدينة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. توفي سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م. الأصفهاني، الأغاني، ٤/٣٦١. خير الدين الزركلي، ١/٥٠.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ٤/٣٦٣.

قد تفاجأ الأسرة بقدوم ضيف دون أن يكون عندها ما تقدمه له، ومن ذلك أن الرسول ﷺ أضاف ضيفًا ولم يكن عنده ما يقدمه له، فأرسل إلى رجل من اليهود يستلف منه دقيقًا[١]. كما قد يعمد بعضهم إلى الاستعانة بالأقارب لسد ما ينقصهم من طعام، ومن ذلك أن قيس بن الملوح[٢] أرسله أبوه إلى منزل والد ليلى[٣] يطلب منهم أُدُمًا[٤] لضيفان قدموا عليه[٥].

أما في أزمنة الجدب[٦] فقد تعمد بعض الأسر إلى إطعام الضيف نوعًا من الأطعمة وصفه الميداني[٧] بقوله: "دَمٌ كان يُجعل في مِعَىً مِن فصد عرق البعير ثم يشوى ويطعمه الضيف في الأزمة". ولعل ذلك كان في العصر الجاهلي لتحريم الدم في الإسلام. ويعد إكرام الضيف في أزمنة الجدب عند أهل البادية أرقى ضروب الإكرام، وفي ذلك قالت الخنساء:

يكُبُّون العِشَار لِمنْ أَتَاهم إذا لمْ تُسْكِتِ المِئَةُ الوَلِيْدا

ومعنى ذلك "إذا لم يَكن في المئة من الإبل من اللبن بقدر ما يَروى منه

(١) الطبراني، الكبير، ١/٣٣١.

(٢) قيس بن الملوح بن مُزاحم بن عُدَس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. لقب بمجنون بني عامر كان يهوى امرأة من قومه اسمها ليلى، اشتهر بالشعر. توفي سنة ٦٨هـ/ ٦٨٧م. الأصفهاني، الأغاني، ٢/٣، ٥. خير الدين الزركلي، ٥/٢٠٨.

(٣) ليلى بنت سعد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. صاحبة قيس السابق الذكر. الأصفهاني، الأغاني، ٢/٧.

(٤) الأدم: ما يؤكل بالخبز أي شيء كان. ابن منظور، ١/٣٤.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٢/٣٠. البقاعي، ورقة ١٣٦أ.

(٦) انظر الفصل الرابع: المشكلات الاقتصادية.

(٧) الميداني، ٢/١٩٢.

الصبي من شدة السَّنة، .... والعشار: النوق التي قد أتت عليها من حملها عشرة أشهر...، يكبون: أي ينحرون العشار لأضيافهم"[١].

عند نوم الضيف يبذل له في الحاضرة صحن الدار[٢]، أما في البادية فيُفرش له نِطَعٌ[٣] يطلق عليه مبناة لينام عليه[٤].

في أغلب الأحيان لا يسمح للضيف بالمغادرة قبل مرور ثلاثة أيام سواء في الحاضرة أم البادية، من ذلك أن أبا ذر الغفاري[٥] توجه إلى مكة المكرمة قبل فتحها على يد المسلمين فأضافه أحد بني مخزوم ثلاثة أيام ثم رجع إلى المدينة[٦]. وجاء في الطبقات[٧]: "أن ابن عمر كان إذا قدم مكة نزل على آل عبدالله بن خالد بن أسيد[٨] ثلاثًا في قراهم ثم يرسل إلى السوق فيشتري له حوائجه". كما أضاف أحد سكان البادية رجلاً فلما بات وأصبح طلب الإذن بالرحيل فأبى عليه وقال: "الضيافة ثلاث"[٩]. ويرون أنه يُتكلَّف للضيف في

(١) الخنساء، تماضر، ديوان الخنساء، تحقيق أنور أبو سويلم (ط١، دار عمَّار للنشر والتوزيع، عمَّان ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) ص ١٢١- ١٢٢.

(٢) الجاحظ، المحاسن، ص٣٣٤.

(٣) النطع: بساط من جلد. الزبيدي، ٢٢/٢٦١.

(٤) المفضل الضبي، الأمثال، ص١٥٦. الميداني، ٢/٤٠٠.

(٥) هو أبو ذر الغفاري مختلف في اسمه واسم أبيه قيل: إنه جندب بن جنادة، من صحابة رسول الله ﷺ، توفي بالربذة سنة ٣١هـ/ ٦٥١م. ابن حجر، الإصابة، ٤/٦٤.

(٦) ابن حبيب، المحبر، ص١٣٩.

(٧) ابن سعد، ٤/١٥٨.

(٨) عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبدشمس. استعمله زياد بن أبي سفيان على فارس، ثم استخلفه على عمله حين مات، فأقره معاوية. الزبيري، ص١٨٧- ١٨٨. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٠١- ٣٠٢.

(٩) الوشاء، ١/١١٨. ابن الجوزي، ذم، ص٥٧٥. البقاعي، ورقة ١١٢أ.

اليوم الأول فيما يقدم له من طعام وشراب وغيره، أما في اليومين الثاني والثالث فيقدم له مما اعتاد عليه أهل البيت[1].

عند توديع الضيف يعطى من المؤن ما يكفيه يومًا وليلة وتسمى الجِيزة[2]. كما تعمد معظم الأسر الكريمة إلى تقديم هدية له يطلق عليها حِباء، وقد تكون عينًا أو نقدًا، ومنه حباء عمر بن الخطاب لعمرو بن معد يكرب[3]، فقد كان أكثر من أربعة آلاف درهم[4]. كما حبا عمرو بن معد يكرب عيينةَ بن حصن[5] ناقة له أرحبية[6] بالإضافة إلى أربعة آلاف دينار[7]. ويبدو أن الحباء من ضرورات الضيافة قال الأصفهاني[8]: "فلما أراد عيينة الانصراف قال عمرو: لئن انصرف أبو مالك بغير حباء إنه لوصمة عليّ". ولعل تقديم الحباء للضيف بالإضافة إلى دلالته التكريمية، إلا أن الهدف منه أيضًا مساعدة الضيف على إكمال سفره وشراء الهدايا لأهله وأصدقائه[9].

(١) ابن الأثير الجزري، النهاية، ١/٣١٤.

(٢) السابق.

(٣) عمرو بن معد يكرب بن عبدالله بن عمرو بن عُصم بن عمرو بن زبيد الأصغر بن ربيعة بن سلمة... الزُبيدي. ابن حزم، ص ٤١١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٥/٢١١.

(٥) عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري. أسلم قبل الفتح وشهد حنينًا والطائف، كان ممن ارتد في عهد أبي بكر الصديق ثم عاد إلى الإسلام، سماه الرسول ﷺ الأحمق المطاع، عاش حتى خلافة عثمان بن عفان. ابن حجر، الإصابة، ٣/٥٤- ٥٥.

(٦) نسبة إلى مخلاف أرحب باليمن. ياقوت، البلدان، ١/١٤٤.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٥/٢١١. وانظر أيضًا إشارة أخرى: ابن حبيب، أسماء، ٢/ ١٤٠.

(٨) الأغاني، ١٥/٢١١.

(٩) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/٢٣٨، ١٩/٤٣.

خامساً - الاحتفال بالمناسبات[1]:

تعددت المناسبات السارة التي كانت الأسرة في الحجاز تحتفل بها وإن اختلف أسلوب الاحتفال بها باختلاف المناسبة.

- الاحتفال بيوم الجمعة:

يعد يوم الجمعة مناسبة دينية يحتفل بها أفراد الأسرة وخاصة الذكور منهم، فكانوا يحرصون على الاغتسال في ذلك اليوم[2]، ويفضلون غسل رؤوسهم بالسدر[3]، ويدهنون رؤوسهم[4]، ويلبسون له لباس زينة[5]، ويستجمرون قبل الذهاب للمسجد بذكارة الطيب: العنبر والمسك والغالية[6]، أو بالعود الهندي مع الكافور كما كان يفعل الرسول ﷺ[7]. وقد يبعث بعضهم مواليه إلى المسجد ليحجزوا لهم مكانًا في مقدمة الصفوف[8]. وبعد العودة من المسجد تحرص بعض الأسر الغنية على دعوة الأقارب والجيران إلى تناول الطعام قال الفاسي[9]: "كان سعيد بن العاص يدعو إخوانه وجيرانه في كل

---

(١) يستثنى من ذلك بعض المناسبات التي تحدثت عنها في مجال آخر.

(٢) البخاري، صحيح، ٢١٣/١.

(٣) ابن النجار، محمد بن محمود، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، ملحق بالجزء الثاني من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لمحمد بن أحمد الفاسي (د. ط، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٦م) ص ٣٤٣.

(٤) ابن أبي شيبة، مسند، ٣٠٤/١.

(٥) ابن سعد، ٢٥٠/١، ٤٥٠. البخاري، صحيح، ٢١٤/١. أبو الشيخ الأصبهاني، ص١٠٤.

(٦) ابن سعد، ٥١/٥، ٥٢. البخاري، صحيح، ٢١٣/١. ابن دريد، جمهرة، ٦٩٤/٢.

(٧) ابن قتيبة، عيون، ٣٠٣/١.

(٨) ابن سعد، ٣٠٩/٥.

(٩) العقد، ٥٧٤/٤.

جمعة فيصنع لهم الطعام ويخلع عليهم الثياب الفاخرة ويأمر لهم بالجوائز الواسعة ويبعث إلى عيالاتهم بالبر الكثير". مما يدل على أن الدعوة كانت قاصرة على الرجال دون النساء.

- **الاحتفال بالأعياد:**

عُرف الاحتفال بالأعياد منذ العصر الجاهلي، ويمكن تقسيم أعيادهم قسمين: أعياد مكانية، وهي مواضع طواغيتهم الكبار مثل اللات لأهل الطائف، والعزى لأهل مكة، ومناة لأهل المدينة[١]، وهي ما يمكن أن نطلق عليها أيضًا اسم الأعياد الدينية. وأعياد زمانية، فقد كانت الأسر الحجازية تحتفل بأحد أعياد النصارى وهو عيد الشعانين وإن كانوا يطلقون عليه يوم السباسب[٢]. قال النابغة الذبياني:

رِقَاقُ النِّعَالِ، طَيِّبٌ حُجُزاتُهُمْ   يُحَيّون بالرَّيْحانِ يومَ السَّباسِبِ[٣]

كما عرفوا أيضًا عيدين من أعياد الفرس هما النيروز[٤] والمهرجان[٥]، ويبدو أنهما من أعياد أهل يثرب خاصة. فقد جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما، فقال: "قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيهما، وإن الله قد أبدلكم يومين خيرًا منهما: يوم الفطر، ويوم النحر"[٦].

---

(١) محمود شكري الألوسي، ١/٣٤٥- ٣٤٦.

(٢) ابن منظور، ٢/٨٦.

(٣) ابن قتيبة، الشعر، ص٦٤. ابن منظور، ٢/٨٦.

(٤) النيروز: معرب نوروز أي اليوم الجديد وهو أول يوم من السنة عند الفرس. الزبيدي، ١٥/٣٤٩.

(٥) المهرجان: وسط فصل الخريف وهو ستة أيام يبدأ في ٢٦ من شهر تشرين الأول "أكتوبر". محمود شكري الألوسي، ١/٣٥٢.

(٦) السفاريني، محمد بن أحمد، شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، ج١ (ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ) ص٧٢٢.

وقد جاء في شرح السفاريني[1] لهذا الحديث أن هذين اليومين هما النيروز والمهرجان. ويبدو أنه كان للنساء أعياد خاصة بهن، فعن ابن عباس أنه قال: "إن نساء أهل مكة احتفلن في عيد كان لهن في رجب فلم يتركن شيئًا من إكبار ذلك العيد إلا أتينه"[2]. ومن المرجح أيضًا أنهم كانوا يعدون أيام انتصارهم على خصمهم أيام عيد، لذلك فالأعياد تختلف من قبيلة إلى أخرى[3]. ويوضح أحد الباحثين[4] أسلوب احتفالهم بأعيادهم بقوله: "كانوا في أيامهم ومراسمهم يتزينون بأحسن الثياب والملابس المفتخرة والحلل المثمنة والبرود المعجبة، والفرسان منهم يتسابقون على الخيل والأجواد ... يلعبون الميسر وصبيانهم يلعبون أنواعًا من الملاعب ... ويزمرون بالدفوف والمزاهر ونحو ذلك مع التغني بأراجيز وأبيات من الشعر أنشدوها في أيامهم".

أما في العصر الإسلامي، فالاحتفال بأيام العيدين يشترك فيه جميع أفراد الأسرة، ويبدو أنهم لا يستعدون لذلك بشراء ملابس جديدة كما هو الوضع حاليًا إنما جرت العادة على الاحتفاظ بملابس زينة لا تُرتدى إلا في المناسبات السارة فقط ومنها أيام العيدين. فقد كان الرسول ﷺ يرتدي في العيدين بردًا أحمر وإزارًا من نسج عمان ويعتمّ، ثم تحفظ هذه الثياب لمناسبة أخرى[5]. كما كان الصحابة يوسِّعون على نسائهم في لباس الزينة[6]، فقد

(١) السفاريني، ١/٧٢٢- ٧٢٣.

(٢) ابن سعد، ٨/١٥.

(٣) محمود شكري الألوسي، ١/٣٤٧.

(٤) محمود شكري الألوسي، ١/٣٦٧. ولم يذكر مصدره الذي اعتمد عليه، ولم أتمكن من الحصول على إشارات من المصادر تدل على أسلوب احتفالهم بأعيادهم.

(٥) ابن سعد، ١/١٤٣.

(٦) البلاذري، أنساب، ٥/٣.

كانت نائلة بنت الفرافصة ترتدي مِطْرَف خَزّ[1] ثمنه مئتا درهم اشتراه لها زوجها عثمان بن عفان[2]، ومن المرجح أنها كانت تتجمل به في أيام العيدين وغيرها من المناسبات السارة. كما كانت عزة الميلاء[3] تحتفظ بحلة أهداها لها عبدالله بن جعفر، فإذا كان يوم زينة أو مباهاة ارتدتها لتتجمل بها[4]، ولعلها كانت ترتديها أيام العيدين أيضًا. أما صبيان الأسرة ذكورًا وإناثًا فلم تشر المصادر إلى طبيعة لباسهم في أيام العيدين إلا أن المتوقع أنهم كانوا كالكبار لهم نصيبهم من لباس الزينة.

يبدأ الاحتفال بالعيد بذهاب أفراد الأسرة رجالاً ونساءً وصبيانًا لأداء صلاة العيد[5]. ثم يبدأ الأهل في التزاور لتقديم التهاني ويقدم أفراد الأسرة لضيوفهم بعض الأطعمة مثل الفاكهة وغيرها يطلق عليها اسم تحفة[6].

وتحرص بعض الأسر على إظهار الفرح والمشاركة فيه، فقد دخل أبو بكر الصديق على ابنته عائشة في يوم عيد وعندها جاريتان تغنيان، فعندما غضب لذلك قال له رسول الله ﷺ : "يا أبا بكر إن لكل قوم عيدًا واليوم عيدنا"[7].

---

(١) مطرف خز: أي أردية من صوف إبريسم لها أعلام أو علمان فقط في أطرافها. ابن منظور، ١/٨٢٥، ٢/٥٨٥.

(٢) ابن سعد، ٣/٥٨.

(٣) عزة الميلاء، مولاة للأنصار، تسكن المدينة، وممن اشتهر بالغناء فيها، توفيت سنة ١١٥هـ/ ٧٣٣م. الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١٦٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٦/٢١٤.

(٥) مسلم، ٢/٦٠٢- ٦٠٦.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٢٤/١٣٦. ابن منظور، ١/٣١٣.

(٧) الطبراني، الكبير، ٢٣/١٨٠. وانظر أيضًا: الطبراني، الكبير، ٢٣/٢٦٥. ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٧٤- ٢٧٥.

ولا شك أن ما حدث في بيت رسول الله ﷺ يتكرر في غيره من بيوت المسلمين في أيام العيدين. كما كان الرسول ﷺ يسمح لعائشة أم المؤمنين بالنظر إلى الحبشة أيام العيد وهم يلعبون بالحراب في المسجد(١).

- **الاحتفال بعودة المسافر:**

يضطر رب الأسرة في بعض الأحيان إلى ترك أسرته والسفر إلى خارج البلاد، إما لأداء الحج، أو الجهاد، أو لقضاء دين(٢)، أو في طلب ميراث(٣)، أو في تجارة، أو في غيرها من مستلزمات الحياة . فهل هناك بعض العادات التي كانت تتبع عند عودة المسافر إلى أهله؟ ترى إحدى الدراسات الحديثة(٤) أن من عادة أهل مكة عند عودتهم من السفر أن يبدؤوا بالطواف بالبيت الحرام تعظيمًا للكعبة وذلك قبل دخولهم على أهليهم إلا أنني لم أجد فيما اعتمدت عليه من مصادر ما يدل على ذلك فما ذكره البلاذري(٥) يتعلق بأمر ديني ليس له علاقة بالسفر يقول: "كانت قريش إذا دخل رمضان، خرج من يريد التحنث منها إلى حِراء(٦)، فيقيم فيه شهرًا، ويطعم من يأتيه من

---

(١) مسلم، ٦٠٩/٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٣٨٠/٤. الفاسي، العقد، ٢٢٢/٧- ٢٢٣.

(٣) ابن سعد (القسم المتمم) ص٣٣٦.

(٤) عبدالرحمن الدباسي، الشعر في مكة في الجاهلية وصدر الإسلام - جمعًا وتحقيقًا - ج١ (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص١٤.

(٥) البلاذري، أنساب، ١٠٥/١. وانظر أيضًا: ابن فهد، عمر، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت، ج١ (د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص١٧١.

(٦) حراء: جبل من جبال مكة يبعد عنها حوالي ثلاثة أميال. ياقوت، البلدان، ٢٣٣/٢. وهو اليوم يقع داخل مكة ويسمى جبل النور. عاتق البلادي، المعالم، ص٩٥.

المساكين. حتى إذا رأوا هلال شوال، لم يدخل الرجل على أهله حتى يطوف بالبيت أُسبوعًا[١]. فكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك".

ومن المرجح أن للمسافر حقوقًا على أهله وأصحابه عند قدومه، وفي مقابل تلك الحقوق عليه أن لا ينسى واجباته نحوهم والمتمثلة في حمل الهدايا لهم، وهي ما يطلق عليها اسم اللُّهْنَة[٢]، أو العُراضة[٣].

يبدأ الاحتفال بعودة المسافر قبل وصوله إلى المسكن حيث يحرص الأهل على إرسال صبيان الأسرة ليكونوا في استقباله وقد وضح ذلك في مكة والمدينة. فعن ابن عباس أنه قال: "لما قدم الرسول ﷺ مكة استقبلته أغيلمة من بني عبدالمطلب"[٤]. وعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "قدمنا من حج أو عمرة فتلقينا بذي الحُليفة[٥] وكان غلمان الأنصار يتلقون أهليهم"[٦].

بعد وصول المسافر يبدأ بتوزيع الهدايا على الأهل والأصحاب الذين يقدمون للسلام عليه[٧]، وقد يعمل لهم طعامًا يطلق عليه النقيعة[٨]. وإن لم

---

(١) أسبوع: أي سبع مرات. ابن منظور، ٢/٨٨.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ٢/٩٨٩.

(٣) الزبيري، ص٣٤٠. الأصفهاني، الأغاني، ٤/٣٨٠. الثعالبي، فقه، ص٢٩١. البقاعي، ورقة ٧٣ب.

(٤) البخاري، صحيح، ٢/٢٠٤. وانظر أيضًا إشارة أخرى: السيوطي، مسند فاطمة، ص٦٥.

(٥) ذو الحليفة: قرية تبعد عن المدينة مسافة ستة أو سبعة أميال، وتعد ميقات أهل المدينة. ياقوت، البلدان، ٢/٢٩٥. وهي اليوم بلدة عامرة تبعد عن المدينة حوالي تسعة أكيال جنوبًا على طريق مكة وتعرف عند العامة بأبيار علي. عاتق البلادي، المعالم، ص١٠٤.

(٦) ابن سعد، ٣/٤٣٤. وانظر أيضًا: البخاري، صحيح، ٤/٣٩. الطبراني، الكبير، ١/٢٠٤.

(٧) ابن سعد (القسم المتمم) ص٣٣٦.

(٨) المفضل الضبي، الأمثال، ص١٢١. ابن دريد، جمهرة، ٣/١٢٧١. ابن منظور، ٣/٧٠٧. ابن حجر، فتح، ٩/٢٤١.

يرد في المصادر ما يدل على وقت عملها هل غداء أم عشاء، أو أنواع الأطعمة والأشربة التي تقدم، والآنية التي تستخدم، وهل يُدعَى لها آخرون، ولا على مدى استمرارية هذه العادة في مدة الدراسة.

- الاحتفال ببناء الدار أو البيت:

مما لا شك فيه أن بناء دار أو بيت للأسرة يعد مناسبة سعيدة تستحق الاحتفال بها، فيُصنع لذلك طعام يُسمى الوكيرة، وتسمى الدعوة التوكير(1). وأيضًا تغفل المصادر التي اطلعت عليها جوانب كثيرة في هذا الموضوع وهي بذلك شبيهة بطعام النقيعة. فمتى تقام هذه الدعوة؟ هل في أول يوم للسكن أم بعد أسبوع مثلاً؟ أو بعد مدة غير محددة، وهل هي دعوة للغداء أم للعشاء؟ وهل يدعى لها الرجال والنساء؟ أم هي دعوة للرجال فقط؟ وما نوع الأطعمة والأشربة التي تقدم فيها؟ وما الآنية المستخدمة في تقديمها؟ كما لم تشر المصادر إلى وجود هذا النوع من الاحتفال في بادية الحجاز وهو أمر طبيعي لارتباطه بالعمران في الحاضرة.

سادسًا - الاستعداد للمواسم:

لا شك أن احتياجات الأسرة في الحياة اليومية تختلف عن احتياجاتها في المواسم مثل دخول فصل الشتاء وحلول شهر رمضان، فكيف كانت الأسرة تستقبل تلك المواسم؟

من خلال بعض الإشارات القليلة التي أوردتها المصادر نستطيع القول: إن

---

(1) المفضل الضبي، الأمثال، ص١٢١. البلاذري، أنساب، ١/٥١٥، ٥/٢٨. ابن دريد، جمهرة، ٢/٨٠٠، ٣/١٢٧١. ابن حجر، فتح، ٩/٢٤١.

دخول فصل الشتاء وحلول شهر رمضان كانا موسمين يتطلبان استعدادًا مسبقًا من قبل أفراد الأسرة. فعند قدوم الشتاء تبدأ الأسرة بتجهيز ما يلزمها من ثياب وطعام وحطب[١]. أما شهر رمضان فيبدأ الاستعداد له منذ شهر شعبان تقريبًا بشراء الدقيق والأرز والسكر والسويق[٢]، ولعل الدقيق يأتي في مقدمة احتياجات الأسرة في أواخر القرن الثاني الهجري، فقد جاء في الطبقات[٣]: "فدعوت[٤] رجلاً كان يتولى شراء حوائجي، فقلت: اكتب من الدقيق عشرة أَقْفِزَة[٥]، ومن الأرز قَفِيزًا، ومن السكر كذا ...".

سابعًا - الموارد المالية للأسرة:

اختلفت الموارد المالية للأسر في الحجاز باختلاف ظروف كل أسرة سواء في الحاضرة أو البادية، ولا شك أن تلك الموارد مرت بسلسلة من المتغيرات خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، ولمناقشة مثل هذا الموضوع لا بد من الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما الموارد المالية للأسر قبل الإسلام؟ وهل تغيرت بعد ظهوره؟ ما وجه الاختلاف بين الموارد المالية للأسرة في البادية عن الحاضرة؟ ما العوامل الخارجية التي أثرت في موارد الأسرة إن سلبًا أو إيجابًا؟ ما مدى إسهام أفراد الأسرة لتحسين تلك الموارد؟

(١) ابن سعد (القسم المتمم) ص٣٣٢.

(٢) ابن سعد، ٥/٤٣١- ٥٣٢.

(٣) السابق، ٥/٤٣٢.

(٤) الحديث لمحمد بن عمر بن واقد. ابن سعد، ٥/٤٢٥.

(٥) أقفزة: جمع قفيز، ويساوي صاع النبي ﷺ أي = ٢,٢٤٠ كيلو. فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي (ط٢، منشورات الجامعة الأردنية، عمّان ١٩٧٠م) ص ٦٣.

من المرجح أن التجارة كانت المورد المالي الرئيس لمعظم الأسر القرشية وغيرها في مكة قبيل الإسلام، حيث مارسها الرجال والنساء، وتختلف ممارستهم لها باختلاف وضعهم الاقتصادي، قال ابن سعد[١]: "وأقبل أبو سفيان بن حرب بالعير ... فقال ... هل أحسست أحدًا من عيون محمد؟ فإنه والله ما بمكة من قرشي ولا قرشية له نَشّ[٢] فصاعدًا إلا قد بعث به معنا". ومن لا يوجد عنده المال كان يمارس التجارة عن طريق القِراض ويقصد بها المضاربة أي أن يدفع من يملك المال إلى التاجر مالاً يتَّجر فيه ويكون الربح بينهما حسبما يتفقان[٣]، وعلى ذلك مارس الرسول ﷺ التجارة مع السيدة خديجة بنت خويلد[٤]. كما كان عثمان بن عفان يملك المال ويدفعه لمن يتاجر له فيه[٥]. وعندما تتحسن الأوضاع المالية لهؤلاء التجار ينتقلون إلى مرحلة مزاولة التجارة عن طريق مشاركة تجار آخرين، فقد كان للرسول ﷺ شريك يدعى السائب بن أبي السائب[٦].

---

(١) ابن سعد ١٣/٢. وانظر أيضًا: المقريزي، أحمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمود محمد شاكر، ج١ (د. ط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.م، د.ت) ص٦٦.

(٢) النش: وزن عربي قديم كان معروفًا لدى أهل مكة خاصة يزن نصف أوقية، أي عشرين درهمًا، أي ما يساوي ٦٢,٥غم. الطبري، السمط، ص٨. المقريزي، النقود، ص٣. فالتر هنتس، ص٥٦.

(٣) ابن منظور ، ٥٢٢/٢، ٦٠/٣. مختار سيدي الغوث، ص٣٢٧.

(٤) ابن سعد، ١٣٠/١، ١٦/٨. الطبري، السمط، ص١٤.

(٥) ابن سعد، ٦٠/٣.

(٦) الدولابي ، محمد بن أحمد، الكنى والأسماء، ج١ (ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص٥٠. ابن عبدالبر، ١٠٠/٢ - ١٠١. ابن حجر، الإصابة ، ١٠/٢ ، ٣١٤ . وهو السائب بن أبي السائب صيفي بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي. ابن عبدالبر، ١٠٠/٢.

مما لا شك فيه أن التجارة كانت تدرُّ على أصحابها وخصوصًا القرشيين منهم دخلاً كبيرًا، قال ابن سعد(1): "كانوا يربحون في تجارتهم للدينار دينارًا". ولا شك أن ذلك مكَّنهم من العيش في سعة(2)، كما مكنهم من تملك العبيد الذين كانوا يمتهنون مهنًا مختلفة(3)، فقد كان عبدالله بن أبي ربيعة(4) تاجرًا موسرًا وكان له عبيد من الحبشة يمارسون جميع المهن(5).

بالإضافة إلى ما سبق فقد كان أثرياء مكة رجالاً ونساء يمتلكون قطعانًا من الإبل والأغنام(6)، ويعتمدون في رعيها إما على أبنائهم كما كان يفعل الخطاب بن نفيل، قال البلاذري(7): "حج عمر فلما كان بضَجْنَان(8) قال: لا إله إلاّ الله لقد كنت أرعى إبل الخطاب في هذا المكان...". أو على أُجَرَاء فقد جاء

(1) ابن سعد٢/٣٧.

(2) جواد علي، ٧/٢٨٩.

(3) ابن سعد، ٨/٤٢٧. ابن قتيبة، المعارف، ص٥٧٦. عبدالله محمد السيف، الصناعات في نجد والحجاز في العصر الأموي، مجلة الدارة، العدد الثالث، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، الرياض، ص٢٤٥.

(4) عبد الله بن أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم. كان اسمه في الجاهلية بحيرا فسماه الرسول ﷺ عبدالله، كانت قريش تلقبه "بالعِدْل" لأنها كانت تكسو الكعبة في الجاهلية من أموالها سنة ويكسوها هو من أمواله سنة. الزبيري، ص٣١٧. الأصفهاني، الأغاني، ١/٧٠، ٧٣.

(5) الأصفهاني، الأغاني، ١/٧٣.

(6) الواقدي، ١/٢٢٨، ٣٥٦. ابن هشام، ١/٥٠. ابن حبيب، المنمق، ص٣٧. الأزرقي، ١/١١٣. البلاذري، أنساب، ١/٧٩، ٨١. الطبري، تاريخ، ٢/٢٤٣، ٢٤٤. الزمخشري، الكشاف، ٤/٢٣٤. ابن العربي، ١/٤٤٤.

(7) أنساب (الشيخان) ص١٥٥.

(8) ضجنان: جبل صغير بالقرب من مكة. ياقوت، البلدان، ٣/٤٥٣. وهو اليوم حرة شمال مكة على مسافة (٥٤) كيلاً على طريق المدينة تعرف بحرة المحسنية. عاتق البلادي، المعالم، ص١٨٣.

في صحيح البخاري[1] قول الرسول ﷺ : "ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم". فقال أصحابه وأنت؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط[2] لأهل مكة". أو يعتمدون على رقيقهم ومن ذلك ما قاله أبو بكر الصديق: "فإذا أنا براعٍ يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي نريد، يعني الظل، فسألته: لمن أنت يا غلام؟ قال: لرجل من قريش، فسماه لي، فعرفته"[3].

كما تشكل الزراعة إحدى سبل الرزق التي تعتمد عليها الأسر في الحجاز وخاصة يثرب والطائف وما حولهما من قرى زراعية، وهي لا توفر للأسرة غذاءها فقط أو موردًا ماليًا يعتمد عليه في الحياة المعيشية، وإنما تؤمن لهم أيضًا المواد الأولية لصناعات أخرى ضرورية.

يبدو أن أفراد الأسرة كانوا يمارسون الزراعة في أراضيهم بأنفسهم رجالاً ونساء، وإن كانت الأسرة متوسطة الحال تمكنت من استئجار من يساعدها في ذلك[4]، أما الأسر الغنية فلا شك أنها تعتمد على رقيقها في زراعة الأرض.

من الواضح أن الرعي والزراعة لم يكونا يُدرَّان ربحًا كبيرًا كالذي كانت تدره التجارة، لذلك من المرجح أن الأسر التي كانت تعتمد على التجارة بكونها مورد رزق لها كانت أغنى ممن كان يعتمد على الرعي والزراعة، ومن ثم فإن ذلك سيؤثر في مستواها المعيشي.

---

(١) البخاري، صحيح، ٤٨/٣. وانظر أيضًا: ابن سعد، ١٢٥/١. الفاسي، العقد، ٢٢٢/١.

(٢) القيراط: من الوزن وهو نصف دانق، وقيل هو جزء من أجزاء الدينار حوالي نصف عُشره أو من الدرهم. ابن منظور، ٦٢/٣. فالتر هنتس، ص ١٠.

(٣) ابن سعد، ٣٦٥/٤. وانظر أيضًا: البخاري، الصغير، ٣٤/١. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، تحقيق الحافظ عزيز بيك (ط٢، الدار السلفية، بومباي ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص ٥. وانظر مثالاً آخر: السيوطي، الحبشان، ص٢٤٢- ٢٤٣.

(٤) ابن سعد، ٣٠/٢.

أما الحرف والصناعات فتذكر بعض المصادر[1] أن أشراف قريش كانوا يمتهنوها إلا أن الباحث في هذا الموضوع يتردد في قبول مثل هذا القول[2]، فالراجح أن الأشراف كانوا يأنفون من ممارستها ويعتمدون في ذلك على الموالي والعبيد[3]، ومما يلفت النظر في تلك الروايات أنه لم ينسب فيها إلى أحد من بني هاشم ممارسة حرفة من الحرف التي كان ينظر إليها على أنها وضيعة، لذلك لعل واضع الرواية الأول كان ذا ميول علوية وأراد الحط من قدر رجالات قريش وإبراز تميز بني هاشم عليهم[4]، إلا أن ما أورده لا شك يعطي تصورًا عن وجود أسر عربية فقيرة كانت تحترف مثل هذا العمل، ويعد مورد رزقها الرئيس وخاصة خارج نطاق الأسر القرشية الشريفة.

وفي بادية الحجاز كان تملُّك الإبل والأغنام ورعيها يمثل مورد الرزق الرئيس لمعظم سكانها، فمنها طعامهم وشرابهم ولباسهم ومساكنهم، ولا شك أنهم يستخدمون في رعيها إما أُجَراء أو أبناؤهم أو رقيقهم حسب مقدرتهم المادية، وهم في ذلك مثل الحاضرة. ومن الواضح أيضًا أن أعداد الإبل والأغنام التي تملكها كل أسرة هي المقياس الرئيس للتفاضل بين الأسر. أما التجارة فهي لا تمارس عندهم بالمفهوم الواسع لها عند الحضر إنما قد

---

(١) ابن الكلبي، هشام بن محمد، مثالب العرب (مخطوطة مصورة برقم ف ١٢٠٨، مكتبة جامعة الملك سعود، الرياض) ورقة ٦، ٧. الجاحظ، المحاسن، ص١٦٧. ابن قتيبة، المعارف، ص ٥٧٥. ابن رستة، أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص١٩٢- ١٩٣.

(٢) انظر رأي جواد علي حول هذا الموضوع، ١٢٦/١.

(٣) انظر المناقشة التي أوردها حول هذا الموضوع: عبدالله عثمان الخراشي، النشاط الاقتصادي في منطقة المدينة في العهد النبوي (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٧هـ) ص ١٨٦- ١٨٧، ٢٢٧.

(٤) انظر: نجمان ياسين، ص ٤٨- ٤٩.

تشمل بيع الإبل والأغنام وبعض المنتجات الحيوانية وشراءها، أو بعض المبادلات التجارية بين البادية والحاضرة[1]. أما الزراعة فالراجح أنهم كانوا يأنفون منها كما يأنفون من ممارسة الصناعات[2]، إلا أنهم لا شك يعتمدون على نسائهم في بعض الأمور التصنيعية كنسج الأخبية، وبنائها، وصنع بعض المواد الغذائية كالسمن والأقط. ولا شك أيضًا أن مجتمع البادية يحتاج إلى الصناع مثل الحدادين والنجارين، ويبدو أن بعضهم كان يمارس مثل تلك الصناعات التي تعد مورد رزقه الوحيد، ولكن من المرجح أنها من مهن العبيد خاصة. بالإضافة إلى ذلك كانت بعض نساء القبائل في الحجاز يمارسن مهنة الاسترضاع فقد كانت تمثل لهن موردًا مهمًا، خاصة وأن البادية كثيرًا ما تتعرض لسنوات جدب تضطرهم إلى البحث عن موارد رزق بديلة تدر عليهم دخلاً ثابتًا. وقد اشتهرت بعض القبائل العربية في الحجاز بامتهان نسائهم لمهنة الاسترضاع وإن أَنِفَتْ منه قبائل أخرى حتى جرى المثل القائل: "تجوع الحُرَّة ولا تأكل بثدييها"[3]. ورجَّح السهيلي[4] أن ما قامت به نساء بني سعد بن بكر إنما كان اضطرارًا للأزمة التي أصابتهم والسنة الشهباء التي أقحمتهم.

هذا هو تصور مختصر عن وضع الأسر الاقتصادي قبيل الإسلام

(١) ابن حجر، الإصابة، ٥٤٢/١.

(٢) البخاري، صحيح ، ٧٣/٣. عبدالعزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي (ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٨م) ص ٤٤.

(٣) العسكري، ٢١١/١. الميداني، ١٢٢/١- ١٢٣. الخوئي، ص ١١٠.

(٤) السهيلي، ١٦٧/٢.

ومواردهـم المـاليـة، ولا شـك أن هـذا الـوضـع وتلك المـوارد تـأثـرت مـع ظهـور الإسلام[١] وتعرضت لتطورات كثيرة، فالموارد المالية للأسر المسلمة في البداية تضررت كثيرًا، فقد هاجر الكثير من الأسر أو أفراد منها إلى الحبشة[٢]، ولاشك أنهم فقدوا موارد رزقهم نتيجة لتلك الهجرة، أما من بقي من المسلمين في مكة فقد اتخذت قريش حيالهم أسلوب المقاطعة الاقتصادية بكتابة ما يسمى بالصحيفة التي من ضمن ما تعاهدوا عليه فيها أن لا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم[٣]، ثم جاءت الهجرة إلى المدينة[٤] التي عاش المسلمون بعدها وضعًا اقتصاديًا جديدًا عليهم، فقد مُنُوا بخسارة اقتصادية نتيجة لاستيلاء المشركين على أموالهم ومساكنهم التي تركوها خالية[٥]. واستمرت خسارتهم لها حتى بعد فتح مكة[٦].

كما تعرض المهاجرون لخسارة اقتصادية أخرى عندما حُرِّم التوارث بينهم وبين المشركين وفي ذلك قال الرسول ﷺ : "لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم"[٧].

---

(١) انظر في الموارد المالية لسكان المدينة في العهد الراشدي: عبدالوهاب إبراهيم شيرة، مجتمع المدينة في عهد الخلفاء الراشدين (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ص٦١- ٨٣، ٩٥- ١٢٤، ١٧٢- ١٧٤، ١٩٤.

(٢) ابن هشام، ٣٤٣/١- ٣٥٣. البخاري، الصغير، ٢٨/١- ٢٩.

(٣) ابن هشام، ٣٧١/١- ٣٧٦.

(٤) السابق، ٧٦/٢.

(٥) ابن سعد ، ١٠٢/٤. الأزرقي، ١٦١/٢ ، ١٩٨، ٢٤٣. البخاري ، صحيح، ١٥٧/٢. البلاذري، أنساب، ٣٥٦/١.

(٦) الأزرقي، ٢٤٥/٢- ٢٤٦.

(٧) الطبراني، الكبير، ١٦٨/١.

وقد أحس الأنصار بمدى ما تعانيه الأسر المهاجرة من قلة في مواردها المادية وفقدانها لمساكنها فحاولوا مساعدتهم، ومن ذلك قولهم للرسول ﷺ: "اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: لا. فقالوا: تكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة. قالوا: سمعنا وأطعنا"(١). ويتضح من خلال هذا الحديث أنه كان على المهاجرين أن يعملوا في البساتين(٢) ليُؤمنوا لهم مورد دخل يعيشون به مع أسرهم، إلا أن هذا الأمر يثير تساؤلاً حول مدى معرفة المهاجرين بأمور الزراعة وكثير منهم أهل تجارة أو رعي؟ ولعل ذلك سيكون تحت إشراف الأنصار. بالإضافة إلى المساعدة السابقة وهب الأنصار للرسول ﷺ كلَّ فضلٍ من خططهم حتى يتخذها المهاجرون سكنًا لهم، وقالوا للرسول ﷺ: "إن شئت فخذ منا منازلنا". إلا أن الرسول عليه الصلاة والسلام اكتفى بما وهبوه لهم كما ابتنى لأصحابه في أراض ليست ملكًا لأحد(٣).

وعلى الرغم مما قدمته أسر الأنصار من مساعدة لأسر المهاجرين إلا أنه كان لا بد من إيجاد حل عاجل لتلك الأوضاع الاقتصادية المتردية، فسنَّ الرسول ﷺ الإخاء(٤)، وعلى الرغم من أنه كان ضرورة اجتماعية لإزالة الوحشة من نفوس المهاجرين إلا أنه كان أيضًا ذا فائدة اقتصادية لأنه يترتب عليه حقوق

---

(١) البخاري، صحيح، ٣/٦٧، ١٤٤.

(٢) ابن حجر، فتح، ٥/ ٨-٩.

(٣) البلاذري، أنساب، ١/ ٢٧٠.

(٤) ابن هشام، ٢/١٢٣. أكرم ضياء العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته الأولى (ط١، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص٧٠.

خاصة بين المتآخين من ضمنها التوارث بينهما[١] والمواساة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ، من ذلك قول سعد بن الربيع لعبدالرحمن بن عوف بعد أن آخى بينهما رسول الله ﷺ: "فانظر شطر مالي فخذه"[٢].

أدى استمرار تدفق المهاجرين إلى المدينة إلى قلة الأقوات فيها، مما أضعف الوضع الاقتصادي للأسر، فبحث الرسول ﷺ عن حل لهذه المشكلة السكانية فطلب من بعض المهاجرين أن يعودوا إلى ديارهم لما تسببه هجرتهم من ضيق اقتصادي، كما أن من مصلحة الإسلام بقاءهم في مواطنهم في تلك المرحلة لتوسيع نشره بين الناس بعد أن تبينت قدرة المسلمين على الدفاع عن أنفسهم لقوله ﷺ بعد الخندق[٣]: "لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم"[٤]. ومن هؤلاء وفد مُزينة[٥] الذي قدم سنة ٥هـ/٦٢٦م وكان عددهم أربع مئة شخص فقال لهم الرسول ﷺ: "أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا إلى أموالكم فرجعوا إلى بلادهم"[٦]. وبعد فتح مكة أعلن الرسول ﷺ أنه لا هجرة بعد الفتح[٧].

---

(١) عرف هذا الأمر في الجاهلية أيضًا فقد جاء في تهذيب الآثار للطبري (الجزء المفقود): كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب، فيرث أحدهما الآخر"، ص٢٧. أما في الإسلام فقد ألغي هذا الأمر بعد معركة بدر لقوله تعالى: ﴿ ... وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ... ﴾ سورة الأنفال، جزء من آية "٧٥" .

(٢) ابن سعد، ١٢٦/٣.

(٣) غزوة الخندق حدثت سنة ٥هـ/ ٦٢٦م. الطبري، تاريخ، ٥٦٤/٢.

(٤) ابن هشام، ٢٧٤/٣.

(٥) مزينة: قيل هم بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ومزينة أمهم عرفوا بها. وتسكن هذه القبيلة نواحي الفرع إلى العقيق. ابن حزم، ص٤٨٠. عاتق البلادي، قبائل، ص٤٨٤.

(٦) ابن سعد، ٢٩١/١.

(٧) مسلم، ١٤٨٨/٣.

وعلى الرغم من أن هذا القول قد لا يعني منع أحد من سكنى المدينة، إلا أنه لا شك يقلل من قدوم بعضهم إليها، لانتفاء المعنى الديني[1].

بدأت الأسر في المجتمع الإسلامي الجديد تستفيد من موارد مالية جديدة[2] منها الغنائم[3] التي كانت لصالح أسر المهاجرين في البداية وأول غنيمة غنمها المهاجرون كانت في سرية عبدالله بن جحش[4] حيث غنموا "عيرًا لقريش تحمل زبيبًا وأدمًا وتجارة من تجارة قريش"[5]. فنال أصحاب السرية أربعة أخماسها وجعل خمسها لله وللرسول ﷺ. ثم تطور هذا المورد مع تطور العلاقة العسكرية بين المسلمين والمشركين، وما لبثت أسر الأنصار أن شاركت أسر المهاجرين هذا المورد بعد أن بدؤوا في مشاركتهم حروبهم منذ معركة بدر الكبرى[6]. وزاد هذا المورد مع فتوحات المسلمين خارج شبه الجزيرة العربية، ومن ذلك أن نصيب الفارس الواحد بعد فتح

---

(١) انظر رأي نجمان ياسين حول موضوع منع الهجرة: ص١٥٤.

(٢) لتفصيلات أكثر في هذا الموضوع انظر: أكرم ضياء العمري، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر النبوة (ط١، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٧هـ/ ١٩٧٧م) ص٥٩ - ٦٥. عبدالله الخراشي، ص١٢-١٨. نجمان ياسين، ص ١١٢- ١٢٢.

(٣) الغنائم جمع غنيمة وهي "ما نيل من أهل الشرك عنوة وقسرًا والحرب قائمة.. تُخمَّس ويكون سائرها لأهلها خاصة دون الناس". أبو عبيد، القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص٢٦٨.

(٤) هو : عبدالله بن جحش بن رباب الأسدي. حليف لبني عبدشمس، أحد السابقين للإسلام، هاجر الهجرتين، كان أول أمير في الإسلام، وكانت سريته سنة ٢هـ/ ٦٢٣م. قتل شهيدًا يوم أحد. الطبري، تاريخ، ٢/٤١٠. ابن حجر، الإصابة، ٢/٢٨٦- ٢٨٧.

(٥) ابن هشام، ٢/٢٤٠. وانظر أيضًا: الطبري، تاريخ، ٢/٤١١.

(٦) ابن سعد، ٢/١٢.

المدائن[١] بلغ اثني عشر ألف درهم[٢]. وبالإضافة إلى الغنائم، هناك الفيء[٣] الذي كان يقسمه الرسول ﷺ على عامة الناس دون تمييز[٤]، واستمر هذا الأسلوب في عهد أبي بكر الصديق[٥]، إلا أنه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب حصل تطور في هذا المورد أدى إلى حدوث تغير في المستوى المعيشي لبعض الأسر من المهاجرين والأنصار، والسبب في ذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب اجتهد برأي آخر يعتمد على التمييز في العطاء بين المسلمين[٦]، وبذلك ازدادت الثروات المالية لدى بعضهم وبدأت تظهر آثارها في مختلف سبل المعيشة.

كان العطاء يمثل المورد المالي السنوي للأسرة في العصر الراشدي والأموي. وعندما همَّ عمر بن الخطاب بفرضه أيَّده في ذلك المهاجرون والأنصار ومُسْلِمة الفتح، ولم يعارضه في ذلك سوى حكيم بن حزام الذي قال لعمر: "إن قريشًا أهل تجارة، ومتى فرضت لهم العطاء، خشيت أن يتَّكلوا عليه فيدعوا التجارة، فيأتي بعدك من يحبس عنهم العطاء وقد خرجت منهم التجارة"[٧]. فتحقق ما توقعه حكيم بن حزام، وأصبح الاعتماد عليه كبيرًا والحرص على الحصول عليه واضحًا، من ذلك قول الزبير بن العوام لعثمان بن

(١) فتحت المدائن سنة ١٦هـ/ ٦٣٧م. الطبري، تاريخ، ٤/ ٢٠.

(٢) الطبري، تاريخ، ٤/ ٢٠.

(٣) الفيء هو: "ما نيل منهم بعدما تضع الحرب أوزارها وتصير الدار دار إسلام... ويكون للناس عامًا ولا خُمُس فيه". وله مصادر أخرى. أبو عبيد، الأموال، ص٢٦٨.

(٤) أبو عبيد، الأموال، ص٢٦٩.

(٥) السابق، ص٢٧٦- ٢٧٨.

(٦) السابق، ص٢٣٦- ٢٧٨.

(٧) الزبير بن بكار، جمهرة، ١/ ٣٧٣.

عفان بعدما مات عبدالله بن مسعود: "أعطني عطاء عبدالله فعيال عبدالله أحق بعطائه من بيت المال"[1]. كما خرج عقيل بن أبي طالب[2] إلى أخيه علي في الكوفة فلما سأله عن سبب قدومه قاله له: "تأخر العطاء عنا وغلا السعر ببلدنا وركبني دين عظيم فجئت لتصلني". فقال علي: "والله ما لي مما ترى شيئًا إلا عطائي"[3]. كما كانت أسماء بنت مُخَرِّبة[4] تبيع العطر على نساء الأنصار ولا تستلم ثمنه منهن إلا بعد استلامهن العطاء[5]. وكان أبو ذر الغفاري إذا خرج عطاؤه اشترى به فلوسًا يقضي بها حوائج أسرته[6]. وقال ابن قيس الرقيات عندما علم بقطع عطائه وقد كان ألفي درهم فقط: "تركت حيًا كَمَيِّت، لا آخذ مع الناس عطاءً أبدًا"[7].

أما في العصر الأموي ونتيجة للأحداث السياسية التي مرت بالحجاز، استخدم العطاء وسيلة ترهيب وترغيب فكان يقطع عن أصحابه إذا غُضِب

(١) ابن شبة، ٣/١٠٥٤.

(٢) عقيل بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف. ابن عم رسول الله ﷺ، خرج مع المشركين إلى بدر مُكرهًا، ثم أسلم وهاجر سنة ٨هـ/ ٦٢٩م. الزبيري، ص٣٩. ابن الأثير، أسد، ٤/٦٣- ٦٤.

(٣) ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، الإمامة والسياسة، تحقيق طه الزيني، ج١ (د. ط، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ص٧٥.

(٤) أسماء بنت مخربة بن جندل بن أبي أبير بن نهشل بن دارم. تزوجها هشام بن المغيرة في نجران وحملها إلى مكة فولدت له أبا جهل والحارث، ثم تزوجها عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة فولدت له عياشًا وعبدالله وأم حجير، اختلف في إسلامها، قيل ماتت كافرة، وقيل أسلمت وهاجرت وعاشت حتى خلافة عمر بن الخطاب. ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٣٢.

(٥) البلاذري، أنساب، ١/٢٩٨- ٢٩٩. ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٣٢.

(٦) سيف بن عمر، الردة، ص١٠٥. الطبري، تاريخ، ٤/٢٨٥.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ٥/٨٧ - ٨٨.

عليهم[١] أو يجزل لهم رغبة في كسب ولائهم[٢]. لا شك أن في ذلك دلالة على مكانة العطاء في ذلك الوقت وحاجة الأسر الحجازية إليه.

ومن الموارد المالية الجديدة التي برزت في العصر الإسلامي، الرزق، ويقصد به الراتب الذي يُدفع للموظف الحكومي إما يوميًا أو شهريًا، وقد اعتمدت عليه بعض الأسر، إلا انه لم يكن يحقق لها كسبًا يمنحها سعة في العيش. فقد استعمل الرسول ﷺ عتاب بن أسيد[٣] على مكة عام الفتح حين خرج إلى حنين[٤] ورزقه كل يوم درهم[٥]، كما أن الخليفة عثمان بن عفان استعمل على مقصورة في المسجد النبوي السائب بن خباب[٦] وكان رزقه دينارين في كل شهر[٧]. ولا شك أن تلك الأرزاق يتحكم في مقدراها عاملان:

---

(١) الطبري، تاريخ، ٥/٣٢٠.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة، ١/١٦٤. وانظر أيضًا: إلهام البابطين، ص٩٧- ٩٩. صالح أحمد العلي، العطاء في الحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد العشرون، ١٩٧٠م، بغداد، ص٣٧. عبدالله السيف، الحياة، ص١٨٥- ١٩٤. نجمان ياسين، ص٢٢٤.

(٣) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبدشمس الأموي. أسلم يوم الفتح وأقره أبو بكر الصديق على مكة بعد وفاة الرسول ﷺ، قيل مات في أواخر خلافة عمر بن الخطاب. ابن حجر، الإصابة، ٢/٤٥١.

(٤) حنين: واد قرب الطائف، يبعد عن مكة بضعة عشر ميلاً. هزم فيه الرسول ﷺ قبيلة هوازن. البكري، ٢/٤٧١ – ٤٧٢. وهو اليوم يسمى وادي الشرائع ويعد من أودية مكة يقع إلى الشرق منها ويبعد عنها حوالي ثلاثين كيلاً. عاتق البلادي، المعالم، ص١٠٧.

(٥) ابن قدامة، التبيين، ص١٩٨.

(٦) السائب بن خباب، مختلف في صحبته، قيل هو مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبدشمس، وقيل غيره، توفي سنة ٧٧هـ/ ٦٩٦م. ابن الأثير، أسد، ٢/٣١٣. ابن حجر، الإصابة، ٢/٩- ١٠.

(٧) ابن شبة، ١/٧.

الوضع المالي للدولة، والأهمية الإدارية للوظيفة. ويبدو أن هذا المورد لم يكن له دور كبير في عصر الرسول ﷺ، ولم تظهر أهميته إلا بعد أن بدأت التنظيمات الإدارية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وبلغت أوجها في العهد الأموي[1].

بالإضافة إلى الموارد الجديدة، استمر المسلمون يمارسون أعمالهم السابقة فقد نقل المهاجرون اهتمامهم بالتجارة من مكة إلى المدينة وبدؤوا بذلك منذ وصولهم إليها فعندما آخى الرسول ﷺ بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رفض عبدالرحمن عرض سعد له بأن يشاطره ماله، وقال: "دلوني على السوق، فاشترى وباع فربح"[2]. ثم ما لبث أن تطورت تجارته وأدت إلى امتلاكه ثروات ضخمة[3].

من المرجح أن التجار كانوا يباشرون أعمالهم التجارية في السوق بأنفسهم، فلما استُخلف أبو بكر الصديق شوهد متوجهًا إلى السوق وعلى رأسه أثواب يتجر بها. فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح فقالا: "أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق، قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟"[4].

إلا أن هذا الوضع ما لبث أن تغير نتيجة للتطورات الاقتصادية التي شهدتها الدولة الإسلامية، والتي أدت إلى ازدياد الثروات المالية بعد أن فتح الله عليهم، فبدأ العرب يأنفون من مباشرة أعمال البيع والشراء بأنفسهم،

(١) لتفصيلات أكثر، انظر: صالح العلي، الحجاز، ص٢٨٠- ٣٣٧.

(٢) ابن سعد، ٣/١٢٦.

(٣) السابق، ٣/١٣٢.

(٤) ابن شبة، ٢/٧٤٧. وانظر أيضًا: ابن العربي، ١/٩٨. السيوطي، مسند أبي بكر، ص١٠٧.

وحل محلهم العبيد والموالي، وقد لحظ الخليفة عمر بن الخطاب ذلك فاستفسر عن سببه فقيل له: "يا أمير المؤمنين قد أغنانا الله بالفيء ونكره أن نركب الدناءة، وتكفينا موالينا وغلماننا"[1]. وقد ساعد على الانصراف عن التجارة في الأسواق ظهور نشاط تجاري جديد كان يُعَد مصدرًا من مصادر الثروات للأسر في الحجاز، وهو بيع الأراضي الزراعية والسكنية وشراؤها، فقد اشترى عبدالله بن جعفر أرضًا بستين ألفًا[2]، ثم جزَّأها ثمانية أجزاء، فباع جزأين منها للخليفة عثمان بن عفان بمئة وعشرين ألفًا وكانت أرضًا سكنية[3]. كما اشترى الزبير بن العوام أرض الغابة[4] بمئة وسبعين ألفًا[5] فباعها عبدالله بن الزبير بألف ألف وست مئة ألف[6]. ونتيجة لممارسة هذا النشاط التجاري ازدادت الثروات المالية عند الأفراد فعمد بعضهم إلى تخصيص جزء منها صدقة أو وقفًا على أن يبقى الأصل لا يباع ولا يورث ولا يوهب، ويتولى أمر هذه الصدقة شخص يوصى له من قبل صاحبها ويكون من حقه أن ينتفع بها[7]، وبذلك تصبح موردًا جديدًا من موارد الأسرة. وترى إحدى الدراسات الحديثة[8] أن هذا النشاط اختص به المهاجرون في المدينة

---

(١) ابن شبة، ٢/٧٤٧.

(٢) لم يحدد نوع النقد.

(٣) ابن شبة، ٣/١٠٤٢.

(٤) الغابة موضع قرب المدينة على طريق الشام. ياقوت، البلدان، ٤/١٨٢. والغابة حاليًا هو وادي الخليل. عاتق البلادي، معالم، ص٢٢٣.

(٥) لم يحدد نوع النقد.

(٦) ابن سعد، ٣/١٠٩.

(٧) البخاري، صحيح، ٣/١٨٥. مسلم، ٣/١٢٥٥. ابن شبة، ١/٢٢٢، ٢٢٥.

(٨) عبدالوهاب شيرة، ص٨١ - ٨٢.

دون الأنصار الذين كان لهم توجه نحو التملك خارج الحجاز، ويرى أن ذلك كان بسبب هيمنة قريش على الحياة السياسية، وبمراجعة الجدول الذي اعتمد عليه في الوصول إلى هذه النتيجة نجد أن القرشيين كانوا أكثر تملكًا للأراضي من الأنصار ليس فقط في المدينة بل حتى في العراق والشام ومصر والطائف، وبذلك ينتفي السبب السابق الذي ذكره، ولعل مرجع اختصاص المهاجرين بهذا النشاط التجاري هو وجود السيولة المالية لديهم كونهم عُرفوا بممارسة التجارة منذ العصر الجاهلي.

يشكل استثمار الرقيق موردًا ماليًا رادفًا لموارد الأسرة، وقد تعتمد عليه بعض الأسر في دخلها اعتمادًا تامًا، فهناك من الأسر الغنية من يمتلك كثيرًا من الرقيق والإماء تحرص عند شرائها لهم أن يكونوا صناعًا مهرة في المهن، ثم تطلقهم للعمل على أن يدفعوا الخراج لمالكهم. وممن كان يستخدم الرقيق في هذا المجال الزبير بن العوام فقد كان عنده ألف مملوك يؤدون إليه الخراج[1]. وعمر بن أبي ربيعة الذي كان يملك مئة مملوك لهم أعمال ومهن[2]. كما كان بعضهم يقتني الإماء ويُكرههن على الزنا ليجلبن له مالاً، أو ليلدن له أولادًا يبيعهم، ومن هؤلاء عبدالله بن أُبَي بن سلول[3]، فقد كان يجبر إماءه الستّ على الزنا لأنه كان يبيع أولادهن ويتقاضى منهن الخراج فشكت إحداهن إلى النبي ﷺ فنزلت الآية الكريمة: ﴿ ... ولَا

(١) ابن عبدالبر، ١/٥٨٣.

(٢) البلاذري، أنساب، ١٠/١٩٧.

(٣) عبدالله بن أُبي بن مالك بن الحارث بن عبيد، من بني عوف بن الخزرج. نسب إلى أمه سلول، كان رأس المنافقين. ابن قدامة، الاستبصار، ص١٨٤.

تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١). ولا شك أن ما يدفعه هؤلاء الرقيق والإماء من خراج كان يمثل موردًا ماليًا مهمًا للأسرة المالكة لهم يعينهم على التوسع في معيشتهم(٢).

وتمتلك بعض الأسر في الحجاز قطعانًا من الأغنام أو الإبل تقل أو تكثر حسب الوضع الاقتصادي للأسرة، ففي المدينة كان للرسول ﷺ قطعة من ضأن ترعى بالقُفِّ(٣)، ولِقَاح(٤) بذي الجَدْر(٥)، وكان لسحيم بن خفاف(٦) خمس مئة شاة(٧). وفي مكة تألَّف الرسول ﷺ بعض زعماء مكة بمنح كل منهم مئة من الإبل أو دونها(٨). كما كان لأبي بكر مَنِيحَة(٩)

---

(١) سورة النور، جزء من آية (٣٣).

(٢) الزبيري، ص٣٩١.

(٣) السمهودي، وفاء، ١٢٩١/٤. والقف: واد من أودية المدينة وهو في الأصل ما ارتفع من الأرض وغلظ. البكري، ١٠٨٧/٣. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، المغانم المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) تحقيق حمد الجاسر (ط١، منشورات دار اليمامة للبحث الترجمة والنشر، الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ص٣٤٩.

(٤) اللقاح: جمع لِقحة وهي الناقة القريبة العهد بالنتاج. ابن منظور، ٣٨٤/٣.

(٥) الواقدي، ٥٣٨/٢ - ٥٣٩. الفيروزآبادي، المغانم، ص٨٧. وذو الجدر: مسرح للإبل على بعد ستة أميال من المدينة من جهة قباء. ياقوت، البلدان، ١١٤/٢. الفيروزآبادي، المغانم، ص٨٧. السمهودي، وفاء، ١١٧٥/٤.

(٦) سحيم بن خفاف. صحابي، نزل حمص. ابن حجر، الإصابة، ١٦/٢.

(٧) ابن حجر، الإصابة، ١٦/٢.

(٨) سيف بن عمر، الردة، ص٢٦٤، ٢٦٨. الواقدي، ٩٤٤/٣- ٩٤٥. ابن هشام، ١٤٠/٤. ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٣- ٤٧٤. ابن حبيب، المنمق، ص٤٢٢- ٤٢٣. الطبري، تاريخ، ٩٠/٣. ابن كثير، البداية، ٦٨/٨.

(٩) المنيحة: "منحة اللبن، كالناقة أو الشاة تُعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك". الزبيدي، ١٥٤/٧.

من غنم يرعاها له عامر بن فهيرة[١]، وترك عبدالرحمن بن عوف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومئة فرس ترعى بالبقيع[٢]. وكان يعلى ابن منية وحكيم بن حزام[٣] ممن كانوا يملكون مئات الإبل وألوف الشياه[٤].

وفي العصر الأموي استمر تملُّك الحجازيين لقطعان الإبل والغنم فقد كان لعبدالله بن عمر إبل تزيد على المئتين يرعاها له أحد غلمانه[٥]. وكان لعبدالله ابن صفوان غنم كثيرة قدرت بحوالي الألفين[٦].

أما بعض الأسر الفقيرة فيعد ما يمتلكونه هو مورد دخلهم الوحيد على الرغم من قلة ما يدره عليهم، فقد كانت لرجل من بني غِفار[٧] عين أو بئر

---

(١) ابن سعد، ٣/٢٣٠. السيوطي، مسند أبي بكر، ص١٠٨. وعامر بن فهيرة هو مولى أبي بكر الصديق، كان من السابقين إلى الإسلام، ومن المستضعفين من المؤمنين، قتل شهيدًا يوم بئر معونة سنة ٤هـ/ ٦٢٥م. ابن سعد، ٣/٢٣٠- ٢٣١.

(٢) ابن سعد، ٣/١٣٦. وانظر أمثلة أخرى : اليعقوبي، مشاكلة، ص ١٣- ١٤.

(٣) حكيم بن حزام بن خويلد، من أسد بن عبدالعزى، من قريش. يعد من ساداتها ووجوهها في الجاهلية والإسلام. الزبير بن بكار، جمهرة، ١/٣٥٣- ٣٥٤.

(٤) سيف بن عمر الضبي، الفتنة ووقعة الجمل، جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش (ط٢ ، دار النفائس، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص١١٣- ١١٤. البخاري، صحيح، ٣/١٢١. الطبري، تاريخ، ٤/٤٥٠- ٤٥١. ابن كثير، البداية، ٨/٦٩.

(٥) أبو نعيم الأصفهاني، ١/٣٠٠.

(٦) الذهب، ٤/١٥١. ابن كثير، البداية، ٨/٣٤٥.

(٧) بنو غفار: هم ولد مُليل بن ضمرة بن بكر بن عبدمناة بن كنانة. كانت ديارهم وادي الصفراء بين مكة والمدينة. وليس لغفار اسم اليوم في الحجاز ويظهر أنها اندمجت مع حرب الخولانية. الخراز، نهاية، ورقة ٣٣٠. ابن حزم، ص١٨٦. عاتق البلادي، قبائل، ٣٨٤- ٣٨٥.

يقال لها رُومَة[١] وكان يبيع منها القربة بالمُد[٢]، فقال له رسول الله ﷺ: "بعنيها بعين في الجنة". فقال: "يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها لا أستطيع ذلك"[٣].

أما الزراعة فقد كانت في عصر الرسول ﷺ مورد الدخل الرئيس لسكان المناطق الزراعية في الحجاز على الرغم من قلة الإنتاج بسبب ما تتعرض له المحصولات من آفات ومن ثم ضعف المردود الاقتصادي[٤]، أما المهاجرون فعلى الرغم من أنهم لم يكونوا أهل زراعة بل أهل تجارة يدلنا على ذلك قول أبي هريرة: "إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم"[٥]. إلا أنهم حاولوا أن يتكيفوا مع وضعهم الجديد في المدينة ويمارسوا الزراعة، خاصة بعد أن أقطع الرسول ﷺ بعض كبار الصحابة أمثال أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف أراضيَ زراعية[٦]، ويؤيد

---

(١) رومة: تقع في عقيق المدينة، اشتراها عثمان بن عفان وتصدق بها. ياقوت، البلدان، ٢٩٩/١. الفيروزآبادي، المغانم، ص٤٠.

(٢) المد: مكيال مقدارة رطل وثلث الرطل عند أهل الحجاز ويساوي ربع صاع. وأصل المد مقدّر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعامًا. ابن منظور، ٤٥٤/٣. فالتر هنتس، ص٧٤.

(٣) الطبراني، الكبير، ٢٩/٢. وانظر أيضًا: ابن الأثير، أسد، ٢٣٩/٢.

(٤) عبدالله الخراشي، ص٦٨، ١٦٨. وانظر أيضًا عن الآفات التي تتعرض لها الزراعة في العصر الأموي: عبدالله السيف، الحياة، ص٧٢- ٧٤.

(٥) البخاري، صحيح، ٣٨/١، ٢/٣. وانظر أيضًا: ابن عبدالبر، ٢٠٨/٤- ٢٠٩.

(٦) ابن سعد، ٥٨/٢. وانظر أيضًا في إقطاع الرسول ﷺ للأراضي الزراعية: أبو يوسف، يعقوب ابن إبراهيم، الخراج، ضمن كتاب موسوعة الخراج (د.ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص٦١. قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي (د. ط، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١م) ص٢١٥- ٢١٧. إبراهيم علي طرخان، النظام الإقطاعي الإسلامي في الجزيرة العربية في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، ج١ (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص٢٧٥- ٣٠٧. عبدالله الخراشي، ص٩٥ - ١٠٧.

ذلك ما قاله رجل من أهل البادية ردًا على قول الرسول ﷺ: "إن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع". فقال: "والله لن تجده إلا قرشيًا أو أنصاريًا فإنهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع"[1]. واستمر هذا الوضع حتى القرن الثاني الهجري. وهناك إشارات كثيرة عن إقطاعات تمنح وأراضٍ تزرع للقرشيين في المدينة ومكة وغيرهما من الأراضي الحجازية طوال مدة الدراسة[2]. ولكن يبدو أنهم كانوا يتعاملون مع تلك الأراضي الزراعية بأسلوب التاجر وليس الزارع لعدم معرفتهم بأمور الزراعة بالشكل الذي يحقق لهم الربح الوفير. فاستخدموا نظام المزارعة في الأرض وهو أن يدفع الأرض إلى من يزرعها مقابل مقدار معين من المحصول فقد جاء في فتح الباري[3]: "ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزرعون على الثلث والربع". ومنهم من كان يُؤَجِّر أرضه سنويًا بالدنانير أو الدراهم[4]. أما من له خبرة بالزراعة من أهل الحجاز فقد كان يمارسها بنفسه[5]، أو يستعين بالأُجَراء لمساعدته في الزراعة[6]. والأسر الغنية كانت تعتمد على رقيقها في ذلك[7].

---

(١) البخاري، صحيح، ٧٣/٣.

(٢) الزبيري، ص١٤٨. الأزرقي، ٢٢٧/٢ - ٢٣٢. الزبير بن بكار، جمهرة، ١١٣/١. الفاكهي، ١٢١/٤-١٢٨. اليعقوبي، البلدان، ص٧٩. الطبري، تاريخ، ٦٠٣/٧، ١٣٣/٨. ابن حوقل، ص٣٧. السمهودي، ١٠٥٧/٣- ١٠٥٨، ٢١٧٢/٤، ٢١٧٤. عبدالله محمد السيف، الزراعة في الحجاز في العصر العباسي، مجلة الدارة، العدد الثاني، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ، الرياض، ص١٩٠- ١٩٢.

(٣) ابن حجر، ١١/٥ .

(٤) الدورقي ١٦٨/٣. البخاري، صحيح، ٧٣/٣.

(٥) البكري، ١٠٩٦/٣- ١٠٩٧.

(٦) الواقدي، ١٨١/١. البلاذري، أنساب، ٣١٠/١. أبو نعيم الأصفهاني، ٧١/١.

(٧) البلاذري، أنساب، ق ٣، ٢٨/ ٥٣. الطبري، تاريخ، ٥٣٢/٨، ٥٣٩.

لا شك أن تلك الأراضي الزراعية كانت غلالها تدر أموالاً تعد موردًا رئيسًا من الموارد المالية التي تعتمد عليها الأسرة في حياتها المعيشية، قال اليعقوبي في حديثه عن المدينة[١]: "وأكثر أموال أهلها النخل، ومنه معاشهم وأقواتهم". وإن اختلفت مدخولاتها حسب مساحة الأرض المزروعة ونوعية الإنتاج. فقد كان لجعفر بن طلحة[٢] ضيعة غلتها السنوية أربعة آلاف دينار[٣]، فيما كان لعمرو بن العاص ضيعة في الطائف غلتها السنوية عشرة آلاف درهم[٤]. كما كان لسعيد بن محمد[٥] أريضة سبخة تُغل في السنة دينارين. قال ابن سعد[٦]: "وكان يقتصد في ذلك ويجتزئ به ويغدو هو وجاريته فيلقط لها بلحات من أرضه ويرسل بها مع جاريته إلى أهله صبورًا على تلك الشدة لا يشك من ذلك قليلاً ولا كثيرًا". وعلى الرغم مما في هذه الرواية من مبالغة إلا أنها تعطي دلالة على اعتماد بعض الأسر على واردات أراضيهم الزراعية فقط في تصريف حياتهم المعيشية.

بالإضافة إلى الموارد السابقة هناك مورد مالي استفادت منه الأسر الفقيرة فقد كانت تعتمد على عائده اليومي في تصريف شؤونها الحياتية، ويرتبط هذا المورد بالمهن والصناعات والإجارة، وقد زاول هذا النوع من العمل:

---

(١) اليعقوبي، البلدان، ص٧٧.

(٢) هو جعفر بن طلحة بن عمر بن عبيدالله بن معمر بن عثمان بن عمر بن كعب التيمي. الزبيري، ص٢٩٠. ابن حزم، ص١٤٠.

(٣) ابن حزم ، ص١٤٠.

(٤) ابن الزبير، ص٢٠٥.

(٥) هو سعيد بن محمد بن أبي زيد، من الخزرج. كان من أهل الدين والورع والفضل، من الطبقة السادسة من تابعي أهل المدينة. ابن سعد، ٥/٤١١.

(٦) ابن سعد، ٥/٤١١.

الأحرار، والموالي، والرقيق المأذون لهم بالعمل. فقد كان أبو هريرة أجيرًا عند بسرة بنت غزوان[١] يقول في ذلك: "فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدو إذا ركبوا"[٢]. كما كان سعيد بن مسعود الهذلي[٣] نقّاشًا يصنع البرم من حجارة أبي قُبيس بمكة[٤]. وقد يختص بعضهم بمهنة واحدة. وقد يزاولون عدة مهن رغبة في زيادة الدخل اليومي فقد كان عيسى بن أبي عيسى[٥] يقول: "أنا خياط وحناط وخباط، كلٌّ قد عالجت"[٦]. ولا شك أن عائدهم اليومي يرتبط بأمرين: خبرتهم ومهارتهم في الأعمال التي يمتهنونها[٧]، وارتفاع المستوى المعيشي، فكلما كثرت الأموال في أيدي الناس فإنهم يرغبون في استخدامهم ومن ثم يزداد أجرهم اليومي وترتفع أحوالهم المعيشية، ففي عهد الرسول ﷺ كان العائد اليومي عينًا في أغلبه، فقد يكون صاعًا من تمر[٨]، وقد يعمل بعضهم مقابل إطعامه

---

(١) هي بسرة بنت غزوان المازني. أخت عتبة بن غزوان. كانت قد استأجرت أبا هريرة في العهد النبوي ثم تزوجها بعد ذلك. ابن حجر، الإصابة، ٢٥٢/٤.

(٢) ابن سعد، ٣٢٦/٤. وانظر أيضًا: ابن قتيبة، المعارف، ص٢٧٧.

(٣) هو سعيد بن مسعود الهذلي. تزوج ابنة ابن سُريج فأخذ منها غناء أبيها كله، كان يسكن مِنىً، توفي حوالي ١١٠هـ/ ٧٢٨م. الأصفهاني، الأغاني، ٧٠/٥، ٧٢. خير الدين الزركلي، ١٠٢/٣.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٧٠/٥.

(٥) عيسى بن أبي عيسى هو: عيسى بن ميسرة، مولى لقريش، كان كثير الحديث ولا يحتج به، توفي في خلافة أبي جعفر المنصور. ابن سعد (القسم المتمم) ص٤٢٤- ٤٢٥.

(٦) ابن سعد (القسم المتمم) ص٤٢٤. وانظر أيضًا إشارات أخرى : البخاري، صحيح، ١٣/٣، ٤٢/٥. مسلم، ٧٠٧/٢. السيوطي، مسند علي، ص ٥٤، ٧٩، ١٣٩، ١٧٥. السيوطي، مسند فاطمة، ص٩٦.

(٧) عبدالله السيف، الحياة، ص١٧٢.

(٨) مالك، ٢٤٥/٢.

فقط[1]، كما قد يكسب بعضهم مقابل عملهم في سقاية النخل تمرة عن كل دلو ماء[2]. ويعلل أحد الباحثين[3] سبب انخفاض الأجور في تلك المدة - وأتفق معه في ذلك - بكثرة اليد العاملة مع قلة الحاجة إليها، وحالة الفقر العامة، وقلة المال المتداول بين أهل المدينة في تلك المدة، لهذا لا بد أن الوضع المالي لهؤلاء كان قد تحسن منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ولا شك أنه قد تأثر أيضًا بالأوضاع السياسية التي تتابعت على الحجاز منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان.

يحاول رب الأسرة تحسين الوضع المعيشي لأسرته عن طريق البحث عن موارد مالية جديدة، فقد كان ابن أبي معقل[4] كثير الأسفار في طلب الرزق، وعندما لامته زوجته بقولها: "لن تزال في أسفارك هذه تتردد حتى تموت". قال لها: "أو أُثري"[5]. كما كان بعضهم يستعين بما يمنحه لهم ذوو النفوذ والسلطة في الدولة، ومن ذلك أن قومًا من أهل المدينة خرجوا إلى الخليفة هشام بن عبدالملك فأمر لهم بجوائز[6]. كما استفاد محمد بن واقد من أعطية الخليفة هارون الرشيد فقد أمر له بعشرة آلاف درهم، قال: "فقضينا منه دينًا كان علينا وزوجت بعض الولد واتسعنا"[7]. كما يعتمد بعضهم على

(١) ابن سعد، ٣٢٦/٤.

(٢) ابن ماجه، ٦٤/٢. البلاذري، أنساب، ١٥٢/٢.

(٣) عبدالله الخراشي، ص٢٣١.

(٤) ابن أبي معقل هو: عبدالله بن أبي معقل بن نُهيك بن إساف الخزرجي. شاعر حجازي مقل، من شعراء الدولة الأموية. الأصفهاني، الأغاني، ١٥/٢٤.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٢٤/ ١٧- ١٨.

(٦) ابن سعد، ٤٢٦/٥.

(٧) السابق.

مدح أصحاب النفوذ والثروة كابن هرمة الذي سأل عن أعطية إبراهيم بن طلحة[١] له فقالوا بأنه أمر أن يعطى "مئة شاة برعائها وأربعة أجمال ومظلة[٢] وما تحتاج إليه وقوتك وقوت عيالك سنة"[٣]. ومثله أبو وجزة[٤] الذي كان "منقطعًا إلى ابن عطية[٥] يقوم بقوت عياله وكسوته ويفضل عليه"[٦].

على الرغم من أن مسؤولية الإنفاق على الأسرة هي من اختصاص الرجل حسبما تقتضيه أحكام الشريعة الإسلامية والعرف إلا أن ذلك لا يمنع من ظهور استثناءات دلت على أن لبعض أفراد الأسرة دورًا في تحمل بعض تبعات الحياة المعيشية وتحسين الوضع المادي للأسرة، فقد كانت ريطة بنت عبدالله[٧] امرأةً صناعًا تبيع ما تصنع وتنفق على زوجها وولدها[٨]، كما رُوِي أن أسماء بنت عميس دبغت أربعين إهابًا[٩]. ولا شك أنها كانت تبيع ما تدبغ لتحسين

(١) إبراهيم بن طلحة بن عمر بن عبيدالله بن معمر التيمي. من قريش. الزبيري، ص٢٩٠.

(٢) انظر الفصل الخامس عن مسكن البادية.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٣٧٤/٤.

(٤) أبو وجزة هو: يزيد بن عبيد شاعر من سُليم. وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم، فقد أصاب والده سباء في الجاهلية فابتاعه رجل من بني سعد فانتسب هو وولده إليهم. كان من التابعين وروى عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ، سكن المدينة، توفي سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م. الأصفهاني، الأغاني، ٢٧٩/١٢، ٢٨١. خير الدين الزركلي، ١٨٥/٨.

(٥) ابن عطية هو: عبدالملك بن يزيد بن محمد بن عطية السعدي. كان قد ندبه الخليفة مروان بن محمد لمواجهة أبي حمزة الأزدي الشاري عندما جاء إلى المدينة فانتصر عليه. الأصفهاني، الأغاني، ٢٩١/١٢.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٢٩٢/١٢.

(٧) ريطة بنت عبدالله بن معاوية الثقفية. امرأة عبدالله بن مسعود. ابن سعد، ٢٩٠/٨. ابن الأثير، أسد، ١٢١/٢.

(٨) ابن سعد، ٢٩٠/٨.

(٩) ابن هشام، ٤٣٦/٣.

مواردهم المعيشية. كما كانت خولة بنت ثعلبة[1] تنفق على زوجها أوس بن الصامت[2]، وأنفقت فاطمة بنت عتبة[3] على زوجها عقيل بن أبي طالب[4]. وقد تظهر مشاركة المرأة في الإنفاق من خلال عملها في بعض الأعمال التجارية كأسماء بنت مخربة التي كانت تبيع العطر[5]، أو من خلال ممارستها لبعض الحرف فهناك القابلة[6]، والماشطة[7]، والخاتنة أو الخافضة[8]، والنائحة في المأتم[9]، والعطارة[10]، والخاطبة[11]. وقد يشارك الأبناء أيضًا في تحسين موارد دخل الأسرة، فقد كان عبدالله بن جعفر وهو صبي يصنع شيئًا من طين يلعب به ويبيعه للصبيان[12]. كما جاء في الأغاني[13]

(١) خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهر. هي أول من ظاهرها زوجها في الإسلام. ابن سعد، ٣٧٨/٨.

(٢) ابن سعد، ٣٧٨/٨. وهو أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم الخزرجي الأنصاري. أخو عبادة ابن الصامت، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. توفي سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م. ابن الأثير، أسد، ١٧٢/١.

(٣) فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف. أسلمت يوم الفتح، هي أخت هند بنت عتبة. ابن سعد، ٢٣٨/٨. ابن الأثير، أسد، ٢٢٩/٧.

(٤) ابن سعد، ٢٣٨/٨. ابن شبة، ١٠٥٥/٣.

(٥) ابن سعد، ٣٠٠/٨.

(٦) ابن شبة، ٩٨٤/٣.

(٧) ابن حبيب، المنمق، ص٢٠٣.

(٨) ابن حبيب، أدب، ص٢٧٩. ابن حبيب، المنمق، ص٢٤٤. ابن قدامة، التبيين، ص١٤٦.

(٩) ابن شبة، ٧٩٩/٣ - ٨٠٠.

(١٠) ابن حبيب، أدب، ص٢٨٠. ابن الأثير، أسد، ٤٣٣/٥.

(١١) البلاذري، أنساب، ٢٨٢/٥، ١٣٧/١٠. الأصفهاني، الأغاني، ٢٢٦/١٩.

(١٢) ابن حجر، الإصابة، ٢٨٩/٢.

(١٣) الأصفهاني، ٣٩٩/١.

رواية عن العَرْجي[1] يقول فيها لابن غُرير[2] وقد رأى صبياناً يلقطون النوى فوقفوا ينظرون إليهما: "ما أعرف في الدنيا سخلين[3] أشأم مني ومنك، إن هؤلاء الصبيان لأهليهم، عليهم في كل يوم على كل واحد منهم مُدٌّ نَوَى، فقد تركوا لقطهم للنوى وقد وقفوا ينظرون إليَّ وإليك وينصرفون بغير شيء فيُضربون، فيكون شؤمنا قد لحقهم".

أما في البادية فمن المرجح أن وضعهم لم يحدث فيه تغيير ذو بال في الإسلام، فقد ظل الرعي، وتملك قطعان الإبل والغنم، والأنفة من ممارسة المهن لدى الأسر الشريفة، والاعتماد على الرقيق والإماء في ذلك كما كان في العصر الجاهلي. والتطور الوحيد الذي حصل هو مشاركة بعضهم في الجهاد، مما فتح عليهم موردًا جديدًا يرتبط بالغنائم والفيء، وشجعهم على الاستقرار في الأمصار الجديدة والمفتوحة، واستبدلوا بحياة الترحل حياة الاستقرار. أما من بقي في البادية فلم يكن لهم حق في الأعطية والأرزاق كأهل الحاضرة[4]، إلا أنهم أمنوا على أموالهم بعد أن انتهت تلك الغارات التي كانت تشنها القبائل على بعضها، وخفَّت حدة التنافس على المراعي بعد أن هاجرت كثير من القبائل إلى الأقاليم المفتوحة[5]. بالإضافة إلى ذلك اعتمد شعراء الحجاز في

---

(١) العرجي هو: عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي. لقب بالعرجي لأنه كان يسكن عَرْج الطائف، كان من شعراء قريش الغزليين، ومن الفرسان المعدودين، مات حوالي سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م. الأصفهاني، الأغاني، ١/٣٦٩، ٣٧١. خير الدين الزركلي، ٤/١٠٩.

(٢) ابن غرير هو: الحصين بن غرير الحميري. كان صديقًا للعرجي. الأصفهاني، الأغاني، ١/٣٩٧.

(٣) سخلان: مثنى سخل، والمقصود به رذيل القوم أو وضيعهم. ابن منظور، ٢/١١٤.

(٤) أبو عبيد، الأموال، ص٢٤٠، ٢٤٣.

(٥) عبدالله سالم الخلف، مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية، ج١ (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الأدب، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٧هـ) ص١٩٠.

البادية على المدح أو الهجاء لكسب معاشهم، وفي ذلك يقول أحدهم للخليفة عمر بن الخطاب عندما نهاه عن هجاء الناس: "إذن يموت عيالي جوعًا، هذا كسبي ومعاشي"(١).

هذه هي أبرز جوانب الموارد المالية للأسرة والتطور الذي صاحبها بظهور الإسلام. ومن خلالها نجد أن الفتوحات الإسلامية والتطورات السياسية كان لهما تأثير كبير في الأوضاع المالية للأسرة إن سلبًا أو إيجابًا.

(١) ابن شبة، ٧٨٧/٣. البلاذري، أنساب، ق ٤، ٢٣٤/١.

الفصل الرابع

المشكلات الأسرية

أولاً - المشكلات الاجتماعية الناتجة عن :

- تعدد الزوجات
- التسري بملك اليمين
- زواج المتعة
- الفرقة بين الزوجين
- اليتم

ثانياً - المشكلات الاقتصادية :

- الفقر
- الديون



تتعرض الأسرة مثل أي كائن حي لبعض المشكلات التي لا شك أن لها نتائج سلبية على الحياة الأسرية، فقد تؤدي إلى تدهورها أو انهيارها. ويمكن تصنيفها إلى نوعين:

أولاً - المشكلات الاجتماعية الناتجة عن:

- تعدد الزوجات :

لم يكن تعدد الزوجات وضعًا اجتماعيًا مستحدثًا في الإسلام فقد عرفه العرب في الجاهلية[١]. ويبدو أن ذلك عائد إلى أن العرب كانت تربط بينه وبين الرجولية[٢]، أو لرغبة الرجل في إكثار نسله من الذكور خاصة[٣]، أو لظروف تنقُّل العرب بسبب التجارة وغيرها[٤].

عندما جاء الإسلام لم يمنع تعدد الزوجات وإنما ضيَّقه[٥]. وعلى ذلك يعد تعدد الزوجات في المجتمع الإسلامي امتدادًا لظاهرة اجتماعية تعوَّد عليها الإنسان العربي في العصر الجاهلي.

ترتب على عدم التزام بعض الرجال العدل في المعاملة بين زوجاتهم، ظهور بعض المشكلات داخل الأسرة أدت إلى عدم استقرارها أو تفككها.

إن أول مشكلة تظهر نتيجة لزواج الرجل من أخرى أو حتى لرغبته في الزواج هو الوضع النفسي للزوجة الأولى، فعندما تزوج الرسول ﷺ على

---

(١) انظر التمهيد.

(٢) ابن حجر، فتح، ١١٤/٩.

(٣) ابن قتيبة، عيون، ٩٦/٣. أ.ي. بلييايف، ص١٠٤.

(٤) العسكري، ٣٥١/١. الخويِّي، ص٢٤٣.

(٥) انظر التمهيد.

السيدة عائشة أم المؤمنين حزنت حزنًا شديدًا[١]، كما حزنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ لرغبة علي بن أبي طالب في الزواج عليها[٢]. ودخل عثمان بن عفان على ابنته[٣] وقد كانت زوجة لعبدالله بن خالد بن أسيد فرآها في وضع نفسي وصحي لا يسر نتيجة لزواج زوجها عليها[٤].

وتعمد بعض النساء للشكوى إلى أهلهن في محاولة منهن لإيقاف الزوج عما عزم عليه، من ذلك ما فعلته فاطمة بنت رسول الله ﷺ عندما وصل إلى سمعها أن عليًا يرغب في الزواج من جويرية بنت أبي جهل[٥]، فقد ذهبت إلى أبيها ﷺ وقالت له: "يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا عليٌّ ناكح بنت أبي جهل". فصعد رسول الله ﷺ على المنبر وخطب قائلاً: "... إن فاطمة بِضْعةٌ مني، وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك عليّ الخطبة"[٦]. واستمر هذا الوضع في العصر الأموي، فقد اشتكت ابنة معاوية بن أبي سفيان[٧] من زوجها عمرو بن عثمان[٨]

(١) ابن سعد، ٨/٦٤.

(٢) الزبيري، ص١٨٧.

(٣) لم تحدد المصادر اسمها فعبدالله بن خالد بن أسيد تزوج ابنتين لعثمان هما: أم عثمان وأم خالد.

(٤) ابن قتيبة، عيون، ٣/٩٦. ابن العديم، ص ٢٤.

(٥) جويرية بنت أبي جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي قيل اسمها جميلة، تزوجها عتاب بن أسيد أمير مكة في عهد الرسول ﷺ. الزبيري، ص٣١٢. ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٦٥.

(٦) البخاري، صحيح، ٤/٢١٢. وانظر أيضًا: الدولابي، الذرية، ص٤٧- ٤٨ . الطبراني، الكبير، ٢٠/١٨. ابن الأثير، أسد، ٧/٥٦.

(٧) هي رملة بنت معاوية بن أبي سفيان. الزبيري، ص١٠٦، ١٢٨.

(٨) عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس. توفي أبوه وهو صغير وكان قد أوصى به إلى الزبير بن العوام. الزبيري، ص١٠٦.

لزواجه عليها[1]، كما اشتكت زوجة عبدالله بن معاوية[2] لأخيها زواج زوجها عليها[3].

نتيجة لما يثيره زواج الزوج من غيرة وألم، قد يشترط بعض الآباء على الراغبين في مصاهرتهم أن لا يتزوجوا على بناتهم. ومن المرجح أن الرسول ﷺ كان يشترط ذلك، يتضح هذا من خطبته التي ألقاها عندما علم برغبة عليٍّ في الزواج على ابنته فاطمة حيث قال: "أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني..." [4]. وشرح ابن حجر[5] قوله عليه الصلاة والسلام بأنه قد يكون أبو العاص شرط على نفسه ألا يتزوج على زينب. وقياسًا على ذلك قد يكون علي شرط على نفسه ذلك أيضًا، وإلا لما طلب منه الرسول ﷺ أن يرد عليه فاطمة إن كان يريد الزواج عليها[6]. كما يقال أن الرسول ﷺ كان "يغار لبناته غيرة شديدة، وكان لا ينكح بناته على ضرة"[7]. وإن صحت هذه الرواية، فقد تعطي دلالة على أن هناك من كان يشترط مثل ذلك.

على الرغم مما يثيره زواج الزوج من ألم نفسي للزوجة الأولى، إلا أن انتشار هذا الأمر في المجتمع الحجازي عوّد المرأة على الرضوخ له والتسليم به في أغلب الأحيان.

---

(١) البلاذري، أنساب، ق٤، ٦٥/١.

(٢) عبدالله بن معاوية بن أبي سفيان وصفه الزبيري بأنه "خبيث، كان يُضَعَّفُ"، ص١٢٨. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ق٤، ٢٨٤/١. وزوجة عبدالله بن معاوية هي إحدى نساء بني مخزوم. البلاذري، أنساب، ق٤، ٧٤/١.

(٣) البلاذري، أنساب، ق٤، ٧٤/١.

(٤) البخاري، صحيح، ٢١٢/٤. وانظر أيضًا: الدولابي، الذرية، ص٤٧.

(٥) ابن حجر، فتح، ٨٦/٧.

(٦) الطبراني، الكبير، ٣٤٨/١١. ابن الأثير، أسد، ٢٢٢/٧. ابن قيم الجوزية، روضة، ص٣١٥.

(٧) الدولابي، الذرية، ص٤٨.

بعد زواج الزوج تبدأ مشكلة جديدة بالظهور في الأسرة، فما موقف زوجة الرجل أو زوجاته من هذه المرأة؟ وكيف ستكون العلاقة بينهن؟

قد تعمل بعض النساء خفية وعلانية لإفشال زواج الزوج، من ذلك ما قامت به هند زوجة أبي سفيان بن حرب عندما تزوج عليها الصعبة بنت الحضرمي[١]، فلم تزل تلح عليه حتى قام بتطليقها مرغمًا دون رغبة منه[٢]. كما اتفقت السيدة عائشة، والسيدة حفصة على إفساد زواج الرسول ﷺ من أسماء بنت النعمان فقلن لها: "إنه يحب إذا دنا منك أن تقولي له: أعوذ بالله منك، فلما دنا منها قالت: إني أعوذ بالله منك، فقال: قد عُذْتِ بمَعاذٍ فطلقها"[٣].

إن العداء بين الضرائر أمر معهود ومعلوم، ولعل ما كان يحدث بين زوجات الرسول ﷺ يعطي تصورًا واضحًا عن الوضع في بقية الأسر خلال تلك المرحلة، فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "إن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة[٤] وصفية وسودة، والحزب الآخر فيه أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ"[٥].

---

(١) الصعبة بنت الحضرمي عبدالله بن عماد بن ربيعة، هي أخت العلاء بن الحضرمي، وأم طلحة ابن عبيدالله التيمي، قيل عاشت حتى مقتل عثمان بن عفان سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م. ابن الأثير، أسد، ١٦٨/٧.

(٢) ابن قتيبة، عيون، ١٠١/٤.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٩٥. وانظر أيضًا: ابن عبدالبر، ٢٢٩/٤.

(٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب، من بني عدي بن كعب من قريش. كانت عند حصن بن حذافة قبل زواجها برسول الله ﷺ، وقتل بأحد سنة ٣هـ/٦٢٤م. قيل توفيت سنة ٤١هـ/٦٦١م . ابن حجر، الإصابة، ٢٧٣/٤.

(٥) البخاري، صحيح، ١٣٢/٣. وانظر أيضًا: الطبراني، الكبير، ٥٠/٢٣. الطبري، السمط، ص٤٥- ٤٦.

من مظاهر ذلك العداء ما كانت ترويه أم المؤمنين عائشة عن طبيعة العلاقة بينها وبين ضرائرها فكثيرًا ما كانت تستب مع صفية أم المؤمنين، وكانت تقول: "ما رأيت صانعة طعام مثل صفية أهدت إلى رسول الله ﷺ إناءً فيه طعام فما ملكت نفسي أن كسرته"(١). وعنها أيضًا أنها قالت: "دعتني أم حبيبة(٢) عند موتها فقالت: "قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فتحلليني من ذلك..."(٣).

وكما يتضح العداء في الحاضرة فإنه يتضح في البادية أيضًا، وقد يصل بينهما حد الضرب أو القتل الخطأ، ومن ذلك ما حدث في عهد الرسول ﷺ بين زوجتي حمل بن مالك الهُذلي(٤). فقد ضربت إحداهما الأخرى بعمود خباء(٥) أدى إلى إسقاط الأخرى جنينا ميتًا(٦). كما أن عدي الجذامي(٧) كانت له امرأتان أدى العراك بينهما إلى مقتل إحداهما(٨).

ومما يزيد العداء بين الضرائر غيرة بعضهن من بعض، ولعل فيما فعلته

---

(١) ابن سعد، ٨/٨٠، ١٢٧.

(٢) أم حبيبة هي: رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس. تزوجها عبيدالله ابن جحش فأسلما وهاجرا معًا، ثم فارقته بعد تنصره وتزوجت رسول الله ﷺ. قيل توفيت سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م ابن حجر، الإصابة، ٤/٣٠٥، ٣٠٧.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ٤/٣٠٦ - ٣٠٧.

(٤) حمل بن مالك بن النابغة الهذلي. يعد ممن روى عن النبي ﷺ، من أهل المدينة. سكن البصرة. ابن عبدالبر، ١/٣٦٦. ابن الأثير، أسد، ٢/٥٨.

(٥) انظر: الفصل الخامس، الفقرة الخاصة بمسكن البادية.

(٦) الطبراني، الكبير، ١/١٩٣، ٤/١٠، ١١/٢٨٩، ٢٩٠. ابن عبدالبر، ١/٣٦٦. ابن الأثير، أسد، ٢/٥٨. ابن حجر، الإصابة، ٣/٢٨، ٤٦.

(٧) عدي الجذامي يقال: إنه ابن زيد، روى عن الرسول ﷺ . ابن حجر، الإصابة، ١/٢٣٢.

(٨) ابن شبة، ٣/٧٩١.

بعض نساء النبي ﷺ ما يصور ذلك فقد كانت السيدة عائشة والسيدة حفصة جالستين تتحدثان فأقبلت عليهما سودة أم المؤمنين في زينة فقالت السيدة حفصة لعائشة أم المؤمنين: "يدخل رسول الله ﷺ علينا... وهذه بيننا تبرق لأفسدن عليها زينتها اليوم ..."(١). كما أن جرير بن عبدالله البجلي(٢) كان يقول لعمر بن الخطاب: "يا أمير المؤمنين ما استطيع أن أُقبِّل ابن إحداهن في يوم صاحبتها"(٣).

قد يزيد من تلك الغيرة تفضيل الزوج لإحداهن على الأخريات في المحبة، فقد كان الرسول ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: "اللهم هذا فعلي فيما أملك. فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"(٤). يعني بذلك الحب في القلب(٥). وقد أحس المسلمون بمكانة عائشة أم المؤمنين وحظوتها عند رسول الله ﷺ فدأبوا على إرسال هداياهم في يوم السيدة عائشة مما أثار غيرة بقية نسائه فأرسلن إلى السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ يطلبن منها التدخل في ذلك. "فمن أراد أن يهدي إلى رسول الله ﷺ هدية فليهده حيث كان من نسائه". "فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تقول: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر"، فقال: "يا بُنية ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى، فرجعت إليهن فأخبرتهن"(٦).

---

(١) الطبراني، الكبير، ٢٧٨/٤٢. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، ٢٨٦/٤.

(٢) جرير بن عبدالله البجلي، اختلف في وقت إسلامه، كان له أثر عظيم في فتح القادسية، سكن الكوفة ثم قرقيسيا حتى مات تقريبًا سنة ٥٤هـ/ ٦٧٣م. ابن حجر، الإصابة، ٢٣٢/١.

(٣) ابن شبة، ٧٩١/٣.

(٤) ابن ماجه، ٣٦٢/١.

(٥) ابن سعد، ٢٣١/٢.

(٦) البخاري، صحيح، ١٣٢/٣- ١٣٣. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ٤١٥/١. الكسائي، ورقة ٥٦.

قد تبلغ الغيرة حدًا يصل إلى مراقبة الزوج، فعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "خرج رسول الله ﷺ من عندي فظننت أنه خرج إلى بعض نسائه فتتبعته حتى جاء البقيع..."[1].

لا تقتصر غيرة الزوجة من زوجات الرجل اللاتي على قيد الحياة، بل تبلغ الغيرة مداها لتصل إلى الزوجة المتوفاة، فقد كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يذكر السيدة خديجة ويثني عليها أمام عائشة أم المؤمنين فأخذتها الغيرة منها[2]. فقالت: "هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيرًا منها؟!"، فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: "والله ما أبدلني الله خيرًا منها، آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الولد دون غيرها من النساء، قالت عائشة: فقلت في نفسي: لا أذكرها بعدها بسبة أبدًا"[3].

تؤدي الغيرة بين الضرائر في بعض الأحيان إلى تفاخر بعضهن على بعض فقد كانت السيدة زينب بنت جحش تفتخر على نساء الرسول ﷺ بأنها بنت عمته وبأن الله زوَّجها وهن زوَّجهن أولياؤهن[4]. كما كان نساء النبي ﷺ يفخرن على جويرية بنت الحارث كونها سبية فاشتكت إلى رسول الله ﷺ الذي حاول أن يطيب خاطرها فقال لها: "أو لم أُعْظِم صداقك؟ ألم أعتق كل أسير من بني المصطلق؟"[5].

---

(١) ابن شبة، ١/٩٠.

(٢) البخاري، الصغير، ١/٤٢. الطبري، السمط، ٢٧ - ٣٠.

(٣) ابن عبدالبر، ٤/٢٨٦- ٢٨٧. وانظر أيضًا: ابن الأثير، أسد، ٧/٨٤- ٨٥. ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٨٣.

(٤) ابن عبدالبر، ٤/٣١٥- ٣١٦. ابن حجر، الإصابة، ٤/٣١٣.

(٥) الزبير بن بكار، أزواج، ص ٤٥، ٤٦. وبنو المُصطلق هم: بطن من خزاعة، من الأزد، من القحطانية. واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن عامر بن لحي. منازلهم قديد وستارة وعسفان. غزاهم الرسول ﷺ سنة ٥هـ/ ٦٢٦م وقيل ٦هـ/ ٦٢٧م. القلقشندي، نهاية، ص٧٢. عاتق البلادي، قبائل، ص٤٩٣.

وتعرضت صفية للفخر عليها من نساء الرسول ﷺ، فقد كن يقلن لها: "نحن أكرم على رسول الله ﷺ، نحن أزواجه وبنات عمه". فكان عليه الصلاة والسلام يقول لها: "ألا قلت: وكيف تكونان خيرًا مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى؟!"[(١)]. كما كانت كل من سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة زوجتا مصعب بن الزبير تفاخر كل منهما الأخرى الأولى بشرفها والثانية بجمالها[(٢)].

قد تزداد العلاقة بين الضرائر توترًا إذا كان هناك من يحاول أن يزيد النار اشتعالاً، فقد كانت حُميدة[(٣)] مولاة أسماء بنت أبي بكر تدخل بيوت أزواج الرسول ﷺ فكن يستظرفنها ثم صارت بعد ذلك تنقل أحاديث بعضهن إلى بعض وتحرش بينهن فأمر الرسول ﷺ بتعزيرها[(٤)].

ويرتبط بموقف الزوجة من زواج زوجها عليها، موقف الأولاد خاصة إن كانوا في عمرٍ يسمح لهم بذلك، ولعل ما فعله مُنازل السعدي حين غضب لزواج والده على أمه فقرر اعتزاله بعد أن اصطحب معه والدته وماله[(٥)] ما يعطي دلالة على أن الأولاد غالبًا ما يقفون إلى جانب أمهم لإحساسهم بأنها الطرف المغبون في هذا الموضوع.

لا شك أن علاقة الأب بأولاده تتأثر في الغالب نتيجة لزواجه، فقد تعمد بعض الزوجات إلى إيثار أولادها بجانب أكبر من أموال أبيهم على حساب بقية

---

(١) ابن عبدالبر، ٣٤٨/٤. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، ٣٤٧/٤.

(٢) ابن الفرضي، ص٨٩.

(٣) حُميدة هي والدة أشعب الطماع. ابن حجر، الإصابة، ٢٧٥/٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٤٤/١٩. ابن فضل الله العمري، ١٢٥/١٠. ابن حجر، الإصابة، ٢٧٥/٤.

(٥) أبو عبيدة، العققة، ٣٨٧/٢.

أولاده، ومن ذلك ما فعله بشير الأنصاري[1] مع ابنه النعمان[2] حين منحه عطية دون غيره من أولاد زوجاته فلم ترض أمه عمرة بنت رواحة حتى يشهد على ذلك رسول الله ﷺ فأتى رسول الله فقال له: "إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة[3] عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله. قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا. قال: فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. قال: فرجع فرد عطيته"[4].

لا تخلو البادية أيضًا من وضع مشابه فقد جعل أحدهم ماله كله لبنين له صغار أنجبتهم إحدى زوجاته وذلك دون سائر بنيه الكبار الذين احتجوا على هذا الوضع وقدموا إلى الخليفة عثمان بن عفان يطلبون منه أن يقضي بينهم وبين والدهم. فخيَّر الرجل أن يرد إليه ماله أو أن يوزعه بين أبنائه بالتساوي فطلب رد ماله، فلما مات تركه الإخوة الكبار لإخوتهم الصغار[5].

من المشكلات الطريفة التي وردت في بعض المصادر بوصفها واحدة من الآثار المترتبة على التعدد، كثرة الأولاد، ومحاولة إيجاد وسيلة لمعرفتهم، أو التفريق بينهم، فقد اشتهر هاشم بن عبدمناف بأنه نُكَحَة نظرًا لكثرة تنقله بين أحياء العرب بسبب التجارة أو لوفوده على الملوك، لذلك أوصى أهله أنه إذا

(١) بشير بن سعد بن ثعلبة بن جُلاس الخزرجي الأنصاري. استشهد في فتوحات العراق سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م. ابن حجر، الإصابة، ١/١٥٨.

(٢) النعمان بن بشير بن سعد الخزرجي الأنصاري. كان أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة، قتل سنة ٦٥هـ/٦٨٤م. ابن حجر، الإصابة، ٣/٥٥٩.

(٣) عمرة بنت رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن الخزرج الأنصارية. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٠٦، ٤/٣٦٦.

(٤) البخاري، صحيح، ٣/١٣٤.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ١/٣٦٥- ٣٦٦.

أُحضر لهم مولود ومعه علامة تدل على أنه ابنه فعليهم أن يقبلوه، وعلامة قبولهم له هو كسوته ثياباً وإلباسه خفًا. إلا أن هذا الأسلوب لم يكن ينجح دائمًا فقد تزوج هاشم في حي من أحياء اليمن، وبعد رحيله عنهم وُلِد له غلام فارتحل به جده لأمه إلى قريش وسأل عن بني هاشم فدلوه عليهم فأتاهم بالغلام وقال لهم: إنه ابن هاشم فطالبوه بالعلامة فلم تكن معه فلم يقبلوه[1].

كما كانت ريطة بنت عامر[2] تحاول أن تفرق بين أبنائها وأبناء ضرتها باستخدام القزع، فقد كانت تعلم رؤوس أبنائها به فأخذت ضرتها أحد أبنائها فحلقت القزع عن رأسه وادعته ونجحت في أخذه منها، ولذلك كانت ريطة تُعد من حمقى النساء الشهيرات[3].

- **التَّسَرِّي بملك اليمين**[4]:

عُرف التسري في الجاهلية واستمر في الإسلام. قال تعالى: ﴿ **... وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا** ﴾[5].

ومع اتساع الفتوحات الإسلامية كثرت السبايا، وراجت سوق السراري، وعظم الإقبال عليهن في صدر الإسلام. ومن الواضح أن ذلك كان عائدًا لعدة أسباب منها: الرغبة في الاستمتاع بهن[6]، أو لإنجاب الولد، فقد كانوا

(١) العسكري، ١/٣٥١. الخويِّي، ص٢٤٣.

(٢) ريطة بنت عامر بن نمير لم أجد لها ترجمة كافية سوى ما ذكر في المتن، انظر: ابن حبيب، المحبر، ص٣٨٢.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص٣٨٢.

(٤) يدخل في نطاق هذا المصطلح السبايا والإماء.

(٥) سورة النساء، آية (٣).

(٦) المبرد، الكامل، ٢/٩٩. الجاحظ، المحاسن، ص٣٦٨.

يعتقدون أن من لا يولد له فعليه بالتسري ومن هؤلاء سعيد بن المسيب فقد كان يقول: "طلبت الولد فلم يولد لي.... قال فتسريت، فولد لي، وكان لا يولد لي"[١]. كما أن البحث عن نجابة الأولاد كان من أحد أسباب التسري[٢]، فقد كان عمر بن الخطاب يقول: "ليس قوم أكيس من أبناء السراري، لأنهم يجمعون عزَّ العرب، ودهاء العجم"[٣]. ومما رغَّب العرب في التسري أيضًا أن أولاد القرائب في الغالب كانوا يتصفون بهزالة الجسم ونحفه، فكانوا يتسرون رغبة في إنجاب أبناء أقوياء البنية[٤].

يبدو أن التسري في الإسلام كان شائعًا في بدايته بين القرشيين، فقد أحصت إحدى الدراسات الحديثة[٥] عدد أبناء أمهات الولد في قريش فبلغ مئتين وواحدًا وستين بينما كان في الأنصار سبعة وسبعين. وأرى أن السبب في ذلك عائد إلى كثرة القرشيين في المدينة مقارنة بعدد الأنصار الذين بقوا فيها، ولعل هناك سببًا آخر يدلنا عليه ما ذكر عن أهل المدينة من أنهم كانوا يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبدالله بن عمر، ففاقوا أهل المدينة فقهًا وورعًا وكل منهم ابن سرية فرغب الناس في السراري[٦]. وكما هو الوضع في الحاضرة نَجِد أن بعض أهل البادية أيضًا لا يرغبون في التسري فقد كان

---

(١) ابن سعد، ١٢٥/٥. وانظر أيضًا: ابن حبيب، أدب، ص١٥٤. ابن عبدالباقي، ورقة ٤٢ب.

(٢) الثعالبي، اللطائف، ص١٧٠.

(٣) ابن عبدالباقي، ورقة ٤٢ ب.

(٤) العسكري، ٥٣/١.

(٥) عبدالوهاب شيرة، ص٢٥٢، ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٦) الجاحظ، المحاسن، ص٣٦٨. ابن قتيبة، عيون، ٨/٤. الثعالبي، اللطائف، ص١٧٠. ابن خلكان، ٢٦٨/٣. ابن عبدالباقي، ورقة ٢٢ب - ٤٣ أ.

لعم القتّال[١] سرية فكان القتَّال يقول له: "لا تطأها فإنا قوم نبغض أن تلد فينا الإماء"[٢]. وفي المقابل كان هناك من يُفضِّل الإماء على الحرائر لقلة مؤونتها وخفة نفقتها وحسن خدمتها[٣].

على الرغم من أن مكانة الجارية في الحياة الأسرية دون مكانة الحرة إلا أن الغيرة منهن كانت سببًا في ظهور كثير من المشكلات بين الزوجين، مما يجعل الوضع الأسري غير مستقر. من ذلك غيرة نساء الرسول ﷺ من مارية القبطية، واشتدت غيرتهن منها حين رزق منها ﷺ الولد[٤]. كما أن نساء عبدالرحمن بن أبي بكر جزعن من إعجابه وإيثاره لجاريته ليلى بنت الجودي[٥] واشتكينه لعائشة أم المؤمنين[٦]. لذلك كان بعض الأزواج يُخفي تسرِّيه لجاريته اتقاءً لغضب زوجته أو زوجاته، من ذلك ما فعله عبدالله بن رواحة[٧] الذي تسرى جارية له فلما فطنت لذلك امرأته لامته فأنكر فعلته[٨].

---

(١) القتال لقب غلب عليه واسمه عبدالله بن المُضرحي، شاعر من بني عامر الهصان بن كعب بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. الأصفهاني، الأغاني، ١٣٩/٢٤.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٣٩/٢٤.

(٣) الجاحظ، المحاسن، ٣٦٧.

(٤) ابن سعد، ١٣٥/١. الزبير بن بكار، أزواج، ص ٥٧. البلاذري، أنساب، ٤٤٩/١- ٤٥٠.

(٥) ليلى بنت الجودي سبية غسانية، سبيت من الشام في خلافة عمر بن الخطاب. ابن الأثير، أسد، ٤٦٧/٣- ٤٦٨.

(٦) الزبير بن بكار، جمهرة، ١٠٨/٢أ. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٩٥. الأصفهاني، الأغاني، ٣٥٩/١٧. ابن الجوزي، ذم، ص٦٥٤- ٦٥٥. ابن الأثير، أسد، ٣٦٨/٣. البقاعي، ورقة ١٧٨ب.

(٧) عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري. ممن شهد العقبة، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، قتل شهيدًا في غزوة مؤتة سنة ٨هـ/٦٢٩م. ابن الأثير، أسد، ٢٣٤/٣ - ٢٣٨.

(٨) ابن أبي الدنيا، الإشراف، ص٢١٢-٢١٣. ابن عبدالبر، ٢٩٦/٢. ابن أحمد بن هشام، ورقة ٧١ -٧٢.

وقد تبلغ الغيرة مداها عند بعض النساء، فقد رُوِي أن امرأة عمدت إلى جارية كانت لزوجها فأرضعتها فلما علم الزوج بذلك رفع الأمر إلى الخليفة عمر بن الخطاب فقال له: "إنما الرضاعة رضاعة الصغير"[١]. ومما يزيد من غيرة النساء أن من حق الزوج أن يبقى عند سريته مدة زمنية غير محددة، وعلى الرغم من أن بعضهم حدد بأن للحرة يومين وللأمة يومًا، معتمدين في ذلك على حديث للرسول ﷺ [٢] إلا أن ابن حجر[٣] ضعّف هذا الحديث لأن في إسناده علي بن قرين. وجاء في المدونة[٤] أن مالكًا أفتى بأنه "ليس بين الحرائر وأمهات الأولاد من القسم شيء من الأشياء... ولا بأس أن يقيم الرجل عند أم ولده اليومين والثلاثة ولا يقيم عند الحرة إلا يومًا من غير أن يكون مُضَارًا".

من أهم المشكلات التي قد تواجه الأسرة بسبب التسري هو اختلاط الأنساب. وقد وضحت هذه المشكلة بشكل كبير في العصر الجاهلي نتيجة لانتشار الزنا بين الجواري مما أدى إلى صعوبة تحديد والد الصبي الذي تنجبه الجارية. ومن ذلك أن الحارث بن كلدة[٥] كانت عنده سرية تدعى سمية لم تكن محمودة السيرة ولدت له صبيًا إلا أنه انتفى منه لكونه رآه أشبه بغلام

(١) سحنون، ٤٠٩/٢.

(٢) ابن عساكر تاريخ -السيرة - ١٣٩/١. ابن الأثير، أسد، ١٠٦/١. ابن حجر، الإصابة، ٤٦/١.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ٤٦/١.

(٤) سحنون، ٢٧٢/٢.

(٥) الحارث بن كلدة بن عمر بن أبي علاج الثقفي. طبيب العرب، من أهل الطائف، اختلف في إسلامه. ابن عبدالبر، ٢٨٩/١. ابن حجر، الإصابة، ٢٨٨/١. خير الدين الزركلي، ١٥٧/٢.

له أسود[١]. وفي عام الفتح اختلف سعد بن أبي وقاص، وعبد بن زمعة[٢] في ابن لوليدة زمعة[٣] يدّعي سعد أن أخاه عتبة[٤] أوصاه بأخذه لكونه ابنًا له، فيما يدعي عبد بن زمعة أنه أخوه وابن وليدة أبيه وُلِد على فراشه. فاحتكما إلى رسول الله ﷺ فقضى أن الولد لعبد بن زمعة وقال: "الولد للفراش وللعاهر الحجر" على الرغم من أنه رأى شبهه بعتبة بن أبي وقاص، لذلك أوصى سودة أم المؤمنين بالاحتجاب عنه[٥].

استمرت هذه المشكلة في العصر الإسلامي، فقد قدمت زينب الأسدية[٦] إلى الرسول ﷺ وقالت له: "إن أبي مات وترك جارية فولدت له غلامًا وإنا كنا نتهمها. فقال: إيتوني به، فأتوه به فنظر إليه فقال: أما الميراث فله، وأما أنت فاحتجبي عنه"[٧]. كما أن شويس بن جياش[٨] قال: "غزوت

---

(١) البلاذري، أنساب، ق٤، ١٨٧/١. ابن حجر، الإصابة، ٣٤٠/٤.

(٢) عبد بن زمعة بن قيس بن عبدشمس العامري القرشي، أخو أم المؤمنين سودة. الزبيري، ص٤٢١. ابن الأثير، أسد، ٤٤٩/٣.

(٣) زمعة بن قيس ورد نسبه في نسب ابنه، والد أم المؤمنين سودة. الزبيري، ص٤٢١. ابن الأثير، أسد، ٤٤٩/٣.

(٤) عتبة بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبدمناف بن زهرة القرشي. اختلف في إسلامه، وقيل مات كافرًا. ابن الأثير، أسد، ٣٦٦/٢ ، ٥٧١/٣- ٥٧٢.

(٥) الشافعي، ص٣٠. البخاري، صحيح، ٤/٣- ٥. البلاذري، أنساب، ٤٠٨/١. الفاسي، العقد، ٣٥٢/٥. ابن حجر، الإصابة، ٦٩/٣.

(٦) زينب الأسدية، من أهل مكة لا يوجد لها ترجمة أكثر مما جاء في المتن. ابن عبدالبر، ٣٢١/٤. ابن حجر، الإصابة، ٣٢٠/٤.

(٧) ابن عبدالبر، ٣٢١/٤- ٣٢٣. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، ٣٢٠/٤.

(٨) شويس بن جياش يكنى بأبي الرقاد العدوي، من بني عدي بن عبدمناة بن إد بن طابخة. روى عن عمر بن الخطاب، وغزا في خلافته. ابن سعد، ١٢٧/٧.

مَيْسَان[1] ... وسبيت جارية فوطئتها زمانًا حتى جاءنا كتاب عمر: انظروا ما في أيديكم من سبايا ميسان فخلوا سبيله، فرددت فيمن رد، والله ما أدري على أي وجه رددتها أحاملاً كانت أم غير حامل، والله ما أدري، لقد خشيت أن يكون من صلبي بميسان رجال ونساء"[2]. ووضح هذا أيضًا في العصر الأموي فقد تسرى عبدالله بن عباس جارية له كان لا يثق بها فأنجبت ولدًا سماه سليطًا ولم يعترف به ونسبه إلى أمه فلما توفي عبدالله بن عباس ادعت أمه أنه من عبدالله وخاصمت علي بن عبدالله في ذلك[3].

على الرغم من أن السباء يهدم النكاح إلا أن الرسول ﷺ حرص على تنبيه الصحابة إلى أهمية استبراء السبية المتزوجة قبل تسريها. وإن كانت حاملاً فعليه أن ينتظر حتى تضع حملها حرصًا على عدم اختلاط الأنساب[4]. ويدخل في هذا الأمر أيضًا استبراء الأمة بعد شرائها[5]. إلا أن التأكد من استبراء السبية والأمة المشتراة يجب أن يتم أيضًا قبل بيعهما فقد تكون حاملاً أو قد تدَّعي على مالكها السابق حملاً فيما بعد[6]، ولعل ما حدث لجارية علي بن

(١) ميسان: "كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان" فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب. ياقوت، البلدان، ٥/٢٤٢.

(٢) ابن سعد، ٧/١٢٧. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب، ق٣، ٢٨/٧٦- ٧٧.

(٣) مؤلف مجهول، ص١٤٩.

(٤) ابن سعد، ٢/١١٥. ابن أبي شيبة، مسند، ١/٤٦. البخاري، صحيح، ٣/٤٢. الطبراني، الكبير، ٥/١٦- ١٧، ٨/١٥٣، ١٢/١١٦، ٢٤/٦٩. سحنون، ٣/٣١٣.

(٥) ابن أبي شيبة، المصنف، ٣/٥١٤. البخاري، صحيح، ٣/٤٢.

(٦) البلاذري، أنساب، ٧/٣٣٧، ٤٠٥. ابن بطلان، المختار بن الحسن، رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات ، تحقيق عبدالسلام هارون، ج١ (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م) ص ٣٨٩.

الحسن بن زيد[1] يوضح هذا الأمر، فقد بيعت ولم يعلم أنها حامل ثم توفي فردها المشتري إلى أبيه الحسن[2] فولدت عبدالله[3]، وهذا الوضع ولّد في نفس الحسن الشك حول صحة نسبه إلى ابنه فأرسل إلى القافة[4] فألحقوه به[5].

من المشكلات التي ترتبت على نظام التسري وكان لها أثر بالغ في الأسرة أيضًا وضع السرية بعد الإنجاب ووضع أولادها الأسري والاجتماعي.

ترتفع مكانة السرية بعد الإنجاب فيطلق عليها اسم أم ولد، وعلى الرغم من ذلك فقد اختُلف في وضعها الاجتماعي هل يحق لصاحبها أن يبيعها أم أن إنجابها جعلها معتقة؟

تدل الشواهد التاريخية على أن أم الولد كانت تباع في عصر الرسول ﷺ وخليفتيه أبي بكر وعمر وغيرهما. ومن تلك الشواهد ما قاله جابر بن عبدالله قال: "كنا نبيع سرارينا أمهات أولادنا والنبي ﷺ فينا حي لا يرى بذلك بأسًا"[6]. وعن أبي سعيد الخدري أنه قال: "كنا نبيع أمهات الأولاد على عهد الرسول ﷺ"[7]. وعن سلامة بنت معقل[8] أنها قالت : "كنت للحباب بن

(١) علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ابن حزم، ص٣٩.

(٢) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ابن حزم، ص٣٩.

(٣) عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ابن عنبة، عمدة ، ص٩٣- ٩٤.

(٤) القافة: جمع قائف وهو الذي يعرف الآثار ويعرف شبه الرجل بأبيه وأخيه. ابن منظور، ١٨٨/٣.

(٥) ابن عنبة، عمدة، ص٩٣- ٩٤.

(٦) ابن حنبل، ١٦١/١٤.

(٧) السابق، ١٦٢/١٤.

(٨) سلامة بنت معقل الخزاعية وقيل الأنصارية من خارجة قيس عيلان. ابن الأثير، أسد، ١٤٦/٧.

عمرو[1] ولي منه غلام، فقالت امرأته: الآن تباعين في دينه، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال رسول الله ﷺ: .... لا تبيعوها وأعتقوها فإذا سمعتم برقيق قد جاءني فائتوني أُعوِّضكم. ففعلوا فاختلفوا فيما بينهم بعد وفاة الرسول ﷺ فقال قوم: أم الولد مملوكة لولا ذلك لم يعوضهم رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: هي حرة قد أعتقها رسول الله ﷺ"[2].

يبدو من خلال تلك الشواهد المعاصرة للرسول ﷺ أن أم الولد كانت تباع في حياة سيدها وبعد وفاته، وإن صحت حادثة سلامة بنت معقل، فهي دليل على ترجيح هذا الأمر لسببين:

- أن الرسول ﷺ قال لهم: "لا تبيعوها وأعتقوها". مما يدل على أن أم الولد كانت مملوكة في تلك المدة وليست حرة لأن الحرة لا تعتق.
- أن تعويض الرسول ﷺ لهم دليل على أن أم الولد كانت مملوكة وإلا لما عوضهم عنها.

ويقوي هذا الترجيح استمرار الصحابة في بيعها في عهدي الخليفتين أبي بكر وعمر دون اعتراض منهما. أما ما ذكرته بعض الدراسات الحديثة[3] من أن هناك حكمًا شرعيًا يمنع بيعها معتمدين في ذلك على بعض الأحاديث التي رواها عبدالله بن عباس فنرد عليهم بأن الحديثين: "أيما رجل ولدت أمته

---

(١) الحباب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد الأنصاري السلمي. من أهل المدينة، وهو أخو أبي اليسر الأنصاري. توفي في حياة الرسول ﷺ. ابن الأثير، أسد، ٤٣٥/١، ٣٣٢/٦.

(٢) ابن حنبل، ١٦١/١٤. وانظر أيضًا: الطبراني، الكبير، ٥١/٤- ٥٢، ٢٤٣، ٣١٠/٢٤. ابن الأثير، أسد، ٣٦٣/١، ١٤٦/٧. ابن حجر، الإصابة، ٣٠٢/١.

(٣) منها: ما ذكره أحمد عبدالرحمن البنا في شرحه لمسند ابن حنبل، ج١٤ (ط٣، دار شهاب، القاهرة ١٤٠٤هـ) ص١٦١. عبدالسلام الترمانيني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام -دراسة مقارنة في مجال التاريخ والأدب والشريعة- (ط٢، دار القلم العربي، حلب ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص٢٤٥.

منه فهي معتقة عن دبر منه"[١]. والحديث الآخر الذي جاء فيه: "وذكرت أم إبراهيم عند رسول الله ﷺ فقال: "أعتقها ولدها"[٢]. يحتاج الأخذ بهما إلى تروٍّ لأن في إسنادهما الحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن عباس، وقد ضعفه الكثير واتهمه آخرون بالزندقة[٣]. أما حديث الرسول ﷺ الذي جاء فيه: "أم الولد حرة وإن كان سقطًا"[٤]. فهو حديث ضعيف في إسناده حسين بن عيسى الحنفي[٥]. كما أن ما جاء في صحيح البخاري[٦] عن أخي جويرية بنت الحارث أنه قال: "ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهمًا ولا دينارًا ولا عبدًا ولا أمة ولا شيئًا إلا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضًا جعلها صدقة". فقد اتخذه ابن حجر[٧] دليلاً على عتق أم ولده مارية القبطية، إلا أنه على ما يبدو لا يمكن الاستدلال من هذا القول على ذلك، فمارية لا يطلق عليها بعد إنجابها للولد اسم جارية، بل أم ولد، كما أن مكانتها كانت محفوظة بعد وفاة الرسول ﷺ ولا تقارن بغيرها من أمهات الأولاد. وبالإضافة إلى ما سبق فإنه من المحال أن يكون هناك حكم شرعي نص عليه حديث للرسول ﷺ ولا يعمل به خليفتاه أبو بكر وعمر، فعمر بن الخطاب عندما قرر منع بيع أمهات الأولاد[٨]،

---

(١) ابن ماجه، ٨٤١/٢. الطبراني، الكبير، ٢٠٩/١١.
(٢) ابن ماجه، ٨٤١/٢.
(٣) السابق، ٨٤١/٢.
(٤) الطبراني، الكبير، ٢٣٩/١١.
(٥) السابق، هامش ١١٦٠٩.
(٦) البخاري، صحيح ،١٨٦/٣.
(٧) ابن حجر، فتح، ٣٦٠/٥.
(٨) سن هذا الأمر على مرحلتين: الأولى قرر فيها جعل أمهات الأولاد في ميراث أبنائهن ثم يعتقن. وبقي على ذلك مدة من خلافته. والثانية تمت حين مات رجل له أولاد من مُهيرة وغلام من أم ولد، فقوموها عليه بكل ميراثه فبلغ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب فقرر أن الأمة التي ولدت من سيدها لا تباع ولا توهب. ابن شبة، ٧٢٦/٢ - ٧٢٧. ابن كثير، ٣٤٦/٩.

لم يعتمد في منعه على نص شرعي وإنما دفعه إلى ذلك عاملان: الخوف من الوقوع في الحرام، يدل على ذلك قوله: "إن الله قد أفاء عليكم من سبي الأعاجم ... فلا تبيعوا أمهات أولادكم فإنكم إذا فعلتم ذلك يوشك أن يتزوج أحدكم ذا محرمة وهو لا يشعر"[١]. والمحافظة على العلاقة الأسرية، يدل على ذلك ما ذكر من أن رجلاً جاء إليه يومًا بابن له فقال: "افرض لبني مالاً. قال: أمن مهيرة أم من أمة؟ قال: من أمة. قال: إنما هو عبدك وإنما أمُّه أمتُك...". فخرج الرجل بابنه وأم ولده إلى السوق ليبيعهما فسمع بذلك عمر فنهى عن بيع أمهات الأولاد[٢]. كما أن ما حدث بعد وفاة عمر بن الخطاب يدل أيضًا على انتفاء وجود حكم شرعي، فقد مال الخليفة علي بن أبي طالب عن رأي عمر. قال علي: "اجتمع رأيي ورأي عمر ﷺ في أمهات الأولاد أن لا يُبعن، ثم رأيت بعد أن يبعن..."[٣]. وفي قول علي بن أبي طالب ما يدل على أن المسألة تعتمد على الاجتهاد وليس على حكم شرعي نص به الرسول ﷺ. كما أن عبدالله بن الزبير اتخذ الموقف نفسه الذي اتخذه علي بن أبي طالب ووافق على بيعهن[٤]. أما عبدالله بن عباس فكان له رأي خاص في هذا الأمر فهو يرى أن أم الولد تبقى في ملك سيدها وله الحق في بيعها كما يبيع شاته أو بعيره حتى يموت فإن مات سيدها تعتق لأن ولدها حر، وفي رواية أخرى تعتق من نصيب ولدها في الميراث[٥]. ويتفق معه في ذلك عبدالله بن مسعود[٦].

---

(١) ابن شبة، ٢/٧٢٢.

(٢) السابق، ٢/٧٢٢- ٧٢٣.

(٣) السابق، ٢/٧٢٩.

(٤) السابق، ٢/٧٢٧.

(٥) ابن قدامة، المغني، ٦/٣٥٧. محمد رواس قلعه جي، موسوعة فقه عبدالله بن عباس، ج١ (د. ط، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ) ص ٥٠٤- ٥٠٥.

استمر هذا التعارض في الآراء حول وضع أم الولد فقد ورد ما يدل على أن الخلاف حولهن كان معروفًا في عهد عبدالملك بن مروان[١] واستمر حتى القرن الرابع الهجري[٢].

لم يكتف الخليفة عمر بن الخطاب بعتق أمهات الأولاد فقط بل أضاف لهن أمهات الأسقاط معللاً ذلك بقوله لأحدهم عندما أخبره بأنه باع أمة له أسقطت منه: "أبعدما اختلطت دماؤكم ودماؤهن ولحومكم ولحومهن بعتموهن؟ ارددها ارددها"[٣].

كما تشدد بعض الصحابة في هذا الأمر فوضع الجارية التي أرضعت ابنًا لسيدها في مقام أم الولد، ومن ذلك أن رجلاً أتى إلى عبدالله بن مسعود وقال له: إن جاريته أرضعت ابنًا له وهو يريد أن يبيعها فكره ابن مسعود ذلك وقال: "ليته ينادي: من أبيعه أم ولدي"[٤].

من المهم عند الحديث عن التسري مناقشة وضع أولاد أمهات الولد الأسري والاجتماعي، حيث من الواضح أن مكانتهم كانت تقل عن مكانة ولد الحرة، وقد وضح هذا الأمر في الحاضرة والبادية على حد سواء، وفي الجاهلية والإسلام. فكثيرًا ما يُسبُّون بأمهاتهم فيقال لأحدهم: "يا ابن الأمة"[٥] أو: "لا أم لك" أي ليس لك أم حرّة[٦].

(١) ابن سعد (القسم المتمم) ص١٥٨- ١٥٩.

(٢) الفاسي، العقد، ٣/٣٤.

(٣) ابن شبة، ٢/٧٢٨.

(٤) الطبراني، الكبير، ٩/٤٠٤.

(٥) ابن سعد، ٤/٢٢٥.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٤١/١٥٨. الميداني، ٢/٢٤٢.

اتخذ العرب قبل الإسلام موقفين تجاه أولاد السراري فالملحوظ أن ولد السبية العربية كان ينسب إلى أبيه[1]، أما ولد الأمة فكان والده يستبعده ولا يلحق بأبيه إلا إذا ادعاه[2]. ولا شك أن في ذلك دلالة على أن مكانة السبية الأسرية والاجتماعية أرفع من مكانة الأمة. ويبدو أن ذلك عائد إلى معرفتهم بنسب أمه كونها سبية عربية، ومع ذلك يعاني أبناء السبايا مثل أبناء الإماء من ازدراء المجتمع لهم، فأبناء السبية كانوا يُعيَّرون بذلك ويُسمَّون بني الأخيذة، مما كان يدفع بعضهن إلى حث آسريهن على ردهن إلى أهلهن حتى يكونوا هم من يزوجه، كما فعلت سلمى إحدى نساء بني غفار التي سباها عروة بن الورد[3]. وذلك حتى ترفع مكانة أبنائها الاجتماعية[4]. أما السبية الأمة فلا شك أن وضعها يختلف عن وضع السبية الحرة فكثيرًا ما ينسب أبناؤها لها مثل خفاف بن ندبة[5].

تظهر التفرقة في العصر الإسلامي بين ابن الحرة وابن السرية في أوضح معالمها عند فرض العطاء، فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب يفرض لابن الحرة ولا يفرض للهجناء، واستمر على هذا الوضع حتى أتاه رجل فكلمه فأعجبه فقال له: "إني لأراك رجلاً. قال: يا أمير المؤمنين فافرض لي، قال: وما أنت؟

(١) الميداني، ١٢٩/١.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٢٤٤/٨. الزوزني، ص١٩٠.

(٣) عروة بن الورد بن زيد من بني عبس من غطفان. كان يلقب بعروة الصعاليك، شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها. ابن قتيبة، الشعر، ص٣٤٤. الأصفهاني، الأغاني، ٧٢/٣.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٣٩/٣.

(٥) ابن سعد، ٢٧٥/٤. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص١٠٧- ١٠٨. وانظر أيضًا: الفصل الثالث، ص٢٠٧.

قال: أنا ابن فتاة -أو قال هجين- ففرض له وأقرَّ الهجناء"[1]. وإن صحت هذه الرواية فهي دليل يثبت إلى أي مدى وصلت التفرقة بين الاثنين. كما أن في الموقف السابق لعمر بن الخطاب الذي وصف فيه ابن الأمة بالعبودية ما يدل على ذلك أيضًا. واستمر ذلك في العصر الأموي فعندما وُلِد لسعيد بن العاص ابنه عنبسة[2] سأل ابنه يحيى عمَّا سيقدمه هدية للمولود فقال: "دجاجة بفراريجها" دلالة على احتقاره له لكون أُمِّه أمةً[3]. ولا شك أن في موقف بعض العرب الرافض لمصاهرة الهجين مهما كانت مكانة والده السياسية والاجتماعية دلالة على ما وصل إليه الأمر من التفرقة بينهما، ومن ذلك أن عبدالملك بن مروان خطب ابنة عقيل بن علفة لأحد أبنائه فاشترط عليه لقبول هذه المصاهرة أن يبعد عنه هجناءه[4]. كما خطب إليه أيضًا إبراهيم بن هشام ابن إسماعيل والي المدينة فرده لأنه كان شديد البياض وقال:

رَدَدْتُ صحيفــةَ القُرَشــيِّ لمّــا ... أبــتْ أعراقُــه إلا احْمِــرارًا[5]

ونتيجة لتلك المكانة الاجتماعية المتدنية لابن السرية كان يحاول قدر الإمكان أن يرفع منها فقد رُوِي أن رجلاً من قريش كان يجالس سعيد بن المسيب فسأله يومًا عن أخواله فقال له: إن أمه فتاة فلحظ أنه نقص في عينه فدخل عليهم سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب والقاسم بن محمد بن أبي بكر

(١) ابن شبة، ٢/٧٣٠- ٧٣١.

(٢) عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص. كان أكثر أبناء سعيد ولدًا. عرف بانقطاعه إلى الحجاج بن يوسف. الزبيري، ص١٨٠- ١٨١. النويري، ٣/١٤٣.

(٣) النويري، ٣/١٤٣.

(٤) ابن قتيبة، عيون، ٤/١٢. المبرد، الكامل، ٢/٤٣. ابن الجوزي، أخبار، ص١٠٢.

(٥) ابن قتيبة، عيون، ٤/١٢.

الصديق وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب تباعًا وهم على ما عرفوا به من العلم فكان يسأله عن كل واحد منهم وعن أخواله وفي كل مرة كان يقول له: إن أم فلان فتاة فقال له: "يا عم رأيتك نقصت في عينك لما علمت أني لأم ولد، أفمالي في هؤلاء أسوة؟! قال: فجللت في عينه جدًا"[١].

قد تختلف معاملة الأب لأبنائه باختلاف وضع أمهاتهم الاجتماعي، فأبناء الحرة لا يتساوون مع أبناء السرية عند بعضهم، ولعل في الموقف الذي اتخذه أبو الجهم بن حذيفة في الخلاف بين زوجته وأم ولده ما يدل على تفضيل أبناء الحرة على أبناء السرية حين قال في رده على ابنيه من أم الولد: "ليست أمكما عندي كخولة، ولا أنتما عندي كولدها"[٢]. كما يتعرض أولاد السراري لظلم أهلهم أيضًا فيما يخص استلحاقهم بنسبهم ومعاملتهم لهم. ومن ذلك أنه كان لمعمر بن حبيب[٣] ابنة من سرية استلحقها بنسبه وزوَّجها لأمية بن خلف[٤]، ثم ما لبث أن نفاها وادعى أنها أمة له، مما أدى إلى غضب أمية وتطليقه إياها[٥]. كما أن نُصَيْبًا الشاعر يدَّعي أنه حر وأن أمه أمة سوداء تسرّاها سيدها لكنه تعرض لظلم عمه الذي باعه بعد وفاة والده[٦]. ويقال أيضا: إن الصريمية[٧]

---

(١) المبرد، الكامل، ٩٣/٢.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص٢٩٩.

(٣) معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي. كان نديمًا لابن عمه أمية بن خلف. حسان بن ثابت، ص٢٠١. الزبيري، ص٣٩٤.

(٤) أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي. الزبيري، ص٣٨٧.

(٥) حسان بن ثابت، ص٢٠١.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٣١٢/١، ٣٣٨.

(٧) الصريمية هي: مغنية حجازية تنسب إلى والدها صُريم. كان يضرب بها المثل في حسن الغناء. عاشت في حوالي النصف الأول من القرن الثاني الهجري. الأصفهاني، الأغاني، ١٦٩/١٩.

لم يستلحقها والدها بنسبه إلا عند موته فحاكمت ورثته حتى حصلت على ميراثها من أبيها[١]. ولعل في هذه الشواهد ما يدل على استمرارية هذا الوضع منذ العصر الجاهلي حتى القرن الثاني الهجري.

- زواج المُتْعة :

ويقصد به اتفاق رجل وامرأة على الزواج لمدة محددة يُقدِّم فيها الرجل شيئًا ماديًا لها مقابل استمتاعه بها[٢].

عرف هذا النوع من النكاح في الجاهلية[٣]، ويبدو أن ذلك كان نتيجة لطبيعة المجتمع الجاهلي الذي يعتمد على التنقل لانشغال أفراده بالتجارة والحروب، فالغالب أن من يعتمد هذا النوع من الزواج هم التجار والغزاة[٤].

استمر هذا النوع من الزواج في عهد الرسول ﷺ، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "أيما رجل وامرأة توافقا فعِشْرة ما بينهما ثلاث ليال، فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا"[٥]. كما دلت شواهد كثيرة على إباحة الرسول ﷺ له[٦]. إلا أن الاختلاف ما لبث أن ظهر بين المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ حول استمرار إباحته، فهناك من يرى أن الرسول ﷺ قد حرمه بعد فتح مكة وقيل في حجة الوداع سنة ١٠هـ/٦٣١م حين قال: "أيها الناس كنت قد أذنت لكم في الاستمتاع من هذه النساء، ألا وإن الله عز وجل قد حرم

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٩/١٦٩.

(٢) الفخر الرازي، ١٠/٥٠.

(٣) ابن حجر، فتح، ٩/١٨٤.

(٤) جواد علي، ٥/٥٣٦. وانظر أيضًا : عبدالسلام الترمانيني، ص ٤٤. Robert O. Blood, P. 108

(٥) البخاري، صحيح، ٦/١٢٩.

(٦) الطبراني، الكبير، ٧/١٠٧- ١٠٨، ٨/٨٩.

ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليُخلِّ سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا"[1]. ويرى آخرون أنه لم يحرّم في عهد الرسول ﷺ وإنما كان ذلك اجتهادًا من الخليفة عمر بن الخطاب ويعتمدون في ذلك على موقف بعض الصحابة المحلل له أمثال: عبدالله بن عباس[2]، وعبدالله بن مسعود، وجابر ابن عبدالله الأنصاري، وعمرو بن حريث[3]، وبعض التابعين من فقهاء مكة[4]. والراجح ما جاء في فتح الباري من إجماع علماء أهل السنة على تحريمه، وأن ما قام به الخليفة عمر بن الخطاب هو تأكيد لما نهى عنه الرسول ﷺ [5].

يترتب على زواج المتعة بعض الآثار السلبية، فطبيعة هذا الزواج من حيث انتفاء الديمومة فيه يقضي على الهدف الرئيس للزواج وهو تكوين أسرة. كما أن وضع الأبناء الذين هم نتاج هذا النوع من الزواج مُحيِّر، هل ينسبون إلى أبيهم أم إلى أمهم؟ يرى جواد علي[6] أن أولاد المتعة ينسبون إلى أمهاتهم في الغالب، ولم يحدد إن كان هذا الأمر عرف في الجاهلية أم في الإسلام أم في كلا العصرين؟ ويعلل ذلك بأنه نتيجة لاتصالهم المباشر بالأم وارتحال الأب إلى أماكن قد تكون نائية فتؤدي إلى انقطاع الصلة بين الطرفين. إلا أنه بالإضافة

---

(١) الطبراني، الكبير، ٧/١٠٧- ١٠٩.

(٢) مؤلف مجهول، ص١١٠- ١١١. ابن عساكر، تاريخ -تراجم- ص٥.

(٣) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبدالله المخزومي القرشي. توفي رسول الله ﷺ وعمره اثنتا عشرة سنة، سكن الكوفة، وتوفي سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م. ابن الأثير، أسد، ٤/٢١٣.

(٤) ابن قتيبة، الأشربة، ص٨٩. الفخر الرازي، ١٠/٥٠ - ٥٥. ابن كثير، تفسير، ٢/٢٤٤- ٢٤٥. الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، ج٦ (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص ٢٧٠- ٢٧١.

(٥) ابن حجر، فتح، ٩/١٧٣ - ١٧٤.

(٦) جواد علي، ٥/٥٣٧.

إلى ذلك فقد يكون السبب في نسبة الابن لأمه قصر المدة الزمنية لهذا الزواج التي قد لا تتعدى أحيانًا أيامًا معدودة تجعل الرجل يجهل إن كان من استمتع بها حاملاً أم لا؟ كما أنه لم يثبت وجود عدة للمرأة بعد زواج المتعة في العصر الجاهلي. وعلى ذلك قد تتزوج المرأة مرة أخرى قبل التأكد من براءة رحمها. ولا شك أن ذلك يترتب عليه اختلاط الأنساب، لذلك قد ينسب الأبناء إلى أمهاتهم. أما مع مجيء الإسلام فقد تقرر أن تكون للمرأة عدة بعد زواج المتعة لا تزيد على حيضة واحدة[١]، إلا أن هذا الأمر لم يمنع من شك الزوج في صحة نسبة الابن له. ومن ذلك أن سلمة بن أمية[٢] تزوج من إحداهن زواج متعة فولدت له فجحد ولدها. ويقال: إن هذا الأمر كان أحد الأسباب التي أدت بعمر بن الخطاب إلى التشدد في تطبيق ما نهى عنه الرسول ﷺ من زواج المتعة والمعاقبة عليه[٣].

- **الفرقة بين الزوجين :**

تعددت أساليب الفرقة بين الزوجين وأبرزها:

١- **الطلاق** : يعد الطلاق من أهم المشكلات التي تتعرض لها الأسرة لتأثيره السلبي في الأبناء. والشائع أنه بيد الرجل، وكان يستخدم لذلك عدة أساليب في الجاهلية والإسلام، كقوله لزوجته: أنت طالق[٤]، أو: اذهبي فلا أنْده سَرْبَكِ[٥]، أو أن يَسُلَّ الرجل ثوبه عن امرأته[٦]، أو يقول لها:

---

(١) الفخر الرازي، ٥١/١٠.

(٢) سلمة بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي. ابن حزم، ص١٥٩.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ٦٣/٢، ٣٣٣/٤. ابن حجر، فتح، ١٧٣/٩، ١٧٤.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص٣٠٩.

(٥) الميداني، ٢٧٧/١.

(٦) أبو زيد القرشي، ١٦٠/١. الأنباري، ص٤٦. الزوزني، ص١٩.

الحـقي بأهلك[1] أو: الحـقي بأبيك[2]، أو: الحـقي بأهلك وأبيك[3]، أو: حـبْلُك على غـاربك، أو أنت خليـة، أو بريئـة، أو بائنـة، أو: اعـتـدِّي أو غيـرها من العبارات[4].

يرى ابن حبيب[5] أن الطلاق محدد في الجاهلية بثلاث طلقات، فإن طلقها الطلقة الأولى والثانية كان له الحق في إرجاعها وإذا طلقها الطلقة الثالثة لا ترجع له. وأنها من السنن التي كانت الجاهلية سنتها فأبقاها الإسلام. بينما يرى الفخر الرازي[6] وابن كثير[7] في تفسيرهما للآية الكريمة: ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ... ﴾[8]. أن الرجل في الجاهلية كان يُطلِّق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ولو تكرر ذلك ألف مرة كان يحق له الرجوع فيها ما دامت لم تنقض عدتها، وأن هذا الأمر استمر في الإسلام ولم يتغير إلا بعد أن أتت امرأة لعائشة أم المؤمنين تشكي زوجها أنه يطلقها ويراجعها وأنها تضارُّ بذلك، فذكرت السيدة عائشة للرسول ﷺ أمرها، فنزلت تلك الآية الكريمة لتحديد مرات الطلاق. ولعل الأمر اختلف باختلاف العادات والأعراف بين القبائل العربية.

---

(١) البخاري، صحيح، ١٦٣/٦. ابن حجر، الإصابة، ٢٣٣/٤- ٢٣٤.

(٢) الزبيري، ص١٤٩. الفاسي، العقد، ١٨٩/٥.

(٣) البلاذري، أنساب، ٣٥٩/٩.

(٤) مالك، ١٦/٢ - ١٧. ابن أبي شيبة، المصنف، ٧٠/٤، ٧٨، ٧٩، ٨٤، ٩٣، ٩٥.

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص٣٠٩.

(٦) الفخر الرازي ، ١٠٣/٦.

(٧) ابن كثير، تفسير، ٤٨١/١- ٤٨٢. وانظر أيضًا: ابن حجر، الإصابة، ١٩٧/١.

(٨) سورة البقرة، جزء من آية (٢٢٩).

يحصل الطلاق بين الزوجين نتيجة لبعض الأسباب، وسأستعرض ما أمكن حصره منها، وكان سببًا في حصول الطلاق وتفكك الأسرة في الحجاز خلال الدراسة.

- الطلاق قبل الدخول :

قد تحدث بعض حالات الطلاق قبل الدخول، ولهذا الوضع أيضًا أسباب ساعدت على حدوثه. فمثلاً كما كان للأهل دور في حدوث الطلاق بعد الدخول، لهم دور أيضًا في حدوثه قبل الدخول، كما حصل لابنتي الرسول ﷺ[١] اللتين كانتا قد تزوجتا ابنين لعبدالعزى بن عبدالمطلب[٢] قبل النبوة فلما بُعث الرسول ﷺ ونزلت آية: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[٣] أرغمهما أبواهما على تطليقهما فطلقاهما[٤].

ويحدث الطلاق أيضًا إذا سمع الزوج بعيب خلقي في زوجته أخفاه عنه أهل الزوجة، كما حدث مع الرسول ﷺ الذي طلق زوجتيه عمرة بنت يزيد[٥] وأسماء بنت النعمان عندما بلغه أن بهما برصًا[٦].

وفي بعض الحالات يقع الطلاق في يوم الدخول كما حدث مع ابنة عبدالله ابن السائب الذي زوَّج ابنته فاطمة لعبدالله بن عمرو بن عثمان فطلقها وهي

---

(١) هما رقية وأم كلثوم. ابن سعد، ٨/٣٦- ٣٧.

(٢) هما عتبة وعتيبة. ابن سعد، ٨/٣٦- ٣٧.

(٣) سورة المسد، الآية (١).

(٤) ابن سعد، ٨/٣٦- ٣٧. ابن حبيب، المحبر، ص٥٣. ابن عنبة، بحر، ورقة ٧أ. ياسين الخطيب، ورقة ٧٥أ، ٧٧أ.

(٥) عمرة بنت يزيد بن الجون الكلابية، وقيل عمرة بنت يزيد بن عبيد بن رواس بن كلاب. ابن عبدالبر، ٤/٣٦١.

(٦) ابن سعد، ٨/١٤٣. ابن حبيب، المحبر، ص ٩٦. ابن عبدالبر، ٤/٢٣٠، ٣٦١.

على منصة العرس دون سبب ظاهر مما اضطر والدها إلى دعوة قرابتها لينظروا إليها حتى لا يظن الناس أنه رأى بها سوءًا[١].

ويُفرَّق بين الزوجين أحيانًا قبل الدخول إذا طالت مدة الزواج ورفض الزوج تحديد يوم للدخول[٢]، لما يمكن أن يسببه هذا الأمر من ضرر على المرأة.

- الطلاق بعد الدخول:

تحصل الفرقة بين الزوجين نتيجة لعدة أسباب منها تدخل الأهل، ولعل في حادثة عبدالله بن أبي بكر مع زوجته عاتكة بنت زيد ما يوضح إلى أي مدى يصل تأثيرهم. فقد كان عبدالله مولعًا بزوجته عاتكة حتى شغلته عن صلاته ومغازيه وتجارته - وقيل: إنها كانت عاقرًا - لذلك أمره والده بطلاقها فطلقها ومما قال فيها:

فَلَمْ أَرَ مثلي طَلّقَ اليومَ مِثْلَها ... ولا مثلها في غير جُرم تُطَلَّقُ

لها خُلُقٌ سهلٌ وحُسْنٌ ومَنْصبٌ ... وخَلْقٌ سَوِيٌّ ما يُعاب ومَنْطِقُ[٣]

ومن ذلك أيضًا أن أبا سفيان أجبر ابنه معاوية على طلاق زوجته قريبة بنت أبي أمية[٤]. وكما يحصل هذا الأمر في الحاضرة نراه أيضًا في البادية، ولعل في حادثة قيس بن ذريح وزوجته لبنى[٥] دلالة على وجوده حيث أجبره والداه على طلاقها[٦].

---

(١) الزبيري، ص٢٢١.

(٢) سحنون، ٦٦/١.

(٣) المدائني، ٦٨/١. الزبيري، ص٢٧٧. الزبير بن بكار، جمهرة، ١٠٦/٢ب. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص١٠٢- ١٠٣. ابن الجوزي، ذم، ص٣٣٩. الكسائي، ورقة ٦٣. السيوطي، مسانيد، ص١٦٧.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص٤٤٩.

(٥) لبنى بنت الحباب الكعبية، من خزاعة. الأصفهاني، الأغاني، ٢١٢/٩.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ٢١٢/٩- ٢١٤. البقاعي، ورقة ١٢٨ ب- ١٢٩ أ.

قد يعمل أهل الزوجة أيضًا على التفريق بين ابنتهم وزوجها، ويحاولون تحقيق ذلك بادعائهم طلاق ابنتهم، مما قد يؤدي بالزوج إلى الهروب بزوجته، أو مقاتلتهم، كما فعل كل من عقيل بن علفة، ونافع بن لقيط[(١)].

قد يحدث الطلاق أيضًا لشك الزوج في تصرفات زوجته كما حصل بين الفاكه بن المغيرة وهند بنت عتبة التي طلقها اعتقادًا منه بخيانتها له، مما أساء لسمعتها في مجتمع مكة الجاهلي، واضطر والدها إلى إثبات براءتها عن طريق أحد كهنة العرب[(٢)].

يتم الطلاق أيضًا نتيجة لعدم التزام الزوج بشروط كان قد وافق عليها عند عقد النكاح فقد كان زيد بن عمرو بن عثمان قد اشترطت عليه سكينة بنت الحسين عدة شروط فعندما أخل ببعضها أشاروا عليه بتطليقها كونها حُرِّمت عليه، فطلقها[(٣)].

وقد يقع الطلاق نتيجة لحِدَّةٍ في خُلُق أحد الزوجين فقد كان الزبير بن العوام قد ضرب أسماء بنت أبي بكر فعندما حاول ابنها عبدالله أن يُخلِّصها منه حلف بطلاق أمه إن فعل، فاستنكر عبدالله فيه ذلك وقال: "أتجعل أمي عرضة ليمينك؟" فخلصها منه فَطَلُقت[(٤)].

(١) أبو عبيدة، العقعة، ٢/٣٨٤. الجمحي، ٢/٧١١. وهو نافع بن لقيط الأسدي. شاعر، عده الجمحي في الطبقة الخامسة من الإسلاميين. ٢/٥٩٣. خير الدين الزركلي، ٨/٥.

(٢) ابن حبيب، المنمق، ص ١٠٩- ١١٠. الطبراني، الكبير، ٢٥/٦٩. الأصفهاني، الأغاني، ٩/٦٦.

(٣) المدائني، ١/٧٣. ابن قتيبة، المعارف، ص٢١٤. الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١٦٤.

(٤) الطبراني، الكبير، ١/١٢١.

يتخذ بعضهم الطلاق وسيلة لحرمان الزوجة من الحصول على إرث فيما لو مات، مثلما فعل غيلان بن سلمة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب حين طلق نساءه وقسّم ماله بين بنيه فأجبره الخليفة عمر على إرجاع ماله ونسائه(١).

وقد يكون للخلاف بين الزوج وأهل الزوجة دور في توتر العلاقة بين الزوجين، ومن ذلك ما حصل بين والي المدينة عمر بن عبدالعزيز ووالد زوجته، مما أدى به إلى طلاقها(٢).

كما قد يعمد بعضهم إلى طلاق زوجته متعللاً بعدم حبه لها، كما فعل أحدهم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب مما جعل الخليفة عمر يقول له: "أو كلُّ البيوت بنيت على الحب؟! وأين الرعاية والتذمم؟!"(٣).

وردت أيضًا بعض الإشارات التي دلت على أن ذوي السلطة كان لهم دور في حصول بعض حالات الطلاق، فقد أكره ابن أم الحكم - والي الكوفة في عهد معاوية بن أبي سفيان - أحد بني عذرة على طلاق زوجته حتى يتزوجها لما بلغه من جمالها(٤). كما فرق الخليفة عبدالملك بن مروان بين أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر والحجاج بن يوسف - والي المدينة في ذلك الوقت - لأنه كان يراه غير كفء لها(٥). كما فرَّق الخليفة هشام بن عبدالملك بين سكينة بنت الحسين وإبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف دون سبب واضح.

---

(١) ابن شبة، ٧٦٨/٢. ابن حجر، الإصابة، ١٩١/٣.

(٢) الزبيري، ص٢٨٥- ٢٨٦. الزبير بن بكار، جمهرة، ١٢١/٢ ب.

(٣) ابن قتيبة، عيون، ١٣/٣.

(٤) السراج، ١٤/٢. ابن الجوزي، أخبار، ص١٨- ١٩. ابن الجوزي، ذم، ص٣٣٩. ابن كثير، البداية، ٨٢/٨- ٨٣. ابن البتنوني، ص١٩٦- ١٩٧. ونسبت هذه الرواية أيضًا لمروان بن الحكم والي المدينة، انظر: ابن الجوزي، أخبار، ص١٢- ١٩.

(٥) الزبيري، ص٨٣. ابن طيفور، ص١٥١.

هذه هي بعض الشواهد التي قد تعطي تصورًا عن أسباب الطلاق بعد الدخول خلال الدراسة.

يترتب على طلاق الزوجين تبعات مادية، يطلق عليها متاع، فعلى الزوج أن يدفع لمطلقته قدرًا من المال أو ما يوازيه عينًا ليكون عونًا لها على مواجهة وضعها الجديد، ولا شك أن مقدار المتاع أو نوعه لا بد أن يتفق مع المستوى المادي للزوج. فقد متَّع عبدالرحمن بن عوف زوجته تماضر بجارية سوداء[١]، كما متع الحسن بن علي إحدى نسائه بعشرين ألف دينار[٢]، وكان هذا أيضًا متاع الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان[٣] لسكينة بنت الحسين[٤].

أوجبت الشريعة الإسلامية على المرأة بعد طلاقها من زوجها الالتزام بمدة زمنية لا يحق لها الزواج إلا بعد انتهائها وذلك للتأكد من عدم حملها حفظًا للأنساب، ولذلك لم تشرع العدة للمطلقة قبل الدخول[٥]، وهنا يتبادر إلى الأذهان تساؤل حول وضع المرأة المطلقة في العصر الجاهلي هل كانت تعتد أم لا؟

اختلفت المصادر حول هذا الموضوع فابن حبيب[٦] يقول: "ومن سننهم أنه لم يكن للنساء عدة يعتدونها عند الطلاق...". والفخر الرازي[٧] يقول بوجود

(١) ابن حجر، الإصابة، ٢٥٥/٤.

(٢) الطبراني، الكبير، ١٤/٣.

(٣) الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي. مات سنة ١٠١هـ/٧١٩م. قبل وفاة والده عبدالعزيز بعشرين يومًا. ابن حزم، ص١٠٥.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٦٠/١٦.

(٥) انظر: سورة الأحزاب، آية (٤٩).

(٦) ابن حبيب، المحبر، ص٣٣٨.

(٧) الفخر الرازي، ٣٠١/٦.

العدة ويؤيده في ذلك ابن كثير[1] على الرغم من أنه يورد رواية قد ترجح قول ابن حبيب جاء فيها: "أن أسماء بنت يزيد السكن الأنصارية قالت: طلقت على عهد الرسول ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة فأنزل الله عز وجل حين طلقت أسماء العدة للطلاق". إلا أنه يراه حديثًا غريبًا[2]. اعتمد ابن حبيب[3] في قوله السابق على عدة حالات لنساء تزوجن بعد طلاقهن وهن حوامل إلا أن قوله هذا قد يراه بعضهم يتعارض مع رأي آخر له حيث يقول: "كانوا يُطَلِّقون ثلاثاً وكان الرجل يقول لامرأته: أنت طالق واحدة فهو أحق الناس بها فإن طلقها اثنتين فذاك فإن طلقها ثلاثاً فلا سبيل له عليها". فالنص السابق قد يوحي بوجود عدة للنساء في الجاهلية إلا أن المتمعن فيه لا يرى ذلك، فلا يعني أنه يحق لزوجها إعادتها بعد الطلقة الأولى والثانية أن هناك عدة تعتدها بل قد يكون من حقه أن يعيدها إلى عصمته في أي وقت ما دامت لم تتزوج، كما يحق لها أن تتزوج في أي وقت إذا لم يعترض زوجها. وتؤيد إحدى الدراسات الحديثة[4] قول ابن حبيب في عدم وجود عدة للمطلقة، وترى أن ذلك مشابهٌ لما هو موجود في أعراف بعض القبائل غير العربية المعاصرة والمتفرقة في العالم التي قسمها قسمين، مجتمعات قبلية تعتد بالقرابة من جهة الأم، وهذه لا ترى ضرورة لوجود عدة لأن الأولاد ينسبون إلى الأم وليس إلى الأب. ومجتمعات قبلية تعتد بالقرابة من جهة الأب، وهذه ترتبط فيها البنوة والأبوة ارتباطًا وثيقًا بنظام المهر. فالمهر الذي يقدمه للمرأة هو الذي يجعل الأبناء

(١) ابن كثير، تفسير، ١/٤٨١- ٤٨٢.

(٢) السابق، ١/٤٧٨.

(٣) المحبر، ص٣٣٨. وانظر أيضًا: الاصفهاني، الأغاني، ٦/٥ -٧، ٩/٢١. حمزة الأصفهاني، ١/١٠٩.

(٤) محمود سلام زناتي، نظم العرب قبل الإسلام (د. ط، د.ن، القاهرة ١٩٩٢م) ص ٢٦٣- ٢٦٥.

ينسبون إليه، لهذا إذا طلب الرجل عند طلاقه زوجته رد المهر كان عليه أن يتخلى عن الأولاد لأهل زوجته، وللزوج الثاني الحق في أن ينسب هؤلاء الأولاد له إن دفع مهرًا. وعلى ذلك فهذه القبائل لا تهتم بالأبوة الصليبية بل تحظى الأبوة القانونية أو الاجتماعية المؤسسة على دفع المهر بكل الاهتمام. ولذلك كان من الطبيعي أن تخلو أعراف تلك القبائل من إلزام المرأة بقضاء عدة الطلاق. ويقول صاحب الدراسة : "ولما كانت أحوال القبائل العربية قبل الإسلام تماثل في كثير أحوال القبائل غير العربية المعاصرة فإن ما قيل في شأن هذه القبائل الأخيرة يصدق أيضًا بالنسبة للقبائل العربية، فالقبائل العربية ذات النسب الأمي لم تكن في حاجة إلى فرض عدة طلاق على المرأة لأن أولاد المرأة ينسبون على كل حال إلى المرأة ويكونون أعضاء في جماعتها. أما القبائل العربية ذات النسب الأبوي فلم تفرض على المرأة عدة طلاق لأن العبرة في تحديد نسب الأولاد لدى هذه القبائل ليست بالأبوة الصليبية وإنما بواقع دفع الرجل أو عدم دفعه مهرًا من أجل أمهم". إلا أن ما ذكرته هذه الدراسة يؤخذ عليه أمران:

- أن صاحبها اعتمد على قول أو وجهة نظر واحدة دون العودة إلى غيرها.
- أن ما ذكرته هذه الدراسة هو مجرد افتراض - وإن أظهره بمظهر الحقيقة - تنقصه الأدلة حيث لم يقدم أي سند يدل على إمكانية وجود مثل هذا الأمر في المجتمع الجاهلي.

وعلى هذا ونتيجة لتضارب الآراء حول وجود عدة للمطلقة أو عدم وجودها في العصر الجاهلي، ولأهمية هذا الأمر من الناحية الأسرية لما تسببه هذه المسألة من مشكلة اختلاط الأنساب، أميل إلى ترجيح احتمالين: إما أن

يكون عرب الجاهلية يسيرون على عرفين، فقبائل تلزم المطلقة بالعدة وأخرى لا تلزمها بذلك. أو أن يكون هناك عدة للمطلقة إلا أن الحامل لا تمنع بعد انقضاء عدتها من الزواج، وهذا هو الذي أدى إلى ولادة الكثير على فراش أزواج أمهاتهم، حيث إن الهدف من العدة ليس استبراء الرحم وإنما قد يكون الهدف منها هو إظهار الحزن على فراق الزوج فقط كما هو الحال لعدة الوفاة التي كانت تستمر لمدة سنة كاملة[1]. فلو كان هدفها التأكد من عدم الحمل لما استمرت طوال هذه المدة.

بالإضافة إلى طلاق الرجل للمرأة قد تطلب المرأة الطلاق من زوجها إما رغبة في الزواج من آخر، كما فعلت ضباعة بنت عامر زوجة عبدالله بن جدعان التي رغبت في الزواج من هشام بن المغيرة[2]. أو تذمرًا من وضعه الاقتصادي لكونه فقيرًا كما فعلت زوجتا ورقة بن نوفل[3] ونبيه بن الحجاج[4]، وقد قال ورقة بن نوفل في ذلك:

تِلْكَ عِرْسَايَ تَنْطِقَانِ بِهُجْرِ ... وَتَقُولانِ قَوْلَ أَثْرٍ وَعَثْرِ

تَسْأَلانِي الطَّلاقَ أَنْ رَأَتَانِي ... قَلَّ مَالِي، أَتَيْتُمَانِي بِنُكْرِ[5]

---

(١) الشافعي، ص٦٢.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٩٧. ابن حبيب، المنمق، ص٢٢٧. ابن حجر، الإصابة، ٣٥٣/٤. وهو هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي. كان شريفًا يقال: إن قريشًا كانت تؤرخ بموته. الزبيري، ص٢٩٩، ٣٠١.

(٣) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى، من قريش. كان من علماء الناس وممن طلب الدين فتهود ثم تنصر. مؤرج، ص٥٤. الزبيري، ص٢٠٧.

(٤) نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو، من قريش. كان من فرسان قريش. الزبيري، ص ٤٠٣. ابن حبيب، المنمق، ص ٥٨.

(٥) مؤرج، ص٥٥.

أو نفورًا من إحدى خصاله كما فعلت ماوية مع حاتم الطائي(١). أو كرهًا لدمامته كما هو حال حبيبة بنت سهل(٢) مع ثابت بن قيس(٣). كما يحق للمرأة أن تطلب الطلاق إذا تضررت من طول غياب زوجها ورفضه القدوم إليها أو ذهابها إليه(٤).

قد يُنفِّذ الرجل رغبة زوجته ويطلقها طواعية، وإن رفض رُغِّب فيه بأن تدفع له الزوجة مقابلاً ماديًا وهو ما يسمى بالخُلْع، وقد طبق في الجاهلية والإسلام، فأول خلع في الجاهلية كان بين ابنة عامر بن الظرب وابن عمها الذي كرهته فأمره عمه بفراقها ورد عليه المهر(٥). وأول خلع كان في الإسلام كان بين ثابت بن قيس وزوجته حبيبة بنت سهل التي كرهته فأمرها الرسول ﷺ بأن ترد عليه حديقته(٦).

على الرغم من أن المتعارف عليه أن الطلاق بيد الرجل إلا أن بعض النساء في الجاهلية لشرفهن وقدرهن كن يشترطن أن يكون أمرهن إليهن، إن شئن أقمن وإن شئن تركن الزوج، ومن هؤلاء سلمى بنت عمرو بن زيد، وعاتكة بنت مرة بن هلال(٧). ويبدو أن طلاقهن عملي وليس قوليًا، ففي البادية إن كنّ في

(١) الأصفهاني، الأغاني، ١٧/٣٨٦.

(٢) حبيبة بنت سهل الأنصارية، كان الرسول ﷺ قد أراد الزواج بها ثم تركها. ابن الأثير، أسد، ٧/٦١.

(٣) ابن الأثير، أسد، ٧/٥١. وهو ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري. شهد أحدًا وما بعدها، قتل يوم اليمامة شهيدًا سنة ١١هـ/ ٦٣٢م. ابن الأثير، أسد، ١/٢٧٥.

(٤) سحنون، ١/٦٥.

(٥) ابن قتيبة، عيون، ٤/٧٦. السيوطي، الأوائل، ص٦٤.

(٦) مالك، ٢/٢٢، ٣٢. الشافعي، ص٥٠ - ٥١. السيوطي، الأوائل، ص٦٤. السيوطي، مسانيد، ص١٣١.

(٧) ابن حبيب، المحبر، ص٣٩٨- ٣٩٩. وهي: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج، من بني سليم بن منصور، أم هاشم وعبدشمس والمطلب بني عبدمناف. ابن حبيب، المحبر، ص٣٩٩.

بيت من شعر حولن باب الخباء من جهة إلى أخرى فإذا رأى الزوج ذلك عرف أنها طلقته[١]. أو أن تعطيه رمحًا وخيمة وفيهما إشارة إلى اعتماده على نفسه في الصيد والسكن[٢]. أما إن كن في الحاضرة فيتخذ ذلك مظهرًا آخر فقد جاء أن علامة ارتضاء هؤلاء النسوة لأزواجهن أن يصنعن له طعامًا إذا أصبح[٣]. وعلى ذلك فقد يكون عدم صنع الطعام للزوج إحدى وسائل طلاقهن.

من المرجح أن هذا الأمر عرف في الإسلام أيضًا فقد قدم وفد من أهل البصرة إلى الخليفة عثمان بن عفان يستفتونه في رجل منهم جعل أمر امرأته في يدها، فأجاز ذلك وقال: "سلطان كان له عليها فخرج منه"[٤]. كما جاء رجل إلى عبدالله بن عمر فقال له: "إني جعلت أمر امرأتي في يدها فطلقت نفسها فماذا ترى؟ فقال عبدالله بن عمر: أراه كما قالت"[٥]. أما ابن عباس فلم يكن يجيز ذلك فقد جاءه رجل وذكر له أنه تزوج امرأة وجعل أمر الطلاق بيدها فقال له ابن عباس: "خالفت السنة ووليت الأمر غير أهله فالصداق والفراق بيدك"[٦]. وهناك من يرى أن طلاق المرأة لنفسها يعد طلقة واحدة[٧].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٣٨٥/١٧. أبو علي القالي، ذيل، ص١٥٤.

(٢) ي. أ. بلياييف، ص١٠٤. ولم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه.

(٣) حمزة الأصفهاني، ٢٢٥/١. الميداني، ٣٤٨/١. عبدالله عفيفي، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ج١ (ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ٦٥/١.

(٤) ابن شبة. ٩٦٨/٣. وانظر أيضًا نقاشًا لهذه المسألة الفقهية: أسد الله محمد حنيف، فقه عثمان بن عفان رضي الله عنه في أحكام الأسرة - دراسة مقارنة - (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا الشرعية، كلية الشريعة الإسلامية، فرع الفقه والأصول، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ص٨٦ - ٨٧.

(٥) مالك، ١٧/٢.

(٦) محمد رواس قلعه جي، فقه عبدالله بن عباس، ٢٠٧/٢.

(٧) مالك، ١٧/٢- ١٨.

أما صيغة ذلك فتكون بقولها لزوجها: "أنت الطلاق"[١] أو: "أنت طالق"[٢]. وما يهمنا من هذه الإشارات أنه كان أمرًا معروفًا في الحجاز خلال مدة الدراسة.

يترتب على الطلاق عدة مشكلات، منها ما يتعلق بالوضع النفسي لكلا الزوجين فكثيرًا ما يندم أحدهما على الطلاق مثلما حدث من أبي سفيان بن حرب عندما طلق زوجته الصعبة بنت الحضرمي حيث قال:

إني وصَعبةَ فيما يُرَى بَعيدانِ والوُدُّ وُدٌّ قريبٌ

فإنِ لم يكن نسبٌ ثاقبٌ فعند الفتاة جَمالٌ وطيب

فيا لقصيٍّ أَلا فاعجبُوا للوَبْر صار الغزالَ الرَّبيب[٣]

كما طلق الحسن بن علي إحدى زوجاته وأرسل لها عشرين ألف دينار متاعًا فقالت: "متاع قليل من حبيب مفارق"[٤]. مما يدل على أنها لم تكن ترغب في طلاقه لها، لكن الحسن كان قد عرف عنه بأنه مِطْلاق[٥]. كما أن أبا قَطِيفة[٦] طلق امرأة له ثم ندم على ذلك وكان قد تزوجها رجل من أهل العراق فرحلت معه، فقال يتحسر عليها:

---

(١) مالك، ١٨/٢.

(٢) ابن الأثير الجزري، النهاية، ٤٥/٢.

(٣) ابن قتيبة، المعارف، ص٢٢٩. وانظر أيضًا: رواية أخرى : البقاعي، ورقة ١١٧ أ- ب.

(٤) الطبراني، الكبير، ١٤/٣. وانظر أيضًا: البقاعي، ورقة ١٢٠/أ .

(٥) الطبراني، الكبير، ١٤/٣. ومطلاق: أي كثير التطليق للنساء فلا يمسك الزوجة لوقت طويل. ابن منظور، ٦٠٦/٢.

(٦) أبو قطيفة: هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي القرشي. شاعر رقيق الشعر، سكن المدينة ثم نفاه عبدالله بن الزبير إلى الشام. توفي نحو سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م. الأصفهاني، الأغاني، ١٥/١، ٣٤- ٣٦. خير الدين الزركلي، ٨٧/٥.

فيا أَسَفا لِفُرْقَةِ أُمِّ عمرو ... ورِحْلَةِ أهلِها نحوَ العِراقِ
فليسَ إلى زِيارَتِها سبيلٌ ... ولا حتَّى القيامةِ من تلاقي
وَعَلَّ اللهَ يُرْجِعُها إلينا ... بموتٍ من حَليلٍ أو طلاقِ
فأَرْجِعَ شامتًا وتَقَرَّ عيني ... ويُجْمَعَ شملُنا بعدَ افتراقِ[1]

من تلك المشكلات أيضًا وضع الأبناء الأسري بعد طلاق والديهما، فالإمام مالك يرى أن البنت تبقى مع أمها حتى تتزوج إن كانت الأم في حرز ومنعة وتحصين، أما الابن فيبقى مع أمه حتى يبلغ سن الرشد[2]. إلا أن هناك بعض الحالات لم يطبق فيها هذا الحكم الفقهي، فمحمد بن ثابت بن قيس[3] رفضت أمه أن ترضعه بعد ولادته لكرهها لأبيه فاضطر أبوه إلى أخذه وإحضار مرضعة له[4]. كما أن الزبير بن العوام أخذ ابنه عروة[5] بعد أن طلق أسماء بنت أبي بكر، على الرغم من أنه كان صغير السن وفي حاجة إلى أمه[6]. أما عاصم بن عمر بن الخطاب فقد بقي مع جدته بعد طلاق أمه وزواجها بعد ذلك، وعندما حاول أبوه أن يأخذه منها استنجدت بالخليفة أبي بكر الصديق الذي نهاه عن ذلك[7]. وعلى ذلك فالخاسر الحقيقي عند طلاق الأبوين هم الأولاد الذين يفقدون الاستقرار الأسري.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٤٢/١.
(٢) سحنون ، ٣٥٦/٢، ٣٥٨.
(٣) محمد بن ثابت بن قيس بن شماس. ولد على عهد الرسول ﷺ . سكن المدينة وقتل يوم الحرة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م. ابن الأثير، أسد، ٨٣/٥.
(٤) ابن الأثير ، أسد، ٨٣/٥. ابن حجر، الإصابة، ٤٧٣/٣.
(٥) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى القرشي. أحد الفقهاء السبعة بالمدينة. توفي سنة ٩٣هـ/٧١١م. خليفة بن خياط، الطبقات، ٦٠٣/٤. الذهبي، ٤٢١/٤.
(٦) ابن سعد، ٢٥٣/٨. ابن عساكر، تاريخ - تراجم - ص١٨.
(٧) ابن حبيب، المحبر، ص٤١٨. الزبيري، ص٣٥٣. ابن قدامة، الاستبصار، ص٢٨٧. السيوطي، مسانيد، ص٦١، ٩٦.

٢ - اللعان :

وسببه اتهام الزوج لزوجته بالزنا مع عجزه عن الإتيان بأربعة شهود لإثبات هذه التهمة. وطريقته جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[١]. ونتيجة للملاعنة يُفرَّق بين الزوجين نهائيًا ولا تحل له بعد ذلك[٢]. وقد شرعت الملاعنة في الإسلام نتيجة اتهام هلال بن أمية[٣] لزوجته بالزنا مع شريك بن سحماء[٤]، وعجزه عن الإتيان بشهود لإثبات ذلك[٥]. وهو من الأحكام الإسلامية التي لم تعرف في الجاهلية.

يترتب على اللعان مشكلة أخرى ترتبط بوضع الابن المولود بعد تلاعن الزوجين فقد جرت السُّنَّة أن الابن يدعى لأمه[٦]، ولا شك أن هذا الأمر يقلل من وضع الابن الاجتماعي لانتفاء أبيه منه.

---

(١) سورة النور، الآيات من (٦-٩).

(٢) البخاري، صحيح، ١٧٩/٦.

(٣) هلال بن أمية بن عامر بن قيس الأنصاري. شهد بدرًا، وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك. ابن عبدالبر، ٦٠٤/٣. ابن حجر، الإصابة، ٦٠٦/٣.

(٤) شريك بن سحماء هو: شريك بن عبدة بن مغيث بن الجد البلوي. حليف الأنصار، وسحماء هي أمه يقال: إنه أخ البراء بن مالك لأمه، وقيل كان أخاً له من الرضاعة. ابن عبدالبر ١٥٠/٢. ابن حجر، الإصابة، ١٥٠/٢.

(٥) الشافعي، ص٤٤- ٥٠، البخاري ، صحيح، ١٧٩/٦- ١٨١. ابن عبدالبر، ١٥٠/٢، السيوطي، الأوائل، ص٦٤.

(٦) البخاري، صحيح، ١٨١/٦.

٣ - الظِّهار :

وصفتُه أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي أو غيرها من محرماته كأخته أو ابنته أو غيرهما. وهو أمر معروف في الجاهلية تحرم على أثره المرأة على زوجها[١]. وأول من ظاهر من القرشيين في تلك المدة هشام بن المغيرة[٢]. وقد استمر الظهار في الإسلام فكان أول من ظاهر فيه أوس بن الصامت[٣]. إلا أن وضعه اختلف عما كان في العصر الجاهلي، فلم يعترف به الإسلام بكونه أسلوباً للفرقة بين الزوجين إلا إذا اتبعه بلفظ الطلاق أو أن يعود في كلامه ويُرجع زوجته، وعليه التكفير عن فعله[٤].

- اليُتْم :

تتعرض الأسرة لهزة عنيفة نتيجة لوفاة الأبوين أو أحدهما لما يمثلانه من أمان نفسي ومادي لأولادهم. فكيف يكون وضع الأسرة في مثل هذا الظرف؟ ومن يتولى كفالة الأولاد؟

كثيرًا ما تتفكك الأسرة نتيجة لوفاة الأب، فقد تنتقل الأم إلى مكان آخر، فإما أن تلحق بأهلها، أو تتزوج وترحل إلى موطن زوجها، وقد تأخذ معها أبناءها أو بعضهم كما سيرد لاحقًا.

من المرجح أن كفالة الأبناء الصغار في العصر الجاهلي كانت من حق أمهم حتى وإن تزوجت، حيث ينتقلون معها إلى موطن زوجها، فعندما مات

---

(١) الصنعاني ، ٦/٤٢٢. ابن حجر، الإصابة، ١/٨٥

(٢) ابن الكلبي، جمهرة، ص١٢٩.

(٣) ابن سعد، ٣/٥٤٧. الفخر الرازي، ٢٩/٢٥٠.

(٤) سورة المجادلة، الآيات (١-٣). سورة الأحزاب، آية (٤).

كلاب بن مرة[1] كان قد خلَّف ولدين زهرة وقصيًا، ولما تزوجت أمهما فاطمة بنت سعد[2] من ربيعة بن حرام[3]، أخذت معها قصيًا لصغر سنه، وبقي زهرة لكونه رجلاً بالغًا[4]، وأيضًا لؤي بن غالب[5] عندما مات رجعت زوجته إلى أهلها ومعها ولدها عوف بن لؤي[6]. ويرى سميث[7] أن القبيلة لا تسمح للمرأة الغريبة أن تأخذ أولادها معها بعد وفاة زوجها ما لم يكن هناك اتفاق مسبق ينص على هذا الأمر، ولعل ذلك يتم عند عقد الزواج.

أما حضانة الأم لأبنائها فإنها لا تنتهي إلا عندما يبلغ الأبناء سنًا يصبحون فيها قادرين على الاعتماد على أنفسهم، وبعد ذلك تصبح الولاية لأهل الأب، ومن ذلك أن زهرة بن كلاب لم ينتقل مع أمه بعد زواجها نظرًا لكبر سنه[8]. كما أن المطلب بن عبدمناف أخذ شيبة ابن أخيه قائلاً لأمه: "ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه... والمقام ببلده خير له من المقام هاهنا"[9]. وغالبًا ما يُفضِّل الأبناء العودة إلى أهلهم لأبيهم لما يتعرضون له من تعيير لكونهم يعيشون بين قوم غير قوم آبائهم كما حصل لقصي بن كلاب[10].

---

(١) كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك. الزبيري، ص١٣.

(٢) فاطمة بنت سعد بن سيل بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر، من الأزد. الزبيري، ص١٤.

(٣) ربيعة بن حرام بن ضنة بن كبير بن عذرة، من قضاعة. البلاذري، أنساب، ٤٨/١.

(٤) ابن سعد، ٦٦/١- ٦٧. البلاذري، أنساب، ٤٨/١- ٤٩. الفاسي، شفاء، ٦٦/٢. ابن عنبة، بحر، ورقة ٥أ.

(٥) لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. الزبيري، ص١٢- ١٣.

(٦) البلاذري، أنساب، ٤٢/١. وهو عوف بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. الزبيري، ص١٢- ١٣.

(7) Smith, P. 76.

(٨) ابن سعد، ٦٦/١، ٦٧.

(٩) السابق، ٨٢/١.

(١٠) السابق،٦٧/١. جواد علي، ٣٥٥/٤.

بعد وفاة الأم تنتقل الولاية على الأيتام إلى أقارب الأب، فالرسول ﷺ لم ينتقل إلى ولاية أهل أبيه إلا بعد وفاة أمه آمنة[1]، والجد لأب هو الأحق بكفالة أبناء ابنه كما فعل عبدالمطلب بن هاشم مع الرسول ﷺ[2]، فإذا توفي الجد انتقلت إلى الأعمام وشقيق الأب أولى من غيره في الولاية على أبناء أخيه. فقد انتقلت الولاية على الرسول ﷺ بعد وفاة جده إلى عمه أبي طالب[3].

هذا ما يخص الأبناء في العصر الجاهلي، أما البنات فلم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر ما يدل على وضعهن، ولعله مشابه لوضع الأبناء، وهذا ما تؤكده إحدى الدراسات الحديثة[4]، وإن لم يذكر صاحب الدراسة المصدر الذي اعتمد عليه. قال: "كان العرف في الجاهلية إذا طلقت المرأة أو مات زوجها، وكان لها طفل رضيع، كانت تذهب به إلى أهلها لتقوم بتربيته بين قومها حتى انتهاء مدة الحضانة، فإذا توفيت أو تزوجت قبل انتهاء مدة الحضانة كانت تقوم أمها أو أختها أو أقرب امرأة إليها بحضانة الطفل إلى أن يصبح قادرًا على الاستغناء عن خدمات النساء، ثم يضم إلى قوم أبيه، سواء أكان له أب أم لم يكن، وسواء أكان الولد ذكرًا أم أنثى، إذ كان العُرّف يستهجن نشأة الطفل بعد أن يصبح مميزًا بين قوم غير قوم أبيه".

مع ظهور الإسلام استمرت تلك الأعراف القديمة الخاصة بحضانة الأم لأولادها، أما الولاية بعد انتهاء مدة الحضانة فقد هدمت الشريعة الإسلامية ما كان قائمًا في العصر الجاهلي، فالإمام مالك يرى أن البنات يبقين مع

---

(١) ابن عبدالبر، ٢٢/١.
(٢) ابن سعد، ١١٨/١.
(٣) البلاذري، أنساب، ٩٦/١. ابن أبي خيثمة، ص١٤٨.
(٤) إبراهيم فوزي، ص ٨٣.

أمهاتهن حتى يتزوجن إن كانت الأم في حرز ومنعة وتحصين. أما الأبناء فيبقون مع أمهاتهم حتى يبلغوا سن الرشد[١].

تحبّذ بعض النساء الزواج مرة ثانية بعد وفاة أزواجهن ليجدن من يتولى الإنفاق على أولادهن، فقد تزوجت أم عمير بن سعيد[٢] من الجلاس بن سويد[٣] حيث تولى كفالة ابنها والإنفاق عليه لكونه فقيرًا لا مال له[٤]. وعندما مات والد سمرة بن جندب اشترطت أمه أن لا تتزوج إلا بمن يكفل نفقة ابنها حتى يبلغ[٥].

واشتهر بعض الأشخاص بالوقوف إلى جانب الأرامل واليتامى حيث يتكفل بهم وينفق عليهم وخاصة إن كانوا من قومه. فقد كان نعيم النحام وأبوه عبدالله[٦] من قبله ممن اشتهر بالإنفاق على أرامل بني عدي وأيتامهم، وعندما أراد نعيم الهجرة منعه قومه من ذلك لارتباطه بنفقة هؤلاء[٧].

كما قد يوصي بعضهم قبل وفاته بكفالة أبنائه لأحدهم[٨] وإن لم يكن قريبًا له، فقد أوصى مالك الأسلمي[٩] بابنه لهزال الأسلمي[١٠]، فكان في

---

(١) سحنون، ٢/٣٥٦، ٣٥٨.

(٢) عمير بن سعيد بن عبيد الأنصاري. ابن حجر، الإصابة، ٣/٣٢.

(٣) الجلاس بن سويد بن الصامت بن خالد الأنصاري الأوسي. كان منافقًا فتاب وحسنت توبته. ابن الأثير، أسد، ١/٣٤٦- ٣٤٧.

(٤) ابن سعد، ٤/٣٧٥.

(٥) السابق، ١/٦٧.

(٦) عبدالله بن أسيد بن عبد بن عوف، من بني عدي بن كعب من قريش. الزبيري، ص٣٧٩.

(٧) ابن الأثير، أسد، ٥/٣٤٦.

(٨) الزبير بن بكار، جمهرة، ٢/٨٠ ب.

(٩) مالك الأسلمي هو والد ماعز الذي أذنب في عهد الرسول ﷺ واعترف بذنبه وكان محصنًا فرجم. ابن سعد، ٤/٣٢٤. ابن الأثير، أسد، ٥/٨.

(١٠) هو هزال بن ذئاب بن يزيد بن كليب بن عامر بن خزيمة ... الأسلمي. صحابي. ابن الأثير، أسد، ٥/٣٩٦.

حجره يكفله به[1]. كما أن أبا السمح[2] كان قد أوصى بابنه مالك لعبدالله بن جعفر فكفله ورباه وأنفق عليه[3].

ومن المرجح أن الكفالة تستمر حتى يبلغ اليتيم خمس عشرة سنة ثم يستقل بنفسه، قال ابن عبدالبر[4] عن الرسول ﷺ: "فصار في حجر عمه أبي طالب حتى بلغ خمس عشرة سنة ... ثم انفرد بنفسه".

وأحيانًا يستمر إحساس الكافل بمسؤوليته تجاه من يكفله من الأيتام حتى إنه يفكر في الوصية لهم بمال قبل وفاته حتى يضمن لهم الاستقرار المادي[5]. وقد يستمر بعضهم في مساعدة من كفله حتى بعد أن يكبر فقد كُلِّم سعيد بن العاص في يتيم كان يمونه أن يزوجه فأمده بعشرة آلاف درهم[6].

ثانيًا - المشكلات الاقتصادية:

- الفقـر:

يختلف الوضع المادي للأسر في الحجاز سواء كانت في الحاضرة أم البادية، فكما توجد الأسر الغنية والمتوسطة الحال، توجد أيضًا أسر تعاني من الفقر حتى في القبائل الشريفة في الجاهلية والإسلام. فقد كان من عادة الأسر القرشية التي تصاب بالفقر ألا تسأل أحدًا شيئًا، إنما يخرج رب الأسرة

---

(١) ابن سعد، ٤/٣٢٣ - ٣٢٤.

(٢) أبو السمح هو: جابر بن ثعلبة الطائي أحد بني ثُعَل ثم أحد بني عمرو بن درماء. وقيل هو سليمان بن أوس بن سماك بن سعد بن أوس بن عمرو بن درماء. الأصفهاني، الأغاني، ٥/١١١.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٥/١١٨.

(٤) ابن عبدالبر، ١/٢٢.

(٥) ابن سعد، ٧/٧١.

(٦) البلاذري، أنساب، ق ٤، ١/٤٣٥. البلاذري، أنساب، ج٤، ٢/١٣١.

بأسرته إلى موضع ويضرب على نفسه وأهله خباء حتى يموتوا، ويسمون هذا الفعل بالاعتفاد[1]. واستمر هذا العمل حتى سنَّ هاشم بن عبدمناف ممارسة التجارة الخارجية بشرط أن ما ربحه الغني قسمة بينه وبين الفقير[2] قال الشاعر في فعلهم هذا:

الخالطين فقيرهم بغنيهم　　حتى يكون فقيرهم كالكافي[3]

وعلى الرغم من ذلك فقد ورد في المصادر ما يدل على أن هناك أسرًا قرشية كانت تعاني من الفقر حتى بعد ما قام به هاشم بن عبدمناف ومنهم نبيه بن الحجاج[4] الذي كان من فرسان قريش، وعلى الرغم من ذلك كان يكسب قُوْته بسوق مكة يومًا بيوم مما أدى إلى ضجر زوجتيه منه وطلبهما الطلاق[5]. كما كان أبو طالب عم رسول الله ﷺ صاحب عيال ولا مال له[6].

وعانت بعض الأسر من الفقر نتيجة لأحداث طبيعية أو اضطرابات سياسية. فمن الأحداث الطبيعية التي كان لها دور في حدوث الفقر المفاجئ والمؤقت: السيول، ولعل ما قاله أحد الأعراب للخليفة الوليد بن عبدالملك[7] يعطي دلالة قوية على ما تجره السيول من مشكلات اقتصادية على أهل البادية،

---

(١) الزمخشري، أساس، ص٣٠٧.

(٢) الفخر الرازي، ٣٢/ ١٠٦- ١٠٧.

(٣) الفخر الرازي، ١٠٧/٢٣.

(٤) نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم القرشي. ابن حبيب، المنمق، ص ٥٥.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص٥٨.

(٦) البلاذري، أنساب، ٩٦/١.

(٧) الوليد بن عبدالملك بن مروان الأموي القرشي. تولى الخلافة ما بين ٨٦ - ٩٦هـ/ ٧٠٥ - ٧١٤م. الطبري، تاريخ، ٤٢٣/٦، ٤٩٥.

قال: "يا أمير المؤمنين، بتُّ ليلة في بطن وادٍ ولا أعلم عبسيًا[(١)] يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل فذهب بما كان لي من أهل وولد ومال"[(٢)]. وبالإضافة إلى السيول عانى الحجاز وباديته على الأخص من مجاعات كثيرة كان الجدب سببها الرئيس، وقد وضح هذا الأمر في العصر الجاهلي واستمر في الإسلام. فكيف كان وضع تلك الأسر عند حلول الجدب؟ وما الوسائل التي كانت تتبع في تلك المدة للتقليل من حدَّته؟ وما عاداتهم الغذائية خلال تلك المدة؟ وما موقف الأسر الغنية تجاه الفقراء ؟

غالبًا ما يحل الجدب وتنتشر المجاعات في الشتاء، لذلك كان يطلق على السنة المجدبة اسم شتاء[(٣)]، قال الشاعر:

أَخُو شَتَواتٍ يعلمُ الضيفُ أَنَّه   سيكثُر ما في قِدْرِه ويطيبُ[(٤)]

وتتعرض الأسر نتيجة لذلك إلى ضرر مباشر يحل بمواشيها فيهلك معظمها، ومن ثم ونتيجة لاعتماد تلك الأسر على المواشي في حياتهم المعيشية يحل بها الفقر وتصاب بالمجاعة[(٥)].

---

(١) عبسي: نسبة إلى قبيلة عبس، بطن من غطفان، وهم: بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان. كانت منازلهم شرق المدينة إلى وادي الرمة، وشرق خيبر. القلقشندي، نهاية، ص٣٤٤. عاتق البلادي، قبائل، ص٣١٠.

(٢) المبرد، التعازي، ص ٥٥.

(٣) ابن منظور، ٢/٢٦٩. وقد يطلق على السنة المجدبة أيضًا اسم: الضبع، فيقولون: أكلتنا الضبع، ومعنى ذلك حسب قول العسكري: "أنهم إذا أجدبوا ضعفوا عن الامتناع من الضباع فتفسد فيهم". ٢/٨٩.

(٤) أبو زيد القرشي، ٢/١٩٩.

(٥) ابن سعد، ١/١١٣، ١٥١. البلاذري، أنساب، ١/٩٥. الأصفهاني، الأغاني، ١٧/٣٩٠. البقاعي، ورقة ٨٨ب، ابن البتنوني، ص١٩٦.

مما لا شك فيه أن المؤن تقل نتيجة للجدب، فيعاني جميع أفراد الأسرة من الجوع[١]، ويتعرض كثير منهم للموت[٢]. وللتقليل من حدة ما يخلفه الجدب من مجاعة كانوا يعتمدون على عدة وسائل، منها:

١ - الاستعانة بالحاضرة:

وذلك للحصول على مصادر للرزق، أو لإمدادهم بالمواد الغذائية اللازمة، ومن ذلك أن عددًا من نسوة بني سعد قدمن إلى مكة في سنة جدب مرت بهن يلتمسن الرضعاء وذلك للاستفادة من المقابل المادي الذي يقدم لهن لتسيير أمور حياتهن في تلك المدة[٣]، كما أن حليمة السعدية كانت قد قدمت على رسول الله ﷺ بعد أن تزوج السيدة خديجة فشكت له جدب البلاد وهلاك الماشية فأعانها الرسول ﷺ بأن كلم لها السيدة خديجة فأعطتها أربعين شاة، وبعيرًا[٤]. وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة تعرضت البادية للجدب، فكان الأعراب يقدمون إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه أن يستسقي لهم فكان الرسول ﷺ يأمر أهل المدينة بإضافتهم ومساعدتهم[٥].

وفي حوالي سنة ٩هـ/٦٣٠م قدم فقراء الأعراب نتيجة لجدب بلادهم إلى المدينة في عيد الأضحى فمنع الرسول ﷺ حفظ لحوم الأضاحي أكثر من ثلاثة أيام، وذلك حتى يقوموا بالتصدق بها عليهم، فلما صار العام الذي يليه خصيبًا وتحسنت أحوال الأعراب ألغى هذا المنع[٦].

---

(١) ابن سعد، ٣/٣١٠. الأصفهاني، الأغاني، ٣/٨٠.
(٢) البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٣١٤.
(٣) ابن سعد، ١/١٥١. الطبراني، الكبير، ٢٤/٢١٤.
(٤) ابن سعد، ١/١١٣. البلاذري، أنساب، ١/٩٥.
(٥) الطبراني، الكبير، ٢/١٣٣ ، ٢٣/٤٣٣.
(٦) مالك، ١/٣٢١. ابن حجر، فتح، ١٠/٢٥- ٢٦.

وقد تكرر هذا الوضع في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فيما عرف بعام الرمادة سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م[١] حيث قدم على المدينة عدد كبير من الأسر، فعن مالك بن أوس[٢] أنه قال: "لما كان عام الرمادة قدم على عمر من قومي مئة بيت ..." [٣]. كما جاء في رواية أخرى أن الخليفة عمر أمر بإحصاء من قدم المدينة من العرب فبلغوا حوالي ستين ألفًا[٤]. فكانت خطة الخليفة عمر بن الخطاب لمواجهة هذا الموقف تعتمد على أن تقوم الدولة بإطعام الناس حتى تعجز عن ذلك، فإذا وصلت إلى هذه المرحلة، جاء دور أهل المدينة فيجعل مع كل أسرة نفرًا من أهل البادية يساويهم في العدد فيقاسمونهم معاشهم[٥]. وكان يعتمد في تغذيتهم على الدقيق والتمر والزيت، كما كان يرسل لمن قنع بالمقام حول المدينة بالمؤنة شهريًا، واستمر على هذا الحال حتى انتهاء الجدب، ثم طلب منهم الرحيل قائلاً: "اخرجوا من القرية إلى ما كنتم اعتدتم من البرية"[٦]. كما أرسل الخليفة هشام بن عبدالملك إلى عامله على المدينة إبراهيم بن هشام يأمره بأن ينفق على من تضرر من الجدب حتى ينتهي هذا الوضع[٧].

---

(١) الطبري، تاريخ، ٩٦/٤.

(٢) مالك بن أوس بن الحدثان بن عوف النصري. توفي حوالي سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م. ابن حجر، الإصابة، ٣٣٩/٣.

(٣) ابن سعد، ٣١٧/٣. وانظر أيضًا: البلاذري، أنساب (الشيخان) ص ٣١٤- ٣١٥.

(٤) البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٣١٣.

(٥) السابق، ص٣١٢.

(٦) البلاذري ، أنساب (الشيخان) ص٣١٣ – ٣١٥. وانظر أيضًا: أبو عبيد، النسب، ص٢٨٢. الأصفهاني، الأغاني، ١١٣/٥.

(٧) البلاذري، أنساب، ٣٩٦/٨. وانظر رواية أخرى عن استعانة البادية بالحاضرة: ابن فضل الله العمري، ٤٧/١٠. البقاعي، ورقة ١١٧ أ.

٢ - الغـــزو:

يبدو أن هذه كانت إحدى الوسائل التي اعتمدتها البادية للتخفيف من حدة الجدب وتوفير سبل العيش في الجاهلية، ومن ذلك أن نفرًا من بني عبس أجدبوا، فهلكت أموالهم، فأتوا عروة بن الورد يستغيثونه لما أصابهم من بؤس وجوع وقالوا له: "يا أبا الصعاليك أغثنا، فَرَقَّ لهم وخرج ليغزو بهم ويُصيب معاشًا"[١]. ولم أجد لذلك استمرارية في مدة الدراسة.

٣ - إرسال الماشية إلى الأماكن الرعوية:

تعمل بعض الأسر في البادية على تخفيف حدة الجدب بالبحث عن مناطق رعوية قريبة ترسل ماشيتها إليها، ومن ذلك ما فعله محمد بن بشير الذي كان يسكن الروحاء فلما أجدب عليه منزله أرسل غنمه إلى جبل رجفان[٢].

٤ - الارتحال إلى الأماكن الرعوية:

وهو أمر معروف في البادية وقد فعله أعراب من بني سُليم كانوا قد تضرروا من جدب أصابهم فانتقلوا إلى الروحاء[٣]. ويبدو أن بعض الأسر البدوية كانت إذا أرادت الارتحال تركت في منازلها المريض والكبير في السن والضعيف للتخفيف على أنفسهم أثناء السفر لقلة المعاش[٤].

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٣/٨٠.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١١٥. ورجفان جبل يطل على مضيق يَلْيَل وهي قرية قرب وادي الصفراء من أعمال المدينة. الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١١٧. ياقوت، البلدان، ٥/٤٤١.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١١٥. وانظر أيضًا مثالاً آخر: الطبراني، الكبير، ١/٢٦٦.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٣/٧٧.

٥ - مصاهرة الأغنياء:

تستعين بعض الأسر على الجدب بمصاهرة الأسر الغنية، من ذلك ما فعله عوف بن مالك[١] مع ابنته أسماء عندما زوَّجها من رجل غني حملها معه إلى بلاده[٢]، كما أن بعض الأسر البدوية ونتيجة لما تعرضت له من مشاق كانت لا تتردد في مصاهرة غير الكفء فقد قدم أعراب من بني سليم أصابهم الجدب إلى الروحاء فخطب إليهم رجل من الموالي من سكان الروحاء فزوجوه[٣].

هذه هي بعض الوسائل التي كانت تعتمد عليها الأسر للتقليل من حدة ما يتعرضون له من فقر نتيجة للجدب.

أما أنواع الأطعمة التي كانت تتناولها الأسر خلال مدة الجدب فقد اتصفت بالخشونة والرداءة، فقد كانوا يشوون جلود الحيوانات الميتة ويأكلونها، ويسحقون عظامها ويستفُّونها[٤]. كما يُعمد إلى الناقة فتُفصد ويؤخذ دمها ويخلط بغيره ويؤكل، وهو ما يطلق عليه اسم المجدوح[٥]. واشتهر في الجدب أيضًا طعام يسمى العَلَس، وهو يتكون من حبة سوداء تخبز أو تطبخ ثم تؤكل[٥]، كما كانوا يحفرون أنفاق اليرابيع والجرذان يُخرجون ما فيها لتسد جوعهم[٦]، وكانت الضِّباب موردًا غذائيًا مهمًا لأهل البادية في الجدب

(١) عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، من بكر بن وائل. من فرسان العرب في الجاهلية. المفضل الضبي، المفضليات، ص٢٢١. خير الدين الزركلي، ٩٦/٥.

(٢) المفضل الضبي، المفضليات، ص٢٢١.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ١١٥/١٦- ١١٦.

(٤) ابن سعد، ٣١٠/٣. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص١٩١، ٣٠٩.

(٥) ابن دريد، جمهرة، ٤٣٥/١.

(٥) السابق، ٨٤١/٢.

(٦) ابن سعد، ٣١٠/٣. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٢٩١.

والمجاعات فقد رأى الخليفة عمر بن الخطاب أعرابيًا سمينًا في عام مجاعة فقال: "من أي شيء سمن هذا؟ فقالوا: من أكل الضباب، فقال: والله لوددت لو أن في جحر كل ضب ضبين"(١). وكان من عادتهم في الجدب إذا استعار أحدهم قدرًا ردَّها إلى صاحبها وفيها شيء مما يطبخ فيها(٢).

لا شك أن هذه المدة كانت مناسبة جيدة لإظهار كرم الأسر الغنية، ففي الجاهلية كان أغنياء العرب يتقامرون بالقداح على جزور يُجزِّئونها ثمانية وعشرين جزءًا فإذا قمر أحدهم جعل أجزاء الجزور لذوي الحاجة وكانت العرب تمدح بذلك وتعيب على من لا يفعله(٣). ومن ذلك أيضًا أن عروة بن الورد كان يتولى رعاية من ترك من عشيرته في داره خلال الجدب من المرضى وكبار السن والضعفاء(٤)، ولا شك أن تلك المواقف كانت مجالاً للتفاخر فالشعراء إما يمدحون به أنفسهم أو غيرهم. قال الشاعر:

أَخُو شَتواتٍ يعلمُ الضيفُ أَنَّه ... سيكثرُ ما في قِدْرِهِ ويطيبُ(٥)

وقال أمية بن أبي الصلت:

المطعمون الطعام في السنة الأزْ ... مة والفاعلون للزكواتِ(٦)

من خلال ما سبق يتضح أن الجدب وما يترتب عليه من مجاعات كانت صورته واضحة في البادية لتأثير الجدب المباشر فيها. إلا أن الحاضرة في

(١) الطبري، تهذيب (مسند عمر)، ١/١٧٠.
(٢) المفضل الضبي، المفضليات، ص١٧٦.
(٣) ابن قتيبة، الأشربة، ص٧٢.
(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٣/٧٧.
(٥) أبو زيد القرشي، ٢/١٩٩.
(٦) أمية بن أبي الصلت، ص٢٣.

الحجاز كانت تعاني من ذلك أيضًا، فكثيرًا ما تعرضت مكة في العصر الجاهلي لسنوات شدة يجوع فيها الناس وتهلك أموالهم[1]، وقد كانت الأسر المكية في الجاهلية وقت اشتداد الزمان عليها تتخذ نوعًا من الحساء يصنع من الدقيق يسمى سخينة فكانت تُعيَّر به[2]. كما تعرضت المدينة في العصر الإسلامي لسنوات جدب كثيرة، منها ما حدث في غزوة بدر الموعد سنة ٤هـ/ ٥٢٦م[3]، وفي غزوة الأحزاب سنة ٥هـ/ ٦٢٦م[4]. وفي ولاية عمر بن عبدالعزيز تعرضت المدينة أيضًا لسنة مجدبة أهلكت عامة أموال أهل المدينة[5] وابتليت أيضًا بالجفاف في خلافة هشام بن عبدالملك سبع سنوات[6]. ولا شك أن هذا الوضع يؤدي إلى تدهور في الأوضاع الاقتصادية للمنطقة، وضعف في الموارد المالية للأسرة، وضنك في الحياة المعيشية، بالإضافة إلى غلاء الأسعار[7].

أما الاضطرابات السياسية فقد كان لها تأثير مباشر في تدهور الأوضاع الاقتصادية للأسرة في الإسلام. فبعد الهجرة إلى المدينة قلَّت الموارد الاقتصادية مما أدى إلى افتقار كثير من الأسر وخاصة المهاجرين.

---

(١) البلاذري، أنساب، ٨٢/١. ابن ظفر الصقلي، ص٩٢.

(٢) المفضل الضبي، أمثال، ص١٢٣. البلاذري ، أنساب، ٢٢٧/٧ . الثعالبي، فقه، ص٢٤٤. الميداني، مجمع ، ١٨٧/١. الخويي، ص١٥٦.

(٣) الواقدي، ٣٨٥/١.

(٤) السابق، ٤٤٤/٢.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٤٠٤/١٢.

(٦) الزبيري، ص٢٤٦.

(٧) ابن النجار، ص٣٣٥.

ولعل في وصف ابن سعد[١] لوضعهم دلالة على ما سبق ذكره. قال: "كان أصحاب رسول الله ﷺ كثيرًا ما يتواسون، ولكن الحقوق تكثر والقدام يكثرون والبلاد ضيقة ليس فيها معاش...". أما في العصر الراشدي فلا شك أن الوضع الاقتصادي حتى قبيل مقتل الخليفة عثمان بن عفان كان قد تحسن بسبب الفتوحات وفرض العطاء، ومع الفتنة أصابت كثيرًا من المسلمين ضائقة مالية اضطرت بعضًا منهم إلى الخروج من المدينة. ومن ذلك أن مولاة لعبدالله بن عمر قدمت عليه في تلك المدة قائلة له: "يا أبا عبدالرحمن إني أردت الخروج واشتد علينا الزمان فقال لها: اقعدي لكاع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنتُ له شفيعًا أو شهيدًا يوم القيامة"[٢]. إلا أن الفقر ما لبث أن ظهر في الحجاز مرة أخرى مع قدوم الأمويين للحكم الذين حرموا معظم سكان الحجاز من العطاء، ولعل في قول عبدالله بن صفوان[٣] للخليفة معاوية بن أبي سفيان ما يدل على ذلك، فعندما وفد على معاوية سأله عن حوائجه فقال: "تخرج العطاء، وتفرض للمنقطعين.... وقواعد قريش لا تغفل عنهن فإنهن قد جلسن على ذيولهن ينتظرن ما يأتيهن منك...."[٤]. كما كان في قول أبناء الأنصار لمعاوية عندما استفسر منهم عن عدم استقبالهم له قبل وصوله إلى المدينة، دليل قاطع على فقرهم في ذلك الوقت. قالوا: "منعنا من ذلك قلة الظهر وخفة ذات اليد بإلحاح الزمان علينا

---

(١) ابن سعد، ١/٤٠٩.

(٢) الطبراني، الكبير، ١٢/٣٤٧.

(٣) عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، يعرف بالمتكبر، كان من أشراف قريش، وقف مع ابن الزبير وقتل معه. الزبيري، ص٣٨٩- ٣٩٠.

(٤) الزبيري، ص٣٨٩.

وإيثارك بمعروفك غيرنا"[١]. كما جاء أحدهم إلى أبي سعيد الخدري في أيام الحرة[٢] واستشاره في الخروج من المدينة لعدم قدرته المادية على مواجهة غلاء أسعارها مع كثرة عياله[٣]. وازداد هذا الوضع سوءًا بعد ثورة عبدالله بن الزبير، يدل على ذلك رد عبدالملك بن مروان على الزهري[٤] عندما طلب منه أن يفرض له، حيث قال: "إن بلدك لبلد ما فرضنا لأحد فيها منذ كان هذا الأمر"[٥].

ومن الأمثلة الدالة على فقر بعض الأسر الحجازية ما رواه أحدهم حيث قال: "كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أيامًا فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال: .... هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك درهمين أو ثلاثة...."[٦]. كما أن الزهري لم يتوجه إلى الشام إلا لحاجة أصابت أهل المدينة في عهد عبدالملك ابن مروان[٧]. واستمر هذا الوضع حتى عهد عمر بن عبدالعزيز[٨] الذي

---

(١) البلاذري، أنساب، ق٤، ١/١٤٢- ١٤٣.

(٢) كانت الحرة في عهد يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م. الطبري، تاريخ، ٥/٤٩٤.

(٣) ابن النجار، ص٣٣٤. السمهودي، وفاء، ٣٩/١.

(٤) الزهري هو: محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري، من قريش. يعد أول من دوَّن الحديث وأحد أكبر الحفاظ والفقهاء. توفي سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م انظر ترجمته كاملة : أبو نعيم الأصفهاني، ٣/٣٦٠- ٣٨١.

(٥) أبو نعيم الأصفهاني، ٣/٣٦٨.

(٦) السابق، ٢/١٦٧.

(٧) السابق، ٢/٣٦٧.

(٨) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم تولى الخلافة ما بين ٩٩ - ١٠١هـ/ ٧١٧ - ٧١٩م. الطبري، تاريخ، ٦/٥٥٠ - ٥٦٥ - ٥٦٦.

حسّن من وضع أهل الحجاز الاقتصادي، ولعل فيما كتبته فاطمة بنت الحسين له ما يوضح إلى أي مدى بلغ وضع أسر قرشية في تلك المدة، وعلى ضوئه نتعرف على وضع غيرها من الأسر، قالت: "... فوصل الله أمير المؤمنين... فقد كانت أصابتنا جفوة، واحتجنا أن يُعمل فينا بالحق، فأقسم لك بالله يا أمير المؤمنين لقد اختدم من آل رسول الله ﷺ من كان لا خادم له، واكتسى من كان عاريًا، واستنفق من كان لا يجد ما يستنفق"(١). إلا أن الوضع ما لبث أن عاد إلى ما كان عليه بعد وفاته(٢). وكما وضح ذلك في المدينة وضح أيضًا في مكة فعبدالله بن الزبير كان يمنع العطاء عمن عرف عنه الولاء لبني أمية ومن هؤلاء أبو صخر الهذلي(٣)، كما حرم الخليفة عبدالملك بن مروان ابن قيس الرقيات عطاءه لكونه زبيري الهوى(٤). ووضح ذلك في البادية أيضًا، ومن ذلك أن محمد بن بشير الخارجي كان قد تزوج من امرأة موسرة في البصرة، فعندما طلب منها الرحيل معه إلى بلاده قالت له: "ما أنا بتاركة مالي وضيعتي ههنا تذهب وتضيع وأمضي معك إلى بلاد الجدب والفقر والضيق"(٥). ولا شك أن هذه الأمثلة تتعارض تمامًا مع

---

(١) ابن عساكر، تاريخ -تراجم- ص ٢٨٥.

(٢) انظر إشارات كثيرة عن ذلك: الزبيري، ص٣٧٢- ٣٧٣. الأصفهاني، الأغاني، ٣٩٩/١، ١٩٩/١١. ابن قدامة، التبيين، ص٥٠٢- ٥٠٣.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٩٨/٨ - ٩٩. وأبو صخر الهذلي هو: عبدالله بن مسلم السهمي، من هذيل. شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، كان مواليًا لبني مروان متعصبًا لهم. الأصفهاني، الأغاني، ٩٨/٢٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٨٧/٥ - ٨٨.

(٥) السابق، ١٢٨/١٦- ١٢٩.

تعميم شوقي ضيف[1] الذي وصف أهل المدينة في العصر الأموي بالترف قائلاً: "وماذا ينقصهم ليكونوا مترفين؟ إن المال تحت أيديهم وهم يصيبون منه ما يريدون وهم يتنعمون به ما شاؤوا من ألوان النعيم". فإن كان هذا فعلاً وضعهم فما الذي يدفعهم إلى الاقتراض من بعضهم منتظرين عطاء عبدالله ابن جعفر ليوفوا به قروضهم، وهي رواية أوردها شوقي ضيف نفسه وإن استدل بها على مدى ثراء أهل المدينة إلا أن الرواية تعطي دلالة أخرى فهي تلقي ضوءًا أيضًا على ضعف الموارد المالية لدى سكان المدينة في تلك المدة. وتسير على هذا النهج أيضًا نجلة قاسم الصباغ[2] حيث تقول: "كما أن الخلفاء الأمويين عملوا على إبعاد سكان بلاد الحجاز عن التدخل في الأمور السياسية فأغدقوا الأموال الكثيرة وهيئوا لهم جو اللهو والترف لإشغالهم عن معارضتهم". إلا أن الأمثلة السابقة الذكر تؤكد وجود أسر فقيرة إلى جانب الأسر الغنية حتى من القرشيين أنفسهم[3].

واستمر في العصر العباسي تأثير الاضطرابات السياسية في تدهور الأوضاع الاقتصادية، فمع مجيء العباسيين سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م تضررت الأسر الأموية كثيرًا ولا شك أن بعضها كان يسكن في الحجاز حيث قُتل كثير منهم وصودرت ممتلكاتهم[4]. ومع استمرار الاضطرابات السياسية استمر تأثيرها

---

(١) شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة في عصر بني أمية (ط٤، دار المعارف، مصر ١٩٧٩م) ص٣٢.

(٢) نجلة قاسم الصباغ، بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول (رسالة ماجستير غير منشورة، التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٦٩م) ص١٤٥. وانظر أيضًا: عطية أبو سرحان، ص٤٠٢- ٤٠٣، ٤١١ - ٤١٢.

(٣) انظر: عبدالله الخلف، ١/١٤٣ - ١٤٥، ١٥١ - ١٥٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ٥/٤٣٠- ٤٣١، ٤٤٨.

في الوضع الاقتصادي للأسرة، فمثلاً نتج عن موقعة فخٍّ سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م حرق نخيل الثائرين ومصادرة ممتلكاتهم[١].

بالإضافة إلى ما سبق فقد يكون أسلوب حياة بعض الأسر في الحجاز حاضرته وباديته سببًا في فقرها، ومن ذلك:

- **كثرة العيال:**

على الرغم من أن الدين الإسلامي حثَّ على كثرة النسل وأنكر على الكفار قتلهم أولادهم خشية الإملاق، قال تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً**﴾[٢]. وقال ﷺ: "فمن لم يعمل بسنتي فليس مني" وقوله: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم"[٣]. إلا أن بعضهم ربط بين الفقر وكثرة العيال ومن ذلك أن عبيدالله بن عباس مر بمعن بن أوس فسأله عن حاله فقال: "ضعف بصري وكثر عيالي وغلبني الدين"[٤]، وجاء عن سعيد بن المسيب أنه قال: "قلة العيال أحد اليسارين"[٥]. وقيل: إن أحد الأعراب ضجر من كثرة عياله مع فقره فسمع بأن في خيبر وباءً شديدًا فخرج إليها بعياله رغبة في موتهم[٦]. كما ضرب المثل بدور العيال في قلة المال فقالوا: "العيال سوس المال"[٧]. ولا شك أن ما سبق ذكر ه يتعارض مع ما ورد عن الرسول ﷺ، ولا يمكن الجزم بصحته فليس من شأن الشارع أن يحث على شيء فيه ضرر على الفرد أو المجتمع.

(١) الطبري، تاريخ، ٨/ ٢٠٠.
(٢) سورة الإسراء، آية (٣١).
(٣) ابن ماجه، ١/ ٣٤٠.
(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٢/ ٧٢.
(٥) ابن سعد، ٥/ ١٣٦. الثعالبي، اللطائف، ص١٧٤. الخوئي، ص ٤١٩.
(٦) ابن قتيبة، عيون، ١/ ٢٤٩.
(٧) الثعالبي، اللطائف، ص١٧٤. حمزة الأصفهاني، ١/ ٧٣. الميداني، ١/ ٨٦. الخوئي، ص٣٩٩.

- **الإسراف في الكرم:**

لا شك أن عادة الكرم إن زادت عن حدها تحولت إلى نكبة على صاحبها ومن يعيلهم فقد تؤدي به إلى الفقر كما حصل لابن هرمة. فقد قال أحدهم: "قدمت المدينة فقصدت منزل ابن هرمة فإذا بنية له تلعب فقلت لها: ما فعل أبوك؟ قالت: وفد إلى بعض الإخوان، قلت: فانحري لنا ناقة فإنا أضيافك، قالت: يا عماه والذي خلقك ماعندنا شيء، قلت: فباطل ما قال أبوك، قالت: فما قال؟ قلت: قال:

كمْ ناقةٍ قد وجأتُ مَنْحرها ... لِمسْتهلِّ الشُّؤْبوب[1] أو جَملِ

قالت: يا عماه فذاك القول من أبي أصَارنا إلى أن ليس عندنا شيء"[2].

- **لعب الميسر:**

وهو أيضًا أحد العادات السيئة التي قد تؤدي بصاحبها إلى الفقر في الجاهلية، ومن ذلك ما قالته الخنساء عن زوجها: "إن زوجي كان يقامر بالقداح متلافًا للأموال فأتلف فيها ماله حتى بقينا على غير شيء"[3]. وقد نهى الإسلام عن هذه العادة لما فيها من مضار.

تنوعت الأساليب التي اتبعتها الأسر الفقيرة للتخفيف من حدة ما تعانيه من فقر، ومن ذلك:

(١) الشؤبوب: هو الدفعة من المطر وغيره. الزبيدي، ٣/٩١.

(٢) الجاحظ، المحاسن، ص٢٠٦.

(٣) الخنساء، ص٣٦٨. وانظر أيضًا: المبرد، التعازي، ص ٤٨.

- **الرهن أو البيع أو الاستدانة:**

فقد اعتاد أهل المدينة على رهن بعض عتادهم أو بيعه مقابل الحصول على الطعام. ويبدو أن عناصر من اليهود كانوا قد امتهنوا هذا الأسلوب في المدينة فكان المسلمون المحتاجون يتعاملون معهم لفك ضائقتهم المادية، ومن ذلك ما فعله الرسول ﷺ حين رهن درعًا له من حديد عند يهودي مقابل بعض الشعير[١]. كما جاء نفر من الصحابة إلى يهودي لبيعه أدرعًا لهم حتى ينفقوا منها على أسرهم[٢]. وتُرجِّح إحدى الدراسات الحديثة[٣] وأتفق معها في الرأي اعتماد فقراء المهاجرين في حل مشكلاتهم المالية بعد الهجرة مباشرة على القروض الربوية التي يقدمها اليهود، وَبَنَت ترجيحها ذلك على أن تحريم الربا لم يشرع في بداية الإسلام بل كان هناك تدرج في تحريمه، ولا شك أن ذلك كان سببًا مباشرًا أدى إلى تراكم الديون على فقراء المسلمين وأسهم في خلق مشكلة اقتصادية جديدة[٤].

- **الانتقال من مكان لآخر:**

تفضل بعض الأسر إذا ضاق بها العيش في مكان ما أن تنتقل إلى مكان آخر علّها تجد فيه حلاً لمشكلتها الاقتصادية، ومن ذلك انتقال ابن جامع إلى المدينة حين ضاق به العيش في مكة، حيث احترف فيها الغناء[٥].

---

(١) البخاري، صحيح، ٣/٨.

(٢) ابن سعد، ٢/٣٣.

(٣) عبدالله الخراشي، ص٢٩، ٢٥٣- ٢٥٦. وانظر أيضًا: أكرم ضياء العمري، ص٣٥.

(٤) انظر الفقرة القادمة عن الديون.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٦/٣٢٦.

- **إعانة الأقرباء لهم أو الاستعانة بغيرهم:**

غالبًا ما تتم إعانة الأغنياء لأقربائهم الفقراء طواعية مثلما كان صخر بن عمرو يفعل مع أخته الخنساء، فعندما أملق زوجها أعانها ثلاث مرات من خير ماله[1]. وكذلك كان حال أبي بكر الصديق مع مسطح بن أثاثة[2] فقد كان ينفق عليه لقرابته وفقره[3]. كما أن زينب بنت معاوية[4] وزينب الأنصارية[5] كانتا تنفقان على زوجيهما لفقرهما[6]. وكان طلحة بن عبيدالله حريصًا على فقراء بني تيم يكفيهم مؤونتهم ومؤونة عيالهم[7]. وكان عبدالرحمن بن الضحاك في مدة ولايته على المدينة[8] يبحث عن فقراء قريش من الرجال والنساء ويعينهم على اكتساب رزقهم. قال ابن قدامة[9]: "كان برًا بقريش، وكان يقول: أبغوني رجلاً من قريش عليه دين أو له عيال فإذا دلوه عليه استعمله على بعض أعماله... وكان يزيد[10] قد ولاه بناء داره بالمدينة فكان يرسل إلى القرشيات القواعد يشترين حُمُرًا بدوية ثم يجعل تلك الحمر في

---

(١) المبرد، التعازي، ص٤٨. وانظر أيضًا إشارة أخرى: ابن ظفر الصقلي، ص٧٩.

(٢) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبدمناف بن قصي. كان ممن خاض مع أهل الإفك، مات سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م. ابن حجر، الإصابة، ٤٠٨/٣.

(٣) الزبير بن بكار، أزواج ، ص٥٥.

(٤) زينب بنت معاوية بن عتاب بن الأسعد بن عامرة، من ثقيف. زوجة عبدالله بن مسعود، روت عن الرسول ﷺ . ابن حجر، الإصابة، ٣١٩/٤.

(٥) زينب الأنصارية امرأة أبي مسعود عقبة بن عمر. ابن حجر، الإصابة، ٣١٩/٤.

(٦) ابن حبيب، أدب، ص٢٦٨. النسائي، عشرة، ص ١٨٢- ١٨٣. الطبراني، الكبير، ٣٤٤/٢٣. ابن عبدالبر، ٣١٨/٤- ٣١٩. ابن حجر، الإصابة، ٣١٩/٤.

(٧) ابن سعد، ٢٢١/٣. البلاذري، أنساب، ١٢٤/١٠.

(٨) تولى المدينة ليزيد بن عبدالملك سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م. خليفة بن خياط، تاريخ، ٤٨٢/٢.

(٩) التبيين، ص٥٠٢- ٥٠٣.

(١٠) المراد هنا الخليفة يزيد بن عبدالملك.

نقل الحجارة والمدر واللبن ويعلفها ويعطيهن في كل حمار درهمين". وقد تتم الإعانة أحيانًا بطلب الفقراء المساعدة من أقربائهم الأغنياء، قال الزهري: "أصاب أهل المدينة حاجة زمان عبدالملك بن مروان فعمت أهل البلد، وقد خيل إليَّ أنه قد أصابنا أهل البيت من ذلك ما لم يصب أحدًا من أهل البلد، وذلك لخبرتي بأهلي فتذكرت هل من أحد أمتُّ له برحم أو مودة أرجو إن خرجت إليه أن أصيب منه شيئًا فما علمت من أحد أخرج إليه..."[1]. وعندما حج الخليفة هارون الرشيد لقيه رجلان من قريش فقال له أحدهما: "يا أمير المؤمنين نهكتنا النوائب وأجحفت أموالنا المصائب ولنا بك رحم أنت أولى من وصلها..."[2]. وقد وضح ذلك في البادية أيضًا، فقد رأى أحد الأعراب عتبة ابن أبي سفيان في حج عام ٤١هـ/ ٦٦١م فصاح به قائلاً: "رجل من بني عامر ابن صعصعة يلقاكم بالعمومة ويقرب إليكم بالخؤولة، قد كثرت عياله ووطئه الزمان، وبه فقر وفيه أجر وعنده شكر"[3]. وقد يحتاج بعضهم إلى طلب المساعدة من غير الأقرباء كولاة الأمور وذوي المكانة السياسية مثلما فعل ابن هرمة الذي خرج من المدينة قاصدًا عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك[4] في دمشق ليمده بمعونة يغيث بها أهله. ووضح ذلك في البادية أيضًا، فقد وفد أعرابي على عمر بن هبيرة[5] يستعينه على فاقته قائلاً له:

---

(١) أبو نعيم الأصفهاني، ٣/٣٦٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/٢٧٩.

(٣) أبو علي القالي، الأمالي، ١/٢٣٦.

(٤) عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك بن مروان. تولى إمرة مكة والمدينة سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦م للخليفة مروان بن محمد. الزبيري، ص١٦٦. خليفة بن خياط، تاريخ، ٢/٥٨٣، ٦١٨. خير الدين الزركلي، ٤/١٧٥.

(٥) عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري. تولى إقليم الجزيرة في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، والعراق وخراسان في خلافة يزيد بن عبدالملك. توفي نحو ١١٠هـ/ ٧٢٨م. خليفة ابن خياط، تاريخ، ٢/٤٧٥. ابن خلكان، ٢/٧١. خير الدين الزركلي، ٥/٦٨- ٦٩.

أصْلحكَ اللَّهُ قلَّ ما بيدي ... فما أطيق العِيال إذ كثروا
ألحَّ دَهْرٌ أنْحى بكَلْكله ... فأرْسلوني إليك وانْتظروا[1]

وغالبًا ما يجد هؤلاء ما يبحثون عنه من مساعدة.

- الديون:

تبرز هذه المشكلة بكونها إحدى المشكلات التي تعرضت لها الأسرة في الحجاز، واستُخدمت حلاً لإيجاد سيولة نقدية نظرًا لحاجتهم لها في تدبير شؤونهم الحياتية. والجدير بالذكر أن هذه المشكلة وضحت منذ عصر الرسول ﷺ واستمرت الشواهد على وجودها في معظم المراحل. إلا أن وضعها في عصر الرسول ﷺ يختلف عن بقية العصور، ففي عصره ﷺ كانت الناس تستدين لحاجتهم الفعلية للمال لتصريف أمور حياتهم دون أن يكون لديهم مقابل مادي آخر، كما هو حال أبي حصين السلمي[2] الذي كان الرسول ﷺ قد تحمل عنه دينًا كان مطالبًا به[3]. أو أن يكون المقابل المادي لا يفي بمتطلبات الدَّين، ومن ذلك أن عبدالله بن عمرو بن حرام كان عليه دين لكن غلة نخله مدة سنتين لم تكن تفي بما عليه[4]. كما كان كثيرًا ما يموت المدين قبل أن يقوم بسداد دينه مما يجعل غرماءه يلاحقون ورثته لسداده، وقد يستعين هؤلاء بالرسول ﷺ ليقضي عنهم[5].

(١) المبرد، الكامل، ١/١٢٧- ١٢٨. وانظر أيضًا : ابن طيفور، ص٦٣.

(٢) أبو حصين السلمي، صحابي من بني سُليم. ابن سعد، ٤/٢٧٧.

(٣) ابن سعد، ٤/٢٧٧. ابن عبدالبر، ٤/٤٢. ابن الأثير، أسد، ٦/٧٥.

(٤) ابن سعد، ٣/٥٦٣- ٥٦٤. أبو الشيخ الأصبهاني، ص٧٦- ٧٧. ابن عبدالبر، ٢/٣٤٠. ابن حجر، الإصابة، ٢/٣٥٠. ابن حجر، فتح، ٤/٣٤٤.

(٥) ابن سعد، ٥/٥٠٥. ابن حجر، الإصابة، ٣/٣١٩.

لم تحدد المصادر مقدار هذه الديون، ولكن يبدو أنها كانت مبالغ كبيرة مقارنة بالوضع الاقتصادي في ذلك الوقت، ولعل في هذه النصوص ما يدل على ذلك. قال ابن سعد[1]: "قدم أبو حصين السلمي بذهب من معدنهم فقضى دينًا كان رسول الله ﷺ تحمل به عنه وفضُل معه مثل بيضة الحمامة". وقال أيضًا[2]: "كان معاذ بن جبل من أحسن الناس وجهًا وأحسنه خلقًا وأسمحه كفًا فادّان دينًا كثيرًا". وقال كذلك[3]: "حدثني جابر بن عبدالله أن أباه توفي وعليه دين، قال: فأتيت الرسول ﷺ فقلت: إن أبي ترك عليه دينًا وليس عندنا إلا ما يخرج نخله فلا يبلغ ما يخرج نخله سنتين ما عليه...". ومما ذكره ابن سعد[4] أيضًا أن أحدهم قال للرسول ﷺ : "يا رسول الله إن أبي قتل وعليه دين مئتا مثقال ذهبًا". ومثل هذه الديون توحي بعدة أمور:

- أن الأحوال المعيشية للأسرة بصفة عامة كانت ضعيفة.

- أن المسلمين كانوا يفتقدون السيولة النقدية.

- أنهم كانوا يفتقدون أيضًا مصادر دخل أخرى مساندة تساعدهم على تدبير شؤون حياتهم أو سداد ديونهم.

هذا بالإضافة إلى ما سبق أن ذكرناه من أن التعامل بالربا قبل تحريمه كان سببًا مباشرًا أدى إلى تراكم الديون.

---

(١) ابن سعد، ٢٧٧/٤.

(٢) السابق، ٥٨٧/٣.

(٣) السابق، ٥٦٣/٣- ٥٦٤.

(٤) السابق، ٥٠٤/٥.

تحسّنت أوضاع الأسر المادية في الحجاز بعد الفتوحات الإسلامية وفرض العطاء، ولكن في المقابل يبدو أن هناك إسرافًا في النفقة يدلنا على ذلك استمرار الاعتماد على الديون لفك الضائقة المالية. فأسيد بن الحضير توفي في خلافة عمر بن الخطاب وعليه أربعة آلاف درهم دينًا فكان غرماؤه يستوفون من ورثته ألف درهم لمدة أربع سنين من أرض زراعية له تُغِل هذا المبلغ[١]. ولا شك أن ورثته اعتمدوا في تسيير أمورهم المعيشية على ما كان يفرض لهم من عطاء. كما أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يستدين وينتظر عطاءه ليوفي دينه، وعندما حضرته الوفاة حسب دينه فبلغ ستة وثمانين ألف درهم[٢]، إلا أن وجود مصادر أخرى عينية جعل من السهل سدادها فقد باع ابنه عبدالله دارًا وأرضًا زراعية لوالده وسدد بهما دينه[٣].

استمرت الحاجة إلى السيولة النقدية لتسيير أمور الحياة المعيشية عند الأسر في الحجاز على الرغم من ارتفاع الحالة المادية، فالحسين بن علي قُتِل وكان عليه دين كثير فاضطر ابنه علي أن يبيع عددًا من ممتلكات والده لسداده[٤]. وتوفي سعيد بن العاص وعليه دين بلغ حوالي تسعين ألف دينار[٥]، وكان قد أوصى أن يباع قصره بالعقيق ويُقْضَى به دينه[٦].

من الواضح أن الدَّين كان أمرًا منتشرًا في تلك المدة، لذلك كان هناك

(١) ابن سعد، ٣/٦٠٦.

(٢) السابق، ٣٩٠/٢. البخاري، صحيح، ٢٠٥/٤. البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٣٤٢.

(٣) الفاسي، شفاء، ٣٩٠/٢.

(٤) الطبراني، الكبير، ١٣٢/٣.

(٥) البلاذري، أنساب، ق٤، ٤٣٧/١.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ١٣/١، ٣٩. ابن قدامة، التبيين، ص١٩٥.

من يعرف بمداينته للناس ومن هؤلاء قيس بن سعد[١]، قال أبو عبيد[٢]: "مرض قيس بن سعد فَفَقَدَ الناس في عيادته وكان يداين الناس فقال: ما للناس لا يعودونني؟ قالوا: يستحون منك لما لك عليهم من الدين فشق حقوقه عليهم وأبطلها وأمر صائحًا فصاح بذلك فعادوه حتى كسروا درجته".

لا شك أن الدين هَمٌّ يثقل كاهل المدين، وقد يضطر بعضهم إلى الاختباء في منزله هربًا من مطالبة أصحاب المال له[٣]، في حين يحاول بعضهم الآخر أن يحل مشكلاته المادية ويفك دينه عن طريق الاستعانة بشخصيات معروفة بغناها، وكثيرًا ما ينجح هؤلاء في تحقيق مطالبهم، فقد قضى طلحة بن عبيدالله عن أحد بني تيم ثلاثين ألف درهم[٤]. وقضى معاوية بن أبي سفيان عن عبدالله بن جعفر دينًا بلغ أربعين ألفًا[٥]. كما أن الحسن بن علي حصل على مبلغ ثلاث مئة ألف درهم من الخليفة معاوية بن أبي سفيان ليقضي به دينه البالغ مئة ألف درهم[٦]. ووفد الحارث بن خالد المخزومي على الخليفة عبدالملك بن مروان يستعينه في دين كان عليه بلغ حوالي ثلاثين ألفًا[٧]. كما

---

(١) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي. صحب الرسول ﷺ وشارك في فتح مكة، ثم صحب علي بن أبي طالب في معركة الجمل وصفين والنهروان، وتوفي في المدينة. ابن عبدالبر ٣/٢٢٤- ٢٢٦.

(٢) النسب، ص٢٨٢ - ٢٨٣.

(٣) مؤلف مجهول، ص٣٨٠.

(٤) ابن سعد، ٣/٢٢١.

(٥) ابن الأثير، أسد، ٣/٤٣٣.

(٦) البلاذري، أنساب، ق٤، ١/١٠١.

(٧) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف، ج١١ (مخطوطة مصورة برقم ٩١٧/ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ١٠٨ أ - ب.

قضى الخليفة هشام بن عبدالملك دينًا كان على الزهري بلغ ثمانين ألف درهم[1]. وآخر على علي بن عبدالله بن عباس بلغ ثلاثين ألفًا[2].

هذه هي أهم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي تعرضت لها الأسرة في القرنين الأول والثاني الهجريين، واتضح من خلال عرضها استمرارية معظمها طوال مدة الدراسة.

(١) ابن سعد (القسم المتمم)، ص١٨٢.

(٢) مؤلف مجهول، ص ١٣٩.



الفصل الخامس

المســـكن

أولاً - مسكن الأسرة في الحاضرة:

يمثل المسكن أحد الدعامات الرئيسة لاستقرار الأسرة واستمرارها، والبحث في موضوعه يتطلب الإجابة عن تساؤلات عدة منها: ماذا كان يطلق على المسكن في ذلك العصر؟ وهل تعددت أسماؤه؟ وهل لتعدد الأسماء علاقة بشكل المسكن أم هي مجرد تسميات لشكل معماري واحد؟ وما أقسامه؟ وما الأبنية الملحقة به؟ وما المواد المستخدمة في بنائه؟ وهل للمسكن استخدامات أخرى غير السكن فيه؟ وما المؤثرات الخارجية فيه؟

أُطلق على المسكن في ذلك العصر أسماء عدة مثل الدار، والبيت، والغرفة، والمنزل[1]. ولعل أشهرها: دار، وبيت. وقد يتبادر إلى الذهن أن هذين الاسمين لفظان مترادفان يدلان على شكل معماري واحد تستخدمه الأسرة للسكن، إلا أنه من خلال ما جُمع من نصوص متفرقة في كثير من المصادر، لحُظ أن الدار تختلف عن البيت، فالبيت ما هو إلا جزء من الدار إلا إذا بُنِي منفردًا، وقد ورد ما يدل على ذلك في العصر الجاهلي واستمر إلى ما بعد ظهور الإسلام. ولإيضاح ذلك لا بد من إيراد بعض النصوص لبيان الفرق بين الاثنين. ذكر ابن حبيب[2] في حديثه عن زهير بن عبدشمس[3]: "فأتى داره فزخرفها وزخرف أبياتًا ثلاثة بأحسن ما يكون من زينة ذلك الزمان". وعن آمنة بنت وهب أنها قالت: لما ولدت رسول الله ﷺ "... خرج منها نور أضاء له

---

(١) تحمل كلمتا دار ومنزل معنيين؛ فقد يقصد بهما بالإضافة إلى تحديد الشكل المعماري للمسكن، محل الإقامة بشكل عام. ابن سعد، ١٨٦/٣. ابن منظور، ١٠٣٢/١.

(٢) ابن حبيب، أسماء، ١٤٢/٢.

(٣) زهير بن عبدشمس من بني صيفي بن سبأ الأصغر. ابن حبيب، أسماء، ١٤١/٢.

البيت الذي نحن فيه والدار"(١). كما وردت إشارات كثيرة في عصر الرسول ﷺ تدل على أن الدار والبيت لفظان لهما معنيان مختلفان. فعن الرسول ﷺ أنه قال: "صلاتكن في بيوتكن أفضل من صلاتكن في حُجَركن، وصلاتكن في حجركن أفضل من صلاتكن في دوركن، وصلاتكن في دوركن أفضل من صلاتكن في الجماعة"(٢). وعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت في وصف زواجها من الرسول ﷺ : "فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار... ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن: على الخير والبركة ..."(٣). وعن الرسول ﷺ أنه قال: "قصر في الجنة من لؤلؤ فيه سبعون دارًا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء"(٤).

استمر استخدام هذين اللفظين بمعنييهما المختلفين حتى القرن الثاني الهجري. فقد ورد في المدونة(٥) عدة نصوص تدل على ذلك منها: "قال مالك في رجل ابتاع دارًا فاستحق بيتًا منها أو بعضها:... إن كان البيت الذي استحق منها هو أيسر الدار شأنًا فأرى أن يلزم البيع ويرد من الثمن مبلغ قيمة ذلك البيت... ورُبَّ دار لا يضرها ذلك تكون دارًا وفيها من البيوت بيوت كثيرة...".

(١) الطبراني، الكبير، ١٤٧/٢٥. وانظر أيضًا روايات أخرى حول هذا الموضوع: الأصفهاني، الأغاني، ١٧٧/٤. ابن الأثير، أسد، ١٨٦/٧. ابن حجر، فتح، ٥٨٣/٦.

(٢) الطبراني، الكبير، ٣٤١/٩. وانظر أيضًا: ابن عبدالبر، ٤٤٦/٤. ابن قدامة، الاستبصار، ص٣٥٦. ابن حجر، الإصابة، ٤٤٥/٤.

(٣) البخاري، صحيح، ٢٥/٤.

(٤) الطبراني، الكبير، ١٦١/١٨. وانظر أيضًا رواية أخرى: ابن الأثير، أسد، ١٩٢/٢، السمهودي، وفاء، ٨١٣/٣، ٨٨٠.

(٥) سحنون، ٢٧٧/٥- ٢٧٨. وانظر أيضًا: ١٣٤/٣، ٥٠٩/٤، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٥/٥، ٢٧٢/٦- ٢٧٣.

من الفروقات بين الدار والبيت أن الأول له صحن والثاني مسقوف، ويؤيد ذلك عدد من النصوص التي وردت في مدد زمنية مختلفة، فكلمة صحن تأتي دائمًا ملازمة لكلمة دار، ومن ذلك ما جاء في الطبقات[١] في حديث لمحمد بن واقد قال : "فدخلت عليه وهو جالس في صحن داره...". وورد في المحاسن والأضداد[٢] أن أحدهم أتاه أعرابي "فأضافه وأحسن إليه وبذل له صحن الدار". كما أن كلمة سقف تأتي دائمًا ملازمة لكلمة بيت مثال ذلك ما ذكره ابن حجر[٣] قال: "كان الرجل إذا أهلّ فبدت له حاجة في بيته لم يدخل من الباب من أجل السقف أن يحول بينه وبين السماء". ووردت في الأغاني[٤] رواية جاء فيها : "دخل يومًا أمية بن أبي الصلت على أخته وهي تهيئ أدمًا لها، فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت، قال: فانشق جانب من السقف في البيت". وعن الرسول ﷺ أنه قال: "فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة"[٥]. ويؤيد ذلك أيضًا قول أحدهم لابن سريج[٦] : "عليَّ وعليَّ إن جمعنا وإياك سقف بيت أو صحن دار"[٧]. ولم يرد بتاتًا نص يجمع بين كلمتي سقف ودار أو كلمتي صحن وبيت.

بعد هذه المقدمة الإيضاحية لا بد من التعرف إلى الدار والبيت بشكل

(١) ابن سعد، ٤٣٢/٥.

(٢) الجاحظ، ص٣٣٤.

(٣) ابن حجر، فتح، ٦٢٢/٣.

(٤) الأصفهاني، ١٣٢/٤.

(٥) البخاري، صحيح، ٩١/١. وانظر أيضًا: ابن حجر، فتح، ٤٥٨/١.

(٦) ابن سريج يدعى عبيد بن سريج. مولى لبني نوفل بن عبدمناف، من سكان مكة، بدأ بالغناء زمن عثمان بن عفان ومات في خلافة هشام بن عبدالملك. الأصفهاني، الأغاني، ٢٤٣/١- ٢٤٤.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ٢٩١/١.

أوسع، وسيُبحث موضوع البيت من خلال دراسة الدار لكون البيت جزءًا من الدار إلا إذا بُنِي منفردًا، وسيُشار إلى ذلك في حينه.

عادة لا يطلق اسم دار إلا على المسكن الذي يحتوي عددًا من البيوت وله صحن وقد يتكون من طابق واحد أو طابقين[1]، وتتقسم الدار إلى بيوت، وحجر، وغرف، ومنازل، وفناء، وصحن، بالإضافة إلى مرافق ملحقة بها كالكنيف، أو المرحاض، والمغتسل أو المستحم، وأماكن لإعداد الطعام، والخزانة، كما تحتوي بعض الدور على مساجد خاصة بسكانها.

- البيوت:

ولعل المقصود بها ما يطلق عليه حاليًا اسم غرف[2]، يدلنا على ذلك قول عائشة أم المؤمنين للخليفة عمر بن الخطاب عندما أرسل يستأذنها أن يُدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق: "إن البيت ضيق"[3]، وقولها أيضًا: "ما زلت أضع خماري وأتفضل في ثيابي في بيتي حتى دفن عمر بن الخطاب فيه فلم أزل متحفظة حتى بنيت بيني وبين القبور جدارًا"[4]. فلو كان البيت يقصد به ما هو متعارف عليه حاليًا لما تعذرت السيدة عائشة بصغر بيتها، ولما بُنِي بين القبور وبينها جدار. والبيوت إما أن تكون جزءًا من الدار كما سبق أن ذُكر أو

(١) البخاري، صحيح، ٣/١٠٣. سحنون، ٥/٥٢٢. الفاسي، العقد، ٧/١٥، ١٨. ابن حجر، فتح، ٥/١١٤، ١١٦.

(٢) انظر أيضًا: ابتسام عبدالمحسن السويلم، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز من قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص١٥١.

(٣) ابن سعد، ٣/٣٦٣- ٣٦٤.

(٤) البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٣٧٧.

تبنى بشكل مستقل بكونها وحدة معمارية منفصلة عن الدار كما هو حال بيوت الرسول ﷺ. وليس هناك إشارات دقيقة عن سعة تلك البيوت سوى ما ورد عن بعض بيوت الربذة[١]، فقد كشفت الحفريات عن وجود بيوت مربعة الشكل يبلغ متوسط مساحتها (٢,٣٠×٢,٣٠) متر تقريبًا[٢] أو (٣×٣) أمتار تقريبًا[٣]، وبيوت مستطيلة الشكل يبلغ متوسط مساحتها (٢×٣) أمتار تقريبًا[٤]. وتحتوي البيوت على نوافذ يطلق عليها اسم كُوّة[٥]، لإنفاذ الضوء إليها[٦]، وقد يحتوي البيت الواحد على عدد من الكُوَى[٧]. كما ورد استخدام الكُوَى لحفظ بعض الأمتعة والأطعمة فيها[٨]، وتفسير ذلك لا يخرج عن أمرين: إما أن تكون للكوة حافة عريضة تجعل بعضهم يستخدمها رفًا، أو أن هناك نوعين من الكُوَى إحداهما لإدخال الضوء، والثانية لحفظ بعض الأمتعة والأطعمة.

---

(١) حدد ياقوت موقعها بقوله: إنها "من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة". البلدان، ٢٤/٣. وتقع اليوم إلى الجنوب الشرقي من المدينة المنورة بحوالي (٢٠٠) كيل. سعد عبدالعزيز الراشد، الربذة - صور للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية (د. ط، جامعة الملك سعود، الرياض د. ت) ص٢٤.

(٢) سعد الراشد، الربذة، ص٤٨.

(٣) السابق، ص٦١.

(٤) السابق، ص٥٣.

(٥) ابن سعد، ٢٢٨/٢. سحنون، ٢٩٦/١. البلاذري، أنساب، ٢٦١/١. ابن دريد، جمهرة، ٢٣٢/١، ١٠١٥/٢. الأصفهاني، الأغاني، ٢١١/٤، ٥/١٩. الطبراني، الكبير، ٨٨/٢٤.

(٦) ابن دريد، جمهرة، ٢٣٢/١، ٨٦٨/٢. ابن منظور، ٣١٩/٣.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ٢١١/٤.

(٨) سحنون، ٢٩٦/١. البلاذري، أنساب، ٢٦١/١. ٤٤٠/٩. الطبراني، الكبير، ١٨/٢٤. ابن عساكر، تاريخ - تراجم - ص١٤.

تحتوي البيوت أيضًا على رفوف يحفظ فيها المتاع، أو يوضع عليها الأمتعة الثمينة كالآنية الصيني لحمايتها من الكسر[١]، أو يحفظ الطعام فيها[٢]، وتكون هذه الرفوف إما من الحجارة كما هو موجود في بيوت الأسر المكية حيث يطلق عليها اسم صفايح، ومنها الصفيحة الموجودة في بيت السيدة خديجة أم المؤمنين[٣]. أو تكون من الخشب[٤]. وقد ورد ذكر لهذه الرفوف في بيوت مكة والمدينة منذ العصر الجاهلي واستمر استخدامها إلى ما بعد زمن الدراسة فقد جاء في جمهرة اللغة[٥]: "الرف المستعمل في البيوت: عربي معروف". وقد يطلق عليها أيضًا اسم سهوة[٦].

قد يحتوي البيت على دكة للجلوس أو النوم عليها تسمى دُكانًا، ويفرش عليها بساط أو نحو ذلك[٧]، كما أظهرت بعض الحفريات في موقع الربذة أن لبعض البيوت في الدار دكاكاً للجلوس عليها، وعلى جدران هذه الدّكاك وحوافّها رسوم جدارية[٨].

ينقسم البيت إلى عدة أقسام مثل:

المَخْدَع أو الكُنَّة[٩]:

ومن المرجح أنه كان في مؤخرة البيت، ويكون عن طريق بناء جدار قصير

---

(١) الأزرقي، ٢/٢٠٠.

(٢) البخاري، صحيح، ٧/١٧٩. ابن حجر، فتح، ١١/٢٧٤، ٢٨٠.

(٣) الأزرقي، ٢/٢٠٠.

(٤) ابن منظور، ١/١٢٠٠. ابن حجر، فتح، ١١/٢٨٠.

(٥) ابن دريد، ١/١٢٤.

(٦) ابن الأثير الجزري، النهاية، ٢/٤٣٠.

(٧) ابن سعد، ٨/٢٤. ابن منظور، ٣/٧٤٩.

(٨) سعد الراشد، الربذة، ص٥٠.

(٩) ابن دريد، الاشتقاق، ١/٢٨. ابن دريد، جمهرة، ١/١٦٧. ابن منظور، ٣/٣٠٥.

بين جداري البيت لا يصل إلى السقف ويطلق عليه اسم العرش، ويمد سقف من طرف العرش إلى داخل البيت يسمى جائزًا[1]، وبذلك يتشكل بيت صغير داخل البيت الكبير[2]. ويستخدم المخدع خزانة تحفظ فيها الأسرة متاعها. قال ذو الرمة:

فَلَمَّا رَآنَا أهلُ مَـرْأَةَ أَغْلَقُوا ... مَخَادعَ لم تُرفَع لخير ظِلالُها[3]

وقد تبنى الخزانة في ركن البيت كما هو الحال في بيوت الربذة[4].

- **السَّهْوَة أو الصُفَّة** [5]:

وقد اختلف في وضعها فقيل هي بيت صغير منحدر من الأرض قليلاً، وقيل هي تكون بين يدي البيت[6]. والمرجح أنها تتشكل بعد بناء المخدع إلا أنها تمثل القسم الأكبر من البيت[7]، ومن الجدير بالذكر هنا أن قبر الرسول ﷺ وقبري صاحبيه رضي الله عنهما كانت في سهوة بيت عائشة أم المؤمنين[8].

- **الحُجْرة:**

وتعد من المرافق الملحقة بالبيت وليست البيت نفسه كما يرى أحد الباحثين[9].

---

(١) ابن منظور، ١/٧٩٩، ٢/٢٣١.

(٢) ابن الأثير الجزري، النهاية، ٢/١٤، ١٤١. ابن منظور، ١/٧٩٩.

(٣) الجمحي، ٢/٥٥٦.

(٤) سعد الراشد، الربذة، ص٥٠.

(٥) ابن النجار، ص٣٩١. ابن منظور، ٢/٢٣١. ابن حجر، فتح، ٤/٤٨٩.

(٦) ابن الأثير الجزري، النهاية، ٢/٤٣٠.

(٧) ابن منظور، ١/٧٩٩.

(٨) ابن سعد، ٣/٣٦٤. ابن النجار، ٢/٣٩١.

(٩) عبدالعزيز إبراهيم العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ (ط١، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، الدوحة ١٩٨٥م) ص١٧٠.

ومن ذلك حجرات بيوت رسول الله ﷺ، فقد ورد في الطبقات[(١)]: "رأيت بيوت أزواج النبي ﷺ حين هدمها عمر بن عبدالعزيز كانت بيوتًا باللبن ولها حُجر من جريد مطرور بالطين عددت تسعة أبيات بحجرها". وفي رواية أخرى: "كانت منها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد، وكانت خمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر لها"[(٢)].

تطور بناء الحجرة فبعد أن كانت تبنى من الجريد والشعر[(٣)] استخدم اللَّبِن في بنائها، وأول من حَجَّر حجرة بلبن أم المؤمنين أم سلمة، فلما سألها الرسول ﷺ عن السبب في ذلك قالت: "أردت يا رسول الله أن أكف أبصار الناس"[(٤)].

تتميز الحجرات بأنها غير مسقوفة فقد كان الناس يرون الرسول ﷺ وهو يصلي في حجرته لكون جدار الحجرة قصيرًا[(٥)]. ومن المرجح أن هذه الحجرات ليس لها أبواب بل يسدل على مدخلها ستر فقط[(٦)].

---

(١) ابن سعد، ٤٩٩/١، ٨/١٦٧- ١٦٨. وانظر أيضًا: البخاري، صحيح، ٤١/٤. ابن النجار، ٣٥٨/٢- ٣٥٩.

(٢) ابن سعد، ١/٥٠٠، ٨/١٦٧- ١٦٨. ابن الضياء المكي، محمد بن محمد، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق عادل عبدالحميد العدوي (ط١، المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ص١٦٦.

(٣) ابن سعد، ١٨٦/٣. ابن النجار، ٢/ ٣٥٨.

(٤) ابن سعد، ٤٩٩/١. وانظر أيضًا: ابن النجار، ٣٥٩/٢.

(٥) البخاري، صحيح ١٧٨/١.

(٦) ابن سعد، ٢١٦/٢، ٢١٧. البخاري ، صحيح، ١٦٥/١، ٦/١٤٠- ١٤١. الطبراني، الكبير، ٦٧/١٩.

مما لا شك فيه أن هذه الحجرات لكونها غير مسقوفة استغلتها الأسرة للجلوس والتبرد فيها أو لتناول الطعام وخاصة وجبة العشاء[1]، أو للنوم، وقد يستخدمها بعضهم مربطًا لدوابه.

لا يقتصر وجود الحجرات على البيوت التي تبنى مستقلة وإنما تكون أيضًا ملحقة في بيوت الدار، يدلنا على ذلك رواية أوردها ابن سعد[2] عن امرأة من الأنصار وزوجها دَعَوَا رسول الله ﷺ إلى طعام، قال: "فجاؤوا حتى ملؤوا البيت وملؤوا الحجرة وكانوا في الدار وجيء بمثل الكف فوضعت... فجعل الرجل يقوم والآخر يقعد حتى ما بقي من أهل البيت أحد إلا شبع ثم قال: ادع لي أهل الحجرة، فجعل يقعد قاعد ويقوم قائم حتى شبعوا، ثم قال: ادع لي أهل الدار فصنعوا مثل ذلك....". كذلك قول الرسول ﷺ : "صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في حجرتها أفضل من صلاتها في دارها..." [3].

- المُصَلَّيات في البيوت:

تحرص الأسر الساكنة في البيوت على تحديد موضع في البيت يكون مصلى لهم يطلقون عليه اسم مسجد، وقد بدأ اتخاذ ذلك منذ عصر الرسول ﷺ فقد جاء زيد بن حارثة لزينب بنت جحش وقال لها: "يا زينب أبشري، إن رسول الله يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أُؤَمِّرَ ربي. فقامت إلى

---

(١) البخاري، صحيح، ٦/١٥٩- ١٦٠. الطبراني، الكبير، ٢٤/٤٦. ابن حجر، فتح، ٩/٣٣٧.

(٢) ١/٧٧١.

(٣) الطبراني، الكبير، ٩/٣٤١، ٢٥/١٤٨، وانظر أيضًا: ابن عبدالبر، ٤/٤٤٦. ابن حجر، الإصابة، ٤/٤٤٥.

مسجدها ..."[١]. وقد تكون بداية اتخاذ المصليات في البيوت مرتبطة بعمار بن ياسر، فقد ذكر البلاذري[٢]: "أول من اتخذ مسجدًا في بيته يصلي فيه عمار".

يتبارك سكان البيوت بالرسول ﷺ فيتخذون مصلياتهم في الأماكن التي كان الرسول ﷺ قد جلس فيها في أثناء زيارته لهم، حتى إن سهل بن سعد اتخذ مصلاه في وسط بيته لكون الرسول ﷺ كان جالسًا فيه عند زيارته له[٣]. أو قد يطلبون منه ﷺ أن يصلي في ناحية من البيت ليتخذوه مصلى لهم[٤].

- الغرف أو العلالي:

اصطُلح على تسمية كل بيت يبنى في السطح باسم غُرْفَة[٥]. ويسميها أهل مكة علِّيَة[٦]، وورد ذكرها أيضًا باسم مَشْربة[٧]. ويصعد إلى هذه الغرفة عن طريق درج أو سلم أو نَقِير يصنع من "جذع ينقر ويجعل فيه شبه المراقي"[٨].

(١) ابن سعد، ١٠٤/٨. وانظر روايات أخرى: البلاذري، أنساب،١٦٢/١. ابن عبدالبر، ٣١٦/٤. ابن حجر، الإصابة، ٢٦٥/٤، ٤٢٤.

(٢) أنساب، ١٦٢/١.

(٣) ابن أبي شيبة، مسند، ٣٢/١. ابن حجر، الإصابة، ٤٢٤/٤.

(٤) مالك، ١٤٣/١.

(٥) الجاحظ، البيان، ١٧/١. ابن منظور، ٢٨٨/٢. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٢٩. وقد وردت كلمة غرفة في سورة الفرقان، آية (٧٥) وسورة الزمر، آية (٢٠) وسورة العنكبوت، آية (٥٨)، وسورة سبأ، آية (٣٧). وانظر تفسير الفخر الرازي لهذه الكلمة في: ١١٥/٢٤.

(٦) الجاحظ، البيان، ١٧/١. ابن دريد، الاشتقاق، ٥٥/١. ابن عبدربه، ١٤/٦. الأصفهاني، الأغاني، ٦٤/١٨- ٦٥. أبو الشيخ الأصبهاني، ص١٦٢. ابن عساكر، تاريخ -السيرة، ١١/١.

(٧) ابن سعد، ١٨٨/٨- ١٨٩. ابن حبيب، أسماء، ٢٠١/٢. البخاري، صحيح، ١٠٠/١. الأصفهاني، الأغاني، ٨٥/٥. ابن حجر، فتح، ٢٩٢/٩.

(٨) البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٩٨- ٩٩. وانظر أيضًا: ابن منظور، ٧٠١/٣.

ومن المرجح أنه درج غير ثابت، قال البلاذري[1]: "وكانت عائشة بنت طلحة سيئة الخلق فاعتزلت عمر بن عبيدالله بن معمر غضبى عليه، وجلست في غرفة لها ورفعت السلم".

تتعدد الغرف في الدار حسب سعتها وكثرة البيوت فيها لأن الغرفة تبنى فوق البيت وتشترك معه في خشب السقف الذي يمثل أرضية الغرفة[2]. وقد كانت بعض الغرف تطل على السطح، لذلك فمدخلها عن طريقه، أما الغرف التي لا تطل عليه فيبدو أن لها درجها الخاص بها دون المرور على السطح[3].

ينتفع سكان الغرف بسطح الدار بالإضافة إلى ساحته حيث يشاركون سكان بيوت الدار في ذلك[4]. ولعل لسكان البيوت الحق أيضًا في الانتفاع بالسطح.

تستخدم الغرف بالإضافة إلى السكنى مخزنًا للمواد الغذائية كالتمر[5] والدقيق[6] والشعير[7]، أو لخزن الأسلحة[8]، أو لخزن أثاث البيت والأمتعة[9].

(١) البلاذري، أنساب (الشيخان) ص٩٨- ٩٩.

(٢) سحنون، ٥١٧/٤، ٥٢٢/٥. الطبراني، الكبير، ١٤١/٤، ١٤٩. ابن عبدالبر، ٤٠٤/١. ابن قدامة، الاستبصار، ص ٦٩- ٧٠. ابن حجر، الإصابة، ٤٠٥/١.

(٣) سحنون، ٥٢٢/٥. البخاري، صحيح، ١٠٣/٣. الفاسي، العقد، ١٥/٧- ١٨. ابن حجر، فتح، ١١٤/٥، ١١٦.

(٤) سحنون، ٥٢٢/٥.

(٥) ابن أبي شيبة، مسند، ٣٣٧/٢. الطبراني، الكبير، ٣٦٣/١٩- ٣٦٤.

(٦) البلاذري، أنساب، ٢٧٨/١. الطبراني، الكبير، ١٠/١٩. ابن الأثير، أسد، ٥١٧/٤.

(٧) ابن حجر، فتح، ٢٨٨/٩.

(٨) البلاذري، أنساب، ٢٧٨/١.

(٩) ابن حجر، فتح، ٢٩٢/٩.

ومن المرجح أن الغرفة إذا استخدمت مسكنًا غلب عليها اسم غرفة أو علية، وإذا استخدمت مخزنًا غلب عليها اسم مشربة.

يتبادر إلى الأذهان تساؤل حول شكل الغرفة المعماري هل هو مشابه لشكل البيت من حيث تقسيماته الداخلية واحتواؤه على حجرة؟

لم ترد نصوص واضحة تُمكِّن من الإجابة عن هذا التساؤل بشكل دقيق، إنما يبدو أن الوضع المعماري للغرفة مشابه للبيت من حيث وجود المخدع والسهوة والحجرة لتشابه الشكلين في الحجم، فكلتاهما يقصد به ما هو متعارف عليه حاليًا باسم: غرفة، أو حجرة، وكلتاهما تستخدم للسكن إلا أن الفرق بينهما أن الغرفة تعلو البيت. الشيء الوحيد الذي تحدثت عنه المصادر هو وجود نوافذ في الغرف تسمى كوى كما هو الحال في البيوت[1].

- **المنـــازل:**

ورد ذكرها منذ العصر الجاهلي. ووضع المنزل شبيه بوضع البيت فقد يبنى مستقلاً وقد يكون قسمًا من أقسام الدار فقد جاء في الطبقات[2]: "قدم وفد قومي[3] ... فأنزلتهم في منزلي ... ثم انتهينا إلى رسول الله ﷺ وهو جالس مع أصحابه في بيته ... ثم رجعت بهم إلى منزلي". وعن علي بن الحسين أنه قال: "قدمت منزلي في دار علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحفرنا في ناحية منه...." [4]. وقال عبدالله بن خالد بن أسيد لابنه: "ابن لي

(١) سحنون، ٥٢٩/٥. ابن منظور، ٣١٩/٣.

(٢) ابن سعد، ٣٣٠/١.

(٣) الحديث للمقداد بن عمرو.

(٤) ابن عبدالبر، ٣٠٦/٤. وانظر أيضًا: ابن عساكر، تاريخ - تراجم، ص٩٣.

دارًا بمكة واتخذ فيها منزلاً لنفسك، ففعل فدخل عبدالله الدار فإذا فيها منزل قد أجاده وحسَّنه بالحجارة المنقوشة فقال: لمن هذا المنزل؟ قال: المنزل الذي أعطيتني..." [1].

يختلف شكل المنزل عن البيت، يدلنا على ذلك قول رافع مولى سعد[2]: "إنه عرض منزلاً على جار له أو بيتًا"[3]. ويبدو أن الاختلاف بينهما كبير وهذا يجعل المنزل أكثر شبهًا بالدار من حيث تعدد البيوت والغرف والمرافق الملحقة به، إلا أنه من غير صحن.

يتكون المنزل من طابق واحد أو طابقين، وقد يلحق بالطابق السفلي منه حجرة، ومن الممكن أن تسكنه أسرتان، فكل طابق فيه يتميز بوجود مرافق خاصة به مثل الكَنِيف[4] والمغتسل، والمطبخ، والمدخل. ومما يدعم هذا القول ما جاء في المدونة[5]: "سمعت مالكاً يقول: وإن كان في بيت واحد رفيقان فحلف أن لا يساكنه فانتقل عنه إلى منزل في الدار يكون مدخله ومخرجه ومرافقه في حوائجه ومنافعه على حدة...". كما جاء فيها أيضًا: "سأله رجل عن امرأة له وأخت له كانتا ساكنتين في منزل واحد وحجرة واحدة فوقع بينهما ما يقع بين النساء من الشر فحلف الرجل بطلاق امرأته ألا تساكن إحداهما

(١) الميداني، ٢/٤١٨.

(٢) رافع مولى سعد بن أبي وقاص، سكن المدينة، ابن الأثير، أسد، ٢/١٩٢.

(٣) ابن الأثير، أسد، ٢/١٩٢.

(٤) "كل شيء سترك فقد كنفك، ومنه اشتقاق الكنيف لأنه يكنف من دخله أي يستره". ابن دريد، جمهرة، ٢/٩٦٩.

(٥) سحنون، ٢/١٣١.

صاحبتها فتكارى منزلاً سفلاً وعلوًا، وكل منزل منهما مرفقه على حدة، ومرحاضه ومغسله ومطبخه ومدخله ومخرجه على حدة"[١].

من النصوص السابقة يتضح أن المنزل له مرافقه الخاصة به حتى إذا كان جزءًا من الدار، ولم أجد ما يدل على وجود مرافق خاصة بالبيت في الدار. وعلى ذلك نستنتج أن سكان البيوت في الدار الواحدة لهم مرافق ومنافع مشتركة. وسكان المنازل لهم مرافق ومنافع خاصة.

يحتوي المنزل أيضًا على فناء فقد جاء في الطبقات[٢]: "رأيت واثلة بن الأسقع يتغدى أو يتعشى بفناء منزله...". وقالت إحداهن لزوجها: "ما رأيت كأصدقائك ما كنت موسرًا في منزلك وبفنائك، فإن التوى عليك الزمان اجتنبوك"[٣].

- **المقاصير:**

من المرجح أن المقاصير هي الجهات المقابلة لصحن الدار فكل ناحية تسمى مقصورة، وهي بذلك تحتوي على عدد من البيوت، ومن المرجح أيضًا أن المقاصير لا تكون إلا في الدُّور الكبيرة أو القصور. قال ابن منظور[٤] في تعريفه للمقصورة: "إذا كانت دارًا واسعة محصنة الحيطان فكل ناحية منها على حيالها مقصورة". ولعل المقصورة والمنزل شيء واحد فقد جاء في المدونة[٥]:

---

(١) سحنون ، ٢/١٣١.

(٢) ابن سعد، ٨/٤٠٨.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص٣٨٢.

(٤) ابن منظور، ٣/٩٩.

(٥) سحنون، ٢/١٣١.

"أرأيت الرجل يحلف ألا يساكن فلانًا فسكنا في دار فيها مقاصير فسكن هذا في مقصورة وهذا في مقصورة أخرى أيحنث أم لا؟ (قال) إن كانا في دار واحدة وكل واحد منهما في منزله والدار تجمعهما فأراه حانثًا". ولعله يطلق عليها مقصورة إن كانت في دار واسعة أو قصر، ويطلق عليه منزلاً إن كانت في دار صغيرة أو بنيت منفردة أو لعلهما كلمتان مترادفتان.

٥ - الفنـاء:

وهو المكان المتسع أمام الدار متوسط بين الدار والطريق(١)، ويطلق عليه أسماء عدة مثل عَرْصَة(٢)، وسَاحَة(٣)، وعَذِرة(٤).

تستفيد الأسر من أفنية الدُّور التي يسكنونها فقد يبنى فيها مسجد(٥)، وقد بدأ بناء المساجد في أفنية الدور قبل الهجرة، واستمر بعدها، ومن ذلك المسجد الذي بناه أبو بكر الصديق في فناء داره بمكة(٦).

من المرجح أن بناء المساجد في أفنية الدور كان بأمر من الرسول ﷺ فقد جاء في الحديث أن الرسول ﷺ أمر ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب(٧).

---

(١) سحنون، ٥/٥٢١. ابن شبة، ١/١٣٤. ابن دريد، جمهرة، ٢/٩٧٣. الأصفهاني، الأغاني، ٢/٢١٦، ٦/٢٤. ابن منظور، ٢/١١٣٨. ابن حجر، فتح، ٥/١١٣.

(٢) عمر بن أبي ربيعة، ص١٥٥، ٢٢٥. ابن دريد، جمهرة، ٢/٧٣٨.

(٣) سحنون، ٥/٥٢١. الأصفهاني، الأغاني، ٤١/٣٢٧، ١٨/١٩١.

(٤) ابن قيس الرقيات، ص٢٠. ابن دريد، الاشتقاق، ١/٢٢٢، ٢/٥٣٩. ابن دريد، جمهرة، ٢/٦٩٢.

(٥) انظر أيضًا رأي عبدالكريم زيدان في أن المراد ببناء المساجد في الدور بناؤها في أجواف الدور وليس في المحلة التي تكون فيها هذه الدور. المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية، ج٣ (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ص ٤٣٧ - ٤٣٨.

(٦) البخاري، صحيح، ١/١٢٢، ٤/٢٥٥. البلاذري، أنساب، ١/٢٠٦.

(٧) ابن ماجه، ١/١٣٧.

وقد استمر بناء المساجد في الدور حتى القرن الثاني الهجري، فقد كان لعبدالله بن عون[١] مسجد في داره يصلي فيه الصلوات الخمس ويصلي معه من يسكن الدار معه ومن يزوره من إخوانه وأولاده[٢].

٦ - **الصحن:**

وهو باحة غير مسقوفة تقع في وسط الدار[٣]، وينتفع بها السكان في الدخول والخروج كما يستخدمونها مربطًا لدوابهم[٤] ويضعون فيها حطبهم وعلفهم. كما تبنى فيها مرافق الدار مثل: المغتسل والكنيف والمطبخ ومستودعات أرضية مسقوفة لحفظ المياه[٥].

٧ - **مرافق ملحقة بالمسكن:**

- الكنيف أو المرحاض[٦]: لم يكن من المتعارف عليه في العصر الجاهلي وبداية العصر الإسلامي بناء مراحيض داخل المساكن أو بالقرب منها، وكانوا يأنفون من ذلك ويستغنون عنها بالخروج إلى الخلاء أو الحُشوش[٧]. ومن أماكن قضاء الحاجة في المدينة المناصع[٨]، أما مكة فقد كانوا يقضون

---

(١) عبدالله بن عون بن أرطبان. مولى عبدالله بن درة بن سراق المزني، توفي سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م. ابن سعد، ٧/٢٦١، ٢٦٨.

(٢) ابن سعد، ٧/٢٦٣، ٢٦٨.

(٣) ابن الأثير الجزري، النهاية، ١/١٦١. ابن منظور، ٢/٤٣١.

(٤) سحنون، ٤/٥١٦. الطبراني، الكبير، ١/٢٠٧- ٢٠٨. ابن الأثير، أسد، ١/٩٢. الفاسي، العقد، ٥/١٥٧.

(٥) سحنون، ٥/٥٢١، ٥٢٢. سعد الراشد، الربذة، ص٥٠.

(٦) ابن منظور، ١/١١٤٠.

(٧) الحشوش: جمع حُش وهو البستان. ابن الأثير الجزري، النهاية، ١/٣٩٠.

(٨) البخاري، صحيح، ٣/١٥٥. النسائي، ص٥١. الطبراني، الكبير، ٢٣/٥٢. الفيروزآبادي، المغانم، ص٣٩٢- ٣٩٣.

حاجتهم في الشِّعاب وبطون الأودية وسفوح الجبال[١]. وفيما كان الرجال يخرجون في كل وقت، كن النساء لا يخرجن إلا ليلاً[٢]. ويبدو أن للنساء أماكن خاصة لهن لا يرتادها الرجال[٣]. أما الوضوء فقد كن يتوضأن في مريد كان بالقرب من بيوتهن[٤]. وقد لا يحملون ماءً عند الخروج إلى الخلاء بل يعمدون إلى الاستجمار حتى يعودوا إلى بيوتهم فيستنجوا في المرفق فقد ورد أن رسول الله ﷺ كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فإذا قيل له: إن الماء منك قريب يقول: "وما أدري لعلي لا أبلغه"[٥].

ومن المرجح أن الخروج إلى الخلاء كان قصرًا على سكان البيوت أما سكان الدور فقد كانوا يستخدمون أفنية دورهم لقضاء حوائجهم[٦]. قال ابن دريد[٧]: "العَذِرَة : عذرة الدار أي ساحتها وفناؤها، وإنما سميت العذرة التي يعرفها الناس كناية لأنهم يلقون ذلك بأفنيتهم".

من البديهي أن يتبادر إلى الأذهان تساؤل حول بداية استخدام الكُنُف في المساكن، إلا أنه من الصعوبة تحديد إجابة قاطعة حول هذا الموضوع، ولعله لم يكن قبل سنة ٦هـ/ ٦٢٧م يدلنا على ذلك قول عائشة أم المؤمنين في أثناء روايتها لحادثة الإفك: "فخرجت أنا وأم مسطح قِبَل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب

(١) ابن قتيبة، عيون، ٢٢١/١. البلاذري، أنساب، ٢١٠/١٠. الفاكهي، ٧٨/٣، ١٢٢، ٢٣٣، ١٩٢/٤.
(٢) البخاري، صحيح، ١٥٥/٣. النسائي، ص٥١. الطبراني، الكبير، ٥٢/٢٣.
(٣) ابن منظور، ٦٤٩/٣.
(٤) السمهودي، وفاء، ٧١٨/٢.
(٥) ابن سعد، ٣٨٣/١.
(٦) الخطابي، ٤٤١/١.
(٧) ابن دريد، جمهرة، ٦٩٢/٢.

الأول في البرية أو في التنزه"[١]. كما وردت أيضًا روايات أخرى تدل على أن الكنف كانت معروفة في عصر الرسول ﷺ، منها قول الرسول ﷺ: "ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكنيف أن يقول : بسم الله"[٢]، وعن ابن عمر أنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ في كنيفه مستقبل القبلة". قال الشعبي: "صدق ابن عمر... في الصحراء لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، وأما قول ابن عمر فإن الكنيف ليس فيه قبلة استقبل فيه حيث شئت"[٣]. كما أورد البخاري في صحيحه[٤] بابًا سماه: "باب التبرز في البيوت". جاء فيه عن ابن عمر أنه قال: "ارتقيت فوق ظهر بيت حفصة لبعض حاجتي فرأيت رسول الله ﷺ يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام". وفي الحديث أيضًا: أن الرسول ﷺ كان إذا دخل الكنيف قال: "اللهم إني أعوذ بك من الخُبث والخبائث"[٥].

يبدو أن الكنيف كان يحتوي على لبنتين ليُجلس عليهما فقد ورد أن ابن عمر قال: "يقول أناس إذا قعدت للغائط فلا تستقبل القبلة. ولقد ظهرت ذات يوم من الأيام على ظهر بيتنا فرأيت رسول الله ﷺ قاعدًا على لبنتين مستقبلاً بيت المقدس"[٦]. ومن المُسلَّم به أيضًا أن الكنف تحتوي على وعاء ماء للتطهر به[٧]. أو قد يكون الكنيف بئرًا محاطًا بالجُدُر[٨].

---

(١) البخاري، صحيح، ١٥٥/٣. وانظر أيضًا: النسائي، ص٥١. الطبراني، الكبير، ٥٢/٢٣. الطبري، السمط، ص٧٥.

(٢) ابن ماجه، ٦٠/١.

(٣) السابق، ٦٤/١.

(٤) البخاري، صحيح، ٤٦/١.

(٥) مسلم، ٢٨٣/١.

(٦) ابن ماجه، ٦٤/١.

(٧) مسلم، ٤٦/١.

(٨) الخطابي، ٥٧٦/٢.

أُطلق على الكنيف أيضًا اسم الخلاء[1]، ومن المرجح أن ذلك كان في بداية استخدامهم له اعتمادًا على عادتهم السابقة في الخروج إلى الخلاء لقضاء الحاجة، ثم أصبحوا فيما بعد يطلقون عليه اسم كنيف، فعن أنس بن مالك أنه قال: "إن رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء وضع خاتمه"[2]. وعنه أيضًا: "كان النبي ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني"[3].

كانت الكنف تبنى إما في داخل المسكن أو قريبًا منه اعتمادًا على نوعية مسكن الأسرة، فإذا كانت تسكن في دار فالكنيف يكون في ساحة الدار "الصحن"، فمن المتعارف عليه أن مرافق الدار تبنى فيها[4]، ويزيد الموضوع وضوحًا ما جاء في حديث الإفك عن عائشة أم المؤمنين: "وكان متبرز النساء في المدينة قبل أن تسوى الكنف في الدور"[5]. أما إذا كانت الأسرة تسكن في بيت منفرد وليس في دار فالكنيف يبنى بالقرب منه، والرواية السابقة عن عائشة أم المؤمنين تدلنا على ذلك وفيها: "..... وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا"[6]. كما رُوِي عنها أيضًا أنها قالت: "وكنا نتأذى بالكنف أن

(١) ابن حجر، فتح، ١/٢٥٢.

(٢) ابن ماجه، ١/٦١.

(٣) السابق، ١/٦١.

(٤) أوردت إحدى الدراسات أن بعض الدُّور كانت تحتوي على عدد من الحمامات عادة تكون في مكان واحد ويسمى الجزء الذي فيه الحمامات من الدار الجنبة. ابتسام السويلم، ص١٥١. إلا أن ما اعتمدت عليه هذه الدراسة ليس له علاقة بالحمامات، وبالعودة للنص في مصدره وجدناه يتعلق بحَمَام الحرم جاء فيه "دخلت على يوسف بن محمد بن إبراهيم بمكة، أعوده في مرضه الذي مات فيه، وفي منزله جنبة فيها حَمَامات مقررة بيض". الأزرقي، ٢/١٤١.

(٥) ابن منظور، ٣/٦٤٩.

(٦) البخاري، صحيح، ٣/١٥٥. وانظر أيضًا: النسائي، ص٥١.

نتخذها عند بيوتنا"[١]. وربما كان مكانه خلف البيت زيادة في التستر. أما سكان الغرف فيستخدمون كنيفًا يسمى كِرْباسًا يبنى في السطح ويتصل بالأرض عن طريق قناة[٢].

لا شك أن اتخاذ الكنف يوجب الاهتمام بنظافتها عن طريق كنسها[٣]، ويبدو أن هناك أشخاصًا معينين يمتهنون مهنة كنس المراحيض، وقد يطلق على صاحبها اسم كَنَّاس[٤].

ومن الجدير بالذكر أن الدار قد تحتوي على عدد من الكنف خاصة إذا كانت تحتوي على منازل لأن المنازل - وكما سبق أن ذُكر - لها مرافقها الخاصة بها.

- **المغتسل أو المستحم**: وهو موضع الاستحمام في المسكن[٥]، وقد ورد له ذكر في المساكن منذ عصر الرسول ﷺ [٦] حتى القرن الثاني الهجري[٧]. ولعله بذلك موجود منذ العصر الجاهلي.

يبنى المغتسل عادة في ساحة الدار كغيره من المرافق[٨]. أما البيوت المنفردة فليس واضحًا مكان وجود المغتسل، ولكن يبدو أنه داخل البيت، ولكن

---

(١) الطبراني، الكبير، ٥٢/٢٣.

(٢) ابن منظور، ٢٤٣/٣.

(٣) سحنون، ٥٠٩/٤، ٥٢١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٤٠١/١.

(٥) ابن الأثير الجزري، جامع، ١١٨/٧. ابن منظور، ٧٢٧/١.

(٦) ابن ماجه، ٦١/١.

(٧) ابن سعد، ١٨٩/٥. ابن سعد (القسم المتمم) ص٣١٩. الأصفهاني، الأغاني، ٣٧٩/١٥.

(٨) سحنون، ١٣١/٣.

يبقى تساؤل: هل هو بناء يبنى أم ساتر يوضع فقط؟ من المرجح أنه عبارة عن حفرة[١] يوضع عليها ساتر في إحدى نواحي البيت، وقد وردت عدة روايات تشير إلى صحة هذا الترجيح، فعن ابن عباس قال: "قالت ميمونة: وضعت للنبي ﷺ غسلاً فسترته بثوب..." [٢]. فلو كان في البيت بناء خاص للاغتسال لما سترت الرسول عليه الصلاة والسلام. كما أن الرسول ﷺ قال: "إن الله عز وجل ستير فإذا أراد أحدكم أن يغتسل فليتوار بشيء"[٣]. وقال أبو السمح خادم رسول الله ﷺ : "كان إذا أراد أن يغتسل قال: ولني. فأوليه قفاي، فأستره به"[٤].

إن وجود الكنف والمغتسلات داخل المساكن يثير تساؤلاً مهمًا، هل لهذه المرافق قنوات لتصريف الفضلات؟

لم يكن للمغتسل في البداية تصريف، فهو عبارة عن حفيرة في أرضية المسكن مما يجعل التراب هو المصرف الوحيد له، لذلك نهى الرسول ﷺ عن التبول فيه. قال ﷺ: "لا يبولن أحدكم في مستحمه فإن عامة الوسواس منه"[٥]. ولكن فيما بعد تطورت أساليب العمارة فأصبحت أرضية المغتسل تبنى بالجِصّ[٦] والصاروج[٧] والقِير[٨]، مما يعني أن وجود تصريف فيه

---

(١) ابن ماجه، ٦١/١.

(٢) البخاري، صحيح، ٧١/١، ٧٣.

(٣) ابن الأثير الجزري، جامع، ٣٠١/٧.

(٤) ابن الأثير الجزري، جامع، ٣٠١/٧. وانظر أيضًا: ابن الأثير، أسد، ١٥٦/٦.

(٥) ابن ماجه، ٦١/١. ابن الأثير الجزري، جامع، ١١٨/٧.

(٦) "الجص معروف الذي يُطلى به...". ابن منظور، ٤٦٣/١.

(٧) "الصاروج النُّورة.... تطلى بها الحياض والحمامات"، ابن منظور، ٤٢٥/٢.

(٨) القير: "شيء أسود تطلى به الإبل والسفن يمنع الماء أن يدخل". ابن منظور ٢٠٠/٣.

يبدو أمرًا بديهيًا. يقول علي بن محمد الطنافسي[١] معلقًا على الحديث السابق ذكره عن الرسول ﷺ : "إنما هذا في الحفيرة فأما اليوم فمغتسلاتهم الجص والصاروج والقير فإذا بال وأرسل عليه الماء فلا بأس به"[٢]. كما عثر في حفريات الربذة على مراحيض ومغتسلات مزودة بقنوات لتصريف الفضلات[٣]، وعثر في ميناء الجار[٤] على أنظمة لتصريف المياه المستعملة[٥]. ومن الوسائل المستخدمة لتصريف المياه وضع الميزاب وحفر بالوعة في صحن الدار.

- **الميزاب:** وقد يكون مصبُّه في الطريق أو في الدار نفسها فقد كان للعباس ابن عبدالمطلب ميزاب مصبه في الطريق[٦]، وكان لسعيد بن العاص ميزاب مصبه في الطريق ثم حوَّله إلى داره[٧]. أما محمد بن مسلم[٨] فقد كان لمنزله ميزاب مصبه في الدار التي يسكنها مما أضر بسكانه فطلبوا منه أن يُحوِّله إلى موضع آخر[٩]. وعلى ذلك يبدو أن لكل منزل في الدار ميزابًا خاصًا به لتصريف المياه، ومما يُرجِّح هذا قول محمد بن مسلم: "سمعت أهل

---

(١) علي بن محمد الطنافسي من كبار مشايخ ابن ماجه، توفي سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م. ابن ماجه، ٣١/١.

(٢) ابن ماجه، ٦١/١.

(٣) سعد الراشد، الربذة، ص٥٦.

(٤) الجار: هو ساحل المدينة، ترفأ إليه السفن، كان قرية آهلة بالسكان وكثير القصور. عرام بن الإصبغ السلمي، أسماء جبال مكة وسكانها، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون، ج٢ (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص ٤٢٨. البكري، ٣٥٥/٢.

(٥) علي إبراهيم غبان، شمال غرب المملكة العربية السعودية "الكتاب الثاني" الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة (ط١، مطبعة سفير، الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ص٢١.

(٦) ابن سعد، ٢٠/٤.

(٧) البلاذري، أنساب، ج٤، ١٣٢/٢.

(٨) محمد بن مسلم بن جماز. مولى لبني تيم بن مرة، مات سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م. ابن سعد، ٤١٩/٥.

(٩) ابن سعد، ٤١٩/٥.

الدار يشتكون من ميزاب لنا على طريقهم في الدار وأدركت آبائي في هذا المنزل وهذا الميزاب في موضعه"[1]. فإن كانت أسرة واحدة تسكن أحد منازل الدار لها ميزاب فلا شك أنه موجود في بقية منازل الدار. أما بيوت الدار وغرفه فالراجح أنها لا تحتوي على ميازيب نظرًا لاستخدامها المرافق الموجودة في صحن الدار، بخلاف المنازل التي لها مرافق خاصة بها. أما البيوت المنفردة فيبدو أنها لا تخلو من ميازيب لوجود المغتسلات في داخلها.

- **البالوعة:** وهي عبارة عن بئر فوهتها ضيقة تُحفر في صحن الدار، الهدف من وجودها جريان ماء المطر فيها[2].

- **الخزانة:** وهي اسم للموضع الذي تخزن فيه الأشياء[3]. ومن المرجح أن المساكن كانت تحتوي على نوعين من الخزائن واحدة لمتاع البيت وأخرى لحفظ الأطعمة[4]. النوع الأول موقعه في المخدع، وقد سبق الحديث عنها في أقسام البيت، أما النوع الثاني فمن المرجح أن الأسرة كانت تفضل وضعه في أعلى المسكن فغالبًا ما يحتوي أعلى البيت على غرفة أو مشربة تجعل فيها خزانة لحفظ المواد الغذائية فيها. ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: "أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فتكسر خزائنه فينقل طعامه؟"[5]. وجاء في المعجم الكبير[6]: "قلت للحسن بن علي رضي الله عنه: ما تعقل عن رسول

---

(١) ابن سعد، ٥/٤١٩.

(٢) ابن منظور، ١/٢٥٧. الزبيدي، ٢٠/٣٥٧.

(٣) ابن منظور، ١/٨٢٨.

(٤) ثعلب، ١/١٦٧.

(٥) البخاري، صحيح، ٣/٩٥.

(٦) الطبراني، ٣/٨٧.

الله ﷺ؟ قال: صعدت معه غرفة الصدقة فأخذت تمرة". وورد في فتح الباري[1] حديث لعمر بن الخطاب جاء فيه أنه قال لابنته حفصة: "أين رسول الله ﷺ؟ فقالت: هو في خزانته في المشربة". وفيه أيضًا: "فنظرت في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظ[2] في ناحية الغرفة"[3]. أما الدور فقد تكون الخزانة في ساحتها، أو داخل البيوت، فقد عثر خلال التنقيبات في موقع الربذة على مستودعات صغيرة في ساحة الدار يعتقد أنها مخصصة لحفظ الحبوب، كما عثر في أركان البيوت على خزائن صغيرة يرجح أنها خاصة بحفظ الأمتعة أو الحبوب أو غيرها[4].

- المَطْبَخ : عرّفه ابن دريد[5] بأنه "الموضع الذي يطبخ فيه". ومما لا شك فيه أن المطابخ لا تكون إلا في الدور لأنها تقام في صحنه[6]، أما البيوت فلكونها مسقوفة فإنه يتعذر إقامة مطبخ فيها لذلك فهم يستخدمون مكانًا آخر خارج البيت، فقد ورد أن عائشة وحفصة كانتا جالستين، فأقبلت عليهما سودة فقالتا لها: "يا سودة أما شعرت؟ قالت: وما ذلك؟ قالتا: خرج الأعور الدجال، ففزعت وخرجت حتى دخلت خيمة لهم يوقدون فيها"[7]. وهي خيمة من

(١) ابن حجر، ٩/٢٨٦.

(٢) القرظ: قيل هو ورق شجر السَّلم تدبغ به الجلود. ابن منظور، ٣/٦٣.

(٣) ابن حجر، فتح، ٩/٢٨٨. وانظر أيضًا رواية أخرى: البلاذري، أنساب، ١/٢٧٨. الطبراني، الكبير، ٧/٢٧٠، ١٩/١٠، ٢٦٣- ٢٦٤. ابن الأثير، أسد، ٢/١٨٠، ٤/٢٦٣.

(٤) سعد الراشد، الربذة، ص ٤٨- ٥٠.

(٥) ابن دريد، جمهرة، ١/٢٩٢. وانظر أيضًا: الزمخشري، أساس، ص٢٧٥.

(٦) سحنون، ٢/١٣١، ٥/٥٢١، ٥٢٥. سعد الراشد، الربذة، ص ٨٤- ٥٠.

(٧) ابن الأثير، أسد، ٥/٤٤٠. ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٨٦.

سعف[١]، كما أن الرواية التي أوردها الطبراني[٢] ترجح هذا الرأي فقد جاء في المعجم الكبير: "لقد مكثنا وآل رسول الله ﷺ شهرًا وما لنا ولهم إلا تنور واحد نخبز فيه". ومن المرجح أن المطابخ لا يقصد بها بناء معين بل هي عبارة عن حيز مكاني في ساحة الدار يحتوي على أفران أو تنانير للخبز أو الشواء وأثافي للطبخ وأحجار رحى مخصصة لجرش الحبوب[٣] وغير ذلك من الأمور الخاصة بالطبخ.

- **الأبواب:** من البديهي أن المساكن في حاضرة الحجاز تحتوي على أبواب لإضفاء الخصوصية على سكانها إلا أن مكة تفردت بوضع خاص فقد ورد في المصادر أن عمر بن الخطاب نهى أهل مكة عن تبويب دورهم معللاً سبب نهيه ذلك بأن الحاج ينزلون في أفنيتها، ويبدو أن هذا الوضع لم يدم طويلاً فقد ورد أيضًا أن هند بنت سهيل استأذنت عمر بن الخطاب في تبويب دارها لأنها تهدف من ذلك إلى المحافظة على متاع الحاج ودوابهم[٤]، ولعل أهل مكة تبعوها في ذلك. ومن الجدير بالذكر هنا أن هذا المنع على الأرجح كان على الدور فقط لوجود الأفنية، أما البيوت فكانت تبوب.

يحتوي المسكن على باب واحد أو عدد من الأبواب فقد كان بعضهم يُفضِّل عمل بابين لمسكنه يجعل أحدهما للدخول والآخر للخروج، ومن هؤلاء أبو جهل فقد كان لمسكنه بابان، يدخل ضيوفه من باب ويخرجهم من باب آخر[٥]. كما

(١) الطبراني، الكبير، ٢٧٨/٤٢.

(٢) السابق، ١٤٢/٥٢. وانظر أيضًا: سحنون، ٥١٦/٤.

(٣) سعد الراشد، الربذة، ص٤٨، ٥٠.

(٤) الأزرقي، ١٦٤/٢. الفاكهي، ٣٥٠- ٣٥١. ابن حجر، فتح، ٤٥٠/٣.

(٥) حسان بن ثابت، ص٢٦٣.

كان لبيت رسول الله ﷺ بابان فعندما توفي عليه الصلاة والسلام قالوا: "كيف نصلي عليه؟ قالوا: ادخلوا من ذا الباب أرسالاً أرسالاً فصلوا عليه واخرجوا من الباب الآخر"[١]. كما كان لدار عبدالرحمن بن العوام[٢] ثلاثة أبواب[٣]. وهند بنت سهيل عندما استأذنت عمر بن الخطاب في تبويب دارها جعلت له بابين[٤]. ويبدو أن أحد البابين يكون في مقدم البيت والآخر في خلفه أو كل منهما يكون في جهة تختلف عن الأخرى. يدلنا على ذلك أن بعض الدور التي لها بابان كان يطلق عليها ذات الوجهين[٥].

قد يطلق على الباب اسم مصراع، وقد اختلف اللغويون حول تفسير هذا اللفظ، قال ابن دريد[٦]: "ولا يكون الباب مصراعًا حتى يكون اثنين". بينما يرى ابن منظور[٧] أن المصراع هو أحد هذين البابين يقول: "مصراعا الباب: بابان منصوبان ينضمان جميعًا مدخلهما في الوسط من المصراعين". كما قال ابن النجار[٨]: "كان لبيت عائشة مصراع واحد من عرعر أو ساج". وللباب عتبة واحدة[٩]، أو عتبتان، فإن كانت عتبتان يطلق على السفلى أُسكفة والعليا

(١) ابن سعد، ٢٨٩/٢.

(٢) عبدالرحمن بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي. كان اسمه عبدالكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبدالرحمن، استشهد يوم اليرموك سنة ١٣هـ/ ٦٣٤م. الطبري، تاريخ، ٣٩٤/٣. ابن حزم، ص١٢١.

(٣) ابن شبة، ٢٣١/١.

(٤) الأزرقي، ١٦٤/٢. وانظر أيضًا أمثلة أخرى: الفاكهي، ٢٩٦/٣، ٣٠٢، ٣٠٣.

(٥) الفاكهي، ٢٩٦/٣، ٣٠٢، ٣٠٣.

(٦) ابن دريد، جمهرة، ٧٣٨/٢.

(٧) ابن منظور، ٤٣١/٢. وانظر أيضًا: سحنون، ٣٦٥/٥. ابن النجار، ٣٨٧/٢.

(٨) ابن النجار، ٣٥٨/٢. وانظر أيضًا: ابن الضياء المكي، ص١٦٦.

(٩) سحنون، ١٠٩/١.

عتبة، وعلى الخشبة التي فوقها اسم الحاجب[1]. كما يشتمل الباب على خشبتين مثبتتين في جهتي اليمين والشمال يطلق عليهما عضادتين[2]، وتتصلان من فوق بخشبة تسمى عارضة الباب[3]، ومن المرجح أن الخشبة التي يطلق عليها الحاجب والتي تقع فوق عتبة الباب هي الموصلة بين العضادتين من أسفل. وللباب أيضًا رجل تدور في خشبة تسمى نجران[4]، ولا بد أن الباب يدور من أعلى أيضًا في عارضة الباب[5]. ويُعالج صرير الباب عن طريق صب الماء في النجران. يقول الشاعر:

صَبَبْتُ الماءَ في النَّجرانِ صبًا   تَرَكْتُ البابَ ليسَ لَه صَرِيرُ[6]

يغلق الباب عن طريق خشبة تسمى مزلاجًا، وقد سميت بهذا الاسم لسرعة انزلاجها[7]، أو السَّاقِطة كما يسميها أهل المدينة[8] أو باستخدام مفاتيح يطلق عليها اسم مغاليق أو أغاليق، وقد ورد لها ذكر في عصر الرسول ﷺ، فقد جاء في رواية عن مقتل أحد اليهود: "ثم علَّق الأغاليق على ودٍّ، وهي المفاتيح"[9].

(١) البلاذري، أنساب، ١/٤٢٦. ابن دريد، جمهرة، ١/٢٥٥. الطبراني، الكبير، ١٩/٢٦٣، ٢٣/٢٥٣. ابن منظور، ٢/٦٧٤.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٦/١٣٩. الطبراني، الكبير، ٧/٨٤- ٨٥. ابن منظور، ٢/٨٠٤.

(٣) ابن دريد، جمهرة، ٢/٧٤٨. ابن منظور، ٢/٧٤٣.

(٤) ابن دريد، جمهرة، ١/٤٦٧.

(٥) السابق، ٢/٧٤٨.

(٦) ابن منظور، ٣/٥٨٥.

(٧) ابن دريد، جمهرة، ١/٤٧٢.

(٨) الهجري، ٣/١٢٥٤.

(٩) ابن منظور، ٢/١٠٠٦.

يبدو أن الأبواب تحتوي على وسيلة للاستئذان بالدخول. فقد جاء في الحديث: "أتيت النبي ﷺ في دَيْنٍ كان على أبي، فدققت الباب"[1]. وقد ورد ما يدل على أن أبواب رسول الله ﷺ كانت تقرع بالأظافر[2]، وعلل ابن حجر[3] السبب في ذلك بكون باب رسول الله ﷺ لم يكن فيه حلق، أو أنهم كانوا يفعلون ذلك أدبًا وإجلالاً له عليه الصلاة والسلام. إلا أن ذلك لا يدل على أن المساكن في عصر الرسول ﷺ لم يكن لأبوابها حلق كما ذكرت إحدى الباحثات[4]. فقد ورد ذكر لحلق من حجارة على باب أطم في المدينة[5]، وهذا يجعلني أُرجِّح وجودها على أبواب المساكن أيضًا. ومن الجدير بالذكر هنا أيضًا أن هذه الأبواب كانت تغني عن وجود الستور فلم يرد ما يدل على استخدام الأسر للستور على أبواب مساكنهم، ويبدو أن ذلك لم يكن معروفًا في عصر الرسول ﷺ لذلك شرع الاستئذان. فقد جاء في الحديث: "جاء رجل فقام على باب النبي ﷺ يستأذن مستقبل الباب فقال له: هكذا عنك، فإنما الاستئذان من أجل النظر"[6]. كما جاء عن ابن عباس أنه قال: "كان الناس ليس لبيوتهم ستور فأمرهم الله بالاستئذان"[7]. ويبدو أن ذلك استمر حتى بعد تحسن الحياة المعيشية، قال ابن عباس: "ثم جاء الله بالخير فلم أر أحدًا يعمل بذلك".

---

(١) البخاري، صحيح، ١٣١/٧.

(٢) أبو الشيخ الأصبهاني، ص٩٦. ياقوت المستعصمي، ص٥٥. ابن حجر، فتح، ٣٦/١١.

(٣) ابن حجر، فتح، ٣٦/١١.

(٤) نورة آل الشيخ، ص ٨٦.

(٥) ابن حجر، فتح، ٣٦/١١.

(٦) السابق، ٢٥/١١.

(٧) السابق.

وجاء في فتح الباري[1] تعليقًا على ما سبق بأنهم قد يكونون اكتفوا بقرع الباب. كما جاء أيضًا[2]: "كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، وذلك أن الدور لم يكن عليها ستور". أما ما ذكرته إحدى الدراسات[3] من أن لبيت رسول الله ﷺ ستارة اعتمادًا على ما ورد في صحيح البخاري وسنن ابن ماجه، فليس له علاقة بباب البيت بل بحجرة بيت رسول الله ﷺ المطلة على المسجد[4]، وقد عرفنا سابقًا الفرق بين البيت والحجرة. وقد تساءل مُعِدُّ الدراسة أيضًا "عما إذا كان السجف أو الستارة يقومان مقام الباب؟ وبمعنى آخر هل باب بيت الرسول ﷺ كان سجفًا أو ستارة؟"، ولعل ما سبق ذكره يجيب عن هذا التساؤل.

وقد يبنى بجانب باب المسكن دكة للجلوس عليها يطلق عليها اسم مصطبة أو دكانًا، ومن ذلك الدكان الذي كان بالقرب من دار أبي سفيان في مكة[5].

قد يحتوي المسكن بالإضافة إلى الباب على منفذ آخر يطلق عليه اسم خوخة عرَّفها ابن منظور[6] بأنها: "مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها

(١) ابن حجر، فتح، ٢٥/١١.

(٢) السابق.

(٣) محمد فارس الجميل، الفرش والستور على عهد النبي ﷺ ، مجلة الدارة، العدد الثالث، ربيع الآخر - جمادى الآخرة، ١٤١٣هـ، الرياض، ص١٩٥ .

(٤) وانظر أيضًا: السمهودي، وفاء، ٥٤١/٢.

(٥) الأزرقي، ٢٣٦/٢. الأصفهاني، الأغاني، ٣١/١٤. ابن الأثير الجزري، النهاية، ١٢٨/٢. ابن العربي، ٢٣٣/١. ابن منظور، ١٠٠٠/١، ١٤٢/٢. ابن حجر، فتح، ١١٣/٥.

(٦) ابن منظور، ٩١٧/١.

باب". وقد تكون أيضًا بين بيتين إلا أنه يوجد عليها باب، قال ابن الأثير الجزري[1]: "الخوخة: باب صغير كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين ينصب عليها باب". وقد ورد لها ذكر في مدد زمنية مختلفة[2] مما يدل على استمرارية وجودها. وربما يهدف من عملها إلى اختصار الطريق عند الزيارة. قال ﷺ: "سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر"[3]. وقد شرح ابن حجر[4] الخوخة هنا بقوله: "الخوخة باب صغير قد يكون بمصراع وقد لا يكون وإنما أصلها فتح في حائط". ولعل في قول الشاعر العرجي[5] ما يوضح المعنى المراد، قال:

بَشِيرٌ بأَنَّا قَدْ أَتينا فَهَلْ لنَا　　مِنَ الخَوخَةِ الصُّغْرى سِوَى البَابِ مَدْخل[6]

- **موارد المياه في المسكن:**

من الواضح أن الأسر الحجازية في الحاضرة تستطيع الحصول على متطلباتها من المياه عن طريقين يحددهما وضعهم السكني، فإن كانوا من سكان الدور فهم يحصلون عليها بسهولة لكون معظم الدور كانت تحتوي على آبار. فقد كان في دار أنس بن مالك بئر يطلق عليها البَرود كان الناس في الجاهلية

---

(١) ابن الأثير الجزري، النهاية، ٢/٨٦.

(٢) عمر بن أبي ربيعة، ص٨١. ابن سعد، ٣/٥٦٠. الأصفهاني، الأغاني، ٤/٢٢٢، ٢٤٢، ١٦/٣٥٠.

(٣) البخاري، صحيح، ١/١٢٠.

(٤) ابن حجر، فتح، ١/٥٥٨.

(٥) العرجي هو: عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، سُميّ العرجي بماء له يقال له العرج قرب الطائف، توفي سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م. العرجي، عبدالله بن عمر، ديوان العرجي، تحقيق خضر الطائي رشيد العبيدي (ط١، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة، بغداد ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) ص٢.

(٦) العرجي، ص١٣٥.

يشربون منها إذا حُوصروا كما شرب منها الرسول ﷺ بعد قدومه إلى المدينة[١]. كما حفر عقيل بن أبي طالب بئرًا في داره بالمدينة وكان ذلك بعد سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م[٢]. وجاء في المدونة[٣]: "قال مالك: من حفر بئرًا أو سربًا للماء أو للريح مما مثله يعمل الرجل في داره أو في أرضه..". وفي مكة كانوا يشربون من حياض[٤] ومصانع[٥] على رؤوس الجبال[٦]، ثم حفرت كثير من الآبار التي تحدثت عنها المصادر منذ العصر الجاهلي واستمر وجودها طوال زمن الدراسة وما بعدها[٧]، وممن حفر بئرًا في داره عبدالله بن عامر[٨]، ومعاوية ابن أبي سفيان، وكثير بن الصلت[٩] وعبدالله بن الزبير[١٠].

ولا شك أنه من خلال هذه النصوص نلحظ استمرارية حفر الآبار في الدُّور منذ العصر الجاهلي حتى القرن الثاني الهجري.

---

(١) ابن سعد، ٧/٢٠. البخاري، صحيح، ٣/١٣٠. ابن شبة، ١/١٦٠. السمهودي، وفاء، ٣/٩٥١.

(٢) ابن شبة، ١/١٢٠. ابن الأثير، أسد، ٥/٥٧٤.

(٣) سحنون، ٦/٤٥٤.

(٤) الحياض: جمع حوض وهو مجتمع الماء. ابن منظور، ١/٧٥٦.

(٥) المصانع: مساكات أو أحباس يحتفرها الناس لتمتلئ بماء المطر. ابن منظور، ٢/٤٨٢.

(٦) البلاذري، فتوح، ١/ ٦٠.

(٧) الأزرقي، ٢/٢١٤- ٢٢٧. البلاذري، فتوح، ص٦٠- ٦٣. الفاكهي، ٤/٩٦- ١١٩.

(٨) عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس. ولد في عهد الرسول ﷺ، استعمله عثمان بن عفان على البصرة، وفتح خراسان وأطراف فارس وغير ذلك، توفي سنة ٥٧هـ/ ٦٧٦م. الزبيري، ص١٤٧- ١٤٨. ابن الأثير، أسد، ٣/٢٨٨- ٢٨٩.

(٩) كثير بن الصلت بن معدي كرب بن وليعة بن شرحبيل. ولد في عهد النبي ﷺ روى عن عمر، وعثمان، وزيد بن ثابت وآخرين. توفي حوالي سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م. ابن سعد، ٥/١٤. خير الدين الزركلي، ٥/٢١٩.

(١٠) الأزرقي، ٢/٢٥٢. الفاكهي، ٤/١١٦.

أما سكان البيوت فلم يكن بوسعهم حفر بئر، لذلك كانوا يستقون من الآبار المشهورة بعذوبة مائها[1]. فأهل المدينة مثلاً كانوا يستقون من عدد من الآبار مثل: أريس، والبصة، وبضاعة، وبَيْرُحَاء، ورومة، والسقيا، وغرس وغيرها[2]. واستمر هذا الوضع حتى خلافة معاوية بن أبي سفيان الذي أراد أن يتقرب من أهل المدينة فأمر واليه فيها مروان بن الحكم بإجراء الماء من الضواحي إلى البلدة عن طريق حفر جداول مطبقًا بذلك ما رآه في دمشق مما أثار غبطة السكان هناك[3].

كشفت التنقيبات الأثرية في الربذة عن طريقة أخرى لتوفير المياه داخل الدور لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر ما يدل على استخدامها في المدينة، أو مكة، أو غيرهما من مدن الحجاز، ولعلها أسلوبٌ تفرد به سكان الربذة فلم يوجد له مثيل إلى الآن حتى في المواقع الأثرية المكتشفة خارج الجزيرة العربية مثل العراق والشام والأردن[4]. وتعتمد هذه الطريقة على

---

(١) أبو الشيخ الأصبهاني، ص٢٢٧.

(٢) ابن النجار، ٢/٣٤٠- ٣٤٥. المطري، محمد بن أحمد، التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق محمد الخيال (د. ط، منشورات أسعد طرابزوني الحسيني، المدينة المنورة ١٣٧٢هـ) ص٥٦- ٦٢. المراغي، أبو بكر بن الحسين، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد الأصمعي (ط٢، المكتبة العالمية، المدينة المنورة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص١٦٨ - ١٨٠. الفيروزآبادي، المغانم، ص٢٥- ٤٩. السمهودي، وفاء، ٣/٩٤٢- ٩٨٤.

(٣) المطري، ص٦١. المراغي، ص١٧٧. هاشم دفتردار وجعفر فقيه، توسعة الحرم النبوي الشريف، ملحق بالجزء الثاني من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لمحمد بن أحمد الفاسي (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت.) ص٤٣٠.

(٤) سعد الراشد، منطقة الحجاز وشمال غرب الجزيرة وصلتها ببلاد الشام في صدر الإسلام والخلافة الأموية اعتمادًا على الاكتشافات الحديثة، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، ١٩٨٥م، عمان، ص ٤٨٠- ٤٨١. سعد الراشد، الربذة، ص٦٩.

خزن المياه في المساكن في خزانات أرضية مبنية تحت مستوى أرضيات المسكن، ويوضح لنا أحد الباحثين الآثاريين[1] حجم هذه الخزانات التقريبي وشكلها بقوله: "يبلغ متوسط طول الخزان الواحد حوالي مترين بعمق مترين أيضًا، أما العرض فيصل إلى (١,٥٠) متر أحيانًا، وبالطبع فإن بعض هذه الخزانات أكبر حجمًا بكثير، كما أن كل حقبة زمنية كان لها خزاناتها الخاصة. يُطوى الخزان الأرضي بعد حفره من الداخل بالحجارة بعضها على أرض لينة وبعضها الآخر على الطبقة الصخرية ومن ثم تغطى جدران الخزان وأرضيته بطبقة سميكة من الجص المخلوط بالحصى المجروش والرماد، وتكون الطبقة الملامسة للماء أكثر نعومة لمنع تسرب المياه بعد ملء الخزان، وعادة ما تكون أرضية الخزان مائلة إلى إحدى الجهات مع وجود منخفض يسير في تلك الجهة وذلك لتسهيل عملية غرف المياه وتنظيف الخزان، وعند ارتفاع الخزان إلى مستوى الأرضية السكنية تنتهي أطرافه العلوية بأفريز إلى الخارج تثبت عليه صفائح من الحجر الطويل من الصخور الجرانيتية أو البازلتية، ويكون صف هذه بعرض الخزان ومثبتة بالمونة القوية وتغطى الفتحات بحجارة أصغر وتوضع طبقة خفيفة من المونة المخلوطة بالحصى على سطح الخزان العلوي منعًا لتسرب الرمال والحشرات إلى داخل الخزان، ويزود كل خزان بفوهة تقع على الطرف الأكثر انخفاضًا من أجل سحب المياه عند الحاجة مع وجود غطاء محكم يغطي هذه الفوهة، وتتساوى أرضيات الخزان العلوية مع الطبقة السكنية بارتفاع محدود في بعض الأحيان. أما طريقة ملء هذه الخزانات بالمياه فيحتمل أن تكون بإحدى طريقتين رئيستين:

---

(١) سعد الراشد، الربذة، ٦٩ - ٧٠.

فالأولى تتم بواسطة تثبيت أنابيب من الحجر الأسود في أركان الغرف تستقبل مياه الأمطار الساقطة على أسطح المنازل التي تُفرَّغ بواسطة هذه الأنابيب إلى داخل الخزانات الأرضية.

والطريقة الأخرى هي أن سكان الربذة ربما استفادوا من الآبار الكثيرة خارج الدور السكنية بحيث كانت المياه تصب في قنوات تسير منها المياه وتفرغ عبر الأنابيب الحجرية التي عادة ما تكون على مستوى منخفض من القنوات، كذلك لا يستبعد استخدام الطريقة اليدوية في نقل المياه من مصادرها المختلفة وأنواعها في هذه الخزانات. وقد اتضح لنا من أسلوب بناء الخزانات أنها بنيت بشكل فردي ضمن غرف سكنية بحيث يكون أحد طرفي الخزان مجاورًا لركن الغرفة وفي حالات أخرى بنيت الخزانات على شكل مجموعات متلاصقة تجمع بينها قنوات علوية لتصريف المياه إلى داخل الخزانات وفي حالات كثيرة تمر المياه بعملية تصفية قبل دخولها في الخزانات"(١).

- **مواد البناء:**

استخدم في بناء المساكن مواد متعددة حسب نوعية المسكن فأساسات المسكن وجدرانه وأرضيته كانت تبنى بالمواد الآتية:

- اللَّبِن: وقد عرَّفه ابن منظور(٢) بقوله: "هو المضروب من الطين مربعًا". وقد ورد استخدامه في بناء جدران بيوت الرسول ﷺ (٣)، كما بنيت به جدران

---

(١) ورد أيضًا ما يدل على أن تلك الخزانات كانت تبنى في ساحة الدار كغيرها من المرافق، انظر: سعد الراشد، الربذة، ص ٥٠.

(٢) ابن منظور، ٣/٣٣٨. الفيروزآبادي، القاموس ، ص١٥٨٦.

(٣) ابن سعد، ١/٢٤٠، ٤٩٩.

بعض الدور أيضًا[1]. وعثر في حفريات الربذة على لبن مستطيل الشكل[2]. ويبدو أن معظم المساكن في الحجاز كانت تبنى به ما عدا بيوت الأغنياء[3].

- الطين: ويقصد به الوحل، ويستخدم الطين مونة عند بناء اللبن بعضها فوق بعض، بالإضافة إلى استخدامه في طلاء جدران البيت أو الدار[4]، ويحتاج المسكن عادة إلى إعادة تطيينه مرة أخرى بعد مدة زمنية قد تكون مرة كل سنة أو كل سنتين لحمايته من تسرب الأمطار[5]، وينقل الطين في مكاتل[6] ثم يلقى على الجدار، ويطلق على هذه المرحلة من البناء ردح البيت[7]، ثم يقام بمسح الطين على الجدار بخشبة تسمى مِسَجَّة[8].

- الحجر والجص والآجر: غالبًا ما تبنى أسوار القصور والدور المحصنة وأساسات جدران الغرف بالحجر[9] الذي يقطع من الجبال مثل جبل الهَيّلاء في مكة، وجبال الحِلاء قرب المدينة[10]. كما قد تبنى بعض البيوت في المناطق الساحلية في الحجاز بالحجر المرجاني المستخرج من البحر أو من محاجر الساحل كما هو الوضع في ميناء الجار[11].

(١) ابن شبة، ١/٢٤٥.

(٢) سعد الراشد، الربذة، ص ٥٨.

(٣) جواد علي، ٨/٣١.

(٤) ابن منظور، ٢/٦٣٨.

(٥) سحنون، ٤/٥٠٩، ٥٢١.

(٦) المكاتل: جمع مكتل، وهو وعاء أو قفة شبيهة بالزبيل يسع الواحد منها خمسة عشر صاعًا. انظر: ابن منظور، ٢/٩، ٣/٢٢٠.

(٧) ابن دريد، الاشتقاق، ٢/٣٢٨.

(٨) ابن دريد، جمهرة، ١/٨٩.

(٩) اليعقوبي، مشاكلة، ص١٣. سعد الراشد، الربذة، ص٥٨، ٦١.

(١٠) عرام، ٢/٤٤٨، ٤٥٧، ٤٥٨.

(١١) علي غبان، ص١٨.

ويبدو أن البناء بالحجر كان من المظاهر الدالة على غنى صاحب المسكن فقد مر عمر بن الخطاب وهو خليفة ببنَّاء يبني بحجارة وجص فقال: لمن هذا؟ فذكروا عاملاً له على البحرين فقال: "أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها"[١]. كما أن معاوية بن أبي سفيان بنى داره في مكة بالجص ودارًا له أخرى بالآجر الأحمر والجص الأبيض[٢]. وقد تطلى الجدران بالنورة[٣] والجص[٤]، كما قد ينقش عليها بعض الصور لتزيينها[٥]. أما أرضية المسكن فقد تطلى بالجص أو تبلط بالحجارة والآجر[٦].

أما السقف فيستخدم في بنائه الخشب[٧] حيث توضع خشبة تسمى العَرْض أو الجائز في وسط سقف البيت، ويوضع عليها أطراف الخشب حتى يكتمل سقف البيت[٨]. وقد يكون الخشب المستخدم من جذوع النخل[٩]، كما يدخل في بنائه جريد النخل[١٠] وحشيشة الإذخر التي توضع فوق الخشب[١١]. وقد ورد استخدام هذه المواد منذ عصر الرسول ﷺ [١٢]. ومن الواضح أن

---

(١) ابن قتيبة، عيون ، ٥٣/١.
(٢) الأزرقي، ٢٣٧/٢. الأصفهاني، الأغاني، ٢٧٨/٣.
(٣) سعد الراشد، الربذة، ص٥٢- ٥٣.
(٤) الأزرقي، ٢٣٧/٢. اليعقوبي، مشاكلة، ص١٤. الأصفهاني، الأغاني، ٢٧٨/٣.
(٥) البخاري، صحيح، ٦٥/٧. ابن حجر، فتح، ٣٨٥/١٠.
(٦) سحنون، ٥١٧/٤. اليعقوبي، مشاكلة، ص١٤. ابن منظور، ٢٥٧/١، ٤٦٣.
(٧) سحنون، ٥١٧/٤، ٥٢٢/٥.
(٨) ابن دريد، جمهرة، ٧٣٨/٢. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٣١٤/١.
(٩) ابن سعد، ٢٤٠/١.
(١٠) ابن سعد، ٢٤٠/١. ابن شبة، ٢٧١/٢.
(١١) البخاري، صحيح، ١٣/٣، ٧٢/٤، ٩٨/٥. ابن أبي خيثمة، ص١١٧. الطبراني، الأحاديث، ص٣١٨. الطبراني، الكبير، ١٣٠/١١، ١٣٥. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٣٣/١. ابن منظور، ١٠٦٠/١.
(١٢) ابن سعد، ٢٤٠/١. البخاري، صحيح، ١٣/٣.

السقوف في بداية القرن الأول الهجري لم تكن من المتانة بحيث تحمي المسكن من تسرب مياه الأمطار أو غيرها يدلنا على ذلك قول أبي أيوب: "لما نزل عليّ رسول الله ﷺ قلت: بأبي وأمي إني أكره أن أكون فوقك وتكون أسفل مني... فلقد رأيت جرة لنا انكسرت فأُهريق ماؤها فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء فرقًا من أن يصل إلى رسول الله ﷺ منه ..." (١).

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من مساكن هناك أنواع أخرى منها لها طابعها الخاص مثل الآطام والقصور.

- الآطام أو الحصون:

اشتهرت يثرب وخيبر والطائف في العصر الجاهلي بشكل معماري متميز تمثل في بناء الآطام أو الحصون، ويرى بعضهم أن هذا النوع من أنواع العمارة نقله الأوس والخزرج معهم من اليمن، فيما يرى آخرون أنه من إبداعات اليهود المعمارية(٢).

ولا شك أن الهدف من بنائها هو إيجاد مكان حصين للأسرة في مدة زمنية تميزت بكثرة الصراعات الحربية بين اليهود والعرب ثم بين قبيلتي الأوس والخزرج التي امتدت إلى أكثر من مئة عام كانت أولها حرب سمير وآخرها حرب بعاث(٣). قال ابن النجار(٤): "كانت الآطام عزَّ أهل المدينة

---

(١) الطبراني، الكبير، ١٤١/٤. وانظر أيضًا: ابن عبدالبر، ٤٠٤/١. ابن قدامة، الاستبصار، ص ٦٩- ٧٠. ابن حجر، الإصابة، ٤٠٥/١.

(٢) لتفصيلات أكثر عن هذا الموضوع انظر: محمد الخطراوي، المدينة في العصر الجاهلي - الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية (ط١، مؤسسة علوم القرآن، دمشق - بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م) ص٩٠- ٩٢.

(٣) لمعرفة المزيد حول الحروب بين الأوس والخزرج، انظر: ابن الأثير، الكامل، ٦٥٨/١- ٦٨٤. السمهودي، وفاء، ٢١٥/١- ٢١٨.

(٤) ابن النجار، ٣٢٥/٢.

ومنعتهم التي يتحصنون فيها من عدوهم". وعلى ذلك لا بد أن تحتوي تلك الآطام على عدد من البيوت[1] تكفي لسكانه، فقد كان حصن "النفرة" في الطائف مثلاً يحتوي على أربعين بيتًا[2]. كما قد تبنى بعض الآطام خالية من البيوت مثل أُطم "صع ذَرْع"[3].

يحتوي الأطم أيضًا على مخازن يُخزّن فيها ما يمكن أن تحتاجه الأسرة من مواد غذائية وأسلحة. ومن البديهي أن يحرص أصحاب الأطم على حفر بئر فيه[4].

يتضح من خلال ما ورد في المصادر عن الآطام أن الأطم قد ينسب إلى فرع قبيلة بعينها فيما ملكيته تعود إلى واحد منها فقط، مثل أطم "وَاقِم" كان لبني عبدالأشهل[5]، وصاحبه حضير بن سماك[6]. ويبدو من ذلك أن فرع القبيلة التي ينتسب لها مالك الأطم قد تشترك معه في الاستفادة منه، يزيد من تأكيد هذا الرأي ما ذكره السمهودي[7] عن بني حارثة[8] في صراعهم مع بني عبدالأشهل فقد تحصنوا في أطم "المُسيَّر" فيما هو ملك لواحد منهم

(١) المقصود بها هنا كما ذكرنا سابقًا ما يطلق عليه حاليًا اسم غرف.

(٢) العجيمي، ص٩٢.

(٣) السمهودي، وفاء، ١/١٩٧.

(٤) السابق، ١/١٩٩. العجيمي، ص٩٢.

(٥) بنو عبدالأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت بطن من الأوس، من الأزد، من القحطانية. القلقشندي، نهاية، ص٣٣٥. عاتق البلادي، قبائل، ص ٣٠٣.

(٦) حضير بن سِمَاك بن عتيك بن امرئ القيس بن سماك. سيد الأوس يوم بُعاث. ابن حزم، ص٣٣٩.

(٧) السمهودي، وفاء، ١/١٩٧.

(٨) بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن النبيت، بطن من الأوس من الأزد من القحطانية. القلقشندي، نهاية، ص٢٢٤. عاتق البلادي، قبائل، ص١٠٢.

فقط. ولعل السبب في ذلك عائد لقلة الآطام التابعة لهم. قال الفيروزآبادي[١]: "كان في دار بني عبدالأشهل أُطُمان أحدهما واقم، وأطم كان لبني حارثة يقال له المسير".

تبنى الآطام عادة في المكان الذي تسكن فيه فروع القبيلة[٢]. إلا أن ذلك لا يمنع من تملك بعض الأفراد لآطام خارج منطقة سكناهم انتقلت إليهم نتيجة لظروف معينة كإرث أو دية أو غيرها[٣].

قد تسكن بعض الأسر الآطام وتستغني بها عن سكنى البيوت. قال السمهودي: "وكانوا بنو خطمة[٤] متفرقين في آطامهم، ولم يكن في قصبة دارهم منهم أحد، فلما جاء الإسلام اتخذوا مسجدهم وابتنى رجل منهم عند المسجد بيتًا فسكنه فكانوا يسألون عنه كل غداة مخافة أن يكون السبع عدا عليه"[٥].

غالبًا ما يكون شكل الأطم مربعًا تقريبًا فأطم "الضَحّيان" كان عرضه قريبًا من طوله[٦]. ويتكون بعضها من طابقين أو ثلاثة[٧]. ويبنى الأطم من حجارة بيضاء أو سوداء اللون[٨]، ويبدو أن الحجارة السوداء أقوى في بناء الأطم فقد سقط أطم "الضحيان" لأنه بني بحجارة بيضاء[٩].

---

(١) الفيروزآبادي، المغانم، ص٣٨١.
(٢) السمهودي، وفاء، ١/١٩٣، ١٩٧، ٢٠١.
(٣) السابق، ١/١٩٣.
(٤) بنو خطمة هم: بنو عبدالله بن جشم بن مالك بن الأوس من الأزد من القحطانية. القلقشندي، نهاية، ص٢٤٦. عاتق البلادي، قبائل، ص١٤٤.
(٥) السمهودي، وفاء، ١/١٩٨.
(٦) الفيروزآبادي، المغانم، ص٢٢٧. السمهودي، وفاء، ١/١٩٤.
(٧) جواد علي، ٩/٨. ولم يذكر مصدره الذي اعتمد عليه .
(٨) الخطابي، ١/١٠٥. السمهودي، وفاء، ١/١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٥.
(٩) السمهودي، وفاء، ١/١٩٤.

يطلق على الآطام أسماء إما نسبة إلى المكان الذي بنيت فيه مثل أطم "صع ذرع" نسبة إلى بئر بني خطمة التي يقال لها ذرع[١]، وأطم "الرَّيان" نسبة إلى سقيفة الريّان التي بني بجانبها[٢]. أو نسبة إلى الشخص الذي بناه أو يسكنه مثل أطم "شَاس" الذي كان لشاس بن قيس[٣]، وأطم "الزاهرية" نسبة إلى امرأة سكنته[٤]، أو نسبة إلى صفة تطلق على من بناه مثل أطم "القَواقِل" نسبة إلى بني سالم بن عوف[٥] الذين يطلق عليهم القواقل[٦]. وقد تشتهر الناحية التي يبنى فيها الأطم باسمه مثل ناحية راتج نسبة إلى أطم "رَاتِج"[٧]، وناحية المذَاد نسبة إلى "أطم المذاد"[٨].

توقف بناء الآطام مع قدوم الرسول ﷺ فقد كان أطم "مَعْرِض" آخر أطم بني في المدينة، قدم الرسول ﷺ وهم يبنونه فاستأذنوه في إتمامه فأذن لهم[٩]. ويبدو أن السبب في توقف بناء الآطام هو انتفاء السبب الذي من أجله كانت تبنى، فمع قدوم الرسول ﷺ انتهى الصراع الحربي في المدينة. هذا بالإضافة إلى محاولة الرسول ﷺ إضعاف العصبية القبلية لصالح الجماعة الإسلامية.

---

(١) الفيروزآبادي، المغانم، ص٣٩. السمهودي، وفاء، ١/١٩٧.

(٢) السمهودي، وفاء، ١/٢٠٦.

(٣) الفيروزآبادي، المغانم، ص١٩٧. السمهودي، وفاء، ١/١٩٧.

(٤) السمهودي، وفاء، ١/٢١٣.

(٥) بنو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف، بطن من الخزرج ، من الأزد، من القحطانية. القلقشندي، نهاية، ص٣٨٠. عاتق البلادي، قبائل، ص ٢٠٩.

(٦) السمهودي، وفاء ، ١/١٩٩.

(٧) الفيروزآبادي، المغانم، ص١٤٩. السمهودي، وفاء، ١/٢١٤.

(٨) الفيروزآبادي، المغانم، ص٣٧٣. السمهودي، وفاء، ١/٢٠٢.

(٩) الفيروزآبادي، المغانم، ص٣٧٦.

- **القصور:**

اشتهرت المدينة المنورة في صدر الإسلام ومع ارتفاع المستوى المعيشي للأسرة بسبب تدفق الثروات على المسلمين بنوع خاص من المساكن تميز بالترف المعماري، وارتبطت نشأته باهتمام أغنياء الحجاز باستصلاح الأراضي الزراعية، فقد صاحب ذلك اهتمام كبير ببناء القصور وسط تلك المزارع الكبيرة. وقد اشتهرت الأودية الواقعة حول المدينة ومكة والطائف، والأودية والقرى بين مكة والمدينة وشمال المدينة بمثل هذا النوع من المساكن[١].

بدأ بناء القصور في زمن الدراسة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب في وادي العقيق[٢] الذي تميز بجودة تربته وصلاحيتها للزراعة. وقد كان الرسول ﷺ قد أقطعه لبلال بن الحارث، وهو اليوم من أشهر أودية المدينة يأتيها من الشمال على بعد (١٤٠) كيلاً حيث المزني[٣] شرط أن يزرعه فعندما لم يف بالشرط انتزعه منه الخليفة عمر بن الخطاب وأقطعه للناس فبدؤوا بزراعة المزارع وبناء القصور فيه[٤].

---

(١) انظر أمثلة على تلك القصور في: الهجري، ٣/١٤٤٣- ١٤٥٥- ١٤٥٦، ١٥٢٩، ١٥٣٥- ١٥٣٦، ١٥٦٦ - ١٥٦٧. السمهودي، وفاء، ٣/١٠٤٢- ١٠٦٣. أحمد ياسين الخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا (ط١، إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة المنورة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص١٧٣- ١٧٧. علي غبان، ٢/٧٥- ١٠٤.

(٢) وادي العقيق: واد عظيم، عليه مزارع أهل المدينة، على بعد ثلاثة أميال منها تقريبًا. ياقوت، البلدان، ٤/١٣٩. الفيروزآبادي، المغانم، ص٢٦٦. وهو اليوم من أشهر أودية المدينة يأتيها من الشمال على بعد (١٤٠) كيلاً حيث مساقط مياهه من جبال قدس ومن حرة الحجاز. عاتق البلادي، المعالم، ص٢١٣.

(٣) بلال بن الحارث المزني. قدم على النبي ﷺ في وفد مزينة سنة ٥هـ/ ٦٢٦م. كان يحمل لواء مزينة يوم فتح مكة ثم سكن البصرة وتوفي سنة ٦٠هـ/ ٦٧٩م. ابن الأثير، أسد، ١/٢٤٢.

(٤) ابن شبة، ١/١٥٠- ١٥١.

يبدو أن معظم سكان القصور كانوا يتخذون من قصورهم مكانًا للنزهة وليس سكنًا دائمًا، حيث من المرجح أن يكون لهم دُوْر في المدن الرئيسة مثل مكة والمدينة والطائف فقد جاء في الأغاني[1]: "أن سعيد بن العاص لما حضرته الوفاة وهو في قصره قال له ابنه عمرو: لو نزلت إلى المدينة! فقال: يا بني إن قومي لن يضنوا عليّ بأن يحملوني على رقابهم ساعة من نهار... فإذا واريتني فانطلق إلى معاوية فانعني له وانظر في دَيْني واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تفعل واعرض عليه قصري هذا فإني إنما اتخذته نزهة وليس بمال...".

يبدو أن القصر شبيه بالدار حيث يحتوي على صحن[2] وفناء[3] كما تحفر فيه الآبار[4]، إلا أنه أكبر منها وأكثر منعة خاصة وأن معظمه يبنى من حجارة، وقد يحتوي القصر على عدد من الدور فقد جاء عن الرسول ﷺ: "قصر في الجنة من لؤلؤة فيها سبعون دارًا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء"[5]. ومن خلال دراسة شمولية قام بها أحد الباحثين الآثاريين[6] على القصور الواقعة في شمال الحجاز نستطيع أن نصل إلى تصور تقريبي لوضع القصور في الحجاز عامة، فقد حصر الظواهر المعمارية التي تلحظ على عمارة هذه القصور بالنقاط الآتية:

- الاهتمام باختيار الموقع المناسب لبناء القصر.

---

(١) الأصفهاني، ٣٩/١. وانظر أيضًا: السمهودي، وفاء، ١٠٥٦/٣.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٥٣/٣.

(٣) الوشاء، ٩٤/١.

(٤) السمهودي، وفاء، ١٠٤٤/٣.

(٥) الطبراني، الكبير، ١٦١/١٨.

(٦) علي غبان، ١٠٣/٢- ١٠٤.

- استخدام أفضل المواد الإنشائية.
- الاستفادة من المواد الخام المحلية. فنلحظ استخدام الأحجار في الأماكن القريبة من الجبال، واستخدام اللبن والآجر في الأماكن التي يتوافر فيها الطين.
- توظيف أفضل الخبرات الفنية في بناء هذه القصور.
- الاهتمام بمتانة البناء وضخامته، وزيادة ارتفاع الجدران.
- تفضيل الشكل المربع في المسقط العام للقصر.
- استخدام الأبراج والدعامات على الأسوار الخارجية، وهي سمة أساسية من سمات النمط العربي للقصر.
- تعدد المداخل في بعض القصور.
- بناء دكات على جانبي دهليز المدخل.
- كبر حجم الفناء الداخلي(١).
- قلة عمق المنشآت الجانبية المقامة على الفناء.
- تماثل تصميم الحجرات والوحدات السكنية المقامة حول الفناء.
- الاهتمام بقاعة القصر وإفرادها بعمارة مميزة.
- احتمال وجود أكثر من قاعة استقبال واحدة في بعض القصور.
- استخدام الأعمدة المبنية من الآجر.
- استخدام الأقواس نصف الدائرية، وكانت شائعة الاستخدام في الحجاز خلال العصر الأموي.
- استخدام المثلثات الركنية وتوظيفها في أغراض التسقيف.

---

(١) المقصود بالفناء الداخلي هنا الصحن أو الساحة غير المسقوفة في وسط القصر.

- استخدام القبة في تسقيف قاعات القصور.
- استخدام الحنايا المحرابية لتزيين واجهات قاعات الاستقبال المطلة على الفناء الداخلي.
- استخدام الجص في تلييس الجدران من الداخل والخارج.
- استخدام الجص على نطاق ضيق مونةً للبناء مع الآجر.
- التفنن في صف الآجر للحصول على أشكال هندسية متنوعة.

ويرى الباحث الآثاري أيضًا أن أرضيات هذه القصور قد تكون مبلطة ببلاطات الآجر أو مبلطة بالطين، أو الجص، أو بهما معًا، ولم يستبعد وجود أرضيات فسيفسائية.

وبعد استعراض أشكال المساكن في حاضرة الحجاز لا بد من التعرف إلى طرق حماية تلك المساكن من الأمطار أو السيول، فكثيرًا ما كانت تتعرض لسيول عنيفة يتأثر بها السكان والمساكن. فقد تعرضت المدينة في عصر الرسول ﷺ إلى سيل استمر أسبوعًا تهدمت على إثره بعض المساكن[1]. وقد أورد بعض المؤرخين إشارات كثيرة عن سيول مكة في زمن الدراسة وتأثيرها المدمر وعن محاولات الخلفاء للحد من هذا التأثير، ومنها سيل أم نهشل[2] في مكة سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م. فقد أمر الخليفة عمر بن الخطاب نتيجة له بعمل ردم أُطلق عليها فيما بعد ردم عمر. ويبدو أنه حاجز مرتفع من الصخر، وقد حقق هذا الردم الهدف المطلوب فيذكر أن السيل لم يعل عليه منذ تلك السنة مما

---

(١) مالك، ١/١٥٣.

(٢) أطلق عليه هذا الاسم لأنه أدى إلى مقتل امرأة تدعى أم نهشل بنت عبيد بن سعيد بن العاص ابن أمية بن عبدشمس. الفاسي، شفاء، ٢/٢٦٠.

أدى من ثم إلى حماية المساكن المطلة عليه[1]. كما تعرضت مكة في سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م إلى سيل عظيم أُطلق عليه سيل الجحاف تسبب في مقتل كثير من السكان، وهدم الدور القريبة من وادي مكة فكُتب إلى الخليفة عبدالملك بن مروان في ذلك فأرسل أموالاً كثيرة إلى واليه على مكة[2] وأمره بعمل ضفائر للدور المطلة على الوادي وعمل ردمًا على مداخل السكك لحماية المساكن وأرسل مهندسًا نصرانيًا لعمل ذلك[3]. وفي سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م تعرضت مكة أيضًا لمطر شديد تهدمت على إثره كثير من المساكن[4]. وتكرر ذلك في سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م[5].

- **أثاث المسكن:**

عرَّف ابن دريد[6] الأثاث بقوله: "كل شيء وطأته ووثرته من فراش أو بساط فقد أثثته تأثيثًا. والأثاث: أثاث البيت".

لا شك أن أثاث المسكن قد صاحبه تطور كبير تبعًا لتحسن الأوضاع الاقتصادية للمسلمين، فما عرف عن أثاث في عهد الرسول ﷺ [7] يعطي دلالة على شكل الأثاث المستخدم في بقية المساكن في تلك المدة، وعلى الرغم

(١) الأزرقي، ٢/١٦٧. الفاسي، شفاء، ٢/٢٦١.

(٢) قيل: إن والي مكة هو الحارث بن خالد المخزومي، وقيل هو عبدالله بن سفيان المخزومي. انظر: الأزرقي، ٢/١٦٩. الفاسي، شفاء، ٢/٢٦١.

(٣) الأزرقي، ٢/١٦٨- ١٦٩. الفاسي، شفاء، ٢/١٧١، ٢٦١. الفاسي، العقد، ٥/٥١٤.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٢/٣١٧.

(٥) الأزرقي، ٢/١٧٠. الفاسي، شفاء، ٢/٢٦٢.

(٦) ابن دريد، جمهرة، ١/٥٤.

(٧) انظر: محمد الجميل، الفرش، ص١٥٣- ١٩٩.

من قلة ما وجد في المصادر عن هذا الموضوع إلا أننا يمكن أن نصنفه تبعًا لوظيفته، فبعضه يبسط للجلوس عليه، ومن المرجح أن كل ما يبسط على الأرض يسمى بساطًا[1]. وقد ورد له ذكر في عصر الرسول ﷺ فعن أنس بن مالك أنه قال: إن الرسول ﷺ "ربما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس وينضح ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا"[2]. وفي شرح ابن حجر[3] لهذا الحديث أورد ما يدل على أن البساط هنا يقصد به الحصير. ولا شك أن الحصير من البسط الرخيصة الثمن فهو يصنع من البَرْدي[4] والأَسَل[5] وسعف النخل[6]. أما البسط الثمينة فمنها الأنماط، ويبدو أنها تنسج من الصوف[7]، ولها هُدّب[8]. ولعلها كانت معروفة في عهد الرسول ﷺ إلا أن استخدامها لم يكن شائعًا لغلاء ثمنها فقد جاء في الحديث عن جابر بن عبدالله أنه قال: "قال لي رسول الله ﷺ: لما تزوجت اتخذت أنماطًا؟ قلت: وأنى لنا أنماط؟ قال: أما إنها ستكون"[9]. وقال جابر: "وعند امرأتي نمط فأنا أقول: نَحِّيه عني. وتقول: قد قال رسول الله ﷺ: إنها ستكون ... فأدعها"[10].

---

(١) ابن منظور، ٢١٣/١.

(٢) البخاري، صحيح، ١١٩/٧.

(٣) ابن حجر، فتح، ٥٨٤/١٠.

(٤) البردي: نبات معروف. ابن منظور، ١٩٠/١.

(٥) ابن منظور، ٦٥١/١. والأسل: نبات له أغصان كثيرة دقاق بلا ورق ولا شوك. ابن منظور، ٦٢/١.

(٦) ابن خلاد، ص١٤١.

(٧) ابن دريد، جمهرة، ٩٢٧/٢. الزمخشري، أساس، ٤٧٣.

(٨) ابن منظور، ٧٢٣/٣.

(٩) مسلم، ٣٧/٣.

(١٠) السابق، ٣٨/٣.

ولا شك أن استخدامها وضح منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب[١]. وازداد في عهد الخليفة عثمان بن عفان حتى كانت الغرفة الواحدة يفرش فيها ثلاثة أنماط[٢]. وبالإضافة إلى ذلك كان هناك بعض البسط التي استخدمها أهل الحجاز في الصلاة. ولعل لها استخدامًا في المسكن مثل: الطَّنافِس وتصنع من مواد مختلفة فقد ورد أن لها هُدْبًا رقيقًا[٣] مما يدل على أنها من نسيج، كما وصفت بأنها حصير من سعف عرضه ذراع[٤]. وقد عرفت منذ عهد الرسول ﷺ [٥]. وممن استخدم الطنافس عقيل بن أبي طالب[٦] وعروة بن الزبير[٧]. ومن بُسُط الصلاة أيضًا الخُمْرة وتنسج من سعف النخيل وتمتاز بصغر الحجم[٨]، وقد كان الرسول ﷺ يصلي عليها[٩]. أما المُضَرَّبة واللُّبُود فهما من البسط التي يرجح أنها غالية الثمن، وقد ورد استخدامهما للصلاة في المساجد منذ أواخر القرن الأول الهجري. ويمتازان بأنهما يتكونان من طاقين يحشى ما بينهما بالقطن أو الصوف[١٠].

---

(١) ابن عبدالبر، ٣٦٨/٤.

(٢) ابن شبة، ٩٨٧/٣.

(٣) ابن منظور، ٦١٨/٢.

(٤) الفيروزآبادي، القاموس، ص٧١٥.

(٥) ابن ماجه، ٢٤١/٢.

(٦) مالك، ٢٢/١.

(٧) الفاكهي، ١٤٦/٢.

(٨) ابن منظور، ٩٠١/١.

(٩) البخاري، صحيح، ٨٥/١، ١٠١.

(١٠) الفاكهي، ١٤٧/٢. أبو الشيخ الأصبهاني، ص١٥٦. ابن عساكر، تاريخ - السيرة - ٣٢/١. ابن منظور، ٥٢٣/٢، ٣٣٤/٣. الفيروزآبادي، ٢٥٢/٣.

بالإضافة إلى الجلوس على الأرض مباشرة كان بعضهم يفضل استخدام الوسائد للجلوس عليها ومنها المرافق والنَّمارق. وقد اشتهرت المِرْفَقَة في عصر الرسول ﷺ وهي وسادة من الجلد محشوة بالليف[1] أو الإذخر[2]، ومع ارتفاع الوضع المعيشي للأسر في الحجاز بدأ استخدام المرافق والنمارق الحريرية الملونة[3]. ولا شك أنها ألين من الوسائد السابقة، ولعلها تحشى صوفًا أو قطنًا.

تتعدد وظائف الوسائد، فبالإضافة إلى استخدامها للجلوس عليها فهي تستخدم أيضًا للاتكاء عند الجلوس[4].

ومن الأثاث المستخدم في الجلوس أيضا السُّرُر وهو شائع الاستخدام في زمن الدراسة[5] وما قبلها[6]. وتختلف السرر من حيث الحجم والنوعية، فهناك السرر العادية وقاعدتها منسوجة من سعف النخل[7] وأخرى منسوجة من سَيْر[8]، كما تصنع بعضها من العاج[9]، وهناك السرر النجدية

---

(١) ابن سعد، ٣٢٢/١، ٤٦٥، ٤٦٦، ٢٣/٨، ٢٤، ١٨٣. البخاري، صحيح، ٢٤٧/٢، ١٠٤/٣. ابن شبة، ٨٠٢/٣، ٨٠٣.

(٢) ابن ماجه، ٤١٧/٢.

(٣) ابن سعد، ١٩٢/٥. ابن سعد، "القسم المتمم" - ١٩٣/١- ١٩٤. ابن شبة، ٩٨٧/٣. الطبراني، الكبير، ٣١٦/١٠.

(٤) ابن سعد، ١٢٠/١، ٤٦٥ ، ٢٥٧/٦، ٤٦٨/٨. البخاري ، صحيح، ١٠٤/٣، ٤٣/٤. ابن شبة، ٣/ ١٠٤٨. ابن دريد، جمهرة، ٧٨٤/٢. الطبراني، الكبير، ٢٤٧/٢.

(٥) ابن سعد، ٢١٥/٥. ابن شبة، ١٠٤٠/٣، ١١٨٢/٤. البلاذري، أنساب، ٣٩٠/٧. الأصفهاني، الأغاني، ٣٧٣/٢، ٢٨٥/٤. الطبراني، الكبير، ٣٩٤/١٩. ابن عساكر، تاريخ - السيرة - ١٦٢/١. ابن العربي، ٢٢٩/١. ابن فضل الله العمري، ١٦/١٠ - ١٧.

(٦) ابن حبيب، المحبر، ص١٤٠.

(٧) البخاري، صحيح، ٤٣/٤. ابن شبة، ٢٠٢/١، ابن حجر، فتح، ١٩٧/٦.

(٨) ابن شبة، ٩٨٧/٣. والسير ما قُدَّ من الأديم طولاً". ابن منظور، ٢٥٣/٢.

(٩) الفاكهي، ٣٨٧/٢.

ذات القوائم الأربع[١]. والسرر الضخمة الطويلة القوائم[٢]. وجرت العادة أن يوضع فوق قاعدة السرير فراش لإراحة الجالس عليه[٣]. ولم تحدد نوعية هذا الفراش فقد يكون من الجلد المدبوغ أو قد يكون من أنواع اللبود والمضربات أو غيرها. فقد ورد أن أم البنين زوجة الخليفة عثمان بن عفان قد أحدثت في بيتها سريرًا وضعت عليه حشيتين بالعصفر[٤]. كما يوضع على السرير بعض المرافق للاتكاء عليها شبيهة بتلك التي تستخدم على الأرض[٥]. وبالإضافة إلى السرر استخدمت الكراسي منذ العصر الجاهلي وخلال زمن الدراسة للجلوس عليها وإكرام الضيوف بها[٦]. ولندرة الإشارات التي تعطينا تصورًا عن شكل الكرسي فالمرجح أن قاعدته كانت تصنع بالمواد نفسها التي ذكرت في صناعة قاعدة السرير، وأما قوائمه فقد ورد في الحديث الشريف أن الرسول ﷺ جلس على كرسي قوائمه حديد[٧] مما يعطي دلالة بأن قوائم الكرسي قد تصنع أيضًا من مادة أخرى كالخشب أو العاج. بالإضافة إلى ما سبق ذكره قد يستخدم الدكان أو المصطبة للجلوس بعد وضع فراش عليه[٨].

ولا شك أن هذا الأثاث المعد للجلوس عليه يفرد له ناحية في البيت، أو

---

(١) ابن شبة، ٣/١٠٤٠.

(٢) ابن ماجه، ٢/٢٨٥. الأصفهاني، الأغاني، ٤/٢٨٥.

(٣) البخاري، صحيح، ٤/٤٣. ابن شبة، ١٤/٢٠٢. ابن حجر، فتح، ٦/١٩٧.

(٤) ابن شبة، ٣/٩٨٧.

(٥) البخاري، صحيح، ٤/٤٣. ابن شبة، ١/٢٠٢، ٣/٩٨٧.

(٦) ابن حبيب، المحبر، ص١٣٩. البخاري، صحيح، ٢/١٥٩. مسلم، ١/٤٤٩، ٢/٥٩٧. الأصفهاني، الأغاني، ٤/٢٨٥.

(٧) ابن أبي شيبة، مسند، ٢/١٢٦. مسلم، ٢/٥٩٧. أبو الشيخ الأصبهاني، ص١٤٧.

(٨) ابن سعد، ٨/٢٤. سعد الراشد، الربذة، ص٥٠.

بيت في الدار، أو قاعة الاستقبال في القصور، كما تختلف نوعيته بحسب المستوى المعيشي للأسرة.

أما الأثاث المستخدم في النوم فمنه ما يفرش على الأرض، ومنه ما يرتفع عنها، فمن الأثاث الذي يفرش على الأرض ما ذكر سابقًا من البسط، بالإضافة إلى جلود مدبوغة قد تحشى ليفًا وهو ما اشتهر في بيت الرسول ﷺ [1]، وفرش محشوة صوفًا[2]، والمُثُل وهي مفارش الصوف الملونة[3]، والأنطاع[4].

أما ما يرتفع من الأثاث فمنه السرر، ويرجح أنها السرر السابقة الذكر في الأثاث المستخدم في الجلوس عليه، وعلى ذلك فلها وظيفتان. وقد استخدمت السرر في النوم منذ العصر الجاهلي فقد جاء في أنساب الأشراف[5]: "كانت قريش بمكة وليس شيء أحب إليها من السرير تنام عليه. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل منزل أبي أيوب، قال ﷺ : يا أبا أيوب أما لكم سرير؟ قال: لا والله. فبلغ أسعد بن زرارة[6] ذلك، فبعث إلى رسول الله ﷺ بسرير له عمود، وقوائمه ساج، مرمول بخزم يعني المسد". وفي رواية أخرى: "كان من خشبتين، ساجًا منسوجًا بالليف"[7]. ولا شك استمر استخدام السرر طوال مدة الدراسة[8].

---

(١) ابن سعد، ١/٤٦٤، ٨/٢٢، ٢٣. أبو الشيخ الأصبهاني، ص١٥٦.

(٢) ابن سعد،١/٤٦٥. الطبري، السمط، ص٦٨.

(٣) ابن سعد، ٨/٢٦. ابن منظور، ٣/٤٣٨.

(٤ ابن سعد، ٨/٤٢٨. البخاري، صحيح، ٧/١٤٠. السيوطي، مسند علي، ص١٨٠.

(٥) البلاذري، ١/٥٢٥.

(٦) أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد من بني النجار من الخزرج. يعد أول الأنصار إسلامًا، توفي في ١ هـ/ ٦٢٢م. ابن الأثير، أسد، ١/٨٦- ٨٧.

(٧) ابن العربي، ١/١٣١.

(٨) ابن سعد، ١/٤٦٦، ٢/٢٨٨. ابن شبة، ٢/٧٥٩. البلاذري، أنساب، ١/٥٢٥.

وقد يستخدم في النوم أيضًا المصطبة أو الدكان المبني في البيت ويطلق عليه منامة[١]. ومن البديهي أن يوضع فراش على السرير أو المنامة ليقي النائم رمال السرير أو قساوة البناء، ولا شك أن كل ما يمكن استخدامه للنوم على الأرض يمكن وضعه على تلك الأسِرّة والمنامات، بالإضافة إلى توسد الوسائد التي هي شبيهة بما يستخدم للجلوس والاتكاء[٢]. واستخدمت اللحف مثل القَطِيفَة[٣]، وقد يطلق عليها الخَمِيل أو الخَمِيلَة[٤] التي يُرجح أنها دثار له هدب أو مصنوع من المُخمل[٥]، ولعل بعضها صغير الحجم، فقد جاء في الطبقات[٦] أن الرسول ﷺ أتى عليًا وفاطمة "وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما".

وقد يطلق على السرير اسم أَرِيكة[٧] إذا وضع في حَجَلة وهي: بيت منفرد أو قبة مزينة بالستور، وذلك زيادة في الخصوصية[٨]، وقد ارتبط ذكرهما بالنساء، قال عقبة بن أبي معيط[٩] لأمية بن خلف عندما رفض

(١) ابن سعد، ٢٤/٨. ابن منظور، ٧٤٩/٣.

(٢) ابن سعد، ٤٦٦/١، ٢٦٢/٢، ٢٣/٨. أبو الشيخ الأصبهاني، ص٥١٩- ١٦٢.

(٣) ابن سعد، ٢٥/٨. السيوطي، مسند فاطمة، ص١٠٢، ١٠٨.

(٤) ابن الأثير الجزري، النهاية، ٨١/٢. الطبري، السمط، ص١٠٧. ابن منظور، ٩٠٥/١. السيوطي، مسند علي، ص٣٤، ٢٩٨. السيوطي، مسند فاطمة، ٨٦، ١٠٧.

(٥) ابن منظور، ١٢٢/٣.

(٦) ابن سعد، ٢٥/٨.

(٧) ابن منظور، ٥٠/١.

(٨) الثعالبي، فقه، ص٤١٩. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٣٤٦/١. ويرى أحد الباحثين وأتفق معه في ذلك بأنها قد تكون شبيهة بغرف النوم الحالية. محمد الجميل، الفرش، ص١٥٧.

(٩) عقبة بن أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبدشمس. قتل في معركة بدر سنة ٢هـ/ ٦٢٣م. الزبيري، ص١٣٨.

المشاركة في غزوة بدر: "تجمر فإنما أنت جارية في أريكة"[١]. وقال أمية بن أبي الصلت:

نواعم في الأرائك قاصرات فهنّ عقائل وهمُ قُروم[٢]

وقال أبو اليسر[٣] يسأل أحدهم عن أبيه: "أين أبوك؟ قال: سمع صوتك فدخل أريكة أمي"[٤].

ومن أثاث المسكن أيضًا ما يعلق على الجدران أو الأبواب بغرض الزينة أو الستر. وقد عرفت الستور في عصر الرسول ﷺ[٥]، ومنها الدُّرنُوك فقد جاء في صحيح البخاري[٦] عن عائشة أم المؤمنين: "قدم النبي ﷺ من سفر وعلقت درنوكًا فيه تماثيل فأمرني أن أنزعه". وقد شرح ابن حجر[٧] الدرنوك بقوله: "ويقال فيه درموك بالميم بدل النون ... وهو ثوب غليظ له خمل إذا فرش فهو بساط وإذا علق فهو ستر". وهو في ذلك يتفق مع شرح ابن منظور[٨] له الذي يرى أيضًا أن منه الأصفر والأخضر ومن البسط التي تعلق أيضًا الأنماط، عن عائشة أنها قالت: "قدم رسول الله ﷺ من سفر فاشتريت نَمَطاً فيه صورة

---

(١) البلاذري، أنساب، ٢٩١/١.

(٢) أمية بن أبي الصلت، ص٦٨.

(٣) أبو اليسر هو: كعب بن عمرو بن عبّاد بن عمرو السلمي الأنصاري، شهد العقبة والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان مع علي بن أبي طالب في معركة صفين، توفي في المدينة سنة ٥٥هـ/ ٦٧٤م. ابن الأثير، أسد، ٣٣٢/٦.

(٤) مسلم، ٢٣٠٢/٤. الطبراني، الكبير، ١٦٩/١٩.

(٥) انظر: محمد الجميل، الفرش، ص١٩١ - ١٩٧.

(٦) البخاري، صحيح، ٦٥/٧.

(٧) ابن حجر، فتح، ٣٨٧/١٠. وانظر أيضًا: مسلم، ١٦٦٧/٣.

(٨) ابن منظور، ٩٧٥/١.

فسترت به على سهوة بيتي ..." [1]. ومن أنواع الستور التي استخدمت في عصر الرسول ﷺ أيضًا القِرَام[2] وهو ستر رقيق، وقد لا يكتفى به بل يوضع فوقه ستر غليظ[3]، وغالبًا ما يكون لتلك الستور أزرار كبار تشد بها[4]. ولا شك أن تلك الستور قد تطور استخدامها، فظهرت الستور الفاخرة في الدور والقصور[5]. ومن ذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب دخل على أحدهم في مكة وقد كان حديث عهد بعرس فوجد في بيته سترًا من أديم مزين بسيور فأخذه عمر فشقه[6].

أما الثياب فتحفظ في أوعية تسمى عِيابًا[7] وهي للرجال والنساء[8]، وبعد استعمال الثياب أو عند الحاجة لاستعمالها مرة ثانية توضع على المِشْجَب[9] وهو "عيدان يضم رؤوسها ويفرج بين قوائمها"[10]. كما استخدم أيضًا النَّضَد وهو شبه السرير أو المشجب تنضد عليه الثياب بعضها فوق بعض[11]، وترى إحدى الباحثات[12] أنه أشبه بخزانة ثياب مكشوفة. كما

(١) ابن سعد، ٤٦٩/٨. وانظر أيضًا : مسلم، ١٦٦٦/٣.

(٢) مسلم، ١٦٦٧/٣.

(٣) ابن منظور، ٧١/٣

(٤) ابن الأثير الجزري، النهاية، ٣٠٠/٢.

(٥) الطبراني، الكبير، ١٤٠/٤.

(٦) ابن العربي، ٢٣٢/١.

(٧) ابن دريد، جمهرة، ١٠٢٥/٢. ابن الأثير، أسد، ٦٧/٧. ابن فضل الله العمري، ٢٣/١٠.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ٢٣٥/٢٢.

(٩) ابن سعد، ٤٧٣/٨. ابن عبدالبر، ٦٥/١.

(١٠) ابن منظور، ٢٧٠/٢.

(١١) الثعالبي، فقه، ص٢٣٠، ابن منظور، ٦٥٦/٣.

(١٢) إلهام البابطين، ص٢٠٥.

استخدمت المرأة بعض الخزائن الصغيرة لحفظ طيبها ودهنها ومشطها مثل: الجُونة وهي سلة مستديرة الشكل مغطاة بالجلد[١]، والقَشْوة وهي قفة من خوص[٢]، والطَّبْلة وهي علبة من خشب[٣].

أما سبل إنارة المساكن فقد اعتمد على المصابيح والسرج والقناديل، وهي إما أن تعلق على الجُدُر أو تستخدم عند الانتقال من مكان لآخر[٤]. وقد اختلفت أحجامها ومواد صناعتها[٥]. كما ورد ما يدل على استخدام الشموع في العصر الأموي[٦].

لعل ما سبق ذكره عن المسكن وأثاثه في الحاضرة يعطي تصورًا تقريبيًا عن وضعهما خلال زمن الدراسة التي لا شك تطورت مع تطور الأوضاع الاقتصادية للمسلمين، حتى بلغ ثمن بناء دار في مكة وتأثيثها لأحد المُقرَّبين من الخليفة هارون الرشيد حوالي أربعة آلاف دينار[٧].

ثانيًا - مسكن الأسرة في البادية:

تنتشر مساكن أهل البادية قرب مصادر المياه، وكلما كان الماء وافرًا ازداد عدد بيوت القبيلة، وهي مساكن متنقلة تبعًا للماء والمرعى.

---

(١) ابن منظور، ٣٩١/١.

(٢) ابن دريد، جمهرة، ٨٧٦/٢. ابن منظور، ٩٤/٣.

(٣) ابن دريد، جمهرة، ٣٥٩/١.

(٤) ابن سعد، ٣٨٧/١، ٢٣٦/٢، ٧٨/٣. ابن شبة، ٧٢٢/٢، ٢١٤٠/٤. البلاذري، أنساب، ٢٥٠/٨. ابن دريد، الاشتقاق، ١٩٨/١. الطبراني، الكبير، ١٩٨/٦. أبو الشيخ الأصبهاني، ص٢٧٥.

(٥) الأزرقي، ٢٨٦/١. إلهام البابطين، ص١٩٨.

(٦) البلاذري، أنساب، ١٤٥/٨.

(٧) الأصفهاني، الأغاني، ٣٠٩/١٩.

١ - أسماء المسكن:

عرفت البادية أسماء عدة للمسكن منها: البيت: ويطلق على ما يتخذ للسكنى من شعر، وصوف، ووبر، وحجر، وغيرها[١]. بمعنى أنه لفظ مشترك بين مساكن أهل الحاضرة والبادية، قال ﷺ: "يا فاطمة، إن الله - عز وجل - بعث أباك بأمر لم يبق على ظهر الأرض بيت مدر ولا حجر ولا وبر ولا شعر إلا أدخله الله به عزًا أو ذلاً حتى يبلغ حيث بلغ الليل"[٢]. وقالت الخنساء:

لَمْ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْشي بِسَاحَتِها ... لِرِيبَةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الجَارُ

وَمَا تَراهُ ومَا في البَيْتِ يَأْكُلُهُ ... لكِنَّهُ بَارِزٌ بالصَّحْنِ[٣] مِهْمَارُ[٤]

وقالت أيضًا:

إذا دخَلُوا بُيُوتَهم أَكَبُّوا ... على الرُّكْباتِ مِنْ قِصَرِ العِمَادِ[٥]

وقال الفرزدق:

وَتَرى لَهُمْ بمنًى بُيُوتَ أَعِزَّةٍ ... رَفَعتْ جَوَانِبَها صُقُوبُ[٦] العَرْعَرِ[٧]

---

(١) ابن منظور، ١/٢٩٢. ندى عبدالرحمن الشايع، معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العشر (ط١، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩١م) ص٢٨.

(٢) السيوطي، مسند فاطمة، ص ٢، ٤٠.

(٣) الصحن: العُس وهو القدح الكبير أو الجفنة الضخمة. الخنساء، ص٣٨٨.

(٤) الخنساء، ص٣٨٨. "ومهمار: مكثار، يكثر لأضيافه من القرى".

(٥) الخنساء، ص١٤٤.

(٦) صقوب: جمع صقب وهو العمود الأطول في وسط البيت. ابن منظور، ٢/٤٥٥.

(٧) الفرزدق، ١/٣٣٧. والعرعر نوع من أنواع الشجر. ابن منظور ٢/٧٣١.

وعلى الرغم من أن الفرزدق ليس من سكان الحجاز إلا أن ما أوردناه على لسانه يعطي دلالة على اتفاق البوادي على هذا الاسم واستمراريته. وقد يقيد معنى البيت ويقصد به نوع معين من المساكن، وهذا سيتضح معناه عند الحديث عن أنواع المساكن في البادية.

ومن أسماء المسكن أيضا السَّكْن: ويقصد به المنزل والبيت[١]، قال أبو ذؤيب الهذلي:

أَسَاءَلتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تُسَائِلِ عَنِ السَّكْنِ أَوْ عَنْ عَهْدِهِ بالأَوَائِلِ[٢]

وقد يطلق عليه أيضًا: الرَّحْل: وعرفه ابن منظور[٣] بأنه منزل الرجل ومسكنه وبيته.

٢- **أنواع السكن:**

تعددت أنواع المساكن في البادية واختلفت أحجامها، ولا شك أن ذلك عائد لاختلاف الوضع الاجتماعي للأسر. وعند الحديث عن المسكن لا بد من الإجابة عن عدة تساؤلات: فما شكل البناء؟ وما المادة المستخدمة في بنائه؟ وهل يشتمل على أقسام لاستخدامات متعددة؟ وما الأبنية الملحقة به؟ وما الوسائل المستخدمة لحمايته من الأمطار والرياح؟ وعلى الرغم من أهمية الإجابة عن هذه التساؤلات عند الحديث عن كل نوع من المساكن إلا أن ذلك سيكون مقيّدًا بما توصلنا إليه من معلومات.

---

(١) ابن منظور، ٢/١٧٤.

(٢) أبو سعيد السكري، ١/١٤٠.

(٣) ابن منظور، ١/١٤١.

من أشهر المساكن التي عرفت في البادية: الخِباء، ويرى ابن دريد[1] أن الأخبية يتغير اسمها تبعًا لكبر حجمها، يقول: "الأخبية بيوت الأعراب، فإذا ضخُم فهو بيت، وإذا كان أعظم من ذلك فهو مظلة، فإذا جاوز ذلك فهو دوحة، وذلك تشبيه بالشجرة العظيمة".

يصنع الخباء من مواد عديدة مثل الوَبَر والصوف[2]، أما الشعر فقد اختلف فيه فهناك من يرى أنه يصنع منه، وآخرون يرون أن الخباء لا يكون من الشعر[3]. وعلّق العسكري[4] على هذا الاختلاف بقوله: "ولعلهم كانوا كذلك في أول الزمان ثم انتقل بعضهم إلى الشعر فبنى منه بيته والأشياء قد تتغير".

يقام الخباء عادة على عُمُد تُقطع من شجر معروف في الحجاز يسمى التَّنضُب[5]، ويتراوح عددها ما بين عمودين أو ثلاثة، وقد تزيد على ذلك[6]، وكلما ازداد ارتفاع العُمُد كان البيت أوسع، وفي ذلك دلالة على غنى صاحبه وشرفه فهم يمدحون بطول العِماد ويذمون بقصرها[7]. قالت الخنساء:

رَفِيعُ العِمَادِ طَويلُ النِّجا ... دِ سَادَ عَشيرَتَهُ أَمْرَدَا[8]

---

(١) ابن دريد، جمهرة، ١٢٩٩/٣.

(٢) البلاذري، أنساب، ٤١٢/٨. ثعلب، ٧٩/١، ١١٢. العسكري، ١٩٦/٢. ابن منظور، ٧٨٩/١٠. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٦٥٠.

(٣) البلاذري، أنساب، ٤١٢/٨. العسكري، ١٩٦/٢. ابن الأثير الجزري، النهاية، ٩/٢. ابن منظور، ٧٨٩/١. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٦٥٠.

(٤) العسكري، جمهرة، ١٩٦/٢.

(٥) كثير عزة، ص١٥٩. ابن منظور، ٦٥٤/٣.

(٦) ابن خلاد، ص١٣٨. ابن منظور، ٧٨٩/١.

(٧) الخنساء، ص١٤٣- ١٤٤.

(٨) السابق، ص١٤٣.

وقالت أيضًا:

إذا دَخَلُوا بُيُوتَهم أَكَبُّوا على الرُكَباتِ مِنْ قِصَرِ العِمَادِ[١]

ولكل عمود من عمد الخباء اسمٌ وأهمها الصَقْعب أو الصَّقْب وهو العمود الأوسط للخباء وأطول العمد[٢]، والخَالِفة وهو عمود يقع في مؤخرة الخباء[٣]، أما الهَوادِي فهي عمد تنصب في مقدمة الخباء[٤]. ويضاف إلى ذلك عمودان آخران الأول منهما يسمى السِّطاع، وهو خشبة تنصب وسط الخباء وتسمى عمود البيت وهي أطول عمد الخباء[٥]. وهنا يبرز تساؤل: هل السطاع والصقعب اسمان لعمود واحد؟ أم أنهما ينصبان معًا في وسط الخباء؟ يبدو لي أنهما اسمان لعمود واحد لسببين؛ الأول: أن كلاً منهما وصف بأنه أطول عمد الخباء، والثاني: أن كلمتي السطاع والصقعب صفتان تدلان على الطول[٦]. أما العمود الآخر فهو المِسْطَح، وقد ورد في تعريفه أنه الذي يلي السطاع[٧]. كما ذكرت بعض العمد على أنها من عمد الخباء دون تحديد لموقعها فيه مثل البوان[٨]، والإِوان[٩].

---

(١) الخنساء، ص١٤٤.

(٢) أبو سعيد السكري، ١/٥٧- ٥٨. ابن دريد، الاشتقاق، ٥٦٢/٢. ابن منظور، ٤٥٥/٢.

(٣) ابن دريد، الاشتقاق، ٥٦٢/٢. ابن دريد، جمهرة، ٦١٨/١. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٠٤٣.

(٤) أبو سعيد السكري، ١١٧/١. ندى عبدالرحمن الشايع، معجم لغة دواوين شعراء المعلقات العشر تأصيلاً ودلالة وصرفًا (ط١، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٣م) ص١١٩.

(٥) ابن دريد، جمهرة، ٨٣٤/٢. ابن منظور، ١٤٤/٢. الفيروزآبادي، القاموس، ص٩٤٠.

(٦) ابن منظور، ٤٥٥/٢، ٤٥٨. الفيروزآبادي، القاموس، ص٩٤٠.

(٧) ابن دريد، الاشتقاق، ٨٦/١. ابن دريد، جمهرة، ٥٣٣/١. الزمخشري، أساس، ص٢١٠. ابن منظور، ١٤٣٠/٢. الفيروزآبادي، القاموس، ٢٨٧.

(٨) ابن منظور، ٢٩١/١. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٥٢٥.

(٩) ابن منظور، ١٣٦/١.

بالإضافة إلى العمد، هناك مواد أخرى تستخدم في بناء الخباء مثل: الوتد، قال ابن قيس الرقيات:

والنُّؤْيُ كالحَوْضِ خُطّ دُون عَوا   دي السَّيْلِ مِنْهُ وَمضْرِب الوَتِدِ[١]

وقال كثير عزة:

فأصبح لا تَلْقى خِباءً عَهِدْتَهُ   بمضْرِبِه أوتادُهُ لَم تُنَزَّعِ[٢]

وهو عبارة عن خشبة تُثَبت في الأرض. ويُشد بها أسفل الخباء[٣]، باستخدام حبل قصير يدعى الأَيْصَر[٤]. ومن تلك المواد أيضًا: الطَرائِق، وهي نسيجة تنسج من صوف أو شعر، عرضها يُقدَّر بعرض عظم الذراع أو أقل، وطولها تقريباً أربعة أذرع، ويتحكم في الطول كبر الخباء أو صغره. وتخيَّط هذه الطرائق في ملتقى الشقاق من الكسر إلى الكسر. وفيها تكون رؤوس عمد الخباء، ويحرص البدوي على الفصل بين تلك الرؤوس والطرائق بألباد أو متن من شعر تحاشيًا لخرقها[٥]. ومنها أيضًا: الأطْنَاب، وهي حبال طويلة يشد بها الخباء بين الأرض والطرائق[٦]. قالت الخنساء:

مَرِحٌ على جَنْبِ الغَداء إذا غَدتْ   نَكْبَاءُ[٧] تَقْطَعُ بالِيَ الأَطْنَابِ[٨]

---

(١) ابن قيس الرقيات، ص٧٥.

(٢) كثير عزة، ص ٤١٠.

(٣) الجمحي، ٥٦٧/٢. ابن منظور، ٨٧١/٣. الفيروزآبادي، القاموس، ص٤١٣.

(٤) ابن منظور، ٦٧/١. الفيروزآبادي، القاموس، ص ٤٣٨.

(٥) ابن منظور، ٥٨٨/٢.

(٦) السابق، ٦١٧/٢.

(٧) النكباء: الريح التي تأتي بين الريحين. الخنساء، ص ٢٣٥.

(٨) الخنساء، ص٢٣٤.

ومما يستخدم في بناء الخباء أيضًا: الطَوَارِف، وهي حِلَقٌ مركبة في الرفوف وفيها حبال تشد إلى الأوتاد[١]. والرفوف جمع رف وهي خرقة بالية من البجاد[٢] أو غيرها يوصل بها كسر البيت إلى الأرض في حال تقصير الكسر[٣].

وتميزت بعض الأسر ذات اليسار والشرف بسكنى أخبية تمتاز بالسعة والضخامة وجودة المواد المستخدمة في بنائها. وقد أطلقت عليها أسماء عدة تبعًا لشكلها الخارجي ومادة بنائها. ومنها أخبية تبنى من الثياب وقيل من الشعر خاصة[٤]، وتتصف بالسعة ولها رواق، وقد تكون شقة وشقتين وثلاثاً، كما قد يكون لها كِفاء[٥]، فإذا صغرت سميت الوَسُوط[٦]، وإذا كبرت قليلاً سميت المِظلَّة[٧]، وإذا عظمت سميت دَوْحَة[٨]. ومن مساكن ذوي اليسار أيضًا: الدَّوح ويطلق على البيت الضخم الكبير المصنوع من الشعر[٩]. ولعله الدوحة السابقة الذكر والطِّراف، وهو بيت أو قبة يبنى من أدم[١٠]، ولا يحاط من الخارج بكساء[١١]، وهو بذلك يختلف عن الخباء، ولا شك أنه يمتاز بارتفاع

(١) ابن منظور، ١٦٠/١.
(٢) البجاد، الصوف المغزول والمنسوج. ابن منظور، ١٦٠/١.
(٣) ابن منظور، ٥٨٥/٢.
(٤) ثعلب، ص٧٩، ١١٢. ابن منظور، ٦٤٨/٢.
(٥) كساء يحيط بالخباء من الخارج، أو شقة في مؤخرة المظلة. ابن دريد، جمهرة، ١٠٨٢/٢. الاصفهاني، الأغاني، ١٩٩/١٧.
(٦) ابن منظور، ٦٤٨/٢.
(٧) ثعلب، ص٧٩، ١١٢. ابن الأثير الجزري، النهاية، ١٥٨/١. ابن منظور، ٦٤٨/٢.
(٨) الزمخشري، أساس، ص١٣٨.
(٩) ابن منظور، ١٠٣٠/١.
(١٠) أبو سعيد السكري، ٥٧/١. الزوزني، ص٨٢. الزمخشري، أساس، ص٢٧٨.
(١١) الزمخشري، أساس، ص٢٧٨. ابن منظور، ٥٨٥/٢.

عمده واتساعه[١]. فقد وُصِفَ ساكنوه بارتفاع مستواهم المعيشي[٢]. ومن بيوت الأغنياء أيضًا: الفُسْطاط ويصنع من الشعر[٣]، ويطلق على أطرافه اسم الخَطِّل[٤]، ويضرب بخيوط التمتين[٥]، ويطلق على سقفه اسم رفيف[٦]، ومنه مضرب سيد القبيلة[٧]. ولا شك أن هذه البيوت تتفق مع البيئة الصحراوية التي يعيش فيها البدوي فهي مصنوعة من مواد تسمح للهواء بالدخول بالإضافة إلى إمكانية رفع جوانبها، ومع وجود مدخلين لها يؤدي النسيم إلى تلطيف حرارة الصيف. وفي الشتاء تغلق الجوانب والمدخل الخلفي مما يشيع جوًا من الدفء فيها. كما أن نسيج البيت ينتفخ عند نزول المطر فيمنعه من الاختراق[٨].

أما الفقراء فقد تعددت أشكال مساكنهم أيضًا، وهي في مجملها تتصف برداءة المادة المصنعة لها وضيق مساحتها. ومنها: الحِفْش ويصنع من الشعر ويتصف بالصغر والضيق والحقارة وعدم الارتفاع[٩]. والخُص وهو بيت يبنى من شجر أو قصب، وسميّ خُصًا لأنه يرى داخله من خلال النظر بين

(١) الزمخشري، أساس، ص ٢٧٨.

(٢) الأنباري، ص١٩٢.

(٣) ابن منظور، ١٠٩٥/٢. جواد علي، ٨/٥.

(٤) ابن منظور، ٨٦١/١.

(٥) السابق، ٤٣٤/١.

(٦) السابق، ١٢٠٠/١.

(٧) الزبيدي، ٢٤٧/٣. ١٥٨/١. جواد علي، ٦/٥ - ٧.

(٨) مونتغمري وات، البدو، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرين (ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١م) ص١٦.

(٩) ابن الأثير الجزري، النهاية، ٤٠٧/١. ابن منظور، ٦٧٢/١. الفيروزآبادي، القاموس، ص٧٦٢.

(١٠) ابن دريد، جمهرة، ١٠٥/١، ابن منظور، ٨٤١/١.

الخصَاص أو الفُرَج التي تظهر فيه[1]. ومنها أيضًا الخيمة، وهي بيت مستدير يبنيه الأعراب من عيدان الشجر ويستخدمون لذلك ثلاثة أعواد أو أربعة يجعل لها عوارض وتسقف بشجر الثمام والسعف، لذلك يطلق عليها اسم عريش. ويُفضِّل الأعراب سكناها في الصيف. وقد يبنيها الرجل ليستظل بها إذا أورد الإبل الماء[2]. قال العرجي:

ذكَّرَني قَرْنًا وَخَيْمًا بِهِ   مَا زَلَّ مِنْ عَيْشِي، فلَمْ أَرْقُدِ[3]

وقد تبنى بعض مساكنهم من الجلد ومنها القَشْعُ أو القشعة.

قال أحد الهذليين:

إنْ يَكُ بَيْتي قَشْعَةً قَدْ تَخذَّمَتْ[4]   وَغُصْنًا كأَنَّ الشَّوْكَ فِيهِ المَواشِمُ[5]

أقسام المسكن:

يتقدم المسكن فناء تنتفع به الأسرة في دخولها وخروجها واستقبال ضيوفها وإناخة ركائبهم[6]. أما المسكن فينقسم إلى مكان لاستقبال الضيوف، وهو أهم جزء فيه ويقام في مقدمته بمدٍّ ستر في البيت لا يصل إلى السقف ويسمى هذا الجزء الرواق[7]، قالت الخنساء:

---

(١) ابن دريد، جمهرة، ١٠٥/١، ابن منظور، ٨٤١/١.

(٢) ثعلب، ٧٩/١، ١١٢، ابن منظور، ٧٣٥/٢، ٩٣٣. الفيروزآبادي، القاموس، ص١٤٢٧.

(٣) العرجي، ص١٠، ٩٢.

(٤) تخذمت: أي تقطعت. أبو سعيد السكري، ١١٨٤/٣.

(٥) أبو سعيد السكري، ١١٨٤/٣. والمواشم يقصد بها الإبر. أبو سعيد السكري، ١١٨٤/٣.

(٦) المفضل الضبي، أمثال، ص١١٨. ابن خلاد، ص١٣٩. الأصفهاني، الأغاني، ١٧١/٢، ١٣٢/٦. الطبراني، الكبير، ٧٧/٥. ابن العربي، ٢٦٦/١. ابن منظور، ١١٣٨/٢.

(٧) ابن منظور، ١٢٥٨/١.

مِـنَ القَـوْمِ مَغْشّـي الـرُّوَاقِ كأنَّـهُ إِذا سِيْمَ ضَيْمًا خَـادِرٌ مُتَبسّـلُ[١]

وقد يغطي هذا الرواق بسجف، قال أحد الهذليين:

إِذَا تَسْمَعُ الإِبْسَاسَ[٢] كَادَ يُطيرُهَـا جُنُـونٌ كَمَا طَـارَ الرُّوَاقُ المُسَجَّفُ[٣]

أما النساء والصبيان فيقمن خلف ستر الرواق ويطلق على مكان إقامتهن الخِدر[٤]. ومن المرجح أن المسكن يحتوي على مدخلين أحدهما في مقدمته والآخر في المؤخرة ويستران بسجوف[٥]. وهناك بعض المرافق الملحقة بالمسكن مثل: المَبْناة وتبنى من أدم كهيئة القُبة وهي خاصة بالمرأة، والمرجح أنها خارج البيت ملاصقة لكسر البيت. قال ابن منظور[٦]: "تجعلها المرأة في كِسر بيتها فتسكن فيها، وعسى أن يكون لها غنم فتقتصر بها دون الغنم لنفسها وثيابها". ويحيط بالمبناة من الداخل إزار الهدف من وجوده منع المطر والغبار من الوصول إليها[٧]. كما تبنى للخيل والإبل حظيرة من شجر لتقيها من البرد تسمى العُنَّة[٨]. أما غسل الملابس فالأسرة قد تفرد له بيتًا صغيرًا رثًا فقد ورد أن مية صاحبة ذي الرمة كانت "تغسل ثيابًا لها ولأمها في بيت منفرد وكان بيتًا رثًا قد أخلق ففيه خروق"[٩].

(١) الخنساء، ص٣٢٢. ومتبسل: أي كريه المرآة. الخنساء، ص٣٢٢.

(٢) الإبساس: يكون عند حلب الناقة يقال لها: بس بس لتسكن وتدر. ابن منظور، ٢١٢/١.

(٣) أبو سعيد الهذلي، ١٠٤٤/٣. وانظر أيضًا: ابن العربي، ٢٦٦/١.

(٤) المفضل الضبي ، المفضليات، ص٣١٠. ابن دريد، جمهرة، ٥٧٧/١. ابن منظور، ٧٩٦/١. مونتغمري وات، ص١٦- ١٧.

(٥) كثير عزة، ص٣٢٤. الأصفهاني، الأغاني، ٢٦٩/٢، ٣٨٢. ابن منظور، ١٠١/٢.

(٦) ابن منظور، ٢٧٣/١.

(٧) السابق، ٢٧٣/١.

(٨) السابق، ٩٠٩/٢.

(٩) الأصفهاني، الأغاني، ١٥/١٨.

تتعرض المساكن في البادية لخطر تسرب الأمطار إلى داخلها وهبوب الرياح المحملة بالغبار، لذلك تعمد الأسر إلى اتباع بعض الأساليب للحد من ذلك ومن أشهرها: إقامة النؤي حول المسكن، قال العرجي:

وَمنزِلُ الحيِّ بِهِ قَدْ عَفَا   إلا مَخطَّ النُّؤيِ وَالموقِدِ[١]

ويتم ذلك عن طريق حفر نهير، أو قناة، أو خندق ضحل، ليجري فيه الماء الذي ينصب من البيت عند هطول المطر فيحول ذلك دون دخوله البيت[٢]، أو إحاطته بحاجز من التراب[٣]، أو رصف الحجارة من حوله[٤]، أو زراعة نبات الثُّمَام[٥]. وإن تمكنت الأسر في البادية من معالجة مشكلة الأمطار بالوسائل السابقة إلا أن تعرضها للرياح الشديدة من الأمور التي يصعب مواجهتها فالمساكن وما يحيط بها من ثُمام، كثيرًا ما تُقَلَّع نتيجة لريح شديدة تسمى الهَجُوم[٦]. وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا يحاولون حماية أنفسهم مما تحمله الرياح من غبار بإحاطة البيت من الخارج بكساء كالإزار يصل إلى الأرض يطلق عليه اسم كِفَاء[٧].

---

(١) العرجي، ص١١، ٢١.

(٢) ابن قيس الرقيات، ص٧٥. كثير عزة، ص٣٣٤. أبو زيد القرشي، ٢٠٧/١. الأنباري، ص ٨. الزوزني، ص١٠١. ابن منظور، ٥٦١/٣.

(٣) أبو زيد القرشي، ٢٥٦/١، ٥١/٢. المفضل الضبي، المفضليات، ص١١٤، ٣٤٥، ٣٧٩. ابن دريد، جمهرة، ٢٤٩/١، ١١٠٤/٢. الأبهري، ص١٤١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ١٩٣/٢١. حمزة الأصفهاني، ٣٨٨/٢.

(٥) ابن قيس الرقيات، ص٧. أبو زيد القرشي، ٢٥٦/١.

(٦) ابن منظور، ٧٧٦/٣.

(٧) ابن دريد، جمهرة، ١٠٨٢/٢. ابن منظور، ١٣٠/٢، ٢٧١/٣.

من الجدير بالذكر أن الأسر في البادية تعتمد على المرأة في بناء البيت فهو من المهمات الموكولة إليها[١] قال الشاعر:

صَعْلٌ كَأَنَّ جَنَاحَيْهِ وَجُؤْجُـؤَهُ ... بَيْتٌ أطَافَتْ به خَرْقَاءُ مَهْجُومُ[٢]

وجاء في لسان العرب[٣] شرح المازني[٤] لهذا البيت، قال: "امرأة غير صناع ولا لها رفق فإذا بنت بيتًا انهدم سريعًا". ومن المرجح أن المقصود ببناء البيت إعداد المواد المصنعة له مثل الصوف والجلد وخياطته، أما رفعه وما يتطلبه شد الحبال وربطها بالأوتاد، فيتطلب قوة جسدية قد لا تمتلكها معظم النساء.

أما عن أثاث المسكن في البادية فعلى الرغم من ندرة الإشارات إليه إلا أن المرجح تقارب أشكاله مع الأثاث المستخدم في الحاضرة وبالتحديد مع ما يفرش على الأرض التي يطلق عليها النُّجود أو النَّجْد[٥]. مثل البسط، ومنها الأنماط[٦]، والوسائد للنوم[٧] والاتكاء، ومنها النمارق[٨]، والفرش[٩]. أو مع ما تستخدمه

---

(١) الميداني، ٢/٢٢٧.

(٢) المفضل الضبي، المفضليات، ص٤٠٠.

(٣) ابن منظور، ١/٨٢٠.

(٤) المازني: هو بكر بن محمد بن بقية. مولى بني سدوس، سكن البصرة، نحوي، لغوي، أديب، وعروضي، توفي ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م تقريبًا. ياقوت، الأدباء، ٧/١٠٧- ١٢٨. خير الدين الزركلي، ٢/٦٩.

(٥) ابن منظور، ٣/٥٨٣.

(٦) المفضل الضبي، المفضليات، ص٩٢.

(٧) الجمحي، ٢/٧٧٦.

(٨) أبو سعيد السكري، ٣/١٠٠٠، ١٠٥٤.

(٩) السابق، ٣/١١٨٤.

الأسـرة لحفـظ متـاعهـا مـن لبـاس وطيـب وغيـره مثـل العَيْبَـة[1] والجُـونة[2] والقَشْـوة[3] والطَّبْلة[4]. إلا أن الغـالب عليهـا البسـاطـة، لما جبلت عليه حياتهم مـن عـدم الاسـتقرار، لذلك فهـم يقتصـرون علـى الضـروري فقـط في حيـاتهـم المعيشية[5]. ولبعد أهل البادية عن المؤثرات الخارجية، لذلك من المتوقع انتفاء حدوث تطور فيه، فما عرف في العصر الجاهلي استمر في زمن الدراسة.

(١) ابن دريد، جمهرة، ١٠٢٥/٢. الأصفهاني، الأغاني، ٢٣٥/٢٢. ابن الأثير، أسد، ٦٧/٧.

(٢) ابن منظور، ٣٩١/١.

(٣) ابن دريد، جمهرة، ٨٧٦/٢. ابن منظور، ٩٤/٣.

(٤) ابن دريد، جمهرة، ٣٥٩/١.

(٥) نجمان ياسين، ص, ٣٧

الخاتمـــة



من خلال هذه الدراسة عن التطور التاريخي للأسرة في الحجاز خلال القرنين الأول والثاني الهجريين نستطيع أن نحدد أهم النتائج التي توصلتُ إليها:

- أن مصطلح أسرة لم يكن متداولاً بكثرة في الحجاز خلال زمن الدراسة اعتمادًا على ما ورد في المصادر اللغوية وكتب النسب وما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والمصادر الأدبية، وإنما شاع بينهم لفظ أهل بيت. وعلى ذلك يبدو أنه المرادف لمصطلح أسرة لكونها أصغر وحدة قرابية.

- الأثر الإيجابي لظهور الإسلام في أوضاع الأسرة، ومدى إسهام أحكامه في تصحيح الأوضاع الخاطئة التي قامت عليها بعض الأسر في الجاهلية.

- تأثير الهجرة في الترابط الأسري، وفي خلق أسر إسلامية جديدة.

- ما أحدثه الإسلام من تغييرات في معايير الخطبة كان يرتبط بالقدرة النفسية على تجاوز الأعراف الاجتماعية، فقد استمرت بعض العادات والتقاليد مما لا يتعارض مع تعاليم الإسلام، فمثلاً معيار الكفاءة الذي وضعه الرسول ﷺ أساسًا للمصاهرة وُوجِهَ ببعض التجاوزات وخالفه بعضهم ولم يطبق التطبيق الكامل خلال عصر الدراسة، كما أن الكفاءة في نظر القرشيين يجب أن تتوافر فيمن يريد أن يصاهرهم وليس فيمن يريدون أن يصاهروه؛ فالقرشية في نظرهم لا يكافؤها إلا قرشي، فالرجل في نظر المجتمع يرفع امرأته، والمرأة وإن كانت رفيعة النسب لا ترفع زوجها.

- أن الشريعة الإسلامية تفضل المرأة ذات الدين عند الخطبة إلا أنها تقر بمكانة المال والحسب والجمال. كما أن ترغيب الإسلام للرجل باختيار البكر عند الزواج لم يجعل النساء المطلقات والأرامل ممن يرغب عنهن في المجتمع الحجازي خلال زمن الدراسة، بل إن ظاهرة الزواج منهن أدت إلى انتشار وجود ما يسمى بالمرأة المردفة.

- يُسّر الدين الإسلامي وحرصه على إيجاد الألفة والمحبة بين الزوجين، ويتمثل ذلك في أمرين: إطلاقه للرجل النظر إلى المرأة المرغوب في خطبتها حتى قبل أن يتقدم لها، واشتراط موافقة المرأة على الخطبة سواء كانت بكرًا أم ثيبًا. إلا أن تطبيق هذين الأمرين كان يرتبط بالأعراف الاجتماعية السائدة في ذلك الوقت.

- أن عقد النكاح لا يعني إتمام الدخول فقد يؤجل هذا الأمر إلى مدة لاحقة تتفاوت مدتها حسبما تمليه الظروف الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالزوج أو الزوجة، وقد وضح ذلك في مدد مختلفة.

- تفاوت المهور في المجتمع الإسلامي خلال زمن الدراسة وهذا يعطي دلالة على تأثير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لتلك المدة في ظهور ذلك التفاوت مع فشل أي محاولة لتحديده.

- معرفة المجتمع الإسلامي للزواج السري إلا أنه نادر ولا يمارسه إلا من اتصف بالشرف ولديه زوجة ذات قدر شريف وأراد الزواج من امرأة ليست بذات مكانة اجتماعية أو تمارس مهنة غير شريفة.

- التفضيل الواضح لإنجاب الذكور على الإناث، وهو استمرار لوضع اجتماعي ساد في الجزيرة العربية خلال العصر الجاهلي وما زال.

- أن ظاهرة الوأد شملت البنين والبنات ولم تقتصر على البنات فقط كما توحي بذلك بعض المصادر، وهي ظاهرة جاهلية قديمة اندثرت ثم بعثت قبيل الإسلام وكانت ممارستها في نطاق محدود.

- شيوع ظاهرة الاسترضاع في الجاهلية واستمرارها في الإسلام مع تنوع أشكاله مؤيدًا من الله سبحانه وتعالى، مع لحظ أن الهدف منه ليس الحصول على مصدر غذائي فقط للمولود. ويرتبط بالاسترضاع اتخاذ الحواضن من النساء والرجال في الجاهلية واستمرار ذلك في الإسلام حتى أواخر القرن الثاني الهجري.

- الاهتمام الواضح بتنوع لباس الصبيان وزينتهم مع اشتراك البنين والبنات في معظمها وإن كان من الصعب رصد التطورات المصاحبة لها وتأثير المؤثرات الخارجية فيها مثل ارتفاع المستوى المعيشي والاختلاط بالعناصر الأخرى إلا أننا نكاد نجزم بأن هذين العاملين أثرا بشكل أو بآخر في لباس الصبيان وزينتهم.

- انتشار ظاهرة ترقيص الصبيان في الجاهلية واستمرارها في الإسلام وإن برزت بشكل أكبر في بدايته وقل الاهتمام برصدها فيما بعد.

- تنوع ألعاب الصبيان خلال زمن الدراسة التي من الراجح أنها كانت استمرارًا وتطويرًا لما عرف في العصر الجاهلي مع صعوبة لحظ التطورات المصاحبة لها.

- انتشار كثير من العادات الأسرية الخاصة بالصبيان إلا أن بعضها اندثر في الإسلام، أما بعضها الآخر فقد استمر أو عُدِّل حسبما تمليه أحكام الشريعة الإسلامية.

- من أهـم الملحـوظات على الحيـاة اليـومية للأسـرة وجـود وجبـتين رئيسـتين لها هما الغداء والعشـاء فقط، ولم يلحظ اهـتمام بوجبة الإفطار الصباحية كما هو الوضع في الوقت الحالي.
- شيوع النسبة إلى الأم فـي المجتمع الحجازي خلال زمن الدراسة وتعدد أسبابه.
- أن العلاقات الأسـرية لا تخرج عن المألوف والمتعارف عليه في وقتنا الحاضر وإن اختلفت أساليب تطبيقها حسب تطور المجتمع، ومن غير المنـطقـي رصد أي تطورات فـيـها فـهي عـلاقـات إنسـانيـة كانت ومـا زالت عـرضـة للتقلبات العاطفية.
- تعدد المناسـبات التي كانت الأسـرة في الحـجاز تحتفل بهـا وإن اختلف أسلوب الاحـتفـال باخـتـلاف المناسـبـة مع لحظ التطور الذي صـاحب تلك المناسـبـات حيث ألغى الإسلام بعضها واستبدل بها أخرى ذات صفة دينية.
- اختـلاف الموارد الماليـة للأسـرة في الحـجاز باخـتـلاف ظروف كل أسـرة سـواء في الحاضـرة أم البادية مع التـأثير الواضح للفتوحـات الإسـلاميـة والتطورات السياسية في سلسلة المتغيرات التي صاحبتها خلال القرنين الأول والثاني.
- تعدد المشكلات التي تتعرض لها الأسرة وتـأثير نتائجهـا السلبية في استقرار الحيـاة الأسـرية فـقـد تؤدي إلـى تدهورها أو انهـيـارها مع لحـظ استـمـرارية معظم تلك المشكلات حتى الوقت الحاضر.
- شيوع ظاهرة التسري، وعلى الـرغم من أنه أمر كان معـروفًا في الجـاهلية إلا أنه ازداد بشكل كبيـر في الإسـلام نتيجة للفتوحـات الإسـلامية، وقـد كان لهذه الظاهـرة أثر في إنجـاب فـئـة من المجـتـمـع أطلق عليـهم اسم هجنـاء ومن ثم ظهور ما يسمى بأم ولد.

- أهمية التمييز بين اسمي دار وبيت في الحاضرة، فكل منهما شكل معماري خاص، فعادة لا يطلق اسم دار إلا على المسكن الذي يحوي عددًا من البيوت وله صحن ويتكون من طابق واحد أو طابقين، بينما البيت يمثل ما يسمى حاليًا بالغرفة فهي وحدة معمارية مسقوفة قد تكون جزءًا من الدار أو تبنى مفردة تسكنها في الغالب أسرة واحدة.

- لحظت ظاهرة وجود أماكن خاصة لأداء الصلاة في البيوت يطلق عليها مصليات أو مساجد، وبناء مساجد في أفنية الدور لصلاة سكانها، واستمرارية ذلك حتى القرن الثاني الهجري.

- تعدد المرافق الملحقة بالمسكن بجميع أشكاله مع وضوح تميز الدار بمرافق عدة لكبر حجمها ووجود الصحن في وسطها.

- توقف بناء الآطام مع قدوم الرسول ﷺ لانتفاء السبب الذي من أجله كانت تبنى فقد انتهى الصراع الحربي في المدينة، هذا بالإضافة إلى محاولة الرسول ﷺ إضعاف العصبية القبلية لصالح الجماعة الإسلامية.

- انتشار بناء القصور في صدر الإسلام لتكون شكلاً معماريًا جديدًا يرتبط بتحسن الأحوال الاقتصادية للأسر الحجازية وخاصة القرشية منها.

- ارتباط شكل المسكن وأثاثه في الحاضرة بتطور الأوضاع الاقتصادية للمسلمين.

- تعدد أنواع المساكن في البادية واختلاف أحجامها باختلاف الوضع الاجتماعي للأسر مع لحظ إمكانية عدم حدوث تطور فيها أو في أثاثها لبعد أهل البادية عن المؤثرات الخارجية فما عرف في العصر الجاهلي استمر في زمن الدراسة.

- وضوح الحياة الأسرية في الحاضرة مقارنة بالبادية، ولا شك أن تركيز المصادر عليها أدى إلى هذا الأمر، إلا أن هذا الكتاب حاول إلقاء الضوء ما أمكن على الحياة الأسرية في البادية بعد الحديث عن الحاضرة في محاولة لإجراء مقارنة بين الحياتين. كما لُحظ أيضًا صعوبة التمييز في بعض الأحيان بين ما يخص الحاضرة أو البادية.

وفي الختام آمل أن أكون قد وُفِّقت في إعداد هذا الكتاب .. والحمد لله.

الملحقات

الملحق رقم (١): مصاهرات بني هاشم قبل الإسلام - رجال بني هاشم

الملحق رقم (٢): مصاهرات بني هاشم قبل الإسلام - نساء بني هاشم

الملحق رقم (٣): مصاهرات بني هاشم في القرنين الأول والثاني الهجريين - نساء بني هاشم

الملحق رقم (٤): مصاهرات بني هاشم في القرنين الأول والثاني الهجريين - رجال بني هاشم



الملحق رقم (١)

مصاهرات بني هاشم قبل الإسلام [1]

- رجال بني هاشم -

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
١٥ - ١٦	هاشم بن عبدمناف	١- سلمى بنت عمر بن زيد	الخزرج	١	١	٢
		٢ - أميمة بنت إد	قضاعة	١	-	١
		٣ - قيلة بنت عامر بن مالك	خزاعة	١	-	١
		٤ - هند بنت عمرو بن ثعلبة	الخزرج	٢	-	٢
		٥ - واقدة بنت أبي عدي	مازن بن صعصعة	-	٢	٢
		٦ - أم عدي بنت حبيب ابن الحارث	هوازن (ثقيف)	-	١	١
١٧ - ١٨	عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف	٧ - فاطمة بنت عمرو بن عائذ	قريش (بنو مخزوم)	٣	٥	٨
		٨ - هالة بنت أهيب بن عبد مناف	قريش (بنو مخزوم)	٣	١	٤
		٩ - نتيلة بنت جناب بن كليب	النمر بن قاسط	٢	-	٢
		١٠ - صفية بنت جندب بن حجر	هوازن (عامر بن صعصعة)	٢	-	٢
		١١ - لبنى بن هاجر بن عبدمناف	خزاعة	-	-	-
		١٢ - ؟	خزاعة	١	-	١
٢٠ - ٢١	عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم	١٣ - آمنة بنت وهب بن عبدمناف	قريش (بنو زهرة)	١	-	١
٢١	محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب	١٤ - خديجة بنت خويلد	قريش (بنو عبدالعزى ابن قصي)	١	-	١

(١) الزبيري ، ص ١٥ - ٩١.

الصفحة	اسم الـزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيـــلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٢٥	العباس بن عبدالمطلب بن هاشم	١٥- أم الفضل لباية بنت الحارث	هوازن (عامر بن صعصعة)	٤	١	٥
		١٦- ؟ أمهات أولاد	هذيل	١ ٢	– ٢	١ ٤
٣٩	أبو طالب بن عـبـدالمطلب ابن هاشم	١٧ - فاطمة بنت أسد بن هاشم	قريش (بنو هاشم)	٤	٢	٦
٨٤	عقيل بن أبي طالب	١٨ - ريطة بنت عمرو	هـوازن (عامر بن صعصعة)	٢	–	٢
		١٩- ؟ أمهات أولاد	هـوازن (عامر بن صعصعة)	٢ ١٠	– ٥	٢ ١٠
٨٩	أبـو لهب (عبـدالعـزى) بـن عبـدالمطلب بـن هـاشـم	٢٠- أم جميل بنت حرب بن أميـــة	قريش (بنـو عبـد شـمس)	٣	–	٣
٢٢ - ٩٠	عتبـــة بـن أبـي لهــب بـن عبـــدالمطلب	٢١ - رقيـة بنت محمـد بـن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	–	–	–
٢٢	عتيبـــة بـن أبـي لهــب بـن عبـــدالمطلب	٢٢ - أم كلثوم بنت محمد ابن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	–	–	–
٨٥	الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم	٢٣ - عـــديـة بنت قيس بن طريف	قريش (بنو الحارث ابن فهر)	٦	١	٧
٨٧	ربيعـــة بـن الحــــارث بـن عبدالمطلب	٢٤ - أم الحكم بنت الزبير ابن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)	٧	٢	٩
٤٠	أبو سفيان بن الحـارث بـن عبدالمطلب	٢٥ - جمانة بنت أبي طالب ابن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)	ولدت له دون تحديد		
٨٦	نوفل بـن الحـــــــارث بـن عبدالمطلب	٢٦ - ضريبة بنت سعيد بن القيس	الأزد	٦	–	٦
٨٦	الحارث بن نوفل بن الحارث	٢٧ - هند بن أبي سفيان	قريش (بنو أمية)	١	–	١
٩١	أسد بن هاشم بن عبد مناف	أم ولد		١	١	٢
		٢٨ - فاطمـة بنـت هـرم بن رواحـة	قريش (بنو معيص ابن عامر بن لؤي)	–	١	١
٩١	حنين بن أسد بن هاشم	٢٩ - ؟	قريش (بنو زهرة)	١	–	١
٩٠	أبو صيفي بن هـاشـم بن عبدمناف	٣٠ - هـــالة بنـت كلـــدة بـن عبدمناف بن عبدالدار	قريش (بنو عبدالدار ابن قصي)	١	١	٢

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
		٣١ - ؟	مالك بن كنانة	٢	-	٢
٩١	نضلة بن هاشم بن عبدمناف	٣٢ - بنت المطلب بن عبدمناف	قريش (بنو المطلب)	١	-	١
٩١	الأرقم بن نضلة بن هاشم	٣٣ - خلدة بنت أسد بن هاشم	قريش (بنو هاشم)	-	٣	٣
				١٠٦		

الملحق رقم (٢)

مصاهرات بني هاشم قبل الإسلام [١]

- نساء بني هاشم -

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة
١٦	هاشم بن المطلب بن عبدمناف	١ - الشفاء بنت هاشم بن عبدمناف	قريش (بنو المطلب بن عبدمناف)
١٧	عبدمناف بن زهرة بن كلاب	٢ - ضعيفة بنت هاشم بن عبدمناف	قريش (بنو زهرة)
١٧	أسد بن عبدالعزى بن قصي	٣ - خالدة بنت هاشم بن عبدمناف	قريش (بنو عبدالعزى بن قصي)
١٧	هاشم بن الأجحم بن دندنة	٤ - حية بنت هاشم بن عبدمناف	خزاعة
١٨	كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس	٥ - أم حكيم بنت عبدالمطلب بن هاشم	قريش (بنو عبدشمس)
١٨	أبو أمية بن المغيرة بن عبدالله	٦ - عاتكة بنت عبدالمطلب بن هاشم	قريش (بنو مخزوم)
١٨	عبدالأسد بن هلال بن عبدالله	٧ - برة بنت عبدالمطلب بن هاشم	قريش (بنو مخزوم)
	أبو رهم بن عبدالعزى بن أبي قيس		قريش (بنو عبدشمس)
١٩	جحش بن رئاب بن يعمر	٨ - أميمة بنت عبدالمطلب بن هاشم	أسد بن خزيمة
١٩	عمير بن وهب بن عبد بن قصي	٩ - أروى بنت عبدالمطلب بن هاشم	قريش (بنو عبد بن قصي)
	كلدة بن هاشم بن مناف		قريش (بنو عبدالدار بن قصي)
٢٠	العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى	١٠ - صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم	قريش (أسد بن عبدالعزى)
٨٥	أبو وداعة بن هبيرة بن سعيد	١١ - أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب	قريش (بنو عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي)
٤٠	أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب	١٢ - جمانة بنت أبي طالب بن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)
٨٧	ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب	١٣- أم الحكيم بنت الزبير بن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)
٢٢ ، ٩٠	عتبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب	١٤- رقية بنت محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)
٢٢	عتيبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب	١٥ - أم كلثوم بنت محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)

(١) الزبيري ، ص ١٥ - ٩١.

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة
٢٢	أبو العاص بن الربيع بن وائل	١٦ - زينب بنت محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)
٩١	يغوث بن وهب بن عبدمناف ابن زهرة	١٧ - أم جميل بنت الأرقم بن نضلة ابن هاشم بن عبدمناف	قريش (بنو زهرة)
٩١	عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب	١٨ - الشفاء بنت الأرقم بن نضلة بن هاشم بن عبدمناف	قريش (بنو المطلب بن عبدمناف)
٩١	جميل بن معمر بن حبيب	١٩ - هند بنت الأرقم بن نضلة بن هاشم بن عبدمناف	قريش (بنو عمرو بن هصيص بن كعب)
٩١	نوفل بن أهيب بن عبدمناف بن زهرة	٢٠ - رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم ابن عبدمناف	قريش (بنو هاشم)
٩١	الأرقم بن نضلة بن هاشم	٢١ - خلدة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف	قريش (بنو هاشم)
٣٩	أبو طالب بن عبدالمطلب بن هاشم	٢٢ - فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف	قريش (بنو هاشم)

الملحق رقم (٣)
مصاهرات بني هاشم
في القرنين الأول والثاني الهجريين[١]

- نساء بني هاشم -

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٢٢	رقية بنت محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب	١- عثمان بن عفان	قريش (بنو عبدشمس)
٢٢	أم كلثوم بنت محمد بن عبدالله ابن عبدالمطلب	٢- عثمان بن عفان	قريش (بنو عبدشمس)
٢٣	فاطمة بنت محمد بن عبدالله ابن عبدالمطلب	٣- علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
٣٩	أم هانئ فاختة بنت أبي طالب	٤- هبيرة بن أبي وهب بن عمرو	قريش (بنو مخزوم)
٤١	زينب بنت علي بن أبي طالب	٥- عبدالله بن جعفر بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
٤١	أم كلثوم الكبرى بنت علي بن أبي طالب	٦- عمر بن الخطاب	قريش (بنو عدي بن كعب)
٤٥	أم الحسين بنت علي بن أبي طالب	٧- جعدة بن هبيرة	قريش (بنو مخزوم)
		٨- جعفر بن عقيل بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
٤٥	رملة بنت علي بن أبي طالب	٩- أبو الهياج عبدالله بن أبي سفيان	قريش (بنو هاشم)
		١٠- معاوية بن مروان بن الحكم	قريش (بنو عبدشمس)
٤٥	زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب	١١- محمد بن عقيل بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
		١٢- كثير بن العباس بن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)
٤٥	أم هانئ بنت علي بن أبي طالب	١٣- عبدالله الأكبر بن عقيل بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
٤٥	ميمونة بنت علي بن أبي طالب	١٤- عبدالله الأكبر بن عقيل بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)

(١) الزبيري ، ص ٢٢ - ٦٣.

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٤٥	أم كلثوم الصغرى واسمها نفيسة بنت علي بن أبي طالب	١٥- عبدالله الأكبر بن عقيل بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
		١٦- كثير بن العباس بن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)
		١٧- تمام بن العباس بن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)
٤٥-٤٦	خديجة بنت علي بن أبي طالب	١٨- عبدالرحمن بن عقيل بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
		١٩- أبو السنابل عبدالرحمن بن عبدالله	قريش (بنو عبدشمس)
٤٦	فاطمة بنت علي بن أبي طالب	٢٠- محمد بن أبي سعيد بن عقيل ابن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
		٢١- سعيد بن الأسود بن أبي البحتري	قريش (بنو مخزوم)
		٢٢- المنذر بن عبيدة بن الزبير بن العوام	قريش (بنو عبدالعزى بن قصي)
٤٦	أمامة بنت علي بن أبي طالب	٢٣- الصلت بن عبدالله بن نوفل ابن الحارث	قريش (بنو هاشم)
٥٠	أم الحسين بنت الحسن بن علي	٢٤- عبدالله بن الزبير بن العوام	قريش (بنو عبدالعزى بن قصي)
٥٠	أم عبدالله بنت الحسن بن علي	٢٥- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
٥٠	أم سلمة بنت الحسن بن علي	٢٦- عمرو بن المنذر بن الزبير بن العوام	قريش (بنو عبدالعزى بن قصي)
٥٠	أم سلمة بنت عمرو بن الحسن ابن علي	٢٧- عبدالله بن هشام بن المسور	قريش (بنو زهرة)
٥٠	أم سلمة بنت الحسين بن الحسن	٢٨- الحسين بن زيد بن الحسن	قريش (بنو هاشم)
٥١ ، ٦٣	فاطمة بنت الحسين بن الحسن ابن علي	٢٩- جعفر بن محمد بن علي بن حسين	قريش (بنو هاشم)
٥١	أم كلثوم بنت الحسين بن الحسن ابن علي	٣٠- إسماعيل بن عبدالملك بن الحارث	قريش (بنو عبدشمس)

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٣٢	نفيسة بنت زيد بن الحسين بن علي	٣١- الوليد بن عبدالملك بن مروان	قريش (بنو عبدشمس)
٥٠ ، ٥١	أم كلثوم بنت الحسن بن زيد بن الحسن	٣٢- علي بن عبدالله بن عباس	قريش (بنو هاشم)
		٣٣- حسين بن زيد بن علي بن الحسين	قريش (بنو هاشم)
٥٢	زينب بنت الحسن بن الحسن ابن علي	٣٤- الوليد بن عبدالملك بن مروان	قريش (بنو عبدشمس)
٥٢	أم كلثوم بنت الحسن بن الحسن ابن علي	٣٥- محمد بن علي بن حسين بن علي	قريش (بنو هاشم)
٥٢	فاطمة بنت الحسن بن الحسن ابن علي	٣٦- معاوية بن عبدالله بن جعفر	قريش (بنو هاشم)
		٣٧- أيوب بن سلمة بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)
٥٢	مليكة بنت الحسن بن الحسن ابن علي	٣٨- جعفر بن مصعب بن الزبير	قريش (بنو عبدالعزى بن قصي)
٥٢	أم القاسم بنت الحسن بن الحسن بن علي	٣٩- مروان بن أبان بن عثمان بن عفان	قريش (بنو عبدشمس)
		٤٠- حسين بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٥٣	فاطمة بنت محمد بن الحسن ابن الحسن	٤١- أبو بكر بن عبدالملك بن مروان	قريش (بنو عبدشمس)
٥٣	أم سلمة بنت محمد بن الحسن ابن الحسن	٤٢- محمد بن عبدالله بن الحسن ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)
٥٣	أم كلثوم بنت محمد بن الحسن ابن الحسن	٤٣- عيسى بن علي بن عبدالله بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٥٤	فاطمة بنت عبدالله بن الحسن ابن الحسن	٤٤- أبو جعفر عبدالله بن الحسن ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)
٥٤	زينب بنت عبدالله بن الحسن ابن الحسن	٤٥- علي بن الحسن بن الحسن ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٥٤	رقية بنت عبدالله بن الحسن ابن الحسن	٤٦- إسحاق بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)
٥٤	أم كلثوم بنت عبدالله بن الحسن ابن الحسن	٤٧- يعقوب بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)
٥٥	فاطمة بنت محمد بن عبدالله ابن الحسن	٤٨- الحسن بن إبراهيم بن عبدالله ابن الحسن	قريش (بنو عبدشمس)
٥٥	زينب بنت محمد بن عبدالله ابن الحسن	٤٩- محمد بن أبي العباس عبدالله	قريش (بنو هاشم)
		٥٠- عيسى بن علي بن عبدالله ابن العباس	قريش (بنو هاشم)
		٥١- محمد بن إبراهيم بن محمد ابن علي	قريش (بنو هاشم)
		٥٢- إبراهيم بن إبراهيم بن الحسن بن زيد	قريش (بنو هاشم)
		٥٣- عبدالله بن الحسن بن إبراهيم بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)
٥٩	سكينة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب	٥٤- مصعب بن الزبير	قريش (بنو عبدالعزى بن قصي)
		٥٥- عبدالله بن عثمان بن عبدالله	قريش (بنو عبدالعزى بن قصي)
		٥٦- زيد بن عمرو بن عثمان	قريش (بنو عبدشمس)
		٥٧- إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف	قريش (بنو زهرة)
		٥٨- الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان	قريش (بنو عبدشمس)
٥١ ، ٥٢	فاطمة بنت الحسين بن علي ابن أبي طالب	٥٩- الحسن بن الحسن بن علي	قريش (بنو هاشم)
		٦٠- عبدالله بن عمرو بن عثمان	قريش (بنو عبدشمس)

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٦٢	عبدة بنت علي بن الحسين ابن علي	٦١- محمد بن معاوية بن عبدالله ابن جعفر	قريش (بنو هاشم)
		٦٢- علي بن الحسين بن الحسن ابن علي	قريش (بنو هاشم)
		٦٣- نوح بن إبراهيم بن محمد ابن طلحة	قريش (بنو هاشم)
٦٢	أم كلثوم بنت علي بن الحسين ابن علي	٦٤- داود بن عثمان بن حسن ابن علي	قريش (بنو هاشم)
٦٢	أم الحسن بنت علي بن الحسين بن علي	٦٥- داود بن علي بن عبدالله بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٦٣	فاطمة بنت علي بن الحسين ابن علي	٦٦- داود بن علي بن عبدالله بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٦٢	علية بنت علي بن الحسين ابن علي	٦٧- علي بن الحسين بن الحسن ابن علي	قريش (بنو هاشم)
		٦٨- عبدالله بن معاوية بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)
٦٢	أم الحسين بنت علي بن الحسين	٦٩- إبراهيم الإمام بن محمد ابن علي	قريش (بنو هاشم)
٦٣	زينب بنت محمد بن علي بن الحسين	٧٠- عبيدالله بن الحسين بن علي	قريش (بنو هاشم)
		٧١- عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي	قريش (بنو هاشم)
٦٣	أم سلمة بنت محمد بن علي ابن الحسين	٧٢- محمد بن عبدالله بن علي ابن الحسين	قريش (بنو هاشم)
٦٣	فاطمة الكبرى بنت جعفر بن محمد	٧٣- محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي	قريش (بنو هاشم)
٦٣	أسماء بنت جعفر بن محمد ابن علي	٧٤- حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي	قريش (بنو هاشم)

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٦٤	فاطمة بنت عبدالله بن جعفر بن محمد	٧٥- العباس بن عيسى بن موسى	قريش (بنو هاشم)
		٧٦- علي بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد	قريش (بنو هاشم)
٦٤	فاطمة بنت علي بن محمد بن علي	٧٧- موسى بن جعفر بن علي بن الحسين	قريش (بنو هاشم)
٦٤	علية بنت الحسين بن زيد بن علي	٧٨- عبدالله بن جعفر بن محمد ابن علي	قريش (بنو هاشم)
٦٥	زينب بنت محمد بن عبدالله ابن علي	٧٩- حمزة بن عبدالله بن الحسين بن علي	قريش (بنو هاشم)
		٨٠- محمد بن عبدالله بن داود ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)
٦٥	فاطمة بنت محمد بن عبدالله بن علي	٨١- علي بن جعفر بن محمد بن علي	قريش (بنو هاشم)
٦٦	فاطمة بن حسين بن زيد ابن علي	٨٢- محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي	قريش (بنو هاشم)
		٨٣- عيسى بن جعفر بن المنصور	قريش (بنو هاشم)
٦٧	أم الحسن بنت الحسين بن زيد بن علي	٨٤- حسن بن عبدالله بن حسن بن جعفر	قريش (بنو هاشم)
٦٧	زينب بنت عيسى بن زيد بن علي	٨٥- سليمان بن جعفر بن إبراهيم	قريش (بنو هاشم)
		٨٦- الحسن بن علي بن جعفر ابن إسحاق	قريش (بنو هاشم)
٦٧	فاطمة بنت عيسى بن زيد ابن علي	٨٧- جعفر الأكبر بن الحسن ابن زيد بن علي	قريش (بنو هاشم)
		٨٨- علي بن حمزة بن القاسم ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٦٧	عبدة بنت عمر بن علي بن الحسين	٨٩- عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي	قريش (بنو هاشم)
٧٢	فاطمة بنت علي بن محمد بن علي	٩٠- حسن بن حسين بن زيد بن علي	قريش (بنو هاشم)
		٩١- محمد بن إسماعيل بن حسن بن زيد	قريش (بنو هاشم)
٧٨	أمينة الكبرى بنت حسين بن علي	٩٢- عبدالله بن جعفر بن محمد ابن علي	قريش (بنو هاشم)
٣٨، ٧٣، ٧٢	أم أبيها بنت محمد بن علي ابن أبي طالب	٩٣- عباس بن عبدالله بن معبد بن العباس	قريش (بنو هاشم)
		٩٤- علي بن علي بن الحسين ابن علي	قريش (بنو هاشم)
٧٦، ٧٧	لبابة بنت عبدالله بن محمد بن علي	٩٥- عبيدالله بن علي بن محمد ابن علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
		٩٦- سعيد بن عبدالله بن عمرو بن سعيد	قريش (بنو عبدشمس)
		٩٧- الحسن بن علي بن محمد ابن علي	قريش (بنو هاشم)
٧٧	فاطمة بنت علي بن محمد ابن علي	٩٨- جعفر بن إسحاق بن علي ابن عبدالله	قريش (بنو هاشم)
٧٧	علية بنت عون بن علي بن محمد	٩٩- علي بن الحسن بن علي ابن محمد	قريش (بنو هاشم)
		١٠٠- عبدالرحمن بن عمرو ابن عبدالرحمن	قريش (بنو حسل بن عامر بن لؤي)
		١٠١- عبدالعزيز بن سلمة بن عبدالله	قريش (بنو مخزوم)
٧٨	أم كلثوم بنت إبراهيم بن محمد بن علي	١٠٢- أبو بكر بن عثمان بن عبيدالله بن عبدالله	قريش (عدي بن كعب)

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٧٨	أسماء بنت عون بن محمد ابن علي	١٠٣- يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)
٧٩	نفيسة بنت عبيدالله بن العباس	١٠٤- عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية	قريش (بنو عبدشمس)
٧٤	أم أبيها بنت عبدالله بن عبيدالله	١٠٥- عبيدالله بن الحسين ابن علي	قريش (بنو هاشم)
٨٠	أسماء بنت عقيل بن أبي طالب	١٠٦- عمر بن علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
٨٠	أم أبيها بنت محمد بن علي ابن أبي طالب	١٠٧- عبدالله بن محمد بن عمر بن علي	قريش (بنو هاشم)
٧١	أم موسى بنت عمر بن علي ابن أبي طالب	١٠٨- عمر بن علي بن حسين ابن علي	قريش (بنو هاشم)
٥١	أم حبيب بنت عمرو بن علي بن أبي طالب	١٠٩- الحسين بن الحسن بن علي	قريش (بنو هاشم)
٦٦	محبة بنت عمرو بن علي ابن أبي بكر	١١٠- يحيى بن زيد بن علي ابن الحسين	قريش (بنو هاشم)
٨٢	أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر	١١١- القاسم بن محمد بن جعفر	قريش (بنو هاشم)
		١١٢- الحجاج بن يوسف	ثقيف
٨٢	ابنة القاسم بن محمد بن جعفر	١١٣- حمزة بن عبدالله بن الزبير	قريش (بنو عبدالعزى بن قصي)
		١١٤- طلحة بن عمر بن عبيدالله	قريش (بنو تميم)
٢٩، ٣٠، ٨٣	أم أبيها بنت عبدالله بن جعفر	١١٥- عبدالملك بن مروان	قريش (بنو عبدشمس)
		١١٦- علي بن عبدالله بن العباس	قريش (بنو هاشم)

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٨٣	أم محمد بنت عبدالله بن جعفر	١١٧- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان	قريش (بنو عبدشمس)
٧٥-٧٦	أم جعفر بنت محمد بن جعفر	١١٨- محمد بن علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
٧٤	أم كلثوم بنت إسماعيل بن عبدالله	١١٩- محمد بن حسين بن علي	قريش (بنو هاشم)
٧١	فاطمة بنت علي بن جعفر	١٢٠- محمد بن زيد بن علي ابن حسين	قريش (بنو هاشم)
٨٤-٨٥	زينب بنت عقيل بن أبي طالب	١٢١- علي بن زيد بن ركانة ابن عبد يزيد	قريش (بنو عبدالمطلب بن عبدمناف)
٢٥-٢٦	أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبدالمطلب	١٢٢- الحسن بن علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
		١٢٣- أبو موسى بن عبدالله ابن قيس	الأشاعر
		١٢٤- عمران بن طلحة بن عبيدالله	قريش (بنو تميم)
٢٩	لبابة بنت عبدالله بن العباس	١٢٥- علي بن عبدالله بن جعفر	قريش (بنو هاشم)
		١٢٦- إسماعيل بن طلحة بن عبيدالله	قريش (بنو تميم)
		١٢٧- محمد بن عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
٢٩	أسماء بنت عبدالله بن العباس	١٢٨- عبدالله بن عبيدالله ابن العباس	قريش (بنو هاشم)
٣٠	أم عيسى الصغرى بنت علي بن عبدالله	١٢٩- عبدالله بن الحسين بن عبيدالله	قريش (بنو هاشم)

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٣٠	أميمة بنت علي بن عبدالله ابن العباس	١٣٠- يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٣٠	لبابة بنت علي بن عبدالله ابن العباس	١٣١- عبيدالله قثم بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٣٨-٣٩	أم أبيها بنت عبدالله بن الحارث	١٣٢- محمد بن صفوان بن عبيدالله	قريش (بنو جمح)
		١٣٣- إبراهيم بن أفلح	قريش (بنو حسل بن عامر بن لؤي بن كعب)
٣٠	ميمونة بنت عبيدالله بن العباس	١٣٤- أبو سعيد بن عبدالرحمن ابن الحارث	قريش (بنو مخزوم)
		١٣٥- نافع بن جبير بن مطعم	قريش (بنو نوفل بن عبدمناف)
		١٣٦- أبو السنابل بن عبدالله ابن عامر	قريش (بنو عبدشمس)
٢٩، ٣٠ ٣٢	العالية بنت عبيدالله بن العباس	١٣٧- عبيدالله بن عبدالله ابن العباس	قريش (بنو هاشم)
		١٣٨- عثمان بن عبيدالله بن حميد	قريش (بنو عبدالعزى بن قصي)
		١٣٩- علي بن عبدالله بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٣٢	لبابة بنت عبيدالله بن العباس	١٤٠- عباس بن علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
		١٤١- الوليد بن عتبة بن أبي سفيان	قريش (بنو عبدشمس)
		١٤٢- زيد بن حسن بن علي	قريش (بنو هاشم)
٣٢	عمرة بنت عبيدالله بن العباس	١٤٣- شعيب بن محمد بن عبدالله	قريش (بنو عبدشمس)

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٣٩	أم العباس بنت عبيدالله بن العباس	١٤٤- الزبير بن الحارث بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٣٣	أم محمد بنت عبيدالله ابن العباس	١٤٥- عبدالله بن معبد بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٣٣	أم محمد بنت عباس بن عبيدالله	١٤٦- إبراهيم بن عبدالله بن معبد	قريش (بنو هاشم)
٧٦	فاطمة بنت محمد بن عبيدالله	١٤٧- أبو هاشم عبدالله بن محمد بن علي	قريش (بنو هاشم)
٣٧	أم محمد بنت معبد بن العباس	١٤٨- عبيدالله بن عبدالله بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٣٧	أبية بنت معبد بن العباس	١٤٩- يريم بن أبي شعثاء معدي يكرب	حمير
٣٧	لبابة بنت عبدالله بن معبد	١٥٠- النضر بن يريم بن أبي شعثاء	حمير
٧٩	أم أبيها بنت عبدالله بن معبد	١٥١- عبيدالله بن العباس بن علي	قريش (بنو هاشم)
٤٥	أم كلثوم بنت كثير بن العباس	١٥٢- جعفر بن تمام بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٣٧	جمرة بنت عبدالله بن نوفل	١٥٣- عبدالله بن معبد بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٣٠	أم الحكم بنت عبدالله بن الحارث بن نوفل	١٥٤- محمد بن علي بن عبدالله بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٧١	أم إسحاق بنت محمد بن عبدالله	١٥٥- عمر بن علي بن حسين ابن علي	قريش (بنو هاشم)
٧٤	زينب بنت عون بن عبيدالله	١٥٦- علي بن حسين بن علي ابن حسين	قريش (بنو هاشم)
٨٨	أروى بنت ربيعة بن الحارث	١٥٧- حبّان بن منقذ بن عمرو	بنو النجار

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٧٧	أم يعقوب بنت جعفر بن يعقوب	١٥٨- القاسم بن محمد بن علي	قريش (بنو هاشم)
٨٨	أم محمد بنت العباس بن ربيعة	١٥٩- المنذر بن الجارود العبدي	عبدالقيس
٧٩	أم الحارث بنت فضل بن عباس	١٦٠- الحسن بن عبيدالله بن العباس	قريش (بنو هاشم)
٧٦	أم الحارث بنت الحارث بن نوفل	١٦١- أبو هاشم عبدالله بن محمد	قريش (بنو هاشم)
٣٣	ابنة الفضل بن عباس بن عتبة	١٦٢- حسن بن عبدالله بن عبيدالله	قريش (بنو هاشم)
٨٧	ابنة أبي سفيان بن الحارث ابن عبدالمطلب	١٦٣- عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث	قريش (بنو هاشم)
٦٧	عاتكة بنت الفضل بن عبدالرحمن	١٦٤- عيسى بن زيد بن علي بن حسين	قريش (بنو هاشم)
٧٦	الشهباء أم عبدالرحمن بنت عبدالرحمن	١٦٥- محمد بن علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
٩١	أم هارون بنت عبدالله بن حنين	١٦٦- موسى بن سعد بن أبي وقاص	قريش (بنو زهرة)
٦٦	كلثم بنت حسين بن زيد بن علي	١٦٧- محمد بن محمد بن زيد ابن علي	قريش (بنو هاشم)
		١٦٨- علي بن الحسين بن علي ابن عمر	قريش (بنو هاشم)
٦٤	كلثم بنت عبدالله بن علي بن الحسين	١٦٩- إسماعيل بن علي بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)
		١٧٠- الحسين بن زيد بن علي	قريش (بنو هاشم)
٣٠	بريهة بنت عبدالله بن قثم	١٧١- جعفر بن أبي جعفر المنصور عبدالله بن محمد	قريش (بنو هاشم)

الصفحة	اسم الزوجة	اسم الزوج	القبيلة
٥٥	بريهة بنت جعفر بن محمد	١٧٢- محمد بن إبراهيم بن محمد	قريش (بنو هاشم)
٣٨	نفيسة بنت عبدالله بن الفضل	١٧٣- محمد بن العباس بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)
٤٥	نفيسة بنت تمام بن العباس	١٧٤- عبدالله بن علي بن الحسين	قريش (بنو هاشم)
٧٦	خلدة بنت متعب بن أبي لبيب	١٧٥- عبدالله بن الحارث بن نوفل	قريش (بنو هاشم)
٦٢	خديجة بنت علي بن الحسين	١٧٦- محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
٦٦	خديجة بنت عمر بن علي	١٧٧- حسين بن زيد بن علي	قريش (بنو هاشم)
		١٧٨- عبدالله بن محمد بن علي	قريش (بنو هاشم)
		١٧٩- محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي	قريش (بنو هاشم)
		١٨٠- عبدالرحمن بن القاسم ابن إسحاق	قريش (بنو هاشم)
٥٥	صفية بنت عبدالله بن حسين	١٨١- إبراهيم بن محمد بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)
٧٦	ريطة بنت عبدالله بن محمد	١٨٢- زيد بن علي بن حسين	قريش (بنو هاشم)
٥٠	رملة بنت عقيل بن أبي طالب	١٨٣- عمرو بن الحسن بن علي	قريش (بنو هاشم)
٤٥	رقية الكبرى بنت علي بن أبي طالب	١٨٤- مسلم بن عقيل بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)
٧١	رقية بنت عيسى بن زيد بن علي	١٨٥- علي بن الحسين بن زيد ابن علي	قريش (بنو هاشم)
		١٨٦- جعفر بن الحسين بن علي بن عمر	قريش (بنو هاشم)

الملحق رقم (٤)

مصاهرات بني هاشم

في القرنين الأول والثاني الهجريين[(١)]

- رجال بني هاشم -

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء: ذكور	إناث	مجموع
٢٨	عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب	١- زرعة بنت مشرح بن معدي كرب	كندة	٥	١	٦
		أم ولد		-	١	١
٢٨	الفضل بن العباس بن عبدالمطلب	٢- أم سلمة بنت محمية ابن جَزء	زُبيد	-	١	١
٢٩	محمد بن عبدالله بن العباس	٣- لبابة بنت عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٢٩ - ٣٠	علي بن عبدالله بن العباس	٤- العالية بنت عبيدالله ابن العباس	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
		أمهات الأولاد		١٩	١٠	٢٩
		٥- أم أبيها بنت عبدالله ابن جعفر	قريش (بنو هاشم)	١	١	٢
		٦- ؟	هوازن (عامر بن صعصعة) (بنو الحريش بن كعب)	١	-	١
٥٠		٧- أم كلثوم بنت الحسين ابن زيد	قريش (بنو هاشم)	٢	-	٢
٢٩	علي بن عبدالله بن جعفر	٨- لبابة بنت عبدالله بن العباس	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
٣٠	يحيى بن جعفر بن تمام	٩- أميمة بنت علي بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	لم تنجب		

(١) الزبيري ، ص ٢٨ - ٨٧.

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٣٠	عبدالله بن حسين بن عبدالله	١٠- أم عيسى الصغرى بنت علي بن عبدالله	كندة	لم تنجب		
٣٠	عبيدالله بن قثم بن العباس	١١- لبابة بنت علي بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	١	١	٢
٣٠	جعفر بن أبي جعفر المنصور عبدالله بن محمد	١٢- بريهة بنت عبيدالله ابن قثم	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٣١		١٣- ريطة بنت عبيدالله ابن عبدالله	الحارث بن كعب (بنو عبدالله)	١	-	١
		أمهات أولاد		٥	١	٦
		١٤- أم الحكم بنت عبدالله بن الحارث	قريش (بنو هاشم)	١	١	٢
٣١	عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب	١٥- القرعة بنت قطن ابن الحارث	هوازن (عامر بن صعصعة) (بنو هلال)	٢	١	٣
		أمهات أولاد		١	٢	٣
		١٦- عائشة بنت عبدالله ابن عبدالمدان	الحارث بن كعب (بنو عبدالديان)	١	١	٢
		١٧- أم حكيم بنت قارظ ابن خالد	كنانة (الحارث بن عبدمناة)	٢	-	٢
٣٠	العباس بن عبدالله بن العباس	١٨- مريم بنت عباد بن مسعود	تميم	١	-	١
		١٩- حبيبة بنت الزبير ابن العوام	قريش (بنو عبدالعزى ابن قصي)	١	-	١
		٢٠- جعدة بنت الأشعث	كندة	١	١	٢
٣٢ ، ٧٩	عباس بن علي بن أبي العباس	٢١- لبابة بنت عبدالله ابن العباس	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
٣٣	عبدالله بن عبيدالله بن العباس	٢٢- أسماء بنت عبدالله ابن العباس	قريش (بنو هاشم)	٢	-	٢

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٣٣	إبراهيم بن عبدالله بن معبد	٢٣- أم محمد بنت عباس بن عبيدالله	قريش (بنو هاشم)	٢	-	٢
٣٣	حسن بن عبدالله بن عبيدالله	٢٤- ابنة الفضل بن عباس بن عتبة	قريش (بنو هاشم)	-	١	١
٥٣	حسين بن عبدالله بن عبيدالله	٢٥- أم القاسم بنت الحسن بن الحسن	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٣٢		٢٦- عابدة بنت شعيب ابن محمد	قريش (بنو عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤي)	-	-	-
٣٣		أم ولد		١	-	١
٣٢	عبيدالله بن عبدالله بن العباس	٢٧- العالية بنت عبيدالله ابن العباس	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
٣٧		٢٨- أم محمد بنت معبد ابن العباس	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٣٧	معبد بن العباس بن عبدالمطلب	٢٩- أم جميل بنت السائب ابن الحارث	هوازن (عامر بن صعصعة (بنو هلال	١	١	٢
		أم ولد		-	١	١
٣٧	العباس بن عبدالله بن العباس	٣٠- أم محمد بنت عبيدالله بن عباس	قريش (بنو هاشم)	٣	١	٤
		٣١- جمرة بنت عبدالله ابن نوفل	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
		أمهات أولاد		٤	١	٥
٤٥	جعفر بن تمام بن العباس	٣٢- أم كلثوم بنت كثير ابن العباس	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٣٨		أم ولد		١	-	١
٣٨	محمد بن العباس بن عبدالله	٣٣- نفيسة بنت عبدالله ابن الفضل	قريش (بنو هاشم)	٣	-	٣

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٣٨	عبدالرحمن بن العباس ابن عبدالمطلب	٣٤- أم أيوب بنت ميمون ابن عامر	بنو حضرموت	١	–	١
٣٨ - ٧٣	عباس بن عبدالله بن معبد	٣٥- أم أبيها بنت محمد ابن علي	قريش (بنو هاشم)	٢	–	٢
٣٨	كثير بن العباس بن عبدالمطلب	٣٦- أم كلثوم الصغرى بنت علي	قريش (بنو هاشم)	١	–	١
٤٥		٣٧- زينب الصغرى بنت علي	قريش (بنو هاشم)	–	١	١
٣٨	الحارث بن العباس بن عبدالمطلب	٣٨- فاطمة بنت جنيدة ابن عوف	قريش (بنو الحارث ابن فهر)	٣	–	٣
٣٨		٣٩- جمال بنت النعمان	الأنصار (بنو النجار)	٣	١	٤
		أم ولد		٢	١	٣
٣٨	تمام بن العباس بن عبدالمطلب	٤٠- ؟	(بنو هلال)	٣	–	٣
		٤١- أم كلثوم الصغرى واسمها نفيسة بنت علي	قريش (بنو هاشم)	–	١	١
٣٩	الزبير بن الحارث بن العباس	٤٢- أم العباس بنت عبيدالله بن العباس	قريش (بنو هاشم)	٣	١	٤
٤٠ - ٤٤	علي بن أبي طالب	٤٣- فاطمة بنت محمد ابن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	٢	٢	٤
		٤٤- أم البنين بنت حزام ابن خالد	هوازن (عامر بن صعصعة) (كلاب ابن ربيعة)	٤	–	٤
		٤٥- ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك	تميم	١	–	١
		٤٦- أسماء بنت عميس	خثعم	١	–	١

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
		٤٧- أم سعيد بنت عروة	هوازن (ثقيف)	–	٢	٢
		أمهات أولاد		٢	١٢	١٤
٤٥	أبو الهياج عبدالله بن أبي سفيان	٤٨- رملة بنت علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	ولدت له دون تحديد		
٤٥	جعفر بن عقيل بن أبي طالب	٤٩- أم الحسين بنت علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	لم تنجب له		
٤٥	عبدالله بن علي بن الحسين	٥٠- نفيسة بنت تمام بن العباس	قريش (بنو هاشم)	–	–	–
		أمهات أولاد		٣	٣	٦
٤٥	مسلم بن عقيل بن أبي طالب	٥١- رقية الكبرى بنت علي ابن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	٣	–	٣
٤٥	عبدالله الأكبر بن عقيل ابن أبي طالب	٥٢- أم كلثوم الصغرى واسمها نفيسة بنت علي	قريش (بنو هاشم)	–	١	١
		٥٣- ميمونة بنت علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	١	–	١
		٥٤- أم هانئ بنت علي ابن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	٣	١	٤
٤٥	عبدالرحمن بن عقيل ابن أبي طالب	٥٥- خديجة بنت علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	٢	–	٢
٤٦	محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب	٥٦- فاطمة بنت علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	–	١	١
٤٦	الصلت بن عبدالله بن نوفل بن الحارث	٥٧- أمامة بنت علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	ولدت له ولم تحدد		
٤٦ - ٥٠	الحسن بن علي بن أبي طالب	٥٨- خولة بنت منظور بن زبان	غطفان (فزارة)	١	–	١
		٥٩- أم بشر بنت أبي مسعود عقبة	أنصار (بنو خدارة)	٤	١	٥

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
		٦٠- أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
		٦١- أم كلثوم بنت الفضل	قريش (بنو هاشم)	٣	١	٤
		أمهات أولاد		٢	٤	٦
٥٠	الحسين بن الحسن بن علي	٦٢- أم حبيب بنت عمرو ابن علي	قريش (بنو هاشم)	-	١	١
		أم ولد		١	٢	٢
٥٠	عمرو بن الحسن بن علي	٦٣- رملة بنت عقيل بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
		أم ولد		١	٢	٢
٥٠	الحسين بن زيد بن الحسن	٦٤- أم سلمة بنت الحسين ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)	٢	١	٣
٥٠ - ٥٩		٦٥- أم عبدالله بنت الحسن بن علي	قريش (بنو هاشم)	٣	-	٣
٦٠ - ٦٢		أمهات أولاد		٧	٦	١٣
٥١	الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب	٦٦- رملة بنت سعيد بن زيد بن عمرو	قريش (عدي بن كعب)	١	-	١
		٦٧- فاطمة بنت الحسين ابن علي	قريش (بنو هاشم)	٣	٢	٥
		أمهات أولاد		٢	٣	٥
٥١	حسين بن زيد بن علي	٦٨- أم كلثوم بنت الحسين بن زيد	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٤ - ٦٦		٦٩- كلثم بنت عبدالله بن علي بن الحسين	قريش (بنو هاشم)	١	٤	٥

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٦٦		٧٠- خديجة بنت عمر ابن علي بن الحسين	قريش (بنو هاشم)	١	٢	٣
		أمهات أولاد		٤	٢	٦
٥١ - ٦٣	جعفر بن محمد بن علي بن الحسين	٧١- فاطمة بنت الحسين ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)	٢	١	٣
		أمهات أولاد		٥	٤	٩
٥٢	محمد بن علي بن حسين بن علي	٧٢- أم كلثوم بنت الحسن ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)	لم تنجب منه		
٦٢		٧٣- فروة بنت القاسم بن محمد	قريش (تيم)	٢	-	٢
٦٢		٧٤- أم حكيم بنت أسيد	هوازن (ثقيف)	٢	-	٢
		أمهات أولاد		١	٢	٣
٥٢	معاوية بن عبدالله بن جعفر	٧٥- فاطمة بنت الحسين ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)	٣	٢	٥
٥٣	محمد بن الحسن بن الحسن بن علي	٧٦- تماضر بنت عبدالله ابن عاصم	هوازن (ثقيف)	-	٢	٢
		أم ولد		-	١	١
٥٣	عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي	٧٧- هند بنت أبي عبيدة ابن عاصم	قريش (بنو عبدالعزى ابن قصي)	٣	٣	٦
		٧٨- عاتكة بنت عبدالملك ابن الحارث	قريش (بنو مخزوم)	٣	-	٣
		٧٩- قريبة بنت ركيح بن عبدالله بن أبي عبيدة	قريش (بنو عبدالعزى ابن قصي)	١	-	١
٥٤	يعقوب بن إبراهيم بن حسن بن حسن	٨٠- أم كلثوم بنت عبدالله ابن الحسين	قريش (بنو هاشم)	-	-	-

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٥٤	أبو جعفر بن عبدالله ابن حسن بن حسن	٨١- فاطمة بنت عبدالله ابن الحسن بن الحسن	قريش (بنو هاشم)	٣	١	٤
٥٤	محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن	٨٢- أم سلمة بنت محمد ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)	٣	٢	٥
		٨٣- فاختة بنت فليح بن محمد بن المنذر	قريش (بنو عبدالعزى ابن قصي)	١	-	١
		أم ولد		١	-	١
٥٥	إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الحسن	٨٤- صفية بنت عبدالله ابن حسين بن علي	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
٥٥	محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي	٨٥- زينب بنت محمد بن عبدالله بن الحسن	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
		٨٦- فاطمة الكبرى بنت جعفر بن محمد	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
		٨٧- بريهة بنت جعفر بن محمد بن علي	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
		٨٨- خديجة بنت إسحاق ابن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
		٨٩- فاطمة بنت حسين ابن زيد بن علي	قريش (بنو هاشم)	١	٢	٣
٥٥	الحسن بن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن	٩٠- ؟	تميم	١	-	١
		٩١- فاطمة بنت محمد بن عبدالله بن الحسن	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٥٥	سليمان بن عبدالله بن الحسن بن الحسن	٩٢- ؟	غطفان (فزارة)	١	-	١

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٥٥	موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن	٩٣- أم سلمة بنت محمد ابن طلحة بن عبدالله	قريش (بنو تيم)	١	-	١
٥٥	إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن	٩٤- ؟	هوازن (عامر بن صعصعة) (كلاب ابن ربيعة)	١	-	١
٥٥	عبدالله بن الحسن بن إبراهيم بن عبدالله	٩٥- زينب بنت محمد بن عبدالله بن الحسن	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٥٥	محمد بن أبي العباس ابن عبدالله بن محمد	٩٦- زينب بنت محمد بن عبدالله بن الحسن	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٥٥	عيسى بن علي بن عبدالله بن العباس	٩٧- زينب بنت محمد بن عبدالله بن الحسن	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
		٩٨- أم كلثوم بنت محمد بن الحسن بن الحسن	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٥٥	يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن	٩٩- خديجة بنت إبراهيم ابن طلحة	قريش (بنو تيم)	١	-	١
٥٦	إسحاق بن إبراهيم بن حسن بن حسن	١٠٠- رقية بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن	قريش (بنو هاشم)	-	١	١
٥٦	زيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب	؟	؟	٢	-	٢
		١٠١- لبابة بنت عبدالله	قريش (بنو هاشم)	-	١	١
٥٦	سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس	١٠٢- عائشة بنت عوف بن الحارث	الأزد	٢	-	٢
٥٦	إسماعيل بن إبراهيم بن حسن	١٠٣- ؟	هوازن (عامر بن صعصعة) (كلاب ابن ربيعة)	١	-	١
٥٦	الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي	١٠٤- ؟	هوازن (عامر بن صعصعة) (كلاب ابن ربيعة)	٣	-	٣
		١٠٥- عائشة بنت طلحة	قريش (بنو تيم)	٢	-	٢

الصفحة	اسم الـزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيـــلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٥٦	جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي	١٠٦- عائشة بنت عوف بن الحـارث	الأزد	١	١	٢
٥٦	إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي	١٠٧- ذبيحة بنت محمد بن عبدالله	قريش (بنو مخزوم)	٣	-	٣
٥٤ ، ٥٦	علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن	١٠٨- زينب بنت عبدالله ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)	٤	٣	٧
٥٧	الحسين بن علي بن أبي طالب	١٠٩- آمنة بنت أبي مرة بن عـروة	هوازن (ثقيف)	١	-	١
		١١٠- ؟	قضاعة (بلـي)	١	-	١
		١١١- الرباب بنت امرئ القيس	قضاعة (كلب)	١	١	٢
		١١٢- أم إسـحاق بنـت طلحـة	قريش (بنو تيم)	-	١	١
		أم ولد		١	-	١
٦٢	علي بن الحسن بن الحسن بن علي	١١٣- علية بنت علي بن الحسين	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٢	عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر	١١٤- علية بنت علي بن الحسين	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٢	محمد بن معاوية بن عبدالله بن جعفر	١١٥- عبدة بنت علي بن الحسين	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٢	داود بن عثمان بن حسن ابن علي	١١٦- أم كلثوم بنت علي ابن الحسن	قريش (بنو هاشم)	ولدت له دون تحديد		
٦٢	إبراهيم الإمـام بن محمد بن علـي	١١٧- أم الحسين بنت علي بن الحسين	قريش (بنو هاشم)	ولدت له دون تحديد		
٥٥		؟	؟	١	-	١

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٦٢	علي بن الحسن بن الحسن بن علي	١١٨- عبدة بنت علي بن الحسن بن علي	قريش (بنو هاشم)	٢	-	٢
٦٢	داود بن علي بن عبدالله ابن العباس	١١٩- أم الحسن بنت علي بن الحسين	قريش (بنو هاشم)	٢	-	٢
		١٢٠- فاطمة بنت علي بن الحسين بن علي	قريش (بنو هاشم)	-	١	١
٦٣ ، ٦٤	إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي	١٢١- أم إبراهيم بنت إبراهيم بن هشام	قريش (بنو مخزوم)	١	١	٢
		١٢٢- أم حكيم بنت عبدالله ابن عبدالرحمن	قريش (بنو عدي ابن كعب)	-	-	-
		١٢٣- أم جميل بنت حفص ابن عاصم بن عمر	قريش (بنو عدي ابن كعب)	-	-	-
		أم ولد		١	-	١
٦٣	عبيدالله بن الحسين بن علي بن الحسين	١٢٤- زينب بنت محمد بن علي بن حسين	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
		١٢٥- أم أبيها بنت عبدالله	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
		١٢٦- أم عبيدة بنت طلحة ابن عمر	قريش (بنو تيم)	١	-	١
		١٢٧- حمادة بنت عبدالله	قريش (بنو عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤي)	١	٢	٣
		أمهات أولاد		٢	١	٣
٦٣	محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين	١٢٨- أم سلمة بنت محمد ابن علي	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
		أمهات أولاد		٢	٣	٥

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٦٣ ، ٨٠	عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي	١٢٩- زينب بن محمد بن علي	قريش (بنو هاشم)	٣	٣	٦
٦٣	حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي	١٣٠- أسماء بنت جعفر ابن محمد	قريش (بنو هاشم)	-	٢	٢
٦٤	موسى بن جعفر بن علي بن الحسين	١٣١- فاطمة بنت علي ابن محمد بن علي	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٤	العباس بن عيسى بن موسى بن محمد	١٣٢- فاطمة بنت عبدالله ابن جعفر	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٥	عبدالله بن محمد بن علي بن حسين	١٣٣- خديجة بنت إسحاق ابن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٤		أمهات أولاد		١	٢	٣
٦٤	إسماعيل بن علي بن عبدالله بن العباس	١٣٤- كلثم بنت عبدالله ابن علي	قريش (بنو هاشم)	١	١	٢
٦٤	علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد	١٣٥- فاطمة بنت عبدالله ابن جعفر	قريش (بنو هاشم)	ولدت له دون تحديد		
٦٤	عبدالله بن جعفر بن محمد بن علي	١٣٦- علية بن الحسين بن زيد	قريش (بنو هاشم)	-	١	١
٦٥	علي بن جعفر بن محمد ابن عبدالله	١٣٧- فاطمة بنت محمد ابن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	١	١	٢
٦٥	عبدالرحمن بن القاسم ابن إسحاق	١٣٨- خديجة بنت إسحاق ابن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
٦٥	إسحاق بن عبدالله بن علي بن الحسين	١٣٩- عائشة بنت عمر بن عاصم	قريش (بنو عبدشمس)	١	-	١
		١٤٠- كلثم بنت إسماعيل ابن عبدالرحمن	قريش (بنو تيم)	-	١	١

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٦٥	محمد بن عبدالله بن داود	١٤١- زينب بن محمد بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	٣	٢	٥
٦٥، ٦٦	حمزة بن عبدالله بن حسين بن علي	١٤٢- زينب بن محمد بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	-	١	١
٦٦	علي بن الحسين بن علي بن عمر	١٤٣- كلثم بنت الحسين ابن زيد	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٦	محمد بن محمد بن زيد بن علي	١٤٤- كلثم بنت الحسين ابن زيد	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٦	عيسى بن جعفر بن المنصور	١٤٥- فاطمة بنت الحسين ابن زيد	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٦	يحيى بن زيد بن علي ابن الحسين	١٤٦- محبة بنت عمر بن علي	قريش (بنو هاشم)	-	١	١
٦٧	الحسن بن علي بن جعفر بن إسحاق	١٤٧- زينب بنت عمر بن زيد	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
٦٧	الحسن بن علي بن جعفر بن إسحاق	١٤٨- عبدة بنت عمر بن علي	قريش (بنو هاشم)	٢	١	٣
		١٤٩- عاتكة بنت الفضل ابن عبدالرحمن	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
		أم ولد		١	٣	٤
٦٧	عبدالرحمن بن القاسم ابن إسحاق	١٥٠- أم الحسن بن الحسين بن زيد	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٧	سليمان بن معمر بن إبراهيم بن محمد	١٥١- زينب بنت عيسى ابن زيد	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٧١	جعفر الأكبر بن حسن ابن زيد بن علي	١٥٢- فاطمة بنت عيسى ابن زيد	قريش (بنو هاشم)	-	-	-

الصفحة	اسم الـزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيـــلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٧١	جعفر بن الحسن بن علي بن عمر	١٥٣- رقيـة بنت عيسى ابن زيـد	قريش (بنو هاشم)	١	١	٢
٧١	علي بن الحسين بن زيد بن علي	١٥٤- رقيـة بنت عيسى ابن زيـد	قريش (بنو هاشم)	-	٢	٢
٧١	علي بن حمـــزة بن القاسم بن حسن	١٥٥- فاطمة بنت عيسى ابن زيـد	قريش (بنو هاشم)	-	٢	٢
٧١	عمر بن علي بن حسين ابن علي	١٥٦- أم موسى بنت عمر ابن علي	قريش (بنو هاشم)	٢	١	٣
		١٥٧- أم إسـحاق بنت محمد بن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
		أمهات أولاد		٣	٢	٥
٧١	علي الأصغر بن عمر ابن علي	١٥٨- أم نوفل بنت عبد ابن عمر	قريش (بنو عبدالدار)	٣	١	٤
		أمهات أولاد		٤	٢	٦
٧١	محمد بن زيد بن علي ابن حسين	١٥٩- عنـادة بنت خلف ابن حفص	قريش (بنو مخزوم)	٣	١	٤
		١٦٠- فاطمة بنت علي بن جعفر	قريش (بنو هاشم)	١	٢	٣
٧٢	علي بن علي بن الحسين ابن علي	١٦١- أم أبيها بنت محمد ابن علي	قريش (بنو هاشم)	-	١	١
		أم ولد		١	-	١
٧٢	حسن بن حسين بن زيد بن علي	١٦٢- فاطمة بنت محمد ابن زيد	قريش (بنو هاشم)	**ولدت له دون تحديد**		
٧٢	محمد بن إسماعيل بن حسن بن زيد	١٦٣- فاطمة بنت محمد ابن زيد	قريش (بنو هاشم)	-	-	-

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٧٢	جعفر الأكبر بن عمر ابن علي	١٦٤- فاطمة بنت عروة ابن هشام	قريش (بنو عبد العزى بن قصي)	١	-	١
٧٢	موسى بن عمر بن علي ابن حسين	١٦٥- عبيدة بنت الزبير ابن هشام	قريش (بنو عبد العزى بن قصي)	١	٢	٣
٧٣	حسين بن علي بن الحسين بن علي	١٦٦- أم خالد بنت حمزة ابن مصعب	قريش (بنو عبد العزى بن قصي)	٣	١	٤
		١٦٧- عبدة بنت داود بن أبي سهل	أنصار (بنو مجدعة)	٢	-	٢
		أمهات أولاد		٣	١	٤
٧٣	الحسن بن علي بن علي بن حسين	١٦٨- جويرية بنت خالد ابن أبي بكر	قريش (بنو عدي ابن كعب	١	-	١
		١٦٩- أم سعيد بنت سعيد ابن محمد	قريش (بنو نوفل ابن عبدمناف)	١	١	٢
		أم ولد		٥	٤	٩
٧٣	عبدالله بن حسين بن علي بن حسين	١٧٠- أم عمر بنت عمرو ابن الزبير	قريش (بنو عبد العزى بن قصي)	١	١	٢
		أمهات أولاد		٣	٢	٥
٧٤	علي بن حسين بن علي ابن حسين	١٧١- زينب بنت عون بن عبيدالله	قريش (بنو هاشم)	٤	٣	٧
٧٤	محمد بن حسين بن علي بن حسين	١٧٢- أم كلثوم بنت إسماعيل ابن عبدالله	قريش (بنو عبد شمس)	٢	١	٣
٧٤	حسن بن حسين بن علي بن حسين	١٧٣- خليدة بنت مروان ابن عنيسة	قريش (بنو عبد شمس)	٢	١	٣
		أم ولد		١	-	١

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٧٥	إبراهيم بن حسين بن علي بن حسين	١٧٤- بريكة بنت عبيدالله ابن محمد	قريش (بنو عبد العزى بن قصي)	٢	٢	٤
٧٥	يحيى بن حسين بن علي ابن حسين	١٧٥- فاطمة بنت هشام ابن هشام	قريش (بنو حسل ابن عامر بن لؤي)	١	١	٢
		١٧٦- أم حكيم بنت محمد ابن سليمان	قريش (بنو عدي ابن كعب)	-	١	١
		أم ولد		١	-	١
٧٥ - ٧٦	محمد بن علي بن أبي طالب	١٧٧- جمال بنت قيس بن مخرمة	قريش (بنو المطلب)	١	-	١
		١٧٨- الشهباء أم عبدالرحمن بنت عبدالرحمن	قريش (بنو هاشم)	٢	٤	٦
		١٧٩- مسرعة بنت عباد ابن شيبان	بنو خصفة (بنو مازن بن منصور)	١	-	١
		١٨٠- أم جعفر بنت محمد ابن جعفر	قريش (بنو هاشم)	٢	-	٢
		أم ولد		٤	-	٤
٧٦	عبيدالله بن علي بن محمد بن علي	١٨١- لبابة بنت عبدالله ابن محمد	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٧٦	أبو هاشم عبدالله بن محمد بن علي	١٨٢- خلدة بنت علقمة ابن الحويرث	كنانة (بنو غفار)	٢	-	-
		١٨٣- فاطمة بنت محمد ابن عبيدالله	قريش (بنو هاشم)	١	١	٢
		١٨٤- أم عثمان بنت أبي حدير	قضاعة (بلي)	١	-	١

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
		١٨٥- أم الحارث بنت الحارث	قريش (بنو هاشم)	-	٢	٢
٧٧	محمد بن عون علي بن محمد	١٨٦- صفية بنت محمد ابن مصعب	قريش (بنو عبد العزى بن قصي)	١	٢	٣
٧٧	عون علي بن محمد بن علي	١٨٧- مهدية بنت عبدالرحمن بن عمر	أنصار (بنو مجدعة)	١	٢	٣
٧٧	الحسن بن علي بن محمد بن علي	١٨٨- لبابة بنت عبدالله ابن محمد	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
٧٧	جعفر بن إسحاق بن علي بن عبدالله	١٨٩- فاطمة بنت علي ابن محمد	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
٧٧	علي بن الحسن بن علي بن محمد	١٩٠- علية بنت عون بن علي	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
٧٧	القاسم بن محمد بن علي	١٩١- أم يعقوب بنت جعفر بن يعقوب	قريش (بنو هاشم)	٢	١	٣
٧٨	يحيى بن محمد بن علي بن عبدالله	١٩٢- أسماء بنت عون بن محمد	قريش (بنو هاشم)	ولدت له دون تحديد		
٧٨	عون بن محمد بن علي ابن أبي طالب	١٩٣- أم سعيد بنت سعيد ابن زيد	أنصار (بنو عبدالأشهل)	١	١	٢
٧٨	عبدالله بن جعفر بن محمد بن علي	١٩٤- صفية بنت الغضبان ابن يزيد	بنو أنمار	٢	٢	٤
		١٩٥- أمينة الكبرى بنت حسين بن علي	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
٧٨	إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب	١٩٦- أمامة بنت عبدالله ابن سعيد	أنصار (بنو خيثمة)	١	١	٢
		أمهات أولاد		٢	١	٣

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٧٨	علي بن القاسم بن محمد بن علي	١٩٧- ابنة المطلب بن عبدالله بن المطلب	قريش (بنو مخزوم)	-	١	١
٧٩	عبيدالله بن العباس بن علي	١٩٨- أم أبيها بنت عبدالله بن معبد	قريش (بنو هاشم)	١	١	٢
		أم ولد		١	-	١
٧٩	الحسن بن عبيدالله بن العباس	١٩٩- أم الحارث بنت فضل بن عباس	قريش (بنو هاشم)	٣	-	٣
		أمهات أولاد		٤	-	٤
٨٨	عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب	٢٠٠- أم فراس بنت حسان بن ثابت	أنصار (بنو النجار)	-	١	١
		٢٠١- أمة الله بنت مسعود بن سويد	قريش (بنو عدي ابن كعب)	٣	-	٣
		أمهات أولاد		٤	-	٤
		؟		١	-	١
٨٠	جعفر بن علي بن أبي طالب	٢٠٢- أسماء بنت عميس	خثعم	٤	-	٤
٨٠	عمر بن علي بن أبي طالب	٢٠٣- أسماء بنت عقيل بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	٢	١	٣
٨٠	محمد بن عمر بن علي ابن أبي طالب	٢٠٤- خديجة بنت علي بن حسين	قريش (بنو هاشم)	٣	١	٤
٨٠	عبدالله بن محمد بن عمر بن علي	٢٠٥- أم الحسين بنت عبدالله بن محمد	قريش (بنو هاشم)	٢	١	٣
		أم ولد		٢	-	٢

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٨٢	عبدالله بن جعفر بن أبي طالب	٢٠٦- زينب بن علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	٣	٢	٥
		٢٠٧- بنت المسيب بن نجيبة	غطفان (فزارة)	٢	-	٢
		٢٠٨- ابنة خصفة بنت ثقيف بن بكر	بكر بن وائل	٤	-	٤
		٢٠٩- ليلى بنت مسعود	تميم	٤	٢	٦
		٢١٠- آمنة بنت عبدالله ابن كعب	خثعم	١	٢	٣
		٢١١- النابغة بنت خداش	غطفان (بنو عبس ابن بغيض)	١	-	١
		أمهات أولاد		٣	-	٣
٨٢	القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب	٢١٢- أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر	قريش (بنو هاشم)	-	١	١
٨٦	محمد بن عقيل بن أبي طالب	٢١٣- زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب	قريش (بنو هاشم)	٣	-	٣
٨٦	عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث	٢١٤- خلدة بنت متعب بن أبي لهب	قريش (بنو هاشم)	١	-	١
		٢١٥- هند بنت خالد بن حزام	قريش (بنو عبد العزى بن قصي)	١	-	١
		أم ولد		١	-	١
٨٧	عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب	٢١٦- ابنة أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
		٢١٧- ؟	همدان	١	-	١

الصفحة	اسم الزوج	اسم الزوجة أو الزوجات	القبيلة	عدد الأبناء		
				ذكور	إناث	مجموع
٥٥	إبراهيم بن إبراهيم بن الحسن بن زيد	٢١٨- زينب بنت محمد ابن عبدالله	قريش (بنو هاشم)	-	-	-
٦٦، ٦٧	زيد بن علي بن الحسين	٢١٩- ريطة بنت أبي هاشم	قريش (بنو هاشم)	١	-	-
		أم ولد	قريش (بنو هاشم)	٣	-	٣
				٥٧٥		

المصادر والمراجع

أولاً : - المخطوطات :

ابن أحمد بن هشام (ت بعد سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)

- محاسن النساء (مخطوطة مصورة برقم ٨٠٣/ أدب، مكتبة تيمور بدار الكتب المصرية، القاهرة).

البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)

- أسواق الأشواق من مصارع العشاق (مخطوطة مصورة برقم ٩٤٣/ أدب، معهد المخطوطات العربية، القاهرة).

البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

- أنساب الأشراف، ج ١١ (مخطوطة مصورة برقم ٩١٧/تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة).

الخراز، محمد بن محمد (ت ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م)

- أسماء أوائل القبائل من قريش وأصولها وفروعها (مخطوطة مصورة برقم ٣٩٥/ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة).
- نهاية الاختصار في أنساب الطالبيين (مخطوطة مصورة برقم ٥٦٢/ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة).

الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

- جمهرة نسب قريش وأخبارها، ج٢ (مخطوطة مصورة برقم ٥٥٣/ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة).

ابن عبدالباقي، محمد (من أعيان القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)

- الطراز المنقوش في محاسن الحبوش (مخطوطة مصورة برقم ١١٣٣/ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة).

ابن عنبة، أحمد بن علي (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م)

- بحر الأنساب (مخطوطة مصورة برقم ١٤١٨/ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة).

ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١٠ (مخطوطة مصورة برقم ٣٤٢٣، آيا صوفيا، مكتبة السليمانية، إستانبول، أصدرها فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت، ألمانيا ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

الكسائي، أحمد بن سليمان (من أعيان القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)

- روضة العاشق ونزهة الوامق (مخطوطة مصورة برقم ٤٣٢/ أدب، معهد المخطوطات العربية، القاهرة).

ابن الكلبي، هشام بن محمد (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)

- مثالب العرب، (مخطوطة مصورة برقم ف ١٢٠٨، مكتبة جامعة الملك سعود، الرياض).

ياسين بن خير الله الخطيب (ت بعد سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م)

- الروضة الفيحاء في تاريخ النساء (مخطوطة مصورة برقم ١٦٩٤/ تاريخ، معهد المخطوطات العربية، القاهرة).

ثانيًا - المصادر المطبوعة :

الإبشيهي، محمد بن أحمد (ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)

- المستطرف في كل فن مستظرف (الطبعة الأخيرة، دار إحياء التراث العربي، القاهرة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢).

الأبهري، عبيدالله بن محمد (من أعيان القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)

- حدائق الآداب، تحقيق محمد السديس (ط٢، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

ابن الأثير، علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق محمد إبراهيم البنا وآخرين (د. ط، مطبعة الشعب، القاهرة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
- الكامل في التاريخ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط (د. ط، مكتبة الحلواني، دمشق ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
- المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات، تحقيق إبراهيم السامرائي (د. ط، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي (ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).

الأزرقي، محمد بن عبدالله (ت ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي ملحس (ط ٣، دار الثقافة، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

ابن إسحاق، محمد (ت ١٥١هـ / ٧٦٨م)

- السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

الأصبحي، مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م)

- موطأ الإمام مالك (الطبعة الأخيرة، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٣٧٠هـ/ ١٥٩١م).

الأصفهاني حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)

- الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، تحقيق عبدالمجيد قطامش (د. ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م).

الأصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)

- الأغاني، تحقيق عبد. أ، علي مهنا وسمير جابر (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. م ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).
- القيان، تحقيق جليل العطية (ط١، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٨٩م).
- مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر (د. ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م).

الأصمعي، عبدالملك بن قريب (ت ٢١٧هـ/ ٨٣٢م)

- الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون (ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م).

ابن أعثم، أحمد (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)

- الفتوح (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

أمية بن أبي الصلت (ت ٥ هـ/ ٦٢٦م)

- ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب (د.ط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٠م).

الأنباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبدالسلام هارون (ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

الأنطاكي، داود بن عمر (ت ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩)

- تزيين الأسواق في أخبار العشاق (د. ط، دار مكتبة الهلال، بيروت د. ت).

ابن البتنوني، علي بن عمر (ت بعد ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤هـ)

- العنوان في الاحتراز من مكائد النسوان، تحقيق محمد التونجي (ط٢، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٩م).

البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

- التاريخ الصغير، تحقيق محمود زايد (ط١، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

- صحيح البخاري (د.ط، المكتبة الإسلامية، إستانبول ١٩٧٩م).

ابن بطلان، المختار بن الحسن (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)

- رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون، ج١ (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

البغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م)

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (ط١، دار صادر، بيروت د. ت).

البكري، عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا (ط٣، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

- أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميدالله، ج١ (د. ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م).
- أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقر المحمودي، ج٢ (ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
- أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقر المحمودي، ج٣ (ط١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).
- أنساب الأشراف، تحقيق عبدالعزيز الدوري، ق ٣، ج٢٨ (د. ط، فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
- أنساب الأشراف، تحقيق إحسان عباس، ق ٤، ج١ (د. ط، فرانتس شتاينر بفيسبادن، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م).
- أنساب الأشراف، تحقيق ماكس شلسنجر، ج٤، ق ٢ (ط١، الجامعة العبرية، القدس ١٩٣٨م).
- أنساب الأشراف، تحقيق جوتين، ج ٥ (د. ط، منشورات الجامعة العبرية، القدس ١٩٣٦م).
- أنساب الأشراف (الشيخان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وولدهما)، تحقيق إحسان العمد (ط١، مؤسسة الشراع العربي، الكويت ١٩٨٩م).
- جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
- فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

- النقود، ضمن مجموعة الرسائل التي نشرت في كتاب النقود العربية والإسلامية وعلم النميات (ط٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٨٧م).

البلدي، أحمد بن محمد (ت بعد ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)

- تدبير الحُبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم، تحقيق محمود محمد (ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٧م).

البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت بعد ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)

- المحاسن والمساوئ (د. ط، دار صادر، بيروت د. ت).

ثابت بن أبي ثابت (ت نحو ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)

- خلق الإنسان، تحقيق عبدالسلام أحمد فراج (د. ط، وزارة الإرشاد والأبناء، الكويت ١٩٦٥م).

الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، محمد أبو الفضل إبراهيم (د. ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م).
- فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).
- اللطائف والظرائف (ط١، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

ثعلب، أحمد بن يحيى (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م)

- مجالس ثعلب ، تحقيق عبدالسلام هارون (ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)

- البخلاء، (ط٢، المكتبة الثقافية، بيروت ١٩٧٨م).
- البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد موسى الخولي (ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
- البيان والتبيين (د. ط، دار الفكر للجميع، بيروت ١٩٦٨م).
- الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون (ط ٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م).

- رسائل الجاحظ (الرسائل الكلامية) تحقيق علي أبو ملحم (ط١، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٧م).
- المحاسن والأضداد، تحقيق محمد سويد (ط١، دار إحياء العلوم، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

ابن الجزار، أحمد بن إبراهيم (ت ٣٦٩هـ / ٩٧٩م)

- سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة (د. ط، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٦٨م).

الجمحي، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م)

- طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر (ط٢، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٤م).

ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

- أخبار النساء، تحقيق إيهاب كريم (ط١، دار النديم للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩١م).
- ذم الهوى، تحقيق مصطفى عبدالواحد (ط١، د. ن، د. م ١٣٨١هـ/١٩٦٢م).

أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)

- كتاب المعمرين من العرب، تحقيق محمد إبراهيم سليم (د. ط، دار الطلائع، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

ابن حبيب، عبدالملك (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)

- أدب النساء الموسوم بكتاب الغاية والنهاية، تحقيق عبدالمجيد تركي (ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

ابن حبيب، محمد (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م)

- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون، ج٢ (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
- أمهات النبي ﷺ ، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد (ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
- المحبر، تحقيق إيلزه ليمتن شتير (د.ط، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور د. ت).

- مختلف القبائل ومؤتلفها، تحقيق إبراهيم الأبياري (د. ط، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، مصر وبيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- المنمق في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق (ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

- الإصابة في تمييز الصحابة (د.ط، دار الفكر، د. م، د. ت).
- تهذيب التهذيب (ط١، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد ١٣٢٦هـ).
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، حقق بإشراف الشيخ عبدالعزيز بن باز (د. ط، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد، الرياض د. ت).

ابن حزم، علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)

- جمهرة أنساب العرب (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

حسان بن ثابت (ت ٤٠هـ/ ٦٦٠م)

- ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق سيد حنفي حسنين (د. ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م).

الحصري، إبراهيم بن علي (ت ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)

- المصون في سر الهوى المكنون، تحقيق النبوي عبدالواحد شعلان (د. ط، دار العرب للبستاني، القاهرة د.ت).

ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)

- المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر (د. ط، دار المعارف، القاهرة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م).

ابن حوقل ، محمد بن علي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

- صورة الأرض (د. ط، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٩م).

الخطابي، حمد بن محمد (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)

- غريب الحديث، تحقيق عبدالكريم العزباوي (د. ط، دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

خفاف بن ندبة السلمي (ت نحو ٢٠ هـ/ ٦٤٠م)

- ديوان خفاف بن ندبة، تحقيق نوري حمودي القيسي (د. ط، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٨م).

ابن خلاد، الحسن بن عبدالرحمن (ت نحو ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)

- أمثال الحديث، تحقيق أمة الكريم القرشية (د. ط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا د. ت).

ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس (د. ط، دار صادر، بيروت ١٩٦٩م).

خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)

- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار (د. ط، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٨م).
- الطبقات، تحقيق سهيل زكار (د. ط، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٦م).

الخنساء، تماضر (ت ٢٤هـ / ٦٤٤م)

- ديوان الخنساء، تحقيق أنور أبو سويلم (ط١، دار عمّار للنشر والتوزيع، عمّان ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

الخويي، يوسف بن طاهر (ت حوالي ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)

- فرائد الخرائد في الأمثال، تحقيق عبدالرزاق حسين (د. ط، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

ابن أبي خيثمة، أحمد بن زهير (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

- أخبار المكيين من كتاب التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة، تحقيق إسماعيل حسين (ط١، دار الوطن، الرياض ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

الدار قطني، علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)

- السنن ، تحقيق عبدالله هاشم يماني (د. ط، دار المحاسن للطباعة، القاهرة د. ت).

أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)

- سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (د. ط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول د. ت).

ابن دريد، محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م)

- الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون (ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة د. ت).
- جمهرة اللغة، تحقيق رمزي بعلبكي (ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م).

ابن أبي الدنيا، عبدالله بن محمد (ت ٢٨١هـ/ ٨٩٤م)

- الإشراف في منازل الأشراف، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف (ط١، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).
- العيال، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف (ط١، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

الدورقي، أحمد بن إبراهيم (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م)

- مسند سعد بن أبي وقاص، تحقيق عامر حسن صبري (ط١، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

الدولابي، محمد بن أحمد (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)

- الذرية الطاهرة النبوية، تحقيق سعد المبارك الحسن (ط١، الدار السلفية، الكويت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).
- الكنى والأسماء (ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

الدينوري، أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)

- الأخبار الطوال، تحقيق حسن الزين (د. ط، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٨م).

الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)

- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط (ط ٦، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

ابن رستة، أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)

- الأعلاق النفيسة (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)

- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق إبراهيم الترزي (د. ط، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

ابن الزبير، أحمد بن الرشيد (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)

- الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميدالله (ط٢، منشورات وزارة الإعلام، الكويت ١٩٨٤م).

الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

- جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر (د. ط، مطبعة المدني، القاهرة ١٣٨١هـ).
- المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ ، تحقيق سكينة الشهابي (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

الزبيري، المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م)

- نسب قريش، تحقيق إ. ليفي بروفنسال (ط ٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٥١م).

الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)

- أساس البلاغة، تحقيق عبدالرحيم محمود (د. ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (ط١، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة ١٣٥٤هـ).

الزوزني، الحسين بن أحمد (ت ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)

- شرح المعلقات السبع (د.ط، مكتبة دار البيان للطباعة والنشر، بيروت د. ت).

أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب (ت ١٧٠هـ/ ٧٨٦م)

- جمهرة أشعار العرب، تحقيق خليل شرف الدين (ط٢، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٩١م).

سحنون، عبدالسلام بن سعيد (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)

- المدونة الكبرى (ط١، مطبعة السعادة، مصر د. ت).

السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (د. ط، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

السراج، جعفر بن أحمد (ت ٥٠٠هـ / ١١٠٦م)

- مصارع العشاق (ط٢، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م)

- الطبقات الكبرى (د. ط ، دار صادر، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
- الطبقات الكبرى، الطبقة الخامسة من الصحابة، تحقيق محمد صامل السلمي (ط١، مكتبة الصديق، الطائف ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).
- الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، دراسة وتحقيق زياد منصور (ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)

- المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق سيد حنفي حسنين (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٨٣م).

أبو سعيد السكري، الحسن بن الحسين (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)

- شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبدالستار أحمد فراج (د. ط، مكتبة دار العروبة، القاهرة د. ت).

السفاريني، محمد بن أحمد (ت ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م)

- شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد (ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٩هـ).

ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (٢٤٤/ ٨٥٨م)

- كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ، تحقيق لويس شيخو (د. ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة د. ت).

السمهودي، علي بن عبدالله (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)

- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (د. ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى (تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت).

السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٥٨١هـ / ١١٨٥م)

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبدالرحمن الوكيل (ط١، دار النصر للطباعة ، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

ابن سيد الناس، محمد بن محمد (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة (ط٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)

- تسلية الآباء بفقدان الأبناء المسمى التعلل والإطفا لنار لا تطفى، تحقيق مشهور سلمان (ط١، مكتبة المنار للنشر والتوزيع، الأردن ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك (د. ط، دار الندوة الجديدة، بيروت د. ت).
- رفع شأن الحبشان، تحقيق محمد عبدالوهاب فضل (د. ط، مطبعة كويك حمادة، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
- فضل الجلد عند فقد الولد، تحقيق محمد أبو عمة (ط١، دار الصحابة للتراث، طنطا ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
- فضل موت الأولاد، تحقيق خالد جمعة وعبدالقادر أحمد (ط١، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- مسانيد أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، تحقيق محمد غوث الندوي (ط١، الدار السلفية، بومباي ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

- مسند أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه، تحقيق الحافظ عزيز بيك (ط٢، الدار السلفية، بومباي ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
- مسند علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، تحقيق الحافظ عزيز بيك (ط١، المطبعة العزيزية، حيدر آباد ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
- مسند فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها، تحقيق الحافظ عزيز بيك (ط١، المطبعة العزيزية، حيدر آباد ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
- نزهة المتأمل ومُرشد المتأهل في الخاطب والمتزوج، تحقيق محمد التونجي (ط٢، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٩م).
- الوسائل إلى معرفة الأوائل، تحقيق إبراهيم العدوي وعلي محمد عمر (د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ/ ٨١٩ م)

- مسند الإمام الشافعي (قسم المعاملات) ترتيب محمد عابد سندي (د. ط، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥١م).

ابن شبة، عمر (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م)

- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم شلتوت (ط ٢، دار الأصفهاني للطباعة، جدة ١٤٠٢هـ).

الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)

- الملل والنحل (د. ط، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م).

الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م)

- نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)

- مسند ابن أبي شيبة، تحقيق عادل الغزاوي وأحمد المزيدي (ط١، دار الوطن للنشر، الرياض ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال الحوت (ط١، دار التاج، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

أبو الشيخ الأصبهاني، عبدالله بن محمد (ت ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)

- أخلاق النبي ﷺ وآدابه، تحقيق أحمد موسى (ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

الصنعاني، عبدالرزاق بن همام (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م)

- المصنف، تحقيق حبيب الأعظمي (ط١، دار القلم، بيروت ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

الضبي، سيف بن عمر (ت ٢٠٠هـ / ٨١٥م)

- كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي، تحقيق قاسم السامرائي (ط١، سمتسكامب أورينتل أنتيكواريوم، ليدن ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- الفتنة ووقعة الجمل، جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش (ط٢، دار النفائس، بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

ابن الضياء المكي، محمد بن محمد (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)

- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق عادل عبدالحميد العدوي (ط١، المكتبة التجارية، مكة المكرمة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

ابن طباطبا، محمد بن علي (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠م)

- الأحاديث الطوال، ملحق بالجزء الخامس والعشرين من كتاب المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي (د.ط، مطبعة الأمة، بغداد د.ت).
- المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي (د. ط، الدار العربية للطباعة، بغداد د. ت).

الطبري، أحمد بن عبدالله (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م)

- السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين (ط٢، مكتبة التراث الإسلامي، حلب د. ت).

الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

- تاريخ الطبري - تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م).
- تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار (مسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه) تحقيق محمود محمد شاكر (د. ط، مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
- تهذيب الآثار (الجزء المفقود) تحقيق علي رضا بن عبدالله (ط١، دار المأمون للتراث، بيروت، دمشق ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

ابن طيفور، أحمد (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)

- بلاغات النساء، تحقيق محمد طاهر الزين (د. ط، مكتبة السندس، الكويت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

ابن ظفر الصقلي، محمد بن عبدالله (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م)

- أنباء نجباء الأبناء، تحقيق إبراهيم يونس (د. ط، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)

- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة لابن حجر (د. ط، دار الفكر، د.م، د. ت).

ابن عبدريه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)

- العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وآخرين (د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت).

أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)

- الأموال، تحقيق محمد خليل هراس (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

- النسب، تحقيق ودراسة مريم محمد خير الدرع (ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م)

- أزواج النبي ﷺ وأولاده، تحقيق يوسف علي بديوي (د. ط، دار مكتبة التربية، بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
- الديباج، تحقيق عبدالله الجربوع وعبدالرحمن العثيمين (ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
- العققة والبررة، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون، ج١ (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

العجيمي، حسن بن علي (ت ١١١٣هـ / ١٧٠١م)

- إهداء اللطائف من أخبار الطائف، تحقيق يحيى ساعاتي (ط٢، دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

ابن العديم، عمر بن هبة الله (ت ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م)

- الدراري في الذراري (د. ط، مطبعة الجوائب، قسطنطينية ١٢٩٨هـ).

عرام بن الأصبغ السلمي (ت نحو ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)

- أسماء جبال مكة وسكانها، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون، ج٢ (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

ابن العربي، محمد بن علي (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)

- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، تحقيق محمد مرسي الخولي (د. ط، دار الكتاب الجديد، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

العرجي، عبدالله بن عمر (ت ١٢٠هـ/ ٧٣٧م)

- ديوان العرجي، تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي (ط١، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة، بغداد ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

ابن عساكر، عبدالرحمن بن محمد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)

- كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين، تحقيق محمد مطيع الحافظ وعزة بدير (ط١، دار الفكر، دمشق ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

ابن عساكر، علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)

- تاريخ مدينة دمشق - تراجم النساء - تحقيق سكينة الشهابي (ط١، د، ن، دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م).
- تاريخ مدينة دمشق - السيرة النبوية - تحقيق نشاط غزاوي (د. ط، دار الفكر، دمشق ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

العسكري، الحسن بن عبدالله (ت بعد ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)

- جمهرة الأمثال، تحقيق أحمد عبدالسلام ومحمد زغلول (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

العكبري، عبدالله بن الحسين (ت ٦١٦هـ/ ١٢١٩م)

- المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على حروف المعجم، تحقيق ياسين محمد السواس (د. ط، دار الفكر، دمشق ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)

- الأمالي (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
- ذيل الأمالي والنوادر (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

عمر بن أبي ربيعة (ت ٩٢هـ/ ٧١٠م)

- ديوان عمر بن أبي ربيعة (د. ط، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت ١٩٦٨م).

ابن عنبة، أحمد بن علي (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م)

- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق محمد حسن آل الطالقاني (ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).

العياشي، عبدالله بن محمد (ت ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م)

- المدينة المنورة في رحلة العياشي، تحقيق محمد أمحزون (ط١، دار الأرقم، الكويت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

الفاسي، محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)

- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء (د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت).

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد حامد الفقي (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت حوالي ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن دهيش (ط١، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

الفخر الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م)

- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب (ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

أبو الفدا، إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)

- تقويم البلدان (د. ط، دار صادر، بيروت د.ت).

الفرزدق، همام بن غالب (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م)

- ديوان الفرزدق (د. ط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م).

ابن الفرضي، عبدالله بن محمد (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)

- الألقاب، تحقيق محمد عزب (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

ابن فهد، عمر (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم شلتوت (د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

ابن فهد، محمد بن عبدالعزيز (ت ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م)

- تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف، تحقيق محمد سعيد كمال ومحمد منصور الشقحاء (د. ط، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطائف د. ت).

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)

- تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

- المغانم المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) تحقيق حمد الجاسر (ط١، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)

- الأشربة، تحقيق محمد كرد علي (د. ط، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م).
- الإمامة والسياسة، تحقيق طه الزيني (د. ط، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).
- الأنواء في مواسم العرب (د. ط، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٩٥٦م).
- الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، تحقيق مفيد قميحة (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
- عيون الأخبار، (د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت د.ت).
- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة (ط٢، دار المعارف، مصر ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م).

قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ / ٩٤٨م)

- الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي (د. ط، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨١م).

ابن قدامة، عبدالله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)

- الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق علي نويهض (د. ط، دار الفكر، بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م).
- التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق محمد نايف الدليمي (ط٢، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- المغني (د. ط، مطبوعات رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

القرطبي، أحمد بن محمد (ت نحو ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م)

- التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، تحقيق سعد عبدالمقصود ظلام (د. ط، دار المنار، القاهرة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)

- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

ابن قنفذ القسنطيني، أحمد بن حسن (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦هـ)

- الوفيات، تحقيق عادل نويهض (ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٨م).

ابن قيس الرقيات، عبيدالله (ت ٨٥هـ/ ٧٠٤م)

- ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، تحقيق محمد يوسف نجم (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)

- تحفة المودود بأحكام المولود (ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)

- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس (د. ط، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

- البداية والنهاية (ط٢، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٧٧م).
- تفسير القرآن العظيم (ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م).

كثير عزة، كثير بن عبدالرحمن (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٣م)

- ديوان كثير عزة، تحقيق إحسان عباس (د. ط، دار الثقافة، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

ابن الكلبي، هشام بن محمد (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)

- جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن (ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م).
- نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن (ط١، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

الكناني، علي بن محمد (ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م)

- نشر اللطائف في قطر الطائف، تحقيق عثمان الصيني (د. ط، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطائف ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)

- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي (ط١، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

الماوردي، علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

المبرد، محمد بن يزيد (٢٨٥هـ / ٨٩٨م)

- التعازي والمراثي، تحقيق محمد الديباجي (ط٢، دار صادر، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
- الكامل (د. ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، د. ت.).

ابن المبرد، يوسف بن حسن (ت ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م)

- الشجرة النبوية في نسب خير البرية ﷺ، تحقيق محيي الدين ديب مستو (ط١، دار الكلم الطيب ودار ابن كثير، بيروت، دمشق ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

المدائني، علي بن محمد (ت ٢٢٥هـ / ٨٣٩م)

- المردفات من قريش، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات، تحقيق عبدالسلام هارون (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

المراغي، أبو بكر بن الحسين (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م)

- تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد الأصمعي (ط٢، المكتبة العالمية، المدينة المنورة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

المرتضى، علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م)

- أمالي المرتضى المسمى غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).

المرزباني، محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)

- أشعار النساء، تحقيق سامي العاني وهلال ناجي (د. ط، دار الرسالة، بغداد ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (ط٤، مطبعة السعادة، مصر ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)

- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (د. ط، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

المطري، محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)

- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تحقيق محمد الخيال (د. ط، منشورات أسعد طرابزوني الحسيني، المدينة المنورة ١٣٧٢هـ).

المفضل بن محمد الضبي (ت نحو ١٦٨هـ/ ٧٨٤م)

- أمثال العرب، تحقيق إحسان عباس (ط١، دار الرائد العربي، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
- المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون (ط٧، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م).

المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

- إمتاع الأسماع بما للرسول ﷺ من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمود محمد شاكر (د. ط، لجنة التأليف والترجمة والنشر د.م، د. ت).

- النقود الإسلامية (د. ط، مطبعة الجوائب، قسطنطينية ١٢٩٨هـ).

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)

- لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط (د. ط، دار لسان العرب، بيروت د. ت).

مؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥هـ / ٨١٠م)

- نسب قريش، تحقيق صلاح الدين المنجد (ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

مؤلف مجهول (من أعيان القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي)

- أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبدالعزيز الدوري وعبدالجبار مطلبي (د. ط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧١م).

الميداني، أحمد بن محمد (٥١٨هـ/ ١١٢٤م)

- مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (ط٣، دار الفكر، د.م ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م).

النابغة الذبياني، زياد بن معاوية (ت نحو ٨١ق.هـ / ٦٠٤م)

- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق فوزي عطوي (د. ط، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت ١٩٦٩م).

ابن النجار، محمد بن محمود (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)

- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، ملحق بالجزء الثاني من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لمحمد بن أحمد الفاسي (د. ط، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٦م).

النسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م)

- عشرة النساء (ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

أبو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت).

النهشلي، عبدالكريم بن إبراهيم (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م)

- اختيار الممتع في علم الشعر وعمله، تحقيق محمود شاكر القطان (ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م).

النويري، أحمد بن عبدالوهاب (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)

- نهاية الأرب في فنون الأدب (د. ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة د.ت).

الهجري، هارون بن زكريا (ت نحو ٣٠٠هـ / ٩١٢م)

- التعليقات والنوادر (دراسة ومختارات) تحقيق حمد الجاسر (ط١، العبيكان للطباعة والنشر، الرياض ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

ابن هشام، عبدالملك (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م)

- سيرة النبي ﷺ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (د. ط، د. ن، د. م ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م).

الهمداني، الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)

- الإكليل، تحقيق محمد الأكوع (د. ط، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).

الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)

- المغازي، تحقيق ماردسن جونسن (د. ط، عالم الكتب، بيروت د. ت).

الوزير المغربي، الحسين بن علي (ت ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م)

- الإيناس في علم الأنساب، تحقيق حمد الجاسر (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

الوشاء، محمد بن أحمد (ت ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م)

- الموشى أو الظرف والظرفاء، تحقيق عبدالأمير علي مهنا (ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٩٠م).

اليافعي، عبدالله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان (ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

- معجم الأدباء (ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. م ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
- معجم البلدان (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

ياقوت بن عبدالله المستعصمي (ت ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م)

- مجموعة حكم وآداب وأخبار وآثار وأشعار وفقر منتخبة (د. ط، مطبعة الجوائب، القسطنطينية ١٢٩٨هـ).

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م)

- البلدان (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- تاريخ اليعقوبي (د. ط، دار صادر، بيروت د.ت).
- مشاكلة الناس لزمانهم، تحقيق وليم ملورد (ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٠م).

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م)

- الخراج، ضمن كتاب موسوعة الخراج (د. ط، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

ثالثاً - المراجع العربية والمترجمة:

إبراهيم فوزي

- أحكام الأسرة في الجاهلية والإسلام (ط٢، دار الكلمة للنشر، بيروت ١٩٨٣م).

أحمد أبو السعد

- أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي (ط٢، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٢م).

أحمد عبدالرحمن البنا

- شرح مسند ابن حنبل (ط ٣، دار الشهاب، القاهرة ١٤٠٤هـ).

أحمد محمد الحوفي

- المرأة في الشعر الجاهلي (ط٣، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

أحمد ياسين الخياري

- تاريخ معالم المدينة المنورة قديمًا وحديثًا (ط١، إصدارات نادي المدينة الأدبي، المدينة المنورة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

إدوارد وستر مارك

- قصة الزواج، ترجمة عبدالهادي الزيادي (د. ط، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة د. ت).

أكرم ضياء العمري

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر النبوة (ط١، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض ١٤١٧هـ/ ١٩٧٧م).
- المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته الأولى (ط١، المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

أ. ي فنسنك

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين (د. ط، مكتبة بريل، ليدن ١٩٣٦م).

برهان الدين دلّو

- جزيرة العرب قبل الإسلام التاريخ الاقتصادي الاجتماعي الثقافي السياسي (ط١، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٩م).

جرجي زيدان

- تاريخ التمدن الإسلامي (د. ط، دار الهلال، مصر ١٩٥٨م).

جمال جودة

- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للموالي في صدر الإسلام (د. ط، دار البشير للنشر والتوزيع، عَمَّان ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

جميل عبدالله المصري

- الموالي: موقف الدولة الأموية منهم (ط١، دار أم القرى للنشر والتوزيع، عَمَّان ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

جواد علي

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ط٢، د. ن، د. م ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

حسين جمعة

- الرثاء في الجاهلية والإسلام (ط١، دار معد للنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩١م).

حسين الحاج حسن

- حضارة العرب في عصر الجاهلية (ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

حسين مؤنس

- تاريخ قريش (ط١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

حمد الجاسر

- في شمال غرب الجزيرة (ط٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

خليل إبراهيم السامرائي وثائر حامد محمد

- المظاهر الحضرية للمدينة المنورة في عصر النبوة (ط١، منشورات مكتبة بسام، الموصل ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

خير الدين الزركلي

- الأعلام (ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م).

زهير حطب

- تطور بني الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة (ط٣، معهد الإنماء العربي، بيروت ١٩٨٣م).

زيدان عبدالباقي

- الأسرة والطفولة (د. ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

سعد عبدالعزيز الراشد

- الربذة - صور للحضارة الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية (د. ط، جامعة الملك سعود، الرياض د. ت).

سناء الخولي

- الزواج والعلاقات الأسرية (د. ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٣م).

شوقي ضيف

- الشعر والغناء في المدينة ومكة في عصر بني أمية (ط٤، دار المعارف، مصر ١٩٧٩م).

صالح أحمد العلي

- الحجاز في صدر الإسلام - دراسات في أحواله العمرانية والإدارية - (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

عاتق غيث البلادي

- على طريق الهجرة (ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٣٩٨هـ).
- معجم قبائل الحجاز (ط٢، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ط١، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).

عاطف وصفي

- الإنثروبولوجيا الاجتماعية (د. ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت د. ت).

عبدالسلام الترمانيني

- الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام - دراسة مقارنة في مجال التاريخ والأدب والشريعة (ط٢، دار القلم العربي، حلب ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

عبدالعزيز إبراهيم العمري

- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ (ط١، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، الدوحة ١٩٨٥م).

عبدالعزيز الدوري

- مقدمة في التاريخ الاقتصادي (ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٨م).

عبدالكريم زيدان

- المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

عبدالله عبدالعزيز بن إدريس

- مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ (ط١، عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

عبدالله عفيفي

- المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها (ط٢، دار الرائد العربي، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

عبدالله محمد السيف

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي (د. ط، د. ن، د. م ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

عبدالهادي عباس

- المرأة والأسرة في حضارات الشعوب وأنظمتها (ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٧م).

عصام نمر وعزيز سمارة

- الطفل والأسرة والمجتمع (د. ط، دار الفكر للنشر والتوزيع، عَمَّان ١٩٨٩م).

علي إبراهيم غبان

- شمال غرب المملكة العربية السعودية "الكتاب الثاني" الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة (ط١، مطبعة السفير، الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

علي عبدالواحد وافي

- الأسرة والمجتمع (ط٨، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٧م).
- مقدمة الزواج والعزوبة في العالم (د. ط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٦م).

عمر رضا كحالة

- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام (د. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت د. ت).
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

فالتر هنتس

- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي (ط٢، منشورات الجامعة الأردنية، عَمَّان ١٩٧٠م).

كريم زكي حسام الدين

- القرابة (ط١، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

محمد جمعة

- النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية (د. ط، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٤٩م).

محمد الحوفي

- المرأة في الشعر الجاهلي (ط٣، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

محمد الخطراوي

- المدينة في العصر الجاهلي - الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية - (ط١، مؤسسة علوم القرآن، دمشق - بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م).

محمد رواس قلعه جي

- موسوعة فقه عبدالله بن عباس (د. ط، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ).
- موسوعة فقه عبدالله بن مسعود (ط١، مطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

محمد ضيف الله بطاينة

- الحياة الاجتماعية في صدر الإسلام (ط١، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م).

محمد عبدالحكيم القاضي

- اللباس والزينة من السنة المطهرة (ط٢، دار الحديث، القاهرة ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

محمد فؤاد عبدالباقي

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت د. ت).

محمد محمد حسن شراب

- المدينة في العصر الأموي - دراسة سياسية وإدارية واجتماعية واقتصادية وفكرية (ط١، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

محمد محيي الدين عبدالحميد

- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة (ط١، مطبعة السعادة، مصر ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).

محمود سلام زناتي

- نظم العرب قبل الإسلام (د. ط، د. ن. القاهرة ١٩٩٢م).

محمود شكري الألوسي

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت).

مختار سيد الغوث

- لغة قريش (ط١، النادي الأدبي، الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

مرزوق بن تنباك

- الضيافة وآدابها (ط٢، دار المعارف، مصر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

مهدية شحادة الزميلي

- لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي (ط٣، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عَمَّان ١٩٨٧م).

مونتغمري وات

- البدو، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرين (ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١م).

نجمان ياسين

- تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين (د. ط، بيت الموصل للنشر والتوزيع، الموصل ١٩٨٨م).

ندى عبدالرحمن الشايع

- معجم ألفاظ الحياة الاجتماعية في دواوين شعراء المعلقات العشر (ط١ مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩١م).
- معجم لغة دواوين شعراء المعلقات العشر تأصيلاً ودلالة وصرفًا (ط١، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٣م).

نورة عبدالملك آل الشيخ

- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام (ط١، دار العلم للطباعة والنشر، جدة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

هاشم دفتر دار وجعفر فقيه

- توسعة الحرم النبوي الشريف، ملحق بالجزء الثاني من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لمحمد بن أحمد الفاسي (د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت).

ي. أ. بليابييف

- العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة أنيس فريحة (ط١، الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣م).

ياسين الغضبان

- مدينة يثرب قبل الإسلام (ط١، دار البشير للنشر والتوزيع، عَمَّان ١٩٩٣م).

يحيى الجبوري

- الملابس العربية في الشعر الجاهلي (د. ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٩م).

رابعاً - الرسائل الجامعية:

ابتسام عبدالمحسن السويلم

- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز من قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الرابع الهجري (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).

أسد الله محمد حنيف

- فقه عثمان بن عفان رضي الله عنه في أحكام الأسرة - دراسة مقارنة - (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات العليا الشرعية - فرع الفقه والأصول - كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

إلهام أحمد البابطين

- الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

رجاء عودة

- أدب البنوة في نثر العصرين الأموي والعباسي الأول (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
- شعر الأسرة في العصر الأموي (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٦هـ).

عبدالرحمن الدباسي

- الشعر في مكة في الجاهلية وصدر الإسلام - جمعًا وتحقيقًا (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

عبدالرحمن العبيد عبدالماجد

- تحقيق كتاب تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، لعبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

عبدالله سالم الخلف

- مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآدب، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٧هـ).

عبدالله عثمان الخراشي

- النشاط الاقتصادي في منطقة المدينة في العهد النبوي (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٧هـ).

عبدالوهاب إبراهيم شيرة

- مجتمع المدينة في عهد الخلفاء الراشدين (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

عطية عودة أبو سرحان

- تاريخ الحجاز في العصر الأموي (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

نجلة قاسم الصباغ

- بلاد الحجاز خلال العصر العباسي الأول (رسالة ماجستير غير منشورة، التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٦٩م).

خامساً - الدوريات وما في حكمها :

إبراهيم السامرائي

- من معجم اللباس، مجلة التراث الشعبي، العدد ١١، ١٩٧٩م، بغداد.

إبراهيم علي طرخان

- النظام الإقطاعي الإسلامي في الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين، الندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، ج١ (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

إحسان صدقي العمد

- الخبز في الحضارة العربية والإسلامية، حوليات كلية الآداب، الحولية الثانية عشرة، الرسالة السادسة والسبعون، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، الكويت.

بشير إبراهيم البشير

- الطعام في الحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) الندوة العالمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزيرة العربية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، ج٢ (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

خالد عبدالكريم البكر

- المكرهون على التخلف عن الهجرة إلى المدينة، مجلة الدارة، العدد الثالث، رجب ١٤١٧هـ، الرياض.

خالد الفرم

- باحث سعودي يقدم تفسيرًا جديدًا لآية الوأد، جريدة الحياة، العدد ١٢٥٢٣، الجمعة، ٣١ يونيو ١٩٩٧م/ ٨ صفر ١٤١٨هـ.

سعد الراشد

- منطقة الحجاز وشمال غرب الجزيرة وصلتها ببلاد الشام في صدر الإسلام والخلافة الأموية اعتمادًا على الاكتشافات الحديثة، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، ١٩٨٥م، عمَّان.

شارل بيلا

- معدل المواليد في زمن النبي ﷺ، ترجمة فاطمة عصام صبري، رسائل جغرافية، العدد ١٣٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، الكويت.

صالح أحمد العلي

- العطاء في الحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد العشرون، ١٩٧٠م، بغداد.

طه هاشم

- الضيف مراسيم الحب والإكرام العربية له، مجلة التراث الشعبي، العدد السادس والسابع، ١٩٨١م، بغداد.

عبدالرحمن إبراهيم الدباسي

- الخؤولة عند العرب، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السابع، ربيع الآخر ١٤١٣هـ/ أكتوبر ١٩٩٢م، الرياض.

عبدالله محمد السيف

- الزراعة في الحجاز في العصر العباسي، مجلة الدارة، العدد الثاني، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، الرياض.
- الصناعات في نجد والحجاز في العصر الأموي، مجلة الدارة، العدد الثالث، ١٤٠٢هـ/ ١٩٩٢م، الرياض.

عبدالله الوهيبي

- الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، مجلة كلية الآداب، المجلد الأول، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، الرياض.

محمد سليمان السديس

- الخؤولة في الشعر العربي حتى أواخر العصر الأموي، مجلة كلية الآداب، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، ١٩٨٦م، الرياض.
- منزلة ابن العم عند العرب في ضوء الشعر العربي حتى أواخر العصر الأموي، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الثامن ، الآداب (٢) ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، الرياض.

محمد فارس الجميل

- الآنية والأوعية المستخدمة في العهد النبوي، دراسة مستمدة من كتب الحديث الشريف، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثاني عشر، جمادى الآخر ١٤١٥هـ/ نوفمبر ١٩٩٤م، الرياض.
- الأطعمة والأشربة في عصر الرسول ﷺ ، حوليات كلية الآداب، الحولية السابعة عشرة، الرسالة الرابعة عشرة بعد المئة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، الكويت.
- الفرش والستور على عهد النبي ﷺ ، مجلة الدارة، العدد الثالث، ربيع الآخر - جمادى الآخرة، ١٤١٣هـ، الرياض.
- اللباس في عصر الرسول ﷺ ، حوليات كلية الآداب، الحولية الرابعة عشر، الرسالة الحادية والتسعون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، الكويت.

ابن المرزبان، أحمد بن خلف (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

- من توفي عنها زوجها فأظهرت الغُموم وباحت بالمكتوم، تحقيق عبدالعزيز المانع، مجلة كلية الآداب، المجلد الثامن، ١٩٨١م، الرياض.

ناشد سيفين

- الأمومة عند العرب، مجلة المقتطف، م ٧٨، ج١، يناير - يوليو ١٩٣١م، القاهرة.
- وأد البنات والاشتراكية في النساء، مجلة المقتطف، م ٧٧، ج٢، صفر ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، القاهرة.

نوري حمود القيسي

- الملابس من معجم لسان العرب، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١، المجلد الثامن والثلاثون، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، بغداد.

سادساً - المراجع الأجنبية:

Briffault, Robert

- The Mothers, vol. 1 (1 fr, ed, Johnson Reprint corporation, USA 1969).

Al Hatimy, Said. A

- Women in Islam - comparative Study (Ist, ed, Islamic Publications LTD, Lahore 1979).

Ogburn, William and Meyer Nimkoff

- A Hand Book of Sociology (6th, ed, Routledge and Kegan Paullted, Landon 1968).

.**Robert O. Blood, Jr**

- The Family (No, ed , Macmillan Publishing co, New york 1972).

Shukri, Ahmed

- Muhammedan Law of Marriage and Divorce (No, ed , AMS press INC, New york 1966).

Simth, Robertson

- Kinship and Marriage in early Arabia (3 th, ed, AMS Edition Published, America 1979).

.**William Alexander, M. D**

- The History of Women From Earliest Antiquity to the Present time (1 fr, ed, fr, J.H. Dobel, Bower, PhiladeLphia 1796).



كشافات الأعلام والأماكن

١ - كشاف الأعلام:

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

٢ - كشاف الأماكن:

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(و)

(ي)

المحتـــويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة



إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

١- فهارس كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، السيد أحمد مرسي عباس، ١٣٩٥هـ.

٢- لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ، ١٣٩٥هـ .

٣- سلسلة قادة الجزيرة - قال الجد لأحفاده ، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٤- سعود الكبير - الإمام سعود بن عبدالعزيز ، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٥- عثمان بن عبدالرحمن المضايفي - عهد سعود الكبير ، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٦- الإمام القائد عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، عبدالوهاب فتال. (د. ت).

٧- هذا هو كتاب سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، أمين سعيد، ١٣٩٥هـ.

٨- المرأة: كيف عاملها الإسلام، الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ. (د. ت).

٩- الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز ، د. عبدالفتاح أبو علية ، ١٣٩٦هـ .

١٠- العرب بين الإرهاص والمعجزة، محمد حسين زيدان ، ١٣٩٧هـ.

١١- بنو هلال بين الأسطورة والحقيقة ، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.

١٢- رحلات الأوروبيين إلى نجد وشبه الجزيرة العربية، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.

١٣- الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز ودعوة التضامن الإسلامي، مناع القطان، ١٣٩٦هـ.

١٤- انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، ١٣٩٧هـ.

١٥- أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه، محمد إبراهيم رحمو، ط٢، ١٣٩٨هـ.

١٦- تاريخ الدولة السعودية ، أمين سعيد، ١٤٠١هـ.

١٧- مكة في عصر ما قبل الإسلام، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ١٤٠١هـ.

١٨- الأطلس التاريخي للدولة السعودية، إبراهيم جمعة، ١٣٩٩هـ.

١٩- **أمجاد الرياض في حياة المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز**، شعر محمد العيد الخطراوي، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٢٠- **محمد بن عثيمين شاعر الملك عبدالعزيز**، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ١٣٩٩هـ.

٢١- **مثير الوجد في أنساب ملوك نجد**، تأليف راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب ، ١٣٩٩هـ.

٢٢- **دليل الدوريات بالمكتبة** ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٣- **دليل الوثائق العربية بدارة الملك عبدالعزيز** ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٤- **دليل الوثائق التركية الخاصة بالجزيرة العربية** ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٥- **قائمة ببليوجرافية مختارة من مكتبة دارة الملك عبدالعزيز عن الجزيرة العربية**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٦- **دليل دارة الملك عبدالعزيز**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٩هـ.

٢٧- **أعمال الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلميّة المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٢٨- **دراسات في الجغرافية الاقتصادية "المملكة العربية السعودية والبحرين"**، د. أحمد رمضان شقلية، ١٤٠٢هـ.

٢٩- **الكتاب السنوي الأول للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية** ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.

٣٠- **الأمثال العامية في نجد "٥ أجزاء"**، محمد بن ناصر العبودي "أسهمت الدارة في طباعته"، ١٣٩٩هـ.

٣١- **حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز**، رابح لطفي جمعة ، ١٤٠٢هـ.

٣٢- **الملك فيصل والقضية الفلسطينية**، د. السيد عليوة، ١٤٠٢هـ.

٣٣- **علاقة ساحل عمان ببريطانيا "دراسة وثائقية"**، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.

٣٤- **سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي**، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.

٣٥- **عنوان المجد في تاريخ نجد (جزءان)**، تأليف عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن ابن عبداللطيف آل الشيخ، ١٤٠٢هـ.

٣٦- **المرافئ الطبيعيَّة على الساحل السعودي الغربي "دراسة مقارنة تطبيقية "**، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٣هـ.

٣٧- **السكان وتنمية الموانئ السعودية على البحر الأحمر**، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٢هـ.

٣٨- **كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب**، لمؤلف مجهول، تحقيق: أ.د. عبدالله العثيمين، ١٤٠٣هـ.

٣٩- **النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، نوال حمزة الصيرفي (سلسلة الرسائل الجامعية - ١)، ١٤٠٣هـ.

٤٠- **بلاد الحجاز منذ عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد**، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢)، ١٤٠٣هـ.

٤١- **العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩- ١٣٤١هـ**، خالد حمود السعدون (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣) ، ١٤٠٣هـ.

٤٢- **السمات الحضارية في شعر الأعشى: دراسة لغوية وحضارية**، زينب عبدالعزيز العمري (سلسلة الرسائل الجامعية - ٤)، ١٤٠٣هـ.

٤٣- **الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر**، عبدالقدوس الأنصاري، ١٤٠٣هـ.

٤٤- **انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية**، محمد كمال جمعة، ط٢، ١٤٠١هـ.

٤٥- **الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي**، د. عاصم الدسوقي، ١٤٠٣هـ.

٤٦- **مكة في عصر ما قبل الإسلام**، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ط٢، ١٤٠١هـ.

٤٧- **أضواء حول الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه**، محمد إبراهيم رحمو، ط٣ ، ١٤٠٢هـ.

٤٨- **نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود**، تأليف: عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، تحقيق: محمد بن أحمد العقيلي، ١٤٠٢هـ.

٤٩- **فهرس مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة**، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤١٢هـ.

٥٠- **دارة الملك عبدالعزيز: الكتيب الإعلامي الأول للدارة**، ١٣٩٨هـ.

٥١- **مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة**، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية - ٥)، ١٤٠٨هـ.

٥٢- **النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠- ١٩٤٥م**، د. محمد عبدالرحمن الشامخ (أسهمت الدارة في طباعته)، ١٣٩٥هـ.

٥٣- **مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن**، د. عبدالرحمن صادق الشريف، ١٣٩٩هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٥٤- **المنهج المثالي لكتابة تاريخنا**، محمد حسين زيدان، ١٣٩٨هـ.

٥٥- **الدولة السعودية الثانية من ١٢٥٦- ١٣٠٩هـ**، د. عبدالفتاح أبو علية، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٥٦- **لوحة نسب آل سعود**، تصميم الدكتور إبراهيم جمعة. (د. ت).

٥٧- **جداول تحويل السنين الهجرية إلى ما يقابلها من التواريخ الميلادية**، رتبها د. إبراهيم جمعة. (د. ت).

٥٨- **الكشاف التحليلي لمجلة الدارة ١٣٩٥- ١٤١٥هـ**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٦هـ.

٥٩- **الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م**، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة سارة تاكا هاشي، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٠- **الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣- ١٣٤٦هـ**، يوسف ياسين، ١٤١٦هـ.

٦١- **الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى**، د. مي بنت عبدالعزيز العيسى (سلسلة الرسائل الجامعية - ٦)، ١٤١٧هـ.

٦٢- **مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة**، د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤١٧هـ.

٦٣- **يوميات رحلة في الحجاز**، تأليف: غلام رسول مهر، ترجمة: د. سمير عبدالحميد إبراهيم، ١٤١٧هـ.

٦٤- **معجم التراث (السلاح)**، سعد بن عبدالله الجنيدل، ١٤١٧هـ.

٦٥- **جدة خلال الفترة ١٢٨٦- ١٣٢٦هـ: دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة**، صابرة مؤمن إسماعيل (سلسلة الرسائل الجامعية - ٧)، ١٤١٨هـ.

٦٦- **بحوث ندوة الوثائق التاريخية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ١٣- ١٥ رجب** ١٤١٧، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ.

٦٧- **حوليات سوق حباشة**، أ د. عبدالله بن محمد أبو داهش، ١٤١٨هـ.

٦٨- **مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية المرحلة الأولى ١٤١٦- ١٤١٧هـ**، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٩هـ.

٦٩- **الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى (جزءان)**، إسماعيل حسين أبو زعنونة، ١٤١٩هـ.

٧٠- **رحلة الربيع**، فؤاد شاكر، ١٤١٩هـ.

٧١- **فجر الرياض**، عبدالواحد محمد راغب، ١٤١٩هـ.

٧٢- **معجم مدينة الرياض**، خالد بن أحمد السليمان، ١٤١٩هـ.

٧٣- **الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية**، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة: سارة تاكاهاشي، ط٢، ١٤١٩هـ.

٧٤- **رحلة داخل الجزيرة العربية** ، يوليوس أويتنج، ١٤١٩هـ.

٧٥- **الملك عبدالعزيز في مجلة الفتح (قائمة ببليوجرافية)**، د. فهد بن عبدالله السماري، ود. محمد بن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.

٧٦- **الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة**، د. فان درمولين، ١٤١٩هـ.

٧٧- **الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣- ١٣٤٦هـ**، يوسف ياسين. ط٢، ١٤١٩هـ.

٧٨- **خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد)**، د. محمد بن عبدالله النويصر، ١٤١٩هـ.

٧٩- **مختارات من الخطب الملكية (جزءان)**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٠- **نساء شهيرات من نجد**، د. دلال بنت مخلد الحربي، ١٤١٩هـ.

٨١- **مثير الوجد في أنساب ملوك نجد**، تأليف راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب. ط٢، ١٤١٩هـ.

٨٢- **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر**، تأليف شعيب بن عبدالحميد الدوسري، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان الرويشد، محمد بن عبدالله الحميد، ١٤١٩هـ.

٨٣- **صفحات من تاريخ مكة المكرمة (جزءان)**، تأليف ك. سنوك هورخرونيه نقله إلى العربية د. علي عودة الشيوخ ، ١٤١٩هـ.

٨٤- **لماذا أحببت ابن سعود** ، محمد أمين التميمي، ١٤١٩هـ.

٨٥- **ديوان الملاحم العربية، محمد شوقي الأيوبي**، تعليق د. محمد بن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.

٨٦- **أصدقاء وذكريات. انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م - ١٩٩٨م**، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روبيرج، ط١، ١٤١٩هـ.

٨٧- **الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض ١٣١٩هـ /١٩٠١- ١٩٠٢م**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٨- **الرواد: الملك عبدالعزيز ورجاله الأوفياء الذين دخلوا الرياض في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ** ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٩- **الزيارة الملكية: زيارة الملك عبدالعزيز التفقدية لشركة أرامكو، شركة أرامكو - لجنة المؤرخين**، ترجمه وعلق عليه د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤١٩هـ.

٩٠- **يوميات الرياض: من مذكرات أحمد بن علي الكاظمي**، أحمد بن علي الكاظمي، ١٤١٩هـ.

٩١- **الملك عبدالعزيز في الصحافة العربية**، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤١٩هـ.

٩٢- **رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية**، فيليب ليبنز، ترجمة محمد محمد الحناش، ١٤١٩هـ.

٩٣- **جوانب من سياسة الملك عبدالعزيز تجاه القضايا العربية: دراسة تحليلية من خلال أوراق نبيه العظمة**، د. خيرية قاسمية، ١٤١٩هـ.

٩٤- **معجم الأمكنة الوارد ذكرها في صحيح البخاري**، سعد بن جنيدل، ١٤١٩هـ.

٩٥- **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤١٩هـ.

٩٦- **المملكة العربية السعودية في مئة عام : معلومات موجزة** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٩هـ.

٩٧- **عبدالعزيز (الكتاب المصور)**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٩٨- **أصدقاء وذكريات، انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م - ١٩٩٨م**، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. رويبرج، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٩٩- **الكشاف التحليلي لصحيفة أم القرى : القسم الأول ١٣٤٣هـ - ١٣٧٣هـ / ١٩٢٤م - ١٩٥٣م** ، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٠هـ.

١٠٠- **الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.

١٠١- **بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (٢٩ بحثاً)** ط١، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.

١٠٢- **الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٠٣- **سلسلة وثائق المملكة العربية السعودية التاريخية - القضية الفلسطينية - ١٣٤٨-١٣٧٣هـ** ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.

١٠٤- **الملك عبدالعزيز في الإنتاج الفكري العربي المنشور في عام ١٤١٩هـ** ، عبدالرحمن أحمد فراج، ١٤٢١هـ.

١٠٥- **مؤتمر فلسطين العربي البريطاني - المنعقد في مدينة لندن في ١٨ ذي الحجة ١٣٥٧هـ الموافق ٧ فبراير ١٩٣٩م**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.

١٠٦- **رحلة إلى بلاد العرب ، تأليف أحمد مبروك، تعليق د. فهد بن عبدالله السماري**، ١٤٢١هـ.

١٠٧- **محاولات التدخل الروسي في الخليج العربي**، د. نادية بنت وليد الدوسري (سلسلة الرسائل الجامعية - ٨). ١٤٢٢هـ.

١٠٨- **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ** ، الشيخ حمد الجاسر، ١٤٢٢هـ.

١٠٩- **الجيش السعودي في فلسطين**، صالح جمال الحريري، ١٤٢٢هـ.

١١٠- **تاريخ البلاد السعودية في دليل الخليج** ، ج.ج. لوريمر، جمع وتعليق الدكتور محمد ابن سليمان الخضيري، ١٤٢٢هـ.

١١١- **اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية**، عبدالرحيم محمود جاموس، ١٤٢٢هـ.

١١٢- **الدولة العيونية في البحرين ٤٦٩- ٦٣٦هـ / ١٠٧٦- ١٢٣٨م**، د. عبدالرحمن بن مديرس المديرس (سلسلة الرسائل الجامعية - ٩)، ١٤٢٢هـ.

١١٣- **المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود / دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف**، ط١، د. فهد بن عبدالله السماري، د. ناصر بن محمد الجهيمي ، ١٤٢٢هـ .

١١٤- **Najd Before The Salafi Reform Movement, "نجد قبل الدعوة الإصلاحية السلفية"** د. عويضة بن متيريك الجهني، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية).

١١٥- **Al-Yamama in the Early Islamic Era. "اليمامة في صدر الإسلام"** د. عبدالله بن إبراهيم العسكر ، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية) .

١١٦- **التحليق إلى البيت العتيق**، د. عبدالهادي التازي، (سلسلة كتاب الدارة -١)، ١٤٢٢هـ.

١١٧- **الوثائق التاريخية لوزارة المعارف في عهد وزيرها الأول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ١٣٧٣- ١٣٨٠هـ** ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١١٨- **الإقناع لطالب الانتفاع (أربعة أجزاء)**، أبو النجا الحجاوي المقدسي، ١٤٢٣هـ.

١١٩- **جامع العلوم والحكم (جزءان)** ، ابن رجب، ١٤٢٣هـ.

١٢٠- **خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١٢١- **معجم ما ألف عن الحج**، د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي، ١٤٢٣هـ.

١٢٢- **برنامج المحافظة على المواد التاريخية** ، دارة الملك عبدالعزيز، مكتبة الكونغرس، ١٤٢٣هـ.

١٢٣- **مبادئ العناية بمواد المكتبة والتعامل معها**، جمع وتحرير إدوارد . ب. أدكوك، ترجمة د. عبدالعزيز بن محمد المسفر، د. فؤاد حمد فرسوني، ١٤٢٣هـ.

١٢٤- **العلاقات السعودية المصرية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات ألقيت في الندوة التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز بالتعاون مع مؤسسة الأهرام**، القاهرة (١٤٢٢/١٢/١هـ)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١٢٥- **علم القراءات: نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية**، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٢٦- **المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود/ دليل موجز بأبرز الإنجازات والمواقف**، د. فهد بن عبدالله السماري، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٢٧- **مستخلصات بحوث مجلة الدارة**، دارة الملك عبدالعزيز (جزءان)، ١٤٢٣هـ.

١٢٨- **الزيارات الخارجية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود**، نايف بن علي السنيد الشراري، ١٤٢٣هـ.

١٢٩- **موقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية (١٩٢٦- ١٩٤٨م)**، د. حسان حلاق (سلسلة كتاب الدارة – ٢) ١٤٢٣هـ.

١٣٠- **مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود تجاه قضية فلسطين**، د. عبدالفتاح حسن أبو علية، ١٤٢٣هـ.

١٣١- **العلاقات السعودية اللبنانية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود**، دارة الملك عبدالعزيز ، الجامعة اللبنانية، ١٤٢٣هـ.

١٣٢- **كلمات قضت - معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت**، محمد بن ناصر العبودي (جزءان)، ١٤٢٤هـ.

١٣٣- **الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية: بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ**، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٣٤- **موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية**، إعداد: دارة الملك عبدالعزيز وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ١٤٢٤هـ.

١٣٥- **التاريخ الشفهي، حديث عن الماضي**، تأليف: د. روبرت بيركس، ترجمة د. عبدالله ابن إبراهيم العسكر، ١٤٢٤هـ.

١٣٦- **الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب** ، د. عبدالرحمن ابن علي العريني ، (سلسلة كتاب الدارة - ٣) ١٤٢٤هـ.

١٣٧- **طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز**، عبدالرحمن بن عبدالله الشقير، ١٤٢٤هـ.

١٣٨- **مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود لترميم وتجليد مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة**، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٤هـ.

١٣٩- **المملكة العربية السعودية وحقوق الإنسان في السلم والحرب : إشارات موجزة**، د. فهد ابن عبدالله السماري، ١٤٢٤هـ.

١٤٠- **الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة**، د. معراج بن نواب مرزا، د. عبدالله ابن صالح شاووش، ١٤٢٤هـ.

١٤١- **مختصر الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.

١٤٢- **المملكة العربية السعودية في مئة عام (معلومات موجزة) ، إصدار خاص للمكفوفين بخط برايل**، طبع الكتاب بالتعاون مع وزارة المعارف، ١٤١٩هـ.

١٤٣- **تغير الأنماط السكنية في مدينة الدرعية**، د. بدر بن عادل الفقير، ١٤٢٦هـ.

١٤٤- **رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام**، تأليف: سعد بن أحمد الربيعة أعده للنشر: سعود بن عبدالعزيزالربيعة، (سلسلة كتاب الدارة - ٤) ١٤٢٤هـ.

١٤٥- **الصلات الحضارية بين تونس والحجاز: دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (١٢٥٦- ١٣٢٦هـ)**، أ. نورة بنت معجب الحامد (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٠)، ١٤٢٦هـ.

١٤٦- **تجارة السلاح في الخليج العربي (١٢٩٧- ١٣٣٣هـ)**، أ. فاطمة بنت محمد الفريحي (سلسلة الرسائل الجامعية - ١١)، ١٤٢٥هـ.

١٤٧- **تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، التاسع والعاشر للميلاد**، د. سعيد بن عبدالله القحطاني (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٢)، ١٤٢٥هـ.

١٤٨- **الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها**، د. أحمد بن عبدالعزيز البسام (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٣)، ١٤٢٦هـ.

١٤٩- **موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية،** د. خليفة بن عبدالرحمن المسعود (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٤)، ١٤٢٦هـ.

١٥٠- **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية (١٢٣٨- ١٣٠٩هـ)،** حصة بنت جمعان الزهراني (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٥)، ١٤٢٥هـ.

١٥١- **المجلات العلمية المحكمة في المملكة العربية السعودية (دراسة تقويمية للوضع الراهن)،** أ.د. سالم بن محمد السالم ، ١٤٢٥هـ.

١٥٢- **منطقة سدير في عهد الدولة السعودية الأولى،** د. عبدالله بن إبراهيم التركي، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٦)، ١٤٢٦هـ.

١٥٣- **تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية،** تأليف فيلكس مانجان، ترجمة د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٦هـ.

١٥٤- **لمحات من الماضي (مذكرات الشيخ عبدالله خياط)،** عبدالله عبدالغني خياط، ١٤٢٥هـ.

١٥٥- **موجز لتاريخ الوهابي ،** تأليف هارفرد جونز بريدجز، ترجمة د. عويضة بن متيريك الجهني، ١٤٢٥هـ.

١٥٦- **التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم،** تأليف جان ريمون، ترجمة د. محمد خير البقاعي (سلسلة كتاب الدارة - ٥)، ١٤٢٥هـ.

١٥٧- **تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م،** تأليف لويس ألكسندر أوليفيه دوكورانسيه، ترجمة د. إبراهيم البلوي، د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٦هـ.

١٥٨- **الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني،** تأليف الحسن بن أحمد الضمدي، تحقيق أ.د. إسماعيل بن محمد البشري، ١٤٢٥هـ.

١٥٩- **دليل المجلات السعودية المحكمة،** دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٠- **الرعاية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية (النشأة - الواقع)،** د. عبدالله بن ناصر السدحان، ١٤٢٥هـ.

١٦١- **رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية،** تأليف أنطونان جوسن - رفائيل سافينياك، ترجمة د. صبا عبدالوهاب الفارس، ١٤٢٥هـ.

١٦٢- **الملك فهد قائد حركة الإسلام والعروبة في القرن الخامس عشر الهجري**، أحمد بن عبدالغفور عطار، ١٤٢٥هـ.

١٦٣- **الوثائق العثمانية في الأرشيفات العربية والتركية: بحوث ندوة الأرشيف العثماني المنعقدة في الرياض في المدة من ١٩-٢٢ صفر ١٤٢٢هـ**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٤- **أطباء من أجل المملكة، عمل مستشفيات الإرسالية الأمريكية في المملكة العربية السعودية ١٩١٣- ١٩٥٥م**، تأليف د. بول أرميردينغ ، ترجمة د. عبدالله بن ناصر السبيعي (سلسلة كتاب الدارة - ٦)، ١٤٢٦هـ.

١٦٥- **العلاقات بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي - الواقع والمستقبل، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول المنعقد في تونس في المدة من ٢- ٤ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ / ٢- ٤ يونيو ٢٠٠٣م بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٦- **الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار** ، تأليف: أبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الأسكندري ت ٥٦١هـ، أعده للنشر/ حمد الجاسر، ١٤٢٥هـ.

١٦٧- **مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية المرحلة الأولى ١٤١٦- ١٤١٧هـ** ، (ط٢)، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٦هـ .

١٦٨- **دبلوماسية الصداقة، إيطاليا والمملكة العربية السعودية ١٩٣٢- ١٩٤٢م**، تأليف ماتّيو بيتسيغالّو، ترجمة محمد عشماوي عثمان، ١٤٢٥هـ.

١٦٩- **ديوان كوكبة السعودية من شعر زين العابدين الكويتي**، تعليق د. يعقوب يوسف الغنيم، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة - ٦)، ١٤٢٥هـ.

١٧٠- **في أرض البخور واللبان**، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٢٦هـ.

١٧١- **الجهود التربوية للجمعيات الخيرية النسائية السعودية**، أ. حصة بنت محمد المنيف، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٧) ١٤٢٦هـ.

١٧٢- **الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء (١٢٨٨-١٣٣١هـ/١٨٧١-١٩١٣م)** ، د. محمد بن موسى القريني، (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٨)، ١٤٢٦هـ.

١٧٣- **سياسة الملك عبدالعزيز تجاه فلسطين في حرب١٣٦٧هـ/١٩٤٨م**، د. عبداللطيف بن محمد الحميد، (سلسلة كتاب الدارة - ٧)، ١٤٢٦هـ.

١٧٤- **كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤-١٩٥٣م)**، أ. د. ناصر بن علي الحارثي، ١٤٢٦هـ.

١٧٥- **معجم التراث (الكتاب الثاني - الخيل والإبل)**، سعد بن عبدالله بن جنيدل، ١٤٢٦ هـ.

١٧٦- **المقامات ، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب**، دراسة وتحقيق د. عبدالله بن محمد المطوع، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -٥)، ١٤٢٦هـ.

١٧٧- **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب**، تأليف حسن بن جمال بن أحمد الريكي، درسه وحققه وعلق عليه: أ.د عبدالله الصالح العثيمين، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة - ٤)، ١٤٢٦هـ.

١٧٨- **التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة**، تأليف جمال الدين محمد بن أحمد المطري ، درسه وحققه وعلق عليه أ.د سليمان الرحيلي، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة- ٧)، ١٤٢٦هـ.

١٧٩- **السجل العلمي للقاء العلمي لمسؤولي التحرير في المجلات العلمية المحكمة في المملكة العربية السعودية (١٤٢٥/٣/١٩هـ الموافق ٢٠٠٤/٥/٨م)**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٠- **أسماء الأوعية الجلدية من خلال معجم لسان العرب لابن منظور (دراسة دلالية تأصيلية)**، د. محمد بن عبدالرحمن الثنيان ، (سلسلة كتاب الدارة - ٨)، ١٤٢٦هـ.

١٨١- **المختارات من صحيفة أم القرى (١٣٤٣- ١٣٧٣هـ)**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٢- **دُومة الجندل منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية - دراسة تاريخية حضارية**، نايف بن علي السنيد الشراري (سلسلة الرسائل الجامعية - ١٩)، ١٤٢٦هـ.

١٨٣- **رحلة الحج من صنعاء إلى مكة المكرمة للعلامة إسماعيل جغمان**، تحقيق د. محمد ابن عبدالرحمن الثنيان ، (سلسلة كتاب الدارة - ٩)، ١٤٢٦هـ.

١٨٤- **صحيفة أم القرى - نبذة تاريخية موجزة**، أ. محمد بن عبدالرزاق القشعمي، ١٤٢٦هـ.

١٨٥- **وثائق عصر الملك عبدالعزيز المتعلقة بالأمور الداخلية المحفوظة في دارة الملك عبدالعزيز ١٣١٩- ١٣٧٣هـ** ، د. خولة بنت محمد الشويعر (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢٠) ، ١٤٢٦هـ.

١٨٦- **الكشاف التحليلي لصحيفة صوت الحجاز**، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٧- **أعمال الملك عبدالعزيز المعمارية في منطقة مكة المكرمة (١٣٤٣-١٣٧٣هـ/١٩٢٤-١٩٥٣م)**، أ.د. ناصر بن علي الحارثي، ١٤٢٧هـ.

١٨٨- **LORD OF ARABIA IBN SAUD (ابن سعود سيد الجزيرة العربية)**، **ARMSTRONG** (تأليف أرمسترنج)، ١٤٢٦هـ.

١٨٩- **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر (القسم الثاني من الجزء الأول)**، تأليف شعيب ابن عبدالحميد الدوسري، تعليق عبدالرحمن بن سليمان الرويشد ومحمد بن عبدالله الحميِّد وفائز بن موسى البدراني الحربي، ١٤٢٧هـ.

١٩٠- **الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ)**، محمد محمود خلف العناقرة (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢١)، ١٤٢٧هـ.

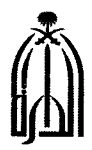
١٩١- **التنظيمات الداخلية في مكة المكرمة بعد دخول الملك عبدالعزيز آل سعود (١٣٤٣-١٣٥١هـ)**، منى بنت قائد آل ثابتة القحطاني (سلسلة الرسائل الجامعية - ٢٢)، ١٤٢٧هـ.

١٩٢- **المملكة العربية السعودية وفلسطين ، بحوث ودراسات، بحوث ندوة المملكة العربية السعودية وفلسطين التي نظمتها دارة الملك عبدالعزيز ٢٧- ٢٩ محرم ١٤٢٢هـ / ٢١-٢٣ إبريل ٢٠٠١م** ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧هـ.

١٩٣- **النشاط العلمي في مكة والمدينة خلال مواسم الحج في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)**، د. إبراهيم بن عبدالعزيز الجميح، (سلسلة كتاب الدارة - ١٠)، ١٤٢٧هـ.

١٩٤- **قراءة في بعض المذكرات والرسائل الشخصية للشيخ المؤرخ والنسابة إبراهيم بن عيسى**، د. أحمد بن عبدالعزيز البسام ، ١٤٢٧هـ .

١٩٥- **التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين** ، هدى بنت فهد بن محمد الزويد (سلسلة الرسائل الجامعية -٢٣)، ١٤٢٧هـ.



ص. ب : ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١ المملكة العربية السعودية - هاتف : ٤٠١١٩٩٩/٤٠٨١٦٣٦ فاكس : ٤٠١٣٥٩٧
P.O.Box 2945 - Riyadh 11461 - K.S.A - Tel: 4011999 / 4081636 Fax: 4013597
البريد الإلكتروني : E-mail: info@darah.org.sa موقع الإنترنت : www.darah.org.sa